المجلس الأعلى للثقافة



اللوبي

القوة السياسية اليهودية والسياسة الخارجية الأمريكية

المشروع القومي للترجمة

495

تأليف: إدوارد تيفنان
ترجمة: حسن عبد ربه المصري

المشروع القومى للترجمة

اللوبى

القوة السياسية اليهودية والسياسة الخارجية الأمريكية

تـأليـف : إدوارد تيفنان

ترجمـة : حسن عبد ربه المصرى



٢٠٠٣

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٤٩٥
- اللوبى (القوة السياسية اليهودية والسياسة الخارجية الأمريكية)
- إدوارد تيفنان
- حسن عبد ربه المصرى
- الطبعة الأولى ٢٠٠٣

هذه ترجمة كاملة لكتاب

THE LOBBY

Jewish Political Power

AND AMERICAN FOREIGN POLICY

by

Edward Tivnan

SIMON AND SCHUSTER

1987

New York

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084.

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للثقافة .

إهـــــداء ...

إلى شهداء انتفاضة الأقصى المباركة التى شاركت المنظمات اليهودية الأمريكية الموالية لإسرائيل فى اغتيالهم بما وفرته للدولة اليهودية من دعم مالى وعسكرى منذ قيامها وحتى اليوم .

وإلى شهداء كل انتفاضة قام بها الشعب الفلسطينى منذ ثلاثينيات القرن الماضى دفاعًا عن أرضه وتاريخه وحقه المشروع فى مجاهدة الاستعمار الصهيونى العنصرى وفى إقامة دولته المستقلة .

أهدى هذه الصفحات ...

(المترجم)

محتويات الكتاب

تمهيد (للمترجم)

"اللوبى" مصطلح غالبًا ما يلفت الانتباه؛ لأنه مرتبط فى الذهن العربى بإسرائيل وما يقوم به نشطاؤها فى الولايات المتحدة الأمريكية من ممارسات "تدفع دائمًا بصانع القرار الأمريكى لاتخاذ مواقف مؤيدة لسياساتها "على حساب الحق العربى، وربما ضد المصالح الأمريكية فى رأى بعض المحللين .

تركز الحديث عن "اللوبى" أو جماعات الضغط السياسى الموالية لإسرائيل التى يديرها قادة اليهود الأمريكيون فى الأشهر الأخيرة فى ضوء الانحياز الصارخ، ولا أقول غير المبرر، من جانب الإدارة الأمريكية لكل ما تفعله حكومة الدولة اليهودية.. انحياز صارخ لأنه لا يتفق مع المنطق ولا مع الحق، وفى الوقت نفسه يمكن تبريره . واتسع هذا الحديث بسبب المصادمات التى حدثت بين الإدارة الأمريكية خلال الفترة نفسها وبين عدد من العواصم العربية بسبب مواقفها من أعمال إسرائيل الاحتلالية العنصرية تجاه الانتفاضة الفلسطينية التى قاربت على العامين، ذلك الصدام الذى كان للقاهرة منه النصيب الأكبر والأعمق .

تركز الحديث واتسع واتخذ اتجاهات شتى تساءلت جميعها عن أسباب عدم وجود "لوبى" عربى ينافس "لوبى" إسرائيل داخل ساحة صنع القرار الأمريكى ، وأخذ البعض على عاتقه تحليل وتتبع ظاهرة جماعات الضغط اليهودية فى أمريكا، مستخلصًا قدرًا كبيرًا من المعلومات التى يرى أنها قد تنفع عند التفكير فى تأسيس جماعة أو جماعات ضغط عربية فى المستقبل القريب أو البعيد .

جماعات الضغط الأمريكية الموالية لإسرائيل كثيرة إلى الدرجة التى يمكن القول معها إنها منتشرة فى كل ولاية أمريكية ، وهذا الانتشار يمنحها القدرة على " التلوُّن"

باقتدار وحنكة، وفق ألوان الطيف السياسى والمدنى والدينى .. إلخ، التى يذخر بها المجتمع الأمريكى. هذا التلون ليس وليد الأمس، وإنما هو ثمرة التراكمات والتجارب التى مرّ بها عمل هذه الجماعات منذ بداية سنوات الخمسينيات من القرن الماضى وحتى اليوم، كما أنه تلونٌ يسير وفق القوانين الأمريكية التى تحكم حركة جماعات الضغط السياسى فيما بينها، وعلاقاتها بمؤسسات المجتمع المدنى ومؤسسات صنع القرار على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية .

على كثرة عدد جماعات الضغط الأمريكية الموالية لإسرائيل وتوزعها جغرافيًا يشتهر منها على سبيل المثال لا الحصر : منظمة النداء اليهودى الموحد، والكونجرس اليهودى الأمريكى، ومؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية، وأشهرها جميعًا بلا منازع لجنة العلاقات العامة الأمريكية / الإسرائيلية التى تعرف اختصارا باسم "إيباك".

هذه الشهرة لم تأت من فراغ ، وإنما اكتُسبت لعدة أسباب : أولها القدرة على جمع أموال التبرعات المعفاة من الضرائب وإرسالها إلى إسرائيل، وثانيها القدرة على جمع الأموال اللازمة لتوفير تكاليف الحملات الانتخابية للمرشحين لشغل مقاعد مجلس النواب أو الشيوخ، وكذلك لمنصب رئيس الجمهورية، ورابعها القدرة على التأثير على المجلسين التشريعيين والإدارة الأمريكية، وخامسها امتلاكها لشبكة علاقات عامة واسعة ومتشعبة يمكن تجنيدها للتأييد والمناصرة، كما يمكن تسخيرها للعرقلة والمناكفة .

هذه الشهرة أيضًا تسمح للمنظمات بالسيطرة على المواقف الخلافية بين الجماعات اليهودية الأمريكية فى بعض الأحيان، وتمنحها القدرة على فرض الآراء التى تغلِّب مصلحة إسرائيل على ما عداها فى كل الأوقات .

بدأت جماعات ممارسة الضغط السياسى الموالية لإسرائيل عملها فى منتصف القرن الماضى بإمكانيات متواضعة وقدرات محدودة جعلتها تستجدى العون المادى والتأييد المعنوى، ولكنها استفادت من هذه الوضعية المحدودة، مع مرور الوقت. ومازال صدامها مع الرئيس أيزنهاور درسًا يستفاد منه فى كل تحرك ، وعند إعداد برامج العمل السنوية والتخطيط لكسب ود أى إدارة أمريكية إلى صف ما تطالب به تعبيرًا عن

مصلحة إسرائيل، حتى لو جاء متعارضا مع مصالح الولايات المتحدة الأمريكية فى الشرق الأوسط. أما انتصار الرئيس ريجان الجزئى عليها فى معركة بيع طائرات الأواكس إلى المملكة العربية السعودية فهو الذى حفزها بعد ذلك إلى عدم التسامح مع من يخرج عن طوعها أو يتراجع عن اتفاقه معها، إما بتأييد توجهاتها أو معارضة مطالب الإدارة الأمريكية مهما كان حجمه أو عمق مسئوليته ! .

قبل أن نناقش معًا أسباب قوة اللوبى اليهودى فى أمريكا لابد من الإشارة إلى أن الدستور الأمريكى يسمح بتشكيل جماعات الضغط السياسى للتعبير عن المصالح الفئوية داخل المجتمع الأمريكى، ومع ذلك أرغمت الجماعات الموالية لإسرائيل المجتمع أن يعترف بها ويشهد لها بالتميز ، رغم ما تتميز به من عرقية صارخة. ويسمح بها الدستور لكى تسهم بفاعلية فى تحريك آليات النظام الديمقراطى لصالح الغالبية من أبناء المجتمع، وبالرغم من ذلك سجلت الجماعات الموالية لإسرائيل نجاحاتها فى معظم الأحيان على حساب المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط .

لماذا تتفوق الجماعات اليهودية الأمريكية الموالية لإسرائيل على غيرها ؟ ولماذا لم ينجح العرب حتى اليوم فى تشكيل جماعات مماثلة فى القوة أو قريبا منها ؟

أولاً، لأن الجماعة اليهودية الأمريكية تؤهل كوادرها وأبناءها "دراسيًا" لكى يكون لهم مكان إلى القرب من قمة صنع القرار السياسى. وإن لم تجد من يشغل المكان من هؤلاء أو هؤلاء فليكن من نصيب الأوفياء من الأصدقاء، وهم كثيرون .

ويتم الترشيح لهذه المناصب التنفيذية والاستشارية حتى مستوى سفراء أمريكا ومندوبيها فى الأمم المتحدة بقوة المال الذى يبذل لدعم المرشحين على مستوى مجلسى النواب والشيوخ وعلى مستوى الجالس فى البيت الأبيض .

ثانيًا ، لأن الجماعة اليهودية الأمريكية أصبحت، بحكم الخبرة، قادرة على تقديم المال اللازم لتخطيط وتنفيذ حملة دعائية انتخابية مضمونة على كافة المستويات والمراحل منذ الأيام الأولى للتقدم للترشيح، وأصبح هذا المال مع مرور الأيام وبعد الفوز بالمقعد النيابى هو "ذهب المعز" الذى يذل الرقاب ويضمن تنفيذ التعهدات التى تدور

حول "الالتزام بالتصويت وفق ما تطالب به منظمة إيباك على مستوى مجلسى النواب الشيوخ حتى لو جاء مخالفًا لتوجهات الإدارة الأمريكية" .

فى الانتخابات التشريعية لعام ٢٠٠٠ جمعت إيباك بمفردها ٦,٥ مليون دولار لمساعدة المرشحين من الحزبين الجمهورى والديمقراطى .

ثالثًا، لأن شبكة العلاقات العامة التى تملكها هذه الجماعات تصب جميعًا فى خدمة أهداف ومصالح الدولة اليهودية حتى لو تعارضت مع مصالح الولايات المتحدة الأمريكية، أصبح فى مقدورها إحداث التأثير القوى والمباشر لفرض عدد كبير من المرشحين على مستوى الولايات الأمريكية للفوز بعضوية مجلسى النواب والشيوخ ، بل وعلى إقناع البعض بالتنحى والتنازل لحساب من تؤيدهم هذه الجماعة .

رابعًا ، لأنها تخضع فى توجيه دفتها لحكومة إسرائيل بغض النظر عن فلسفة الحزب المنفرد بالمسئولية أو الائتلاف الذى يتولاها، ألزمت "إيباك" التى تتصدر العمل المؤيد لإسرائيل نفسها بتأييد سياسات الدولة اليهودية حتى لو اختلفت معها أو رأت فيما تقوم به مخالفة للمبادئ والأخلاق والمثل .

خامسًا ، لأنها قادرة على التحالف مع القوى ذات التأثير النافذ فى المجتمع الأمريكى فبعد أن كانت بعيدة بدرجة كافية لسنوات طويلة عن اليمين الأمريكى المحافظ وتحظى بتأييد التيارات التقدمية والليبرالية، أصبحت اليوم قادرة على التعايش مع الأصولية المسيحية/ الصهيونية وتتحدث لغتها، وتتحالف معها ضد المعارضين لنفوذها المتنامى داخل المجتمع الأمريكى .

سادسًا ، لأنها قادرة على التأثير على مجالس إدارة المنابر الإعلامية عن طريق الموالين لها داخلها أو المنفذين لسياساتها أو عن طريق توجيه تهمة "معاداة السامية" وهى تهمة تسبب متاعب جمة لا قِبَل للكثيرين بها، استطاعت هذه الجماعة أن تضمن تبنى معظم هذه المنابر لأفكارها واستعدادها للدفاع عن مزاعم إسرائيل دون فحص أو مراجعة، بل ويعمل البعض منها طواعية على الإساءة للعرب دون سند أو مناسبة .

سابعًا ، لأنها قادرة على تكميم أفواه أشد المنتقدين من داخلها لسياساتها

ولممارسات إسرائيل مهما بلغت قوة حجتهم أو ماضيهم فى العمل من أجل الجماعة .

ثامنًا ، لأن إيباك قادرة على ترجمة التوصيات التى يصدرها مؤتمرها السنوى إلى مخططات عمل من خلال ركائزها فى المجالس التشريعية والإدارة الأمريكية وضابط اتصالها فى البيت الأبيض ، فهى تعمل دائمًا على أن تكون لإسرائيل الأولوية على ماعداها، لو اقتضى الأمر تعطيل مصالح حيوية لأمريكا فى المنطقة .

جماعات الضغط السياسى الموالية لإسرائيل ليست أسطورة، ولا هى ضرب من المستحيل ، والأهم من ذلك أنها لا تمثل يهود أمريكيا كلهم، فهناك كثير من الجماعات والأفراد اليهود غير المنضوين تحت أى من الجماعات التى تعد بالمئات ، إلى جانب ذلك هناك تجمعات يهودية لا توافق على برامج هذه الجماعات وتعترض أيضًا على ممارسات إسرائيل وسياساتها الداخلية والخارجية، ولكنها محدودة من حيث العدد وهامشية من حيث التأثير !! لكنه التشتت العربى حيال الحق والعدل والشرعية فى مواجهة التوحد اليهودى الصهيونى حول العنصرية والظلم والقهر والتزييف .

فكرة هذا الكتاب(*)

كان ذلك فى خريف عام ١٩٨٤، عندما كنت فى زيارة آرى ل . دولزن مدير المنظمة الصهيونية العالمية ورئيس الوكالة اليهودية فى مكتبه فى تل أبيب ، عندما مال نحوى متسائلاً بصوت هامس : " هل هم أقوياء كما يزعمون ؟ "

كان السؤال جيداً ، لأن شبيهًا له دفعنى فى حقيقة الأمر منذ أكثر من عام للبدء فى إعداد البحوث الخاصة بهذا الكتاب الذى راودتنى فكرة إصداره خلال حديث كان قد جرى بينى وبين صديقى ستيف شوارتز الذى يعمل بالمحاماة والمقاولات فى الوقت نفسه وله اهتمام ودراية بسياسة أمريكا الخارجية . خلال حديثنا طرح صديقى سؤاله قائلا " هل ما يطلقون عليه اللوبى اليهودى(**) (جماعة الضغط اليهودية داخل مجلس الشيوخ الأمريكى) قوى فعلاً كما يقول الجميع بما فيهم المنتمون إليه ؟ " أذكر أنه طرح السؤال فى سياق مناقشة كانت تدور بيننا حول أجواء المعركة البذيئة التى شهدها مجلس الشيوخ عام ١٩٨١، عندما كان أعضاؤه يتجادلون حول اقتراح إدارة الرئيس ريجان بيع خمس طائرات من نوع الأواكس التى تقوم بجمع المعلومات إلى المملكة العربية السعودية . فى حينها قامت المنظمات اليهودية الأمريكية بتشجيع من حكومة إسرائيل التى كان يرأسها مناحيم بيجين بحملة ضارية لمنع إبرام هذه الصفقة ، فى الوقت نفسه اتهم عدد من كتاب الصحف التى تصدر فى واشنطن ورؤساء سابقون لأمريكا الإسرائيليين بالتدخل فى سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ، وبأن اللوبى

- (*) العنوان للمترجم

(**) مصطلح Lobby يعنى، وفق المعاجم الإنجليزية : ردهة مجلس العموم البريطانى أو مجلس الشيوخ الأمريكى حيث يستطيع أعضاء المجلسين أن يتقابلوا مع أبناء المجتمع لتبادل النقاش حول قضية بعينها، أو لكسب التأييد لمشروع قانون تشريعى ، ومنها جاءت to lobby a bill ثم أضيف إليها جماعة ضغط تحاول التأثير على أعضاء الهيئة التشريعية ..

اليهودى قد استقوى إلى الدرجة التى يستطيع معها أن يجعل السياسية الأمريكية فى الشرق الأوسط تخرج عن مسارها المرسوم لها ، مما فتح الباب لحملات يهودية مضادة دارت شعاراتها حول عدد من الأفكار المناهضة للسامية التى فاحت رائحتها من بين ثنايا الانتقادات التى وُجهت إلى الصهيونية .

بلغت حيرتنا مداها : كيف انتقل النقاش بين أعضاء مجلس الشيوخ حول الشرق الأوسط إلى مستوى متدنٍ بلغ حد تبادل أقذع الشتائم ؟ وماذا يعنى أن تكون إحدى جماعات الضغط على جانب كبير من القوة، داخل نظام سياسى يعتمد أساسًا على تبادل الآراء فيما بين أعضاء المجلس التشريعى، عندما يتعرضون لمناقشة مصالح أمريكا الخاصة، بنفس الدرجة التى يتجادلون فيها حول " الوثيقة الاتحادية " للشعب الأمريكى " التى تنص على أن لكل جماعة حزبية دورًا أساسيًا فى النظام الدستورى للولايات المتحدة الأمريكية ؟ أليس هذا هو الدور المطلوب من جماعات الضغط أن تقوم به .. وهو التأثير فى مجرى السياسة ؟ هل جماعة الضغط اليهودية هى الأكثر قوة بالقياس لجماعات الضغط الأخرى ؟ كيف استطاعت مجموعة من البشر لا يتجاوز تعداد أفرادها ٦ مليون أمريكى أن تصل إلى هذا الحد من التأثير السياسى ؟ هل مصالح الولايات المتحدة الأمريكية هى نفسها مصالح إسرائيل ؟ هل يستطيع اليهود الأمريكيون أن يدعموا إسرائيل ، وأن يعارضوا سياسات معينة لحكومتها فى الوقت نفسه ؟ واتفقنا أنا وصديقى ستيف شوارتز على أن إجابة هذه الأسئلة المتداخلة يمكن أن تضمها دفتا كتاب .

اكشتفت – أثناء بحوثى الأولية – أنه بالرغم من كثرة الحديث المتذمر فى أنحاء متفرقة من واشنطن عن مسألة التأثير اليهودى فى صنع سياسات أمريكا فى الشرق الأوسط، وهل هو موجود أو غير موجود ، أن ما كتب عن هذه النقطة يثير الدهشة، حيث اتضح لى أن معظم المعلقين يحومون بحذر لاستكشاف آثار " الصوت الانتخابى اليهودى " والمال اليهودى " على السياسات الأمريكية . كما اكتشفت أيضًا أن العمل الدبلوماسى والدعايات السياسية حول الشرق الأوسط يتضمنان إشارات عابرة عن انعكاسات ما يجرى فوق أرضه على سياسة أمريكا الداخلية ، وسرعان ما ينتقل منها إلى قضايا أخرى . وتأكد لى أن القليل مما كُتب حول جماعة الضغط اليهودية كان

إما رديئًا أو متحيزًا إذا نظرنا إليه من وجهة النظر الإسرائيلية أو من وجهة النظر العربية ، مما يجعل مثل هذه الكتابات غير جديرة بالاطلاع ، بل يمكنني القول إنني وجدت بعض الكتّاب ممن ينكر أصلا وجود مثل هذه الجماعة الضاغطة ٠

عند هذه النقطة تأكد لى أنه لا بد من نظرة جديدة متفحصة للموضوع برمّته ، فعزمت على البدء فوراً فى وضع الاهتمام الخاص بجماعة الضغط السياسى اليهودية فى سياقه التاريخى من خلال تتبع تطور العلاقات الأمريكية / الإسرائيلية منذ نشأة الدولة اليهودية عام ١٩٤٨، وقررت أن أبدأ بالسؤالين التاليين : ما الدور الذى قامت به الجماعة اليهودية الأمريكية وقيادتها لتعزيز هذه العلاقة الخاصة ؟ وما مواقف اليهود الأمريكيين تجاه الصهيونية التى توجت نجاحاتها بإعلان قيام دولة إسرائيل ؟

لم تكن الإجابة عن هذين السؤالين بالوضوح الذى يتمناه المعارضون أو المؤيدون لجماعة الضغط اليهودية (حتى هذه التسمية فى رأيى فى حاجة إلى تعديل طفيف) ، ولما كانت النقطة المحورية بالنسبة لى كما يقول المؤيدون لجماعة الضغط اليهودية هى سبر أغوار " تأثير هذه الجماعة على السياسة الأمريكية " كان علىّ أن أبحث فى كيف تحولت هذه الجماعة السياسية التشريعية الضاغطة إلى جماعة مؤيدة لإسرائيل فى المقام الأول ، وأصبحت من ثم تتمتع بالحضور الدائم والهجوم المتواصل والتأثير الملحوظ على القضايا المتصلة بالشرق الأوسط ، مما جعل مجموعة من ممثلى العاصمة فى مجلس الشيوخ يطلقون عليها " جماعة الضغط اليهودية " ٠

قلة من الأصدقاء لم توافقنى على أن هذه المسألة جديرة بالبحث ، وقيل لى المرة تلو المرة إن المشكلة الأساسية " أننى لن أجد من يتحدث إلىّ " . لماذا ؟ لأن الموضوع الذى أنا بصدده ساخن جداً ، وحساس جداً ، ويحمل فى طياته مخاطر سياسية لكل من له صلة به ٠ فزعماء اليهود وأعضاء جماعة الضغط اليهودية وأصدقاؤهم وأعداؤهم داخل مجلس الشيوخ يفضلون إبقاء الموضوع خلف ستار ٠ وقيل لى أيضا إننى إذا حرصت فى بحثى - كما تعهدت من قبل - أن أكون منصفاً لكافة الأطراف فسيقودنى ذلك إلى نقد سياسة إسرائيل والجماعة اليهودية الأمريكية، مما سيفتح الباب على مصراعيه أمامهم - كما قال لى أقرب أصدقائى من اليهود - لاتهامى، ولو من بعيد بأننى مؤيد للعرب ومعاد لإسرائيل، أو توجيه اتهام مباشر لى بأننى عدو للسامية ٠

البعض الآخر من أصدقائي كان أكثر تشاؤمًا ؛ حيث حذرني دبلوماسيون أمريكيون سابقون وسفراء لأمريكا سبق لهم العمل فى عدد من العواصم العربية أننى لن أجد في مدينة نيويورك كلها من يجرؤ على نشر الكتاب الذى أستعد لتأليفه . ولما قلت لهم إننى قد تعاقدت مع واحدة من كبريات دور النشر فى المدينة لوّحوا بأيديهم فى وجهى مصممين أن الموزعين سيرفضون توزيع الكتاب بعد طباعته، وإذا فعلوا ذلك ستضغط الجماعات اليهودية المحلية في كل مكان لرفع نسخه من فوق أرفف محلات بيع الكتب . على نفس الوتيرة لفت سفير أمريكى سابق (وصفته إحدى المنظمات اليهودية مؤخرًا بأنه عضو بارز فى المعسكر المعادى لإسرائيل) نظرى إلى أمر مهم حيث قال ما معناه : إذا كنت محظوظًا ووجدت من ينشر لى الكتاب فستعمد المجموعات اليهودية إلى شراء نسخه جميعًا حتى يحدُّوا تمامًا من توسيع دائرة تداوله وتأثيره . وأعترف الآن أن هذا التحذير بالذات أثار اهتمامى بوجه خاص .

عندما بدأت العجلة تدور وجدت كل زعيم يهودى وكل سياسى إسرائيلى على استعداد في بعض الحالات للتحدث بإيجابية وحماسة . كان من بين هؤلاء توماس أ. دين الرئيس الحالى للجنة الأمريكية الإسرائيلية للشئون العامة المعروفة باسم إيباك (AIPAC) وهى بالمناسبة جماعة الضغط الوحيدة المسجلة رسميًا فى مجلس الشيوخ لدعم إسرائيل فى واشنطن والتى تعد رأس الحربة كما يجب أن يسميها رئيسها ، ويمكن القول إن النجاحات التى حققتها هذه اللجنة دفعت الكثيرين إلى انتقادها، من بينهم مثلاً أقدم زعماء المنظمات اليهودية فى أمريكا . وبالرغم من أن الكثيرين توقعوا أن لا يسمح لى السيد دين بإجراء مقابلة معه ، استقبلنى الرجل عدة مرات كان فيها سخيًا من ناحية الوقت وصريحًا فيما أبداه من آراء استعان فى إبدائها بالكثير من أوراقه الشخصية ، وقد امتد هذا السخاء وهذه الصراحة إلى من قابلتهم من مساعديه السابقين والحاليين ، كذلك كان الحال مع السيد موريس أميتاى خصم دين اللدود الذى كان يترأس اللجنة من قبله . تحدث إلىّ جميعهم بصراحة حول ظاهرة تصاعد قوة اليهود السياسية خلال العقدين السابقين، والتغيرات التى شابت السياسات الأمريكية واليهودية، وأسهمت بالتالى لجنة إيباك فى زيادة معدل تأثيرها على موقف أمريكا تجاه علاقات العرب وإسرائيل .

رحب زعماء يهود باستقصاءاتى، ونظر بعضهم إلى نقاشاتى معهم على أنها جلسات علاجية لهم ٠ على سبيل المثال يشعر كثير منهم أن السنوات الست التى تولى فيها منا بيجين رئاسة الوزارة الإسرائيلية أورثتهم حالة معقدة من الإحباط والمرارة حين اكتشفوا أن صورة إسرائيل ليست هى التى فى أذهانهم ٠٠ كما أن غزو لبنان واحتلال أرضه عام ٨٢ / ١٩٨٣ ترك البعض من أكثر مؤيديها داخل وخارج الجماعة اليهودية يشعرون أنهم خُدعوا فى سياستها ٠ وبينما حرص البعض على تسجيل تحفظاتهم على سير المناقشة معهم ، كانت الأغلبية على استعداد تام لمناقشة انعكاسات سياسة بيجين على مستقبل إسرائيل بشرط عدم نشر أسمائهم ، مما جعلنى أشير فى بعض صفحات الكتاب إلى اقتباسات دون أن أكون مطلق اليدين لأنسبها لأصحابها الأصليين ٠

ومهما يكن من أمر فإن الذين قبلوا أن أجرى معهم مقابلة أو الذين لم يقبلوا أن تنسب إليهم آراؤهم أصبحوا فى نهاية المطاف جزءاً من قصة هذا الكتاب ، وأصبحوا يمثلون جزءاً من إجابة السؤال الذى طرحه آرى دولزن " هل هم أقوياء كما يزعمون ؟ " إذ يبدو لى الآن أن جماعة الضغط اليهودية تتمتع بقدر من القوة يكفى لنشر الخوف بين خصومها ، حتى لو كانوا فى أرفع المناصب الحكومية أو فى أعلى مستويات العمل داخل الجماعة اليهودية الأمريكية ٠ أما عواقب وآثار هذه القوة، أو ما تطلق عليه لجنة إيباك " عضلة إسرائيل " تجاه إسرائيل وانعكاسها على السياسة الأمريكية الخارجية فى الشرق الأوسط وعلى جماعة اليهود الأمريكيين فيمثل جزءاً آخر من المسألة وجزءاً من القصة التى سوف أحكيها ٠

هذا الكتاب يمثل حصيلة حوالى مائتى مقابلة أجريتها بين أمريكا وإسرائيل إلى جانب ثلاث سنوات من القراءة والنقاش والكتابة والمراجعة . سيرى القارئ أن أشد المعارضين للجنة إيباك قد ندد بنشاطاتها بوصفها مثالاً بارزاً على " المؤثرات الخارجية " التى تنعكس على صناعة سياسة أمريكا الخارجية ٠ فى الجانب الآخر سيلاحظ أن دور لجنة إيباك فى النظام السياسى الأمريكى قصة أمريكية بحتة جعلت العديد من زعماء الصهيونية البارزين من أمثال دولزن فى حيرة من أمر قوة اليهود فى أمريكا ومصدرها، مثلهم فى ذلك مثل نظرائهم العرب ٠

والكتاب أيضًا يعد من زاوية أخرى ، قصة النظام الأمريكى وكيف يعمل سواء للأصوب أو للأسوأ ، وكيف استطاعت مجموعة سياسية واحدة أن تستثمره لتحقيق أهدافها ومصالحها الخاصة التى ليست بالضرورة فى صالح إسرائيل .

وهى من جانب آخر قصة كانت قد بدأت قبل قيام إسرائيل بفترة طويلة عندما كان قيامها يمثل حلمًا طائشًا يراود جماعة من نشطاء السياسة الأوروبية فى القرن التاسع عشر الذين لم يجدوا إلا القليل من التأييد لدى يهود أمريكا .

إدوارد تيفنان ١٩٨٦

المقدمة

قبل أن تصبح إسرائيل واقعًا كدولة وُجدتْ كجماعة سياسية أولاً في عدد من العواصم الأوروبية وبعدها في واشنطن . أما الصهيونية فكانت حلمًا رومانسيًا في خيال مجموعة من مُنظرى يهود أوروبا في القرن التاسع عشر الذين لم يتمكنوا إلا من الاتفاق على أمر واحد فقط وهو : لكى يعيش اليهود في عالم معاد للسامية لا بد من إقامة دولة يهودية خاصة بهم ، لذلك عمل زعماء الصهيونية بلا كلل لإقناع العديد من قادة العالم بتقديم المساعدة لهم لتحويل هذا الحلم إلى حقيقة . ولم يكن الأمر ميسراً، فقد قوبلوا بالعداوة والشكوك المذهبية ، وكان الأكثر شكًا فيهم ونقداً لهم زعماء اليهود في أمريكا .

كان المؤسس والمحرك الأول لتشكيل " الصهيونية السياسية " الصحفى المعروف تيودور هرتزل الذى كان يقيم في فيينا في ذلك الوقت . كان والده يعمل في صناعة الملابس، وكان مثل غيره من ذوى الأصول البرجوازية قد حصل على درجة الدكتوراه في القانون الرومانى وفشل في أن يكون كاتبًا مسرحيًا . تميز تيودور عن غيره من شباب اليهود بأنه يستطيع أن يفهم جيداً مشاكلهم بالرغم من أنه لم يتلق تربية يهودية، ولم يكن لديه اهتمام بالدين أو بالشئون اليهودية العامة ، لكن ذلك كله تغير تمامًا عندما انتُخب كارل لوجر عام ١٨٩٣ عمدة لمدينة فيينا وفق برنامج انتخابى يقوم على العداء لليهود .

في العام التالى زاد اهتمام الصحفى هرتزل بالمشكلة اليهودية و مستقبل أبنائها في أوروبا، وذلك حين سافر إلى باريس كمراسل لصحيفة يومية تصدر في فيينا لمتابعة وقائع محاكمة الضابط الفرنسى اليهودى ألفريد دريفوس الذى اتهم آنذاك بالخيانة العظمى . وبالرغم من الأقوال التى أدلى بها دريفوس وأدلة براءته ، إلا أنه

أدين، وحُكم عليه بقضاء عقوبة السجن فى جزيرة الشيطان، الأمر الذى نجمت عنه خلافات حادة فى المجتمع الفرنسى أدت إلى تصادم بين أنصار التيار اليمينى والتيار اليسارى داخل باريس زاد من حدتها موقف صحفى شديد العداء للسامية، ومظاهرات عدائية صاخبة طافت المدينة منددة بخيانة دريفوس ٠

أحدث تفجر هذا العداء ضد اليهود صدمة شديدة هزت هرتزل من الأعماق، وأصبح على قناعة تامة بأن العداء للسامية المتأصل بشدة داخل المجتمع الأوروبى لن يسمح فى يوم من الأيام لليهود بأن يندمجوا بين بقية أفراده . وكانت الخلاصة التى توصل إليها كحل للمسألة اليهودية هى أن تنشأ دولة خاصة بهم ٠ لذلك حرص على أن يجعل الفكرة المحورية فى كتابه الشهير " الصهيونية " تدور حول حل مشكلة يهود أوروبا " بأن نطرحها (كيهود) أولاً باعتبارها مشكلة سياسية دولية من المحتم على دول العالم المتحضر أن تناقشها وتجد لها حلاً " .

كان هدف صهيونية هرتزل أن يتم إنقاذ وضع الغرباء الذين يعيشون على مستوى العالم، ثم يعاد توطينهم بشكل طبيعى داخل حدود دولة يهودية ٠ وإذا كانت كراهية العالم تجاه اليهود ظاهرة طبيعية ، فما على الصهيونية إلا أن تزيل هذا الاستفزاز بمنح اليهود دولتهم الخاصة بهم، وبذلك تصبح الصهيونية مصدر توفير السلام لأوروبا.

يقول آرثر هرتزج مؤرخ الصهيونية فى كتابه " فكرة الصهيونية " إن مفكريها الأوائل أحدثوا ثورة فى الفكر الصهيونى عندما ذكروا أن الحوار الأساسى فى حياة اليهود لم يكن بينهم وبين الله، بل كان بينهم وبين بقية دول العالم ، أما عقيدة اليهود المركزية التى تقول إن خلاصهم سوف يتحقق عندما يقوم السيد المسيح مرة ثانية، فقد أحلّت الصهيونية محلها عودة صهيون أو إسرائيل الجديد التى ستحقق لليهود حريتهم السياسية، وتوفر لهم العدالة الاقتصادية والاجتماعية التى نادى بها التقدميون والرواد طوال سنوات القرن التاسع عشر ٠ وبذلك أضاف هرتزل إلى مجمل الحركات القومية التى راودت أحلام مفكرى أوروبا السياسيين فى القرن التاسع عشر على امتداد القارة الأوروبية ما صار يعرف بعد ذلك باسم " الحلم الصهيونى "(١) .

يجب الاعتراف أن اختلافًا جوهريًا كان يوجد فى هذه الفترة بين الحركة القومية اليهودية وغيرها من الحركات التى كانت تناضل من أجل حقها فى تقرير المصير، ذلك

أن الهوية اليهودية لم تكن تستند على أرض قومية موجودة فعلاً، كما لم تكن تجمع بين أفرادها لغة منطوقة واحدة . وبذلك وجد هرتزل نفسه زعيماً لأمة لا وطن لها مما جعله يحدد لنفسه هدفًا أساسيًا ألا وهو السعى للعثور على أرض يقيم عليها اليهود وطنهم وعلى المال اللازم لتمويل عملية هجرتهم إليها .

بدأ هرتزل بتوجيه ندائه إلى أثرياء اليهود فى العالم ، إلا أنهم وجدوا فيه رجلاً حالمًا فردُّوه خاوى الوفاض . كان من بينهم جاكوب شيف الذى كان من كبار أثرياء يهود نيويورك وأحد الزعماء الأقوياء داخل الجماعة اليهودية الأمريكية ، والذى وصف الصهيونية بأنها " نظرية عاطفية " لا مستقبل لها[٢] .

من جانب آخر وجد بعض المتدينين اليهود أن هذه الفكرة منافية للطبيعة ولمنطق الأمور الخاصه باليهود، ورأى فيها البعض الآخر كفرًا بيِّنًا يبعدهم عن عقيدتهم الأصلية التى تنص على أن خلاص أمة اليهود لن يتحقق إلا بالقيامة الثانية للسيد المسيح ، لذلك رفضوا بشدة الطموحات التى يمثلها الدكتور هرتزل الصحفى ورجل فيينا الشهير الذى كان الأولى به - على حد قولهم - وهو الذى يعيش فى عالم نموذجى أن يسعى إلى دمج اليهود فيه . حتى المؤمنون بنظرية الصهيونية تندروا بمشروع هرتزل ، يقال إن آحد هاعام ، مؤسس "الصهيونية الثقافية " التى كانت على اقتناع بأنه من الممكن أن يتحول صهيون الجديد إلى مركز إشعاع روحى وثقافى لليهود فى أرض الشتات ، لما التقى بهرتزل فى المؤتمر الأول للصهيونية الذى عقد فى مدينة بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ ، وصفه بأنه " ليس إلا محتالاً على ثقة كبيرة بقدراته " كما يقول نص كلمات المؤرخ الشهير ولتر لاكير . وفى المقابل شدد آحد هاعام على أن خلاص اليهود لن يتحقق " وفق كتابات الدبلوماسيين ونظرياتهم، وإنما فى ضوء وصايا الأنبياء "[٣] .

كان الأمر فعلاً يحتاج إلى مخادع يثق بقدراته وإلى دبلوماسى من طراز دولى .. وكان هرتزل يتمتع بالصفتين اللتين أتاحتا له الفرصة كاملة لبسط فكرة الصهيونية على زعماء العالم ؛ حيث تنقل فى رحلات مكوكية من بلد الى آخر مستغلاً علاقاته الوطيدة وصداقاته الحميمة كصحفى فاجتمع مع سلطان تركيا وقيصر ألمانيا وملك إيطاليا والبابا ووزير المستعمرات فى الحكومة البريطانية. فى كل مقابلاته كان هرتزل يتمتع

بقدر كبير من الثقة بالنفس وبحماسة الدعاة وبالقدرة على إقامة علاقات شخصية قوية ، وقد مكنه كل ذلك من أن يحوّل فكرته إلى حلم قابل للتحقيق فى مخيلة مئات الألوف من اليهود الروس الذين رأوا فى الصهيونية السياسية ملجأ يمكن أن يبعدهم عن حملات الإيذاء القميئة المعادية للسامية التى يتعرضون لها فى وطنهم المفترض: روسيا. وكان مؤسس الصهيونية يعتقد اعتقاداً جازماً أن كل شخص وبالذات المتنورون من أعداء السامية لا بد أن يؤمن بأن الحل الذى يقترحه للمشكلة اليهودية هوالمخرج الصحيح لها .

فى عام ١٩٠٣ وقبل عام واحد من وفاته المبكرة - توفى ولم يبلغ بعد الرابعة والأربعين من العمر - اجتمع هرتزل مع وزير داخلية روسيا الكونت فياشسلاف بليف ، الذى كان اليهود يعتقدون اعتقاداً راسخاً أنه المسئول الأول عن أبشع المذابح التى تعرضوا لها لفترة طويلة من التاريخ الروسى ، وعرض عليه مقابل إبعاد اليهود عن الخلايا السياسية الثورية الروسية (التى كانت تقلق بال حكومة موسكو القيصرية آنذاك) أن تلغى وزارته القيود المفروضة عليهم، والتى تمنعهم من المشاركة فى الأنشطة الصهيونية داخل تجمعاتهم فى روسيا، وأن يوفر لهم المعونات المالية التى تساعدهم على الهجرة، وأن يقنع سلطان تركيا بأن يصدر وعداً بمنحهم وطناً قومياً فى فلسطين التى كانت جزءاً من الإمبراطورية العثمانية فى ذلك التاريخ .

وبالرغم من ذلك بقيت الصهيونية حركة أوروبية بحتة ؛ فقد رفضها الحاخام أ.م. وايز مؤسس حركة الصهيونية الإصلاحية الأمريكية التى استطاعت أن تسيطر بالكامل على الحياة الدينية ليهود أمريكا قبل نهاية القرن التاسع عشر، وذلك حين علّق باسم منظمته على أفكارها قائلاً " إننا نعارض ما يسمى بالصهيونية السياسية بكل حزم وإصرار، لأن صهيون ، ولو أنه إرثنا من الماضى السحيق ، إلا أنه لا يمثل أملاً لنا ، أمريكا هى صهيوننا"[٤] . يؤكد ذلك أن زعماء للجماعة اليهودية الأمريكية من وزن وايز وشيف كانوا يفضلون حماية مصالح أتباعهم بالسير على النهج التقليدى ليهود القرون الوسطى الذى عُرف باسم " يهودى البلاط " حيث كان الأثرياء من يهود أوروبا ممن يعيشون على هامش المجتمع الأوروبى غير اليهودى يقدمون له الدعم الأدبى والمالى حتى يكون قادراً باستمرار على توفير الحد الأدنى من المعونات لجماعات اليهود الفقيرة غير المتعلمة التى يدّعون أنهم يمثلون أفرادها .

فى عام ١٩٠٦ استطاع كبار زعماء الجماعة اليهودية فى نيويورك أن يضعوا إطاراً قانونياً لمفهوم " يهودى البلاط " حيث أصبح يطلق عليه اسم " اللجنة الأمريكية اليهودية " على أن يكون من مهامها الرئيسية معالجة المشاكل السياسية والاجتماعية التى تعانى منها موجات اليهود الذين هاجروا إلى أمريكا من أوروبا الشرقية فى أواخر القرن ، وأن يعمل فى الوقت نفسه على أن يتولى إدارة الشئون الحياتية لليهود فى أمريكا لجان مماثلة يكون على رأسها أفضل يهود أمريكا المتميزين بتمدنهم وتعليمهم وغناهم وبقدرتهم على الاندماج فى الحياة الأمريكية ٠

على الجانب الآخر اكتشف المهاجرون الجدد إلى أمريكا أن أبناء عمومتهم من الألمان لا يقلون غموضاً عن المسيحيين من البروتستانت الذين يعيشون فى الشارع الخامس فى قلب نيويورك ، والذين كان عليهم برغم ذلك أن يتعاملوا معهم تجارياً .. هؤلاء القادمون الجدد الذين فرّوا من المذابح ويعيشون فى حى صغير قرب الجانب الشرقى المنخفض لمدينة نيويورك المزدحم بالسكان ، وجدوا أنهم لم يستفيدوا من الحركات الليبرالية التى انتشرت فى أوروبا قبل نهاية القرن التاسع عشر لأنهم تقوقعوا داخل أحيائهم السكنية الأوروبية الشديدة الازدحام ، وانصرفوا إلى إقامة المؤسسات الخاصة بهم فى عزلة عن الوطن الذى يقيمون فيه ، وأيضا عن العالم .

وبالرغم من شعورهم بالأمان داخل الأحياء المنغلقة عليهم (الجيتو) إلا أن حجم الاضطهاد الذى عانوه فى حياتهم جعلهم يشعرون فى قرارة أنفسهم أنهم يهود ، هذه الشريحة من اليهود كانت الأكثر استعداداً من غيرها فى داخل الولايات الأمريكية للاستجابة لدعوة هرتزل ٠

بقيت الغالبية العظمى من يهود أمريكا غير متحمسة لدعايات هرتزل ، وعندما بدأت وقائع الحرب العالمية الأولى كان مجمل المؤيدين للحركة الصهيونية فى العالم الجديد لا يتعدى ٢٠ ألفاً من بين ٥ر٢ مليون يهودى أمريكى . ولم تكن هذه هى المشكلة الكبرى للصهيونية لأنها كانت تعانى فى الوقت نفسه من الافتقار إلى زعماء نوى نفوذ قادرين على التأثير داخل الساحة السياسية الأمريكية المحلية كما كان الحال بالنسبة لقادة اللجنة الأمريكية اليهودية المعروفين بعدائهم الشديد للصهيونية ٠

فى عام ١٩١٢ حدث تطور ملفت للنظر، ذلك حين قرر لويس دمبتز براندايز ، أحد أشهر المحامين اليهود فى مدينة بوسطن والمعهم ، بطريقة مفاجئة وغامضة أن يصبح صهيونيًا .. كان أبوه محاميًا من أبناء يهود براغ الذين هاجروا إلى أمريكا ورزق بابنه هذا بعد أن استقر به المقام فى ولاية كينتاكى . تربى براندايز ونشأ فى هذه الولاية كما يقول عن نفسه " حرًا بلا معرفة بالأواصر أو التقاليد التى تفرضها الديانة اليهودية " . عندما تخرج براندايز من كلية القانون التابعة لجامعة هارفرد كان الأول علي زملائه ، وبعد أن جمع أموالا طائلة عن طريق ممارسة مهنة المحاماة فى بوسطن تفرغ فى سن الرابعة والثلاثين للدفاع عن " الصالح العام " . على أثر تفرغه بدأ لويس يهتم بمشاكل اليهود ، وزاد وعيه بهم على أثر حادثتين أثرتا فى حياته بقوة . الأولى عندما نجح عام ١٩١٠ فى تقديم المساعدات اللازمة لتنظيم إضراب فعّال للعاملين فى منطقة صناعة الملابس بمدينة نيويورك التى كان يسيطر عليها المهاجرون اليهود من أبناء دول أوروبا الشرقية ، أما الحادثة الثانية فتتمثل فى المناقشات التى درات بعد ذلك بعامين بينه وبين جاكوب دوهاس أحد مساعدى هرتزل السابقين الذى كان يقوم فى ذلك الوقت بتحرير ونشر صحيفة بوسطن اليهودية، وكان على وعى ومعرفة بالصهيونية وما تعنيه(٥) .

ومهما كان حجم التأثير الذى تركه تحوُّل براندايز إلى الصهيونية، ومهما كانت سعادته هو بتحقيق حلمه بأن يكون رجل علاقات عامة شهيرًا ، إلا أن المكاسب التى حققتها الصهيونية باجتذابه إليها كانت تفوق الوصف ؛ فقد أثبتت الأيام أنه من أبرز أعضاء الجماعة اليهودية الأمريكية بل من أبرز رجالات الحياة الأمريكية كلها، وواحد من أقرب أصدقاء وودرو ويلسون الذى سيصبح رئيسًا لأمريكا .

وافق براندايز أن يكون رئيسًا للحركة الصهيونية الأمريكية الوليدة ، واستطاع خلال الفترة من عام ١٩١٤ وحتى عام ١٩١٨ أن يكرس معظم وقته وجهده وثروته لتوسيع مفهومها على مستوى الولايات الأمريكية كلها . وإذا كان براندايز يمثل فى تلك الفترة نموذجًا حيًا لمدى النجاح العظيم الذى يمكن ليهودى أن يحققه فى أمريكا بعد أن اعتنق الصهيونية وهو فى الخمسين من عمره حين نجح فى إبرازها بشكل مقبول على المسرح السياسى الأمريكى ومنحها وجهًا أمريكيًا واضحًا بعد أن كانت محاصرة حتى وقت قريب داخل نشأتها الأوروبية .. إلا أن الانقسامات الحادة بين زعماء

الجماعات اليهودية فى تلك الفترة جعلت زعماء اللجنة الأمريكية اليهودية يرفضون المبادئ التى تنادى بها الصهيونية، بل وينجحون فى إقناع صديقه وودرو ويلسون رئيس أمريكا الجديد أن لا يسند إليه منصبًا وزاريًا " لأنه - كما قالوا وأصروا - لا يمثل يهود أمريكا كلهم " .

لم تؤثر هذه الانقسامات فى معنويات براندايز فأخذ يطوف بالجماعات اليهودية الأمريكية ليبرهن لهم أن الانضمام إلى الحركة الصهيونية لا يترتب عليه التفتيش وراء اليهودى عن ولاءاته ، فهذه الحركة على العكس مما يشاع عنها تمثل فى رأيه العمل الوطنى الوحيد الذى يمكن أن يقوم عليه أى يهودى أمريكى ٠ ومن أقواله فى هذا الشأن ما جاء فى خطاب شهير له بمؤتمر الحاخامات الإصلاحيين الذى عقد عام ١٩١٥ : " يجب أن لا يطوف ببال أى أمريكى أن الصهيونية لا تتوافق مع الوطنية، فنحن نعترض على الولاءات المتعددة إذا كانت غير متوافقة مع بعضها البعض . إن كل أمريكى يقدم المساعدة لتوطين اليهود فى فلسطين حتى إذا كان على يقين أنه لن يقيم بها لا هو ولا ذريته هو إنسان فاضل وأيضا أمريكى فاضل . ليس هناك تعارض البتة بين الولاء لأمريكا والولاء لليهودية . الروح اليهودية النابعة من ديانتنا ومن تجاربنا هى روح عصرية وأمريكية فى المقام الأول، وإذا كانت القوانين الأساسية لأمريكا تسعى إلى إحلال الأخوّة بين الناس بدلاً من العداوة ، فإن هذه الأخوة هى التى تشكل قانون اليهودية الأساسى على امتداد أكثر من ألفين وخمسمائة عام .. وإذا كان مطلب أمريكا الأساسى الذى تعمل على تحقيقه خلال القرن العشرين هو إقرار العدالة الاجتماعية ، فقد كان هذا هو المطلب نفسه الذى كافح من أجله اليهود ولعدة أجيال . إن معاناة اليهود وأصولهم الدينية أعدتهم لاعتناق الديموقراطية الفعالة . لذلك أقول بكل تأكيد إن الولاء لأمريكا يفرض على كل أمريكى يهودى أن يصبح صهيونيًا "(٦) .

فى أعقاب تولى براندايز قيادة الحركة الصهيونية انتخب وودرو ويلسون رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية، وبذلك أصبح لأفكار هرتزل مناصر فى داخل البيت الأبيض، وجاء اختيار الرئيس الجديد لصديقه براندايز عضواً بالمحكمة العليا عام ١٩١٦ تعبيراً عن تعاطفه مع الميول الصهيونية التى يمثلها ، ويرى البعض أن الأمر يعنى فى أعماقه اعترافًا بأن ما تمثله الصهيونية يتواءم مع نظرية الرئيس ويلسون التى تنادى بتأييد حق كل شعب من شعوب العالم فى تقرير مصيره ٠

كانت هناك أيضا أسباب ذرائعية (برجماتية) سياسية تقف وراء التأييد الأمريكى للصهيونية، حيث أبدى اتحاد العمال الأمريكى مناصرة قوية لإقامة وطن قومى لليهود لمواجهة الحملات المعارضة التى كان يطلقها قادة الاتحادات التجارية اليهودية الكارهون للرئيس الجديد وللصهيونية فى الوقت نفسه .. من ناحية أخرى نظر تيودور روزفلت إلى العملية الانتخابية من زاوية إمكانية مضاعفة الأصوات التى يمكن أن يحصل عليها عن طريق تبنى المسألة اليهودية عبر برنامجه الانتخابى .

أما بالنسبة للرئيس وودرو ويلسون فإن الأمر لم يقتصر على الجانب السياسى أو النظرية السياسية فى تأييده للصهيونية ، لأنه، كابن لكاهن بروسبيتارى ومطالع يومى منتظم للكتاب المقدس، كان متأثرًا عاطفيًا بمحنة اليهود . وكما ذكر بيتر جروس فى كتاب له بعنوان " إسرائيل فى عقل أمريكا " كان هناك تعاطف تقليدى عميق بين الحلم الصهيونى والبروتستانتيين الأمريكيين . ويروى جروس عن الرئيس نيلسون أنه قال يوما " أراكم تتساءلون : كيف يمكن لى ، أنا ابن القس ، أن أساعد فى إعادة بناء الوطن القومى لليهود "(٧) .

لم يكتف التاريخ بأن يضع فى طريق الصهيونية الرئيس ويلسون بكل ما كان يمثله من تأييد سياسى وعاطفى ، بل هيأ لها مسيحيًا صهيونيًا آخر هو آرثر بيلفور وزير الدولة البريطانى للشئون الخارجية الذى منح اليهود الأمل الحقيقى فى العودة إلى فلسطين . كان آرثر بيلفور مسيحيًا تقيًا ، وكدارس متعمق للتاريخ الرومانى واليهودى كان يعتبر أن هدم مدينة يهودا من أكبر الأخطاء التاريخية التى ارتكبها الرومان ، وكان يحدوه الأمل أن يتمكن يوما من تصحيح هذا الخطأ بشكل أو بآخر .

احتل بيلفور مكانة بارزة فى التاريخ عندما أشار فى فقرة من رسالة له إلى اللورد روتشيلد عام ١٩١٧ بأن " حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين الاعتبار إلى إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين " فى المنطقة التى انتزعها البريطانيون خلال معارك الحرب العالمية الأولى من الأتراك الذين كانوا متحالفين مع الألمان ضد بريطانيا(٨) .

بيلفور كانت أيضا لديه دوافعه السياسية لمناصرة الصهيونية إلى جانب عوطفه الدينية ، فهو كوزير دولة للشئون الخارجية فى حكومة بريطانيا كان توّاقًا لأن تحصل

بلاده على مساعدة كل من أمريكا وروسيا فى صراعها ضد ألمانيا ، وقد نجح فى إقناع زملائه فى مجلس الوزراء بأن تأييد مطلب اليهود بإقامة وطن قومى لهم " سيمثل دعاية عظيمة الفائدة بين أوساط اليهود فى كلا البلدين "(٩) .

لا غرابة إذن أن يعد وعد بيلفور أول نصر عظيم فى القرن العشرين للصهيونية السياسية ولليهود المضطهدين فى روسيا بعد مرور عشرين عاماً فقط من إعلان هرتزل عن حق اليهود فى هذا الوطن من خلال أول مؤتمر صهيونى عقد لهذا الغرض . وبينما كانت عبارة " وطن قومى للشعب اليهودى " برغم ما فيها من غموض تمثل تحقيقاً لمعجزة ، إلا أن معجزة الصهيونية الحقيقية كانت أن تتوقف الفئات اليهودية المتنازعة فيما بينها عما يمكن أن يؤدى إلى هدم حركتها الصهيونية من الداخل . إذ لم يمض وقت قصير على إعلان وعد بيلفور حتى دب الخلاف بين براندايز وحاييم وايزمان الصهيونى الروسى ذى الميول الإنجليزية الواضحة وأبرز ورثة هرتزل فى رئاسة المنظمة الصهيونيه العالمية ، الذى وصفه صديقه إسايا برلين الفليسوف الصهيونى المعروف بجامعة أكسفورد بأنه " ساحر سياسى لا يمكن مقاومته "(١٠). وايزمان هذا الذى جمع أموالا كثيرة من عمله فى حقل الكيمياء ببريطانيا ساعدته على تكريس جهده ووقته للحركة الصهيونية دون تبرم ، هو المسئول وحده عن كسب تأييد آرثر بيلفور أبرز السياسيين البريطانيين فى ذلك الوقت لقضية اليهود والصهيونية فى ضوء الصداقة الحميمة التى نشأت بينهما منذ أن التقى به لأول مرة عام ١٩٠٦ .

المشكلة هنا أن وايزمان لم يكن صديقا للويس براندايز ، فالبرغم من أن الزعيم الأمريكى تمكن من أن يوفر مزيداً من الاحترام للصهيونية بين مواطنيه فى أمريكا إلا أنه لم يحقق مثل هذه الخطوة على مستوى الدول الأوروبية . هنا لابد من الإشارة إلى حقيقة مهمة وهى أن حلم الصهيونية كان دائمًا ما يكتسب بعض ملامح الداعية الذى يروج له بالإضافة إلى خلفياته السياسية ؛ فهرتزل مثلاً تصور الدولة اليهودية على شاكلة مدينة فيينا الحالمة كما كانت تعيش قبل نهاية القرن التاسع عشر . أما وايزمان فقد رآها على نسق النظام البريطانى ، على عكس براندايز الذى تخيلها على هيئة مدينة طوبارية من مدن ولاية نيوانجلاند فى أمريكا إلا أنها مقامة فى الشرق الأوسط . لاغرو إذن أن يحمل خصوم براندايز بشدة على الصهيونية الأمريكية وأن يتهموا

أتباعها بأنهم يفرغون النظرية من أيديولوجيتها مما مهد الطريق أمام وايزمان وأتباعه أن يستخفوا بآراء برانديز ووجهات نظره واصفين إياها بأنها " صهيونية بلا صهيون " [١١] . إمعان النظر يجعلنا نميل إلى القول إن مواقف برانديز هذه كان لها ما يبررها ، فهو كرجل قانوني أمريكي ذرائعي كان يعتبر الخطب المطولة والمهاترات الأيديولوجية التى تدور خلال المؤتمرات الصهيونية إضاعة للوقت ، خاصة أنه لا يوجد دليل على أنه، وهو الذى أقام صرح الصهيونية فى أمريكا، فكّر ولو مرة واحدة فى أن يقيم فى فلسطين .

حين وصل وايزمان إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٢١ ليساعد فى جمع التبرعات لإقامة جامعة عبرية فى القدس كان فظًا فى نقده للأسلوب الذى يستخدمه برانديز فى الترويج للنظرية الصهيونية ، ولم يتورع أن يقول " إننى لا أوافق على فلسفتكم فى تفسير الصهيونية " وخاطب الأمريكيين قائلا " نحن وأنتم مختلفون إلى أبعد درجات الاختلاف ولا يوجد جسر يربط بين واشنطن وبيننا "[١٢] . ويبدو أن اليهود من تجار وسط المدينة كانوا موافقين على هذا الطرح ، حيث أدى تصويت يهود أمريكا من الصهاينة بعد ذلك بشهرين فقط إلى إعفاء برانديز من منصبه بالمحكمة الأمريكية العليا .

على أثر هذه الخطوة ترك الحركة الصهيونية عشرات من أبرز الشخصيات اليهودية الأمريكية الذين كانوا قد انضموا إليها بتشجيع من برانديز . كان منهم مثلا فيلكس فرانكفورتر الذى سيُعيَّن فيما بعد عضوًا بمحكمة العدل العليا، وستيفن وايز وهو حاخام من الإصلاحيين وناشط اجتماعى، والحاخام آبا هلل سيلفر الإصلاحى الذى وهب حياته لخدمة معبد يهودى على قدر كبير من الثراء فى كليفلاند . أما مناهضو الصهيونية السياسية من أعضاء اللجنة الأمريكية اليهودية فلم يكن فى استطاعتهم تحرير خطاب جماهيرى لتقويض النفوذ السياسى للحركة الصهيونية فى أمريكا بأفضل مما فعل وايزمان ، لذلك اكتفوا بما حدث فى أعقابها من تفكك .

بعد هذه الخطة التى أدت إلى إبعاد برانديز لم يبق أمام وايزمان من المنافسين الأقوياء لكى يشدد قبضته على الحركة الصهيونية العالمية سوى رجل واحد قوى الشخصية متشدد فى آرائه هو فلاديمير زئيف جابوتنسكى الذى كان يؤمن بأن السبيل الوحيد لتحقيق الحلم الصهيونى هو تنظيم هجرة جماعية كبيرة ليهود أوروبا

إلى فلسطين لموازنة التواجد البريطاني والعربى بأكثرية من اليهود تضع الطرفين أمام الأمر الواقع، ومن ثم تفسح الطريق لإقامة الدولة اليهودية . ولتحقيق هذه الخطوة فى مواجهة العداء العربى الذى لابد أن يترتب عليها ، اقترح جابوتنسكى إقامة " حائط حديدى " من القوة العسكرية اليهودية حول فلسطين لحماية الدولة . وبينما كان وايز مان على ثقة بأن البريطانيين والعرب سيدعمون قيام الدولة الصهيونية كان جابوتنسكى يرى فى الأفق بوادر معركة حربية لا بد أن تقع .

كان جابوتنسكى يؤمن أن الدولة الصهيونية بما ستحتويه من خبرات تقنية وثقافات غربية لن تغرى العرب بالانجذاب إليها وأنهم سيقاومون الوجود اليهودى فى المنطقة بكثافة كبيرة ، لذلك أوصى بأن يعامل العرب بلا أدنى رحمة . فى الوقت نفسه لم ينكر جابوتنسكى حق العرب فى فلسطين، ولكنه اعتبر هذا الحق لاحقًا لحق اليهود فيها حيث إن أمامهم بلدانًا عربية أخرى يمكن أن يذهبوا إليها " أما اليهود فلا يوجد أمامهم سوى هذا الوطن "(١٣) .

برغم هذا التشدد اضطر جابوتنسكى إلى الاستقالة من عضوية المجلس التنفيذى للمنظمة الصهيونية على أثر اعتراضه القوى ورفضه عام ١٩٢٢ للمشروع البريطانى الذى كان يقترح إنشاء مجلس تشريعى فى فلسطين يضم فى عضويته ممثلين عن سكانها العرب . بعد ثلاث سنوات خطط جابوتنسكى لإزاحة وايزمان عن رئاسة المنظمة الصهيونية العالمية ، ولما أخفق انسحب كلية منها وقام فى عام ١٩٢٥ بتأسيس منظمة جديدة تابعة له عرفت باسم الصهيونية التصحيحية . وأعلن أنه ينوى تحرير الحركة الصهيونية من أفكار " القبول بالحد الأدنى " ومن اشتراكية الزعامات اليهودية الحالية ، وأن يعيد الحركة إلى مهمتها التى يجب أن تعلو على كل شىء ألا وهى " إقامة الدولة "(١٤) .

النقطة الأساسية التى لم تهتم بها خطة جابوتنسكى الاهتمام الكافى فى ذلك الحين هى أن عدد اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين تحت حكم الانتداب البريطانى خلال الفترة من عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٢٩ لم يتعد ٧٧ شخصًا ، وبالرغم من أن الإحصاءات الرسمية تشير إلى أن أعدادهم بلغت بعد ذلك بعامين حوالى ١٧٥ ألف

مـهـاجـر أو مـا يـوازى ١٧٪ من إجـمـالى سكان فلسطين . إلا أن هـذه المشكلة لم تمنع جابوتنسكى ومؤيديه من المضى فى سعيهم نحو إقامة الدولة .

جـابوتنسكى أو " جوبو " كما كـان يناديه أصدقاؤه من الصـهاينة يعد من أكثر الشخصيات المثيرة للجدل عبر التاريخ الصـهيونى . فقد عمل مراسلا صحفياً فى دول أوروبا لعدد من الصحف اليومية الروسية، إلا أن موهبته الواضحة وعبقريته الملفتة للأنظار كانتا تتجليان عندما يتقمص شخصية الداعية الصـهيونى . هذا الرجل بدأ نشاطه السياسى متتبعًا خطى هرتزل الكلاسيكية، ثم انتهى بأن اختار لنفسه طريقًا متشددا .. لذلك أصر على أن يتمسك بهدفين أساسيين لمنظمته الصـهيونية الجديدة " استعادة إسرائيل التاريخية وأراضيها ومن ثم إحياء سيادتها من جديد وكذلك لغتها [١٥] يلى ذلك إنشاء دولة إسرائيل على ضفتى الأردن التى ستشهد إقامة العدالة الاجتماعية دون حاجة إلى أساليب الصراع الطبقى[١٦] . المناوئون لجابوتنسكى هاجموه بعنف ووصفوه بأنه رجعى وبرجوازى ، وكان من بينهم بل فى طليعتهم الاشتراكى الغيور ديفيد بن جوريون .

بن جوريون الذى كان قد هاجر من روسيا إلى فلسطين عام ١٩٠٦ أسهم بقوة فى تأسيس حركة صهيونية عمالية فى فلسطين وأنشأ حزب العمل (الماباى) الذى تمتع فيما بعد بالقوة السياسية والاقتصادية معا .. فى الوقت نفسه عمل فى اللجنة التفيذية للمنظمة الصـهيونية العالمية عندما تولى قيادتها وايزمان، وترأس بعد ذلك الوكالة اليهودية التى نشطت فيما بعد لإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين بمساعدات مالية تبرع بها اليهود فى جميع أنحاء العالم . هذه المكانة وهذا النفوذ جعلا من بن جوريون زعيم الصـهيونية غير المنازع فى فلسطين والقائد الذى يتمتع بالقدرة والإمكانيات والمهارات التى تساعد فى إنشاء الدولة اليهودية التى لم تقم قائمتها بعد ، لذلك لم يكن غريبًا أن يثور الشارع اليهودى بقوة عندما هاجم جابوتنسكى الاشتراكية والحركة الصهيونية العالمية التى يقودها بن جوريون .

شهد عام ١٩٣٦ تحولاً جذريًا فى النهج الصـهيونى حين تبدل عداء الصـهاينة التصحيحيين من أتباع جابوتنسكى من مجرد الهجوم بالكلمات ضد عرب فلسطين إلى القيام بأعمال عسكرية ضدهم بعد أن أعلن جناحهم المسلح تسليحًا قويًا عن نبذهم

لمبدأ الجماعة الرسمى بضرورة " ضبط النفس " تجاه المدنيين العرب . ويبرر هذا الفريق خشيته أن تؤدى أعمال العنف والاضطرابات الدموية التى يقوم بها العرب الذين يقاومون بشدة تعاظم الهيمنة اليهودية التى تهدد بقاءهم فى فلسطين ، إلى إشاعة الخوف فى نفوس اليهود الراغبين فى الهجرة إليها . ولوضع حد لهذا الصراع القائم بين رفض الهيمنة اليهودية والإصرار على توسيع مداها قامت جماعة أرجون زئيف ليومى (المنظمة الوطنية المسلحة) التى تمثل غير الاشتراكيين من أعضاء منظمة الهاجاناة، ومن بينهم الموالين لجابوتنسكى ، بشن هجمات عنيفة ضد المدنيين العرب . وبدلا من أن تؤدى هذه الأعمال العدوانية إلى سحق المقاومة العربية زاد الإرهاب اليهودى من اشتعالها .

تعليقًا على هذه الحوادث يقدم الصحفى الإسرائيلى سمحا فلا بان تحليلا تاريخيًا للأساليب التى لجأت إليها الصهيونية لوضع حد للصراع العربى الإسرائيلى فى فلسطين قائلا " : يمكن القول إن منظمة أرجون بتصرفاتها هذه وضعت أسس الإرهاب الذى تبنته منظمة التحرير الفلسطينية (المنظمة الإرهابية التى يرأسها ياسر عرفات) بعد ذلك بثلاثين عامًا ، حيث كانت تلجأ إلى وضع المتفجرات فى العربات التى تنقل الخضراوات من المزارع إلى الأسواق العربية فى مدينة القدس وتقوم بإطلاق النار على سيارات النقل الجماعى وتقوم بإلقاء القنابل الحارقة على أماكن تجمعات العرب "[١٧] .

من جانبه لم يكن جابوتنسكى القائد الأعلى لمنظمة أرجون وفيلسوفها التنظيرى مرتاحا لأسلوب قتل النساء والأطفال العرب ، وبدلا من أن يعمل على وقف هذه الأعمال ناشد القادة العسكريين أن يقدموا إنذارًا مسبقا قبل القيام بالغارات أو التفجيرات حتى يتمكن السكان العرب من إخلاء المنطقة المعرضة للاعتداء . قوبلت هذه المناشدة بالرفض لأن مثل هذا التحذير فى رأى قادة أرجمين سيعرض المهاجمين الصهاينة للخطر وسيؤدى إلى فشل عملياتهم[١٨] .

هذه المواقف المتصلبة وغيرها خلفت وراءها العديد من المخاطر التى بدأت تضر بالصهيونية مما دفع بن جوريون إلى فرض الالتزام بالقواعد التى تفرضها المنظمة الصهيونية العالمية، وهدد بإلقاء القبض على المخالفين من أعضائها .

في هذا الوقت كان الصهيونيون الأمريكيون بعيدين عن الأعمال العسكرية الدائرة في فلسطين، ولكنهم لم يكونوا بعيدين عن معارك المنظمة الصهيونية والمؤامرات التي تدور داخلها . بعد تولي الحاخام ستيفن وايز قيادة فرع المنظمة الأمريكي في عام ١٩٣٥ زادت شهرته وساعده ذلك إلى جانب صداقته للرئيس الأمريكي فرانكلين روزفيلت على أن يعيد للمنظمة الصهيونية العالمية قدرتها على الرؤية الصحيحة التي كانت قد افتقدتها على أثر إقصاء براندايز عنها . وكان عليه أن يجد إجابة شافية للسؤال الذي يزداد ترديده يومًا بعد يوم : كيف يمكن أن يواصل اليهود الصهيونيون الأمريكيون ضغطهم من أجل إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين في الوقت الذي يهدد فيه هتلر حياة يهود أوروبا ؟

وكان عليه أيضا أن يجد حلا لمشكلة التبرعات المالية التي حُجبت لبعض الوقت عن المنظمة الصهيونية بعد أن جمعت من داخل الولايات المتحدة الأمريكية حتى لا ينفقها قادتها بالكامل لتحقيق سياساتهم الصهيونية بدلا من إنفاقها لإيجاد حلول جذرية لمشاكل اللاجئين .

كان الصهيونيون الأمريكيون وفق أيديولوجيتهم معادين للنازية، ولكنهم كانوا في الوقت نفسه معادين لبريطانيا ، لأن القومية العربية كانت تلقى تأييدًا من جانب حكومتها مما يحول دون فتح باب الهجرة على مصراعيه إلى فلسطين لزيادة أعداد الجالية اليهودية . ومما زاد من وطأة هذه المعضلة ما تسرب من أخبار حول المساومات التي كانت تجرى بين الصهيونيين الألمان والنظام النازي الحاكم لتهجير أكبر عدد من يهود ألمانيا خارج البلاد مع أموالهم التي تحتاج إليها الصهيونية العالمية في فلسطين .

كان وايز يعتقد أن صلته اللصيقة بإدارة الرئيس روزفيلت سوف تساعده في حربه لإنقاذ اليهود، ومن ثم إعادة توطينهم خاصة وأنه كان على استعداد لإقامة وطن لهم في واحدة من المستعمرات البريطانية مثل كينيا أو أوغندة، وذلك حتى يتجنب المشاكل الناجمة عن رفض العرب وسلطات الانتداب البريطاني فتح أبواب فلسطين لمزيد من الهجرة اليهودية . هرتزل نفسه سبق له أن طرح هذه الفكرة نفسها إلا أنه

تراجع عنها بعد أن شن عليه الصهيونيون المتزمتون حملة ضارية لأن إقامة الدولة اليهودية خارج فلسطين التى يطلقون عليها أرض إسرائيل التوراتية لن يكون متوافقًا تماما مع ما تهدف إليه أفكار الصهيونية العالمية .

هوجم وايز عندما أعاد طرح هذه الفكرة ، وكان أكثر المعارضين له الحاخام أبا هلل سيلفر ، زميله السابق إلى المنظمة على أيام براندايز والذى عاد إلى نشاطه وحيويته عام ١٩٤٠ بعد سنوات من الاحتجاب ، الذى أصرَّ على إقامة الدولة اليهودية فى فلسطين دون الالتفات إلى ما يحدث لليهود فى أوروبا . عبَّر سيلفر عن تصميمه هذا بالتصدى بقوة للقيود التى شرعتها سلطات الانتداب البريطانى للحد من هجرة اليهود إلى فلسطين ، ولما حانت له الفرصة فى يناير ١٩٤١ أثناء حملة جمع تبرعات من أجل تمويل الهجرات اليهودية أقدم على الإساءة إلى مشاعر البريطانيين عندما اختتم خطابه الحماسى فى نهاية الحملة مستخدما كلمات للثائر الأيرلندى دانيل أوكونيل " الهياج .. الهياج .. الهياج " وردد صيحة دانتون الثائر الفرنسى الشهير " الجرأة ثم الجرأة .. والجرأة دائمًا "[١٩] .

سيطر المتشددون من مؤيدى سيلفر فى العام التالى على مجريات مؤتمر الصهيونيين الأمريكيين الذى عقد فى فندق بلتيمور بمدينة نيويورك ، حيث قرر المجتمعون القفز على سياسة المراحل التى تتبنى تشكيل مجتمع يهودى فى فلسطين تحت حماية أمريكية أو بريطانية والتخطيط فوراً لإقامة دولة يهودية ذات سيادة . رأى كل من الزعيمين وايز ووايزمان أن مثل هذه الخطوات الهجومية غير المدروسة قد تؤدى إلى مخاطر جسيمة على مستوى الحركة الصهيونية بأكملها ، لذا قررا أنهما يفضلان المنهج التدريجى الذى يخطط لإقامة دولة يهودية تحت الحماية أولاً ، ثم الإعلان عن استقلالها فيما بعد عندما تحين الفرصة . إلا أن هذه الدعوة لم تصادف النجاح المنشود ؛ لأن ممثلى الحركة الصهيونية الآخرين كانوا يفضلون اللجوء إلى أساليب المواجهة المتشددة ، مما جعل سيلفر يتعهد بعدم استخدامه لكلمات أوكونيل ودانتون بأن " يحول نادى ممثلى الصهيونيين ذوى النوايا الطيبة والمواقف السياسية السلبية إلى مركز فعال لخلية ذات برنامج ثورى تسانده الجماهير الغفيرة " .

في ذلك الوقت كانت بعض الجهود تبذل من خلف ستار لكي تحظى منظمة الصهيونيين الأمريكيين بتأييد غير الصهيونيين من اليهود ، قبلها كان بن جوريون قد فشل في الحصول على دعم اللجنة الأمريكية اليهودية ذات المكانة العالية والنفوذ الأوسع على مستوى أمريكا كلها قبل أن تعقد مؤتمرها في نيويورك . وبدلاً من ذلك أضفى الصهيونيون مسحة رومانسية على منظمة أخوية يهودية كانت تعرف باسم بئناي - بئرت أنشأها اليهود الأمريكيون من أصل ألماني عام ١٨٤٣ لمناهضة الافتراءات الكاذبة التي توجه إلى اليهود ، وبلغ عدد المنضمين إليها أثناء سنوات الحرب العالمية الثانية ١٥٠ ألف عضو أو ما يوازى عدد يهود دول أوروبا الشرقية .. هذه المنظمة رغم نشأتها غير الصهيونية تزايد تقبُّل أعضائها لأفكارها خلال العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن في نفس الوقت حرص زعماؤها على الابتعاد عن دوائر الصراع القائمة بين الصهيونيين الأمريكيين والمناوئين لهم .. وخلال سنوات الحرب العالمية الثانية عمد رئيسها هنرى مونسكى إلى إذكاء الشعور بالوحدة العضوية بين اليهود الأمريكيين جميعا ، لذلك حرص في عام ١٩٤٢ على تلبية دعوة وايز للالتقاء به وكل من وايزمان وناحوم جولدمان ، وهو يهودى ألماني من المهتمين بالثقافة استطاع في عام ١٩٣٦ أن يؤسس المؤتمر الصهيوني العالمي بمدينة جنيف . خلال اللقاء تمكن كل من جولدمان ووايز أن يتغلبا على تحفظي زميليهما ، ونجحوا في إقرار خطة لعقد مؤتمر موسع لليهود الأمريكيين يوفر الدعم اللازم للمشروع الصهيوني بإقامة دولة يهودية بغرض عزل اللجنة الأمريكية اليهودية التي كانت تناهض الصهيونية وتقف عقبة في طريق نجاح مشروعاتها .

عُقد هذا المؤتمر في شهر يناير عام ١٩٤٣ بمدينة بتسبرج وشاركت فيه وفود لاثنتين وثلاثين منظمة يهودية تدارست وفودها فيما بينها أبعاد الدور الذى يمكن أن تلعبه اللجنة الأمريكية اليهودية لعرض المطالب التي سيتقدم بها اليهود بعد انتهاء معارك الحرب العالمية الثانية ودورها في بناء فلسطين اليهودية . وتحقيقا لهذه الأهداف قرر المجتمعون الدعوة لعقد مؤتمر أمريكي يهودي موسع يضم ممثلي كافة الجماعات اليهودية البالغ عددهم ٤٦ منظمة من بينها لجنة اليهود الأمريكيين المتشككين ، وكانت هذه الجماعات تضم في عضويتها نحو ١٫٥ مليون يهودى .

هذا المؤتمر الذى يعد أكثر تجمع ضم ممثلى اليهود الأمريكيين حتى يومنا هذا ، عقد أول اجتماع له فى شهر أغسطس من العام نفسه وضم بين الحضور صهيونيين معتدلين كانوا على استعداد للقيام بدور حيوى لإفشال المساعى الرامية إلى إقامة " كومنولث يهودى " وتكثيف الجهود فى الوقت نفسه لتقديم الدعم الذى تحتاج إليه الصهيونية عن طريق الأعمال الخيرية والإنسانية . فى المؤتمر شن سيلفر هجوما ضاريا ضد أفكار وايز وطالب الوفود بالإصرار على تنفيذ توصيات مؤتمر بلتيمور ، مما أغضب ممثلى اللجنة الأمريكية اليهودية ودفعهم إلى مغادرة مكان الاجتماع وأتيحت الفرصة بذلك لغالبية الوفود لأن تتضامن مع سيلفر وتتوجه زعيما جديدا للصهيونيين الأمريكيين فما كان منه إلا أن نادى بالتطبيق الفورى لأسلوب " الدبلوماسية الصاخبة "[٢٠] .

بهذا الاختيار أصبح للجماعة اليهودية الأمريكية لأول مرة " لوبى يهودى " متكامل الأركان ساعد سيلفر خلال عام ١٩٤٣ على أن يعيد تشكيل عملية الضغط السياسى التى كان يقوم بها رجل واحد فى مدينة واشنطن باسم المنظمة الصهيونية الأمريكية لكى يقوم بها ما أطلق عليه " مجلس طوارئ الصهيونية الأمريكية " ، وشرع من فوره فى تنظيم اليهود الأمريكيين لخلق قاعدة جماهيرية عريضة . فبدأ أولاً بتشكيل لجنة محلية لكل جماعة يهودية داخل أمريكا ، وأصدر تعليماته من واشنطن لهذه اللجان أن " أول هدف يجب أن تحرصوا عليه أن تخلقوا لكم اتصالا مباشراً بالنائب أو عضو مجلس الشيوخ المحلى الذى يمثل دائرتكم الانتخابية "[٢١]. فى الوقت نفسه أرسل إلى النشطاء المحليين نماذج خطابات وبرقيات ورسائل سابقة التجهيز للتوقيع عليها بشكل جماعى قبل إرسالها إلى الرئيس الأمريكى وإلى الأعضاء المؤثرين فى المجالس التشريعية عندما يتطلب الأمر القيام بحملة لخدمة أهداف مجلس الطوارئ .

من ناحية أخرى وثّق المجلس الجديد صلاته بالجماعة البروتستانتية فى أمريكا ، مما جعل أعضاءها ينظمون عدداً من المسيرات والمظاهرات التى تطالب بإنشاء دولة يهودية . أفسحت هذه التحركات المجال أمام ثلاثة آلاف منظمة أمريكية غير يهودية من بينها اتحادات عمالية وجماعات تابعة للكنائس وجمعيات زراعية ونوادى روتارى ، أن تصدر خلال عام ١٩٤٤ عدداً من القرارات المؤيدة للصهيونية وأهدافها وتقوم بإرسال برقيات إلى أعضاء الكونجرس بهذا المعنى .

أثمر هذا الجهد تحركًا أمريكيًا مساندا لمجلس الطوارئ ، فعندما نما إلى علم أعضائه قبل نهاية عام ١٩٤٥ الترتيبات التى تقوم بها الحكومة البريطانية لإفشال مخططاته ، استأجر اللوبى ساحة ماديسون سكوير جاردن وملأها بالإعلانات والنشرات المناهضة لسياسة بريطانيا ودفع نشطاءه لإرسال ٢٥٠ ألف رسالة احتجاج إلى كبار المسئولين الأمريكيين فى أول يوم من أيام الحملة . تلا ذلك تنظيم مظاهرات صاخبة داخل ٣٠ مدينة أمريكية مع توسيع دائرة الاحتجاجات المرسلة بالبريد ، وقام ٢٧ من أعضاء الكونجرس خلال يومى الحملة بإلقاء كلمات حول اليهود وفلسطين[٢٢] .

وبينما كان الرئيس الأمريكى الجديد هارى ترومان يعبر عن استيائه من تصرفات ناخبيه اليهود تجاه الحكومة البريطانية ، كان روزفيلت يتبسط مع زعماء الصهيونية عندما يجتمع بهم، أما فى اجتماعاته الخاصة مع مستشاريه فكان يبدى موافقته على ما يتعلق بآرائهم حول الشئون الخارجية والدفاع والتى كانت تؤكد أن قيام دولة يهودية فى الشرق الأوسط يمثل كارثة بالنسبة للمصالح الغربية فى المنطقة . الرئيس ترومان أيضا كان محاطًا بعدد من المستشارين - الذين يطلق عليهم كبار الموظفين عديمى الفائدة - الرافضين لقيام دولة يهودية، ولكن الفرق بين ترومان وروزفيلت والذى كانت الصهيونية على معرفة به ، أن الرئيس كان مهتمًا إلى حد كبير بمشكلة المشردين فى أمريكا الذين كان من بينهم الكثير من اليهود .

وبالرغم من ذلك يبدو أن ترومان لم يتأثر بما فيه الكفاية بما وصله من رسائل احتجاج بعث بها الصهيونيون الأمريكيون من أعضاء اللوبى الذى يتزعمه سيلفر . ويروى عنه أنه قال لأحد زعماء الحزب الديموقراطى " لا أعتقد أنه توجد طريقة يمكن أن نرضى بها أصدقاءنا اليهود " وأنه صرح لصديق حميم له أنه تلقى بالبريد ٣٥ ألف رسالة ومنشور دعائى حول " المسألة الفلسطينية " فما كان منه إلا أن " جمعها وأضرم فيها النيران "[٢٣] . وكانت قوة سيلفر تتزايد مع تواصل سيل الرسائل البريدية المتدفق إلى البيت الأبيض ومكاتب كبار الشخصيات .

انتهز حاخام كليفلاند فرصة المؤتمر اليهودى العالمى الذى عقد عام ١٩٤٦ وخطط بمساعدة بن جوريون للقيام بانقلاب داخلى مستغلا مجموعة من الظروف المتداخلة . منها أن البقية الباقية من يهود أوروبا القابعين فى معسكرات النازحين التى أعدت لهم

لا يدرون ماذا سيحل بهم غدا، وأن يهود أمريكا يعانون من عذابات الضمير لأنهم لم يقوموا بما يلزم لإنقاذهم من الحالة المزرية التى ألمت بهم ، وأن محاولات وايزمان لإبراز حجم المخاطر التى ستنجم عن الإسراع بإقامة الدولة اليهودية دون استعداد عملي سيذهب بجهوده وجهود هرتزل أدراج الرياح ، نجم عن هذا الانقلاب إقصاء حاييم وايزمان عن رئاسة المنظمة الصهيونية العالمية من ناحية، وتثبيت سيلفر رسميا مكان وايز على رأس الجناح الصهيوني الأمريكي ؛ وبذلك حقق التيار الصهيوني المتشدد أكبر أهدافه .

على المستوى الأمريكي الداخلي لم يجد المتشددون حلاً للعلاقة السيئة القائمة بين الرئيس ترومان والزعيم سيلفر ، فلم ينس له الرئيس أنه وقف خلال حملة الانتخابات الرئاسية إلى جانب منافسيه الجمهوريين، وأنه أهان زعيمين يهوديين من أنصاره كان يجلهما ويقدرهما . الأكثر من ذلك أنه فى لحظة انفعال فى يوم من أيام صيف عام ١٩٤٦ تعدى حدوده وخبط بيده على مكتب الرئيس[٢٤] ، لكل هذا كان ترومان يرفض رفضًا مطلقا أن يستقبل سيلفر فى البيت الأبيض حتى إنه كان يقرن بين الإرهاب وسيلفر ويصفهما بأنهما " سبب بعض متاعبنا إن لم يكن كلها " .

ويرغم هذا الجفاء ظل الرئيس ترومان مهتمًا إلى درجة كبيرة بمصير ٥٠٠ ألف يهودى كانوا يعانون من الهزال والإحباط فى معسكرات النازحين الأوروبية التى كانت ظروفها أفضل إلى حد ما من معسكرات الموت التى أقامها هتلر لليهود . وبينما كان نشطاء سيلفر يسلحون أنفسهم بالرسائل البريدية التى تحمل عنوان البيت الأبيض كان الصهاينة فى فلسطين يتسلحون بالنيران .

فى صيف عام ١٩٤٦ أمر بن جوريون القوات الرسمية لجيش الهاجاناه التى تقوم بهجماتها ضد العرب فى الخفاء ، أن تتوقف عن التصادم مع القوات البريطانية فى فلسطين وأن تبدى اهتماما أكبر بمشكلة اليهود النازحين إليها . لم يلتزم كل أعضاء الجيش السرى بهذه الأوامر، وكان أكثرهم انشقاقا عليها وأشدهم عنفا ووحشية أفراد منظمة "المحاربون من أجل حرية إسرائيل" المعروفة باسم عصابة شتيرن نسبة الى مؤسسها إبراهام شتيرن الذى ربّاهم على أفكار الزعيم الإيطالى موسيلينى، حيث كان من أشد المعجبين به ، واصل أفراد هذه المنظمة عملياتهم الصدامية مع القوات

البريطانية، وقاموا بحوالى مائة عملية إرهابية بين قتل وتخريب ضد أهداف بريطانية فى فلسطين على امتداد عامى ٤٧ و ١٩٤٨[٢٥] .

على مستوى عمليات القتل والتخريب كانت هناك أيضًا عصابة الأرجون التى تشكلت من بين ورثة أفكار جابوتنسكى التى انفصلت عن جيش الهاجاناه بزعامة بن جوريون، وكان لأعضائها البالغ عددهم ألفين أسلوبهم الإرهابى الخاص بهم ، كان يقود هذه العصابة مناحيم بيجين المهاجر البولندى الذى يعمل بالمحاماة . كان بيجين فى ذلك الوقت فى منتصف الثلاثينيات من عمره، نحيف الجسم، يضع نظارات سميكة على عينيه، وكان مشهورًا بإخلاصه الشديد لأفكار جابوتنسكى وإيمانه الراسخ أن القوة المسلحة هى السبيل الوحيد لضمان قيام الدولة اليهودية مهما كانت كراهية العرب للفكرة ومقاومتهم لها .

فى يوم ٢٢ يوليو عام ١٩٤٦ تسلل أفراد من عصابة الأرجون المسلحة إلى داخل الجناح الذى تحتله مجموعة من المكاتب التابعة للحكومة البريطانية فى فندق الملك داوود بالقدس وقاموا بإخفاء عدد من علب اللبن التى تحتوى على متفجرات ، وبعد أن ضبطوا توقيتاتها انسحبوا بهدوء . أدى الانفجار المروع الذى وقع إلى مقتل ٩١ شخصًا بينهم بريطانيون وعرب ويهود .

اتخذت سلطات الانتداب البريطانى فى فلسطين مجموعة من القرارات التأديبية ضد جميع أفراد الجالية اليهودية بلا استثناء ، وطالب بن جوريون الرافض لمواصلة المزيد من العنف بتسليم الجناة من أفراد جماعة الأرجون إلى السلطات المختصة، ولكن لم يستمع إليه أحد . وبالرغم من أن الإرهاب اليهودى فى فلسطين بدأ يسىء إلى القضية الصهيونية على مستوى الرأى العام العالمى ، إلا أن بيجين واصل هجماته الإرهابية ضد البريطانيين .

لم يفلح استياء الرأى العام العالمى فى وقف الإرهاب الدموى اليهودى الذى حقق النجاح تلو النجاح ضد الوجود البريطانى فى فلسطين ، وفى الوقت نفسه أسهم أسلوب بن جوريون الأقل عنفًا فى إتاحة الفرصة أمام النازحين من ركاب السفن للتسلل عبر الشواطئ إلى داخل فلسطين .

قرب نهاية عام ١٩٤٦ بدا على سلطة الانتداب البريطاني آثار الجهود المضنية التى تحاول أن تبذلها بلا جدوى لوقف الإرهاب اليهودى أو للحد من الهجرة غير القانونية إلى فلسطين ، لذلك أعلن إرنست بيفن وزير خارجية بريطانيا أمام أعضاء مجلس العموم فى فبراير عام ١٩٤٧، أن الحكومة غير قادرة على التوصل إلى حل قابل للتنفيذ بين الجانبين العربى واليهودى لإدارة شئون فلسطين ، لذلك أحالت القضية برمتها إلى منظمة الأمم المتحدة .

فى شهر نوفمبر من العام نفسه صوّت ٣٣ من أعضاء الجمعية العامة للأمم المتحدة مقابل ١٣ بالموافقة على خطة تقضى بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية . فور إعلان نتيجة التصويت أعلنت الوكالة اليهودية قبولها لخطة التقسيم كما قبلها الصهيونيون الأمريكيون بينما أبدى الزعيم اليهودى الكبير سيلفر تردداً حيالها ، أما بيجين فرفض القرار لأنه يتضمن اعترافًا بحق العرب فى جزء من أرض فلسطين .. العرب أيضا لم يقبلوا بالتقسيم، وكانوا رافضين لأن يشاركهم اليهود فيها لأن فلسطين فى رأيهم أرض خالصة لهم . أما المناوئون للصهيونية فى إدارات وزارتى الخارجية والدفاع فى واشنطن فلم يكونوا سعداء بالقرار لأنهم كانوا على ثقة بأن الاعتراف بوجود شرعى فى المنطقة لن يضع نهاية للصراع العربى الإسرائيلى ، وأنه بدلا من ذلك سيدشن بداية جديدة له .

فى جميع أنحاء العالم أبدى أغلبية اليهود ابتهاجهم بقرار التقسيم الذى يعطيهم الحق بشكل رسمى فى بناء دولة لهم فوق أرض فلسطين ، كانت قلة منهم تبدى قلقها تجاه المستقبل . على سبيل المثال الدكتور يهودا ماجنس رئيس الجامعة العبرية فى فلسطين والذى كان من أكثر المؤيدين لقيام دولتين فى فلسطين واحدة يهودية وأخرى عربيه ، عبَّر عن مخاوفه بعد التصويت على القرار فى تصريح لصحيفة نيويورك تايمز قائلا " يخيل إلىّ أن القرار سيؤدى إلى متاعب "(٢٦) .

أعلن عرب فلسطين فى صباح اليوم التالى للتصويت الإضراب عن العمل لمدة ثلاثة أيام وقعت خلالها أعمال عنف شديدة ضد اليهود فى معظم أنحاء البلاد ، وأجل التنبؤ بوقوع مزيد من أعمال العنف إصدار الإدارة الأمريكية لقرار يؤيد مشروع قرار التقسيم . وبرغم حالة الاضطرابات التى شملت كل شىء فى فلسطين كانت النوايا

اليهودية تتجه إلى العمل بسرعة لإقامة الدولة بغض النظر عن الرفض العربي و ضعف القرار الأممي وتأخر التأييد الأمريكي .. ولكن سؤالا مهمًا ظهر فى الأفق : هل يمكن أن تستمر الدولة بدون اعتراف من جانب الرئيس الأمريكى هارى ترومان ؟

فى واشنطن كان كثير من الأمور تسير فى مصلحة الصهيونية بالرغم من الجفاء الذى كان قائمًا بين الرئيس ترومان وسيلفر والذى دفعه فى يوم من الأيام إلى الربط بينه وبين الإرهاب، منها العطف المتدفق الذى كان يبديه الرئيس بالنسبة لليهود المشردين فى عدد من الولايات الأمريكية، ومنها أيضا التقدير الذى كان يكنّه للعجوز حاييم وايزمان ولناحوم جولدمان ولديفيد ك. نايلز . من بين هؤلاء الثلاثة كان جولدمان يعمل فى الخفاء بنشاط تأييدا لسياسات بن جوريون فى فلسطين ، وفى الوقت نفسه لمحاصرة المشاكل التى يتسبب فيها سيلفر فى واشنطن ، أما نايلز الذى عمل لفترة مساعداً لروزفيلت فقد كان بمثابة السلاح السرى لليهود داخل البيت الأبيض، حيث لم يكن ترومان ليلقى خطابا أو يأذن بنشر أى قرار يتعلق بقضية فلسطين أو بمعاناة المشردين فى أمريكا إلا بعد استشارته(٢٧) .

وفى الوقت الذى كان يعمل فيه نايلز على إبعاد كبار الموظفين عديمى المنفعة (كما سماهم ترومان) الكارهين للصهيونية عن العمل فى إدارات وزارة الخارجية، وعلى عزل الرئيس نفسه عن أن تتسرب إليه الخطوات التى يتخذها سيلفر لتشكيل ضغط سياسى ، كان جولدمان يقوم بعمليات غسيل مخ لأصدقاء الرئيس الأمريكى المناهضين للصهيونية من أعضاء اللجنة الأمريكية اليهودية وبين مستشاريه الأقرب إليه والذين كان من بينهم وزير خارجيته دين أتشيسون . كانت وسيلة جولدمان فى الإقناع بسيطة للغاية: إذا رفضت الولايات المتحدة قرار التقسيم وفضلت عليه فرض وصاية من جانب الأمم المتحدة وإذا رفضت هى وغيرها من الدول الأوروبية فتح حدودها للاّجئين اليهود ، فإنها بذلك تدفع نحو استمرار الارهاب وتهيئ المسرح فى فلسطين لمناحيم بيجين أن يتولى زمام الأمور . تذكر جولدمان مؤخراً كلماته التى قالها لأتشيسون " هل تقف ضد بريطانيا بينما يواصل الإرهابيون اليهود قتلهم ؟ وأين سيكون موقفك عندما يبدأ البريطانيون فى قتل اليهود ؟ فلم يكن من وزير خارجية أمريكا إلا أن أعلن تأييده للصهاينة ، وبعد نقاش مماثل تطابقت وجهات نظر جوزيف بروسكور رئيس اللجنة الأمريكية اليهودية المناهض للصهيونية مع ما كان يدعو إلية جولدمان(٢٨) .

تُوج هذا الجهد بالنجاح حين رتب أصدقاء ترومان من اليهود لعقد اجتماع بينه وبين وايزمان فى شهر مارس عام ١٩٤٨ ؛ حيث أبدى الزعيم اليهودى العجوز تأييده لقرار التقسيم ونال فى نهاية الأمر تعهد الرئيس بدعمه أيضا .

فوق أرض فلسطين كانت خطة التقسيم تتراجع ، وزادت احتمالات اندلاع الحرب فى ضوء تزايد عنف ووحشية الأعمال الانتقامية المتبادلة بين العرب واليهود دون تمييز، ففى يوم ٩ أبريل عام ١٩٤٨ قامت قوة مشتركة من أفراد عصابتى شتيرن والأرجون اليهوديتين بمذبحة مروعة راح ضحيتها حوالى ٢٠٠ من الرجال والنساء والأطفال من أبناء قرية دير ياسين التى تقع إلى القرب من مدينة القدس . بعدها بأيام انتقم العرب من اليهود فنصبوا كميناً لأفراد قافلة طبية كانت متوجهة إلى مستشفى هداسا فقتلوا تسعة وسبعين كان من بينهم أطباء وممرضات ودارسين . بعدها تحركت الإدارة الامريكية وهددت بوقف تقديم المساعدات الخيرية والإنسانية إلى فلسطين ، واقترحت عقد هدنة بين الطرفين سرعان ما أعلن كبار زعماء اليهود رفضهم لها .

فى هذه الأثناء اتخذ زعماء الصهيونية قراراً بعدم إضاعة الوقت فى انتظار التأييد من بقية أنحاء العالم ، وفى أوائل شهر مايو ١٩٤٨ بعث وايزمان برسالة إلى البيت الأبيض دعا فيها الإدارة الأمريكية إلى الاعتراف بدولة إسرائيل حال الإعلان عن قيامها . كان الرئيس ترومان يميل إلى اتخاذ هذه الخطوة على عكس وزير دفاعه جورج مارشال ونائب وزير خارجيته روبرت لوفيت مبرراً ذلك بالوعد الذى قطعه على نفسه أمام وايزمان، وبأن العام الحالى عام انتخابات، وأن منافسه توماس ديوى حاكم نيويورك ذا الشعبية العريضة أعلن أنه يؤيد اعتراف أمريكا بدولة إسرائيل .

فى يوم الجمعة الموافق ١٤ مايو ١٩٤٨ وقف بن جوريون منتصب القامة داخل متحف تل أبيب وأعلن استقلال " الدولة اليهودية فى فلسطين على أن يطلق عليها إسرائيل " . وفى غضون دقائق من هذا الإعلان أعلن ترومان اعتراف بلاده بدولة إسرائيل الوليدة التى أنفقت الصهيونية نصف قرن من أجل تحقيقها ، وجاء هذا الإعلان مخالفًا لكافة التوقعات التى صاحبت هذا الحلم الذى كان يمثل لدى قلة من فلاسفة القرن التاسع عشر رؤية مزعجة منذ ولد وحتى تحقق .. وهاهو يصبح واقعا ، لقد كان إنجازاً استثنائياً بكل ما تعنيه الكلمة .

الهوامش

1. Arthur Hertzberg, ed., *The Zionist Idea* (New York: Atheneum, 1969), p. 48; see p. 23 for his summary of the intellectual history of Zionism.

2. Cited in Peter Grose, *Israel in the Mind of America* (New York: Knopf, 1983), p. 44.

3. Walter Laqueur, *A History of Zionism* (New York: Schocken Books, 1972), pp. 107–108.

4. Grose, *Mind of America*, p. 44.

5. Laqueur, *A History of Zionism*, p. 159; Grose, *Mind of America*, p. 48.

6. Louis Dembitz Brandeis, "The Jewish Problem and How to Solve It," in *The Zionist Idea*, ed. Hertzberg, pp. 518–519.

7. Sheila Stern Polishook, "The American Federation of Labor, Zionism and The First World War," *American Jewish Historical Quarterly*, March 1976, pp. 228–244; see also Grose, *Mind of America*, p. 67.

8. *The Arab-Israeli Conflict: Readings and Documents*, ed. John Norton Moore (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1977), p. 885.

9. Cited in Conor Cruise O'Brien, "Israel in Embryo," *New York Review of Books*, March 15, 1984.

10. Isaiah Berlin, *Personal Impressions* (New York: Viking, 1981), pp. 46–47.

11. Laqueur, *A History of Zionism*, p. 459.

12. Grose, *Mind of America*, pp. 74–75.

13. See Jabotinsky's speech before the Peel Commission: Colonial No. 134, *Palestine Royal Commission*, Minutes of Evidence, pp. 370–371; also collected in Hertzberg, *The Zionist Idea*, p. 562; see also Joseph Heller, "Weizmann, Jabotinsky and the Arab Question: The Peel Affair," *Jewish Quarterly*, No. 26, Winter 1983, pp. 109–126.

14. Joseph B. Schechtman and Yehuda Benari, *History of the Revisionist Movement*, vol. 1 (Tel Aviv, 1970), p. ix.

15. Laqueur, *A History of Zionism*, pp. 350–353.

16. Joseph B. Schechtman, *Rebel and Statesman* (New York: T. Yoseloff, 1956); Schechtman and Benari, *History of the Revisionist Movement*, p. ix.

17. See Simha Flapan, *Zionism and the Palestinians* (London: Croom Helm; New York: Barnes & Noble Books, 1979), p. 116.

18. Joseph B. Schechtman, *Fighter and Prophet* (New York: T. Yoseloff, 1961), p. 453; cited also in Laqueur, *A History of Zionism*, p. 375.

19. Laqueur, *A History of Zionism*, p. 550.

20. Grose, *Mind of America*, p. 172; see also Melvin I. Urofsky, *We Are One!: American Jewry and Israel* (New York: Anchor Press/Doubleday, 1978), p. 20ff.; interview with Philip Klutznick in Chicago, April 4, 1984.

21. Grose, *Mind of America*, p. 172.

22. Ibid., pp. 174–75; see also Drora Brierbrier, "The American Zionist Emergency Council: An Analysis of a Pressure Group," *American Jewish Historical Quarterly*, September 1970.

23. Michael J. Cohen, "Truman, the Holocaust and the Establishment of the State of Israel," *Jerusalem Quarterly*, No. 23, Spring 1982; cited also in Grose, *Mind of America*, p. 217.

24. Grose, *Mind of America*, p. 229.

25. Howard M. Sachar, *A History of Israel* (New York: Knopf, 1976), p. 265.

26. Cited in *New York Times*, November 30, 1947.

27. Abram L. Sachar, *The Redemption of the Unwanted* (New York: St. Martin's/Marek, 1983), p. 192. The following biographical information on Niles is taken from Sachar's chapter "Truman, Niles, and the American Effort," p. 190ff.

28. Nahum Goldmann, *The Jewish Paradox* (New York: Grosset & Dunlap, 1978), p. 27ff.

الفصل الأول

اللوبى الإسرائيلى يحضر إلى واشنطن

بعد عدة أشهر من إعلان بن جوريون قيام دولة إسرائيل قدم وفد رسمى من منظمة النداء اليهودى الموحد التى تضم مؤسسات المعونات الخيرية اليهودية الأمريكية إلى تل أبيب وسألوا رئيس الوزراء الإسرائيلى ماذا تريد بلاده من الجماعة اليهودية الأمريكية ؟ رد عليهم بن جوريون بسرعة قائلا بحدّة " ما نريده هو اليهود "(١) .. وبالرغم من ذلك لم يأت إلى إسرائيل إلا قلة من يهود أمريكا .

خلال السنوات الثلاث الأولى من عمر دولة إسرائيل تم استيعاب ٦٥٠ ألف يهودى معظمهم من متشردى دول أوروبا والمهاجرين الفقراء من يهود اليمن والعراق المناهضين للصهيونية ، وعلى مستوى أمريكا لم يحرك إنشاء إسرائيل فى داخل يهودها إلا الجانب العاطفى ولكنه لم يشحذ همتهم للذهاب إليها . وهناك دراسة تقرر أن من بين ٣٥ ألف يهودى أمريكى وكندى هاجروا إلى إسرائيل خلال سنوات العقد الأول من قيامها لم يبق منهم فيها سوى ٤٥٠٠ أمريكى(٢). ذلك أن معظم اليهود الأمريكيين رأوا أن إبقاءهم على أمريكيتهم سيكون مصدراً للقلق والحقد بين زعمائهم ودولة إسرائيل، وسيكون سبباً لادعاء امتلاك أسباب القوة بين الطرفين .

كانت الدولة الجديدة فى حاجة إلى دعم حكومة الولايات المتحدة الأمريكية كى تواصل الحياة كما كان يقول بن جوريون باستمرار ، وأدى إصرار الجماعة اليهودية الأمريكية على توفير هذا الدعم إلى تحولها إلى ظاهرة سياسية أمريكية بارزة . وبالرغم من هذه التطورات فشل زعماء اليهود فى إيجاد إجابة شافية لأهم مشكلة أصبحت تواجههم بعد أن قامت دولة إسرائيل واستقرت . ما العلاقة السوية التى يجب أن تقوم بين اليهود الذين يعيشون فى الخارج وهذه الدولة الحديثة ؟

لم يعتقد مفكرو الصهيونية التقليديون يومًا أن إقامة الدولة اليهودية هى الهدف النهائى للحركة ، على العكس من ذلك كانوا يرون أن هذه الخطوة تمثل البداية فقط لتحقيق نهضة الشعب اليهودى ، وإن كان يمكن أن ينظر إليها على أنها ملجأ لضحايا اللاسامية إلا أنها لا بد أن تكون دليلاً على أن لليهودية مستقبلاً . لذلك كان على إسرائيل بوصفها مركزًا يمثل نوعًا جديدًا لحياة اليهود أن تكون مركز تفكير ومصدر الإيحاء لليهود الذين فضلوا حياة الشتات خارجها ، وكان عليها أيضًا كدولة ذات سيادة أن تتولى الكثير من المهام التى كان يقوم بها زعماء اليهود فى الشتات مثل : مخاطبة الحكومات والأمم المتحدة باسم اليهود . إلا أن زعماء الصهيونية خارج إسرائيل أصرُّوا على أن يظلوا شركاء داخل الحركة اليهودية ككل .

أيّد اليهود الأمريكيون بشكل خاص حق يهود الخارج فى هذه المشاركة بسبب أن مئات الآلاف من اليهود انضموا إلى الحركة اليهودية العالمية بعد اندلاع موجات اللاسامية فيما بين الحربين وبعد حملات هتلر الاضطهادية ضدهم والدعايات التى صاحبت النضال من أجل إقامة الدولة فى فترة الأربعينيات . تدل الإحصاءات أن عدد الصهيونيين الأمريكيين بمختلف ميولهم بلغ عام ١٩٤٨ مليون يهودى، أى ما يعادل خُمس اليهود الموزعين فى الولايات الأمريكية[٣]، مما جعل المنظمة الصهيونية الأمريكية هى الأوسع انتشارًا والأقوى نفوذًا على مستوى المنظمات الصهيونية على مستوى دول العالم .

ظل بن جوريون على عناده فهو لا يريد شركاء معه ، بل يريد بناء المنزلة المتميزة لإسرائيل فوق صفحات التاريخ اليهودى، وهو فى حاجة لليهود للقيام بهذا الدور وهذا يعنى أن يعود اليهود إلى أرض إسرائيل حتى تتحقق نبوءة العودة التوراتية . ولأنه كان يرى فى المحيطين به داخل إسرائيل منافسين سياسيين وطامعين فى السلطة ، نظر إلى الحركة الصهيونية الأمريكية من زاوية أنها مصدر للمنافسة السياسية والتدخل فى شئون إسرائيل الداخلية .

بالنسبة للمتشددين الدينيين كان يجب على بن جوريون أن يدافع عن سياساته أمامهم خاصة وأنهم يعتبرون أن قيام إسرائيل يمثل طعنًا فى إله اليهود وانحرافًا عن حقيقة التعاليم الدينية التى تنص على أن هذا الوجود لن يتحقق إلا بعد قيام المسيح . فى عام ١٩٤٩ قامت أول معارضة منظمة من جانب اليهود ضد دولتهم ، حيث تظاهر اليهود المتدينون فى شوارع نيويورك منددين برفض حكومتها توفير فرص التعليم الدينى لأطفال معسكرات المهاجرين. كما قامت جماعات يهودية أخرى مناهضة للصهيونية بإعلان احتجاجاتها على سياسات إسرائيل كما فعل مثلاً المجلس اليهودى الأمريكى الذى تأسس خلال سنوات الحرب العالمية الثانية ؛ حيث قام أعضاؤه بتشويه سمعة الصهيونية التى لا تخرج فى رأيهم عن كونها مجموعة من المبادئ السياسية التى تخلق لليهود العديد من المشاكل بدلاً من أن تعمل على حل ما لديهم منها .

وكان هناك أيضًا اللجنة اليهودية الأمريكية ذات الوزن السياسى المعروف التى وإن كانت قد قبلت بقيام دولة إسرائيل كحقيقة واقعة إلا أنها لم تسقط شكوكها فى نواياها ، حتى إن مجلتها المعروفة باسم التعليق (Commentary) فى نقدها الحاد لسياسات إسرائيل السياسية والاقتصادية والاجتماعية تساءلت فوق صفحات أحد أعداد عام ١٩٤٩ " ما التكاليف التى علينا أن نسددها لكى تصبح إسرائيل دولة بمعنى الكلمة ؟ .. جاء ذلك فى معرض التعبير عن تدنى مستوى الثقافة اليهودية التقليدية فى الدولة الجديدة حيث يرى صغار السن من أبنائها أنفسهم " النخبة المختارة التى تحرس تقاليد شعب يعتبرونه فى أشد حالاته المَرضية "[٤] . وشكك مراسل المجلة فى الشرق الأوسط فى أن يكون الاقتصاد الإسرائيلى الضعيف قادراً على الوفاء باحتياجات العرب الذين بقوا فى داخل إسرائيل[٥] ، وعقّب على استنتاجه هذا قائلاً " غالبية اليهود لا يزعجون أنفسهم بالتفكير فى مدى الظلم السياسى والأخلاقى الذى وقع على العرب ".

فيما يتعلق بالصهيونيين الأمريكيين لم يفكر بن جوريون أن يتحاور معهم أو أن يقبل تدخلاتهم فى شئون حكومته، وإنما خطط باجتهاد للقضاء على منظمتهم ، مستغلا الخلافات المستفحلة بين رئيس المنظمة آبا هلل سيلفر وعدد كبير من أعضائها بسبب أسلوبه الاستبدادى الذى خلق له أعداء كثيرين مما سهل على بن جوريون مهمته . أوعز

بن جوريون إلى مجموعة من المعترضين على سياسات سيلفر بالاستيلاء على مؤسسة النداء الفلسطينى الموحد ، التابعة للمنظمة الصهيونية الأمريكية والتى تعد أكبر المؤسسات قدرة على جمع أموال الدعم لإسرائيل داخل الولايات المتحدة ، وإعادة صياغة دستورها بحيث تتحول إلى مؤسسة مستقلة (فيما بعد اندمجت هذه المؤسسة مع مؤسسة النداء اليهودى الموحد) . بعد استقلالها أصبحت مؤسسة النداء الفلسطينى الموحد تعتمد كثيراً فى جمع الأموال على غير الصهيونيين الأمريكيين فى كل الولايات ، وهؤلاء بالذات كانوا أكثر استعداداً لتمويل حكومة إسرائيل وأقل تحدياً لقادتها .

عندما استطاع حاييم وايزمان أن يسقط براندايز منذ ثلاثة عقود بحجة أنه " لا يوجد جسر يوصل بين واشنطن وبنسك " حدث تطور فى مجال عمل الحركة الصهيونية . وعندما اتفق بن جوريون وسيلفر على إبعاد وايزمان عن رئاسة الحركة الصهيونية العالمية قبل ثلاث سنوات حدث تطور آخر فى مجال عمل الحركة . أما مخطط بن جوريون الأخير فقد قضى على نفوذ سيلفر نهائيًا مما اضطره للعودة إلى معبده اليهودى فى كليفلاند ، ويرى البعض أن ذلك كان إيذانًا بتقلص قدرات الحركة الصهيونية الأمريكية أوحى لبن جوريون أن يبارك تولى رجال المال من غير الصهيونيين الذين أبدوا تعاونا أكبر مع دولة إسرائيل رئاسة الجالية اليهودية الأمريكية .

كان لا بد لهذا التطوير أن يحدث ، فقد كانت إسرائيل تريد من يهود أمريكا ثلاثة أشياء بالتحديد: أموالهم، ونفوذهم السياسى المؤثر، ووجودهم فى داخل إسرائيل . وبينما كان بن جوريون يعتقد كغيره من مواطنى إسرائيل الصهيونيين أن كل يهودى تقى هو صهيونى وأن كل صهيونى صالح عليه أن يتوجه إلى إسرائيل ، لم يتجاوز سخاء قادة الصهيونية فى أمريكا وكرمهم لإسرائيل دائرتى الدعم المالى والتأييد السياسى . حتى عندما طرح بن جوريون هذه المسألة على الملأ داعيًا شباب اليهود فى أمريكا للهجرة إلى إسرائيل وحرضتهم على ذلك جولدا مائير عضو مجلس الوزراء ، اليهودية الأمريكية من أبناء ولاية ميلواكى ، قائلة " الحياة الحقيقية الحرة لليهود غير ممكنة خارج إسرائيل "[٦] صمم الأمريكيون على مخالفة هذا الرأى .

فى شهر أغسطس عام ١٩٥٠ سافر جاكوب بلوشتاين ، رجل النفط الثرى ، رئيس اللجنة اليهودية الأمريكية إلى إسرائيل ليحدد لقادتها بوضوح دور أمريكا فى رسم مستقبل بلدهم . قال لهم " لابد أن نؤكد أن إعادة بعث إسرائيل وما حققته من تقدم حتى الآن تحقق بعد المأساة التى عانى منها اليهود الأوروبيون والحوادث التى شهدتها سنوات الحرب العالمية الثانية ، وما نتج عنهما من ارتفاع كبير فى معنويات اليهود . لذلك من حق يهود أمريكا وغيرهم من اليهود فى كل مكان أن يفخروا بيهوديتهم أكثر من أى وقت آخر . وعلينا أن نحذر إسرائيل وقادتها بروح ودية خالصة بعد أن انتهت آلام قيام الدولة ومشاكل تأسيسها ، أن عليها أن تعترف أن للنوايا الحسنة بين مواطنيها ويهود البلدان الأخرى طريقا ذا اتجاهين حيث يجب على إسرائيل أن تدرك أن من بين مسئولياتها تجاه يهود البلدان الأخرى أن لا يصدر عنها ما يؤذى مشاعرهم بما تقوله أو تقدم عليه .

اتصالا بهذا الموضوع ولأنكم واقعيون وتبحثون عن الحقائق ، دعونى أقول لكم إننى لن أكون صريحًا إذا لم ألفت انتباهكم إلى أن اليهود الأمريكيين يرفضون بشدة أى إشارة أو تلميح يصدر منكم بوصفهم يهودًا يعيشون فى المنفى . إن يهود أمريكا سواء كانوا شبابا أو شيوخا، صهيونيين أو مناهضين للصهيونية متعلقون عن فهم عميق بأمريكا ، فهى بالنسبة لهم الوطن حيث جذورهم ضاربة فى الأرض . وهم يؤمنون أنه إذا سقطت الديموقراطية فى أمريكا فلن يكون لها مستقبل فى أى مكان آخر فى العالم وبالذات بالنسبة لإسرائيل التى سيصبح استمرارها فى الوجود مشكوكًا فيه ، وفوق ذلك يرون أن العالم الذى من الممكن أن يضايَق فيه اليهود أو يضطهدوا لكى يهاجروا من أمريكا لن يكون عالمًا آمنا لإسرائيل أيضا "[٧] .

اعتبر المؤرخون أن حديث رئيس الجماعة اليهودية الأمريكية بهذه الكيفية إلى رئيس وزراء إسرائيل يعد من قبيل استعراض العضلات ، حيث عقَّب بن جوريون ، فى ضوء إدراكه العميق لأهمية الدور المؤثر لكل من الدعم المالى والسياسى الأمريكى بالنسبة للمشروع الصهيونى ، على هذه الكلمات بسرعة مبديا اعتذاره عما يمكن أن يكون قد حدث بسبب " اختلاط الأوراق وسوء الفهم "[٨] مع رجاء من جانبه أن تقوم الوكالة اليهودية الأمريكية غير الصهيونية ، عدوته القديمة ، بإعادة تعريف الصهيونية ليهود أمريكا على أنها تعنى تقديم المساعدة الخيرية والإنسانية لإسرائيل .

تواصل قيام يهود أمريكا بإرسال شيكات تبرعاتهم المالية القيمة المتتالية التى كان اقتطاعها من حساباتهم بطريقة آلية حتى بعد أن تنازل بن جوريون عن سلطات الدولة فيما يتعلق بالشئون الدينية والتعليمية والخدمات الاجتماعية إلى الحاخامات المتشددين دينيا الذين كانوا لا يعترفون بالتقسيمات الدينية التى تفرق بين يهود إصلاحيين ويهود محافظين، والتى كان ينتمى إليها غالبية يهود أمريكا وقادتهم . و عندما اشتعلت المعركة بين حاخامات اليهود لم تؤثر على قوة ارتباط يهود أمريكا بالدولة اليهودية .

أما مسألة الهجرة إلى إسرائيل فتمثل عاملاً آخر من عوامل تباين الأهداف بين يهود أمريكا وأبناء عمومتهم يهود إسرائيل ، حيث حرّمت امتيازاتها على كل من الإصلاحيين والمحافظين فى الدولة اليهودية . ففى الوقت الذى بدأ فيه زعماء الصهيونية تجريب أفكارهم الاجتماعية فى " أرض الميعاد " كان أبناء وبنات اليهود الذين هاجروا إلى أمريكا من بولندا وروسيا يبدأون رحلتهم ، على حد قول عالم اجتماع يهودى ، من " المدينة إلى الضاحية "(٩) مما ساعد على انتشار المعابد والمراكز اليهودية فى الضواحى الجديدة التى نشأت فى الولايات الأمريكية، ولكن فى شكل مؤسسات اجتماعية أكثر من كونها مراكز دينية . كان المهاجرون الجدد إلى أمريكا يتطلعون ، مثل غيرهم من المهاجرين من الجماعات الأخرى ، إلى الاندماج بين أفراد الطبقة الوسطى الأمريكية ، وهذا يدل على أن اليهود الأمريكيين، وإن كان تحوُّل حلم الصهيونية إلى حقيقه يثير حماستهم إلا أنهم تحولوا إلى الحلم الأمريكى .

وربما بسبب ذلك بقى التناقض قائمًا بينهم كما أوضح عالم الاجتماع تشارلز ليبمان فى كتابه " اليهودى الأمريكى المتناقض " ، حيث حرص اليهود الأمريكيون على أن يكونوا أمريكيين دون أن يفقدوا هويتهم اليهودية(١٠) كانت إسرائيل فى نظرهم الحل الأمثل لمشكلة اليهود ، من هنا وقر فى ضمائرهم أن دعمهم للدولة اليهودية سيمنحهم تأكيداً ليهوديتهم من ناحية وسيوفر لهم الفرصة كاملة لتوظيف ذلك فى هيئة أعمال ناجحة .

خلال عقد الخمسينيات تركزت اهتمامات الجالية اليهودية فى أمريكا فقط حول الحقوق المدنية ومشاكل الإسكان والتعصب الدينى فى إسرائيل ، يدل على ذلك التقارير

السنوية الشاملة التى كانت تعدها اللجنة الاستشارية للعلاقات الوطنية ، التى كانت تمثل مجمعًا يضم كافة التجمعات اليهودية فى جميع أنحاء أمريكا ، والتى تعد مرجعاً مهمًا يبين بوضوح اتجاهات تفكير أعضاء هذه اللجنة خلال سنة معينة . التى جاءت خالية تماما من أى إشارة إلى مراحل الصراع العربى الإسرائيلى خلال النصف الأول من هذا العقد(١١) .

أسهمت هذه الأوضاع فى زيادة " أمركة " اليهود الأمريكيين و" أسرلة " يهود إسرائيل مما أدى إلى اتساع الهوة القائمة بين المجتمعين اليهوديين فى كل من أمريكا وإسرائيل ٠ وقع شباب إسرائيل كما يقول السياسى الإسرائيلى أمنون روبنشتاين مؤلف كتاب " عودة الحلم الصهيونى / من هرتزل إلى جوش أمونيم " فى حبائل " أسطورة السابرا " (مواليد إسرائيل) التى توحى إليهم معتقداتها بأنهم نسل جديد من اليهود يعيش خارج التاريخ اليهودى . آباء هؤلاء الشباب من المغامرين الصهيونيين الذين أبدوا استعداداً لأن يتركوا خلفهم الحياة التى كان يحياها إخوانهم فى بلاد الشتات مثل بولندا وروسيا ليسافروا للعيش فوق أرض إسرائيل القديمة ، كانوا ينظرون بفخر واعتزاز بعد استقرارهم فى فلسطين إلى أبنائهم هؤلاء الذين تربوا بين أحضانها وتحولوا إلى مقاتلين شجعان حاربوا من أجل قيامها وحققوا استقلالها .

هؤلاء الشباب الإسرائيليون لم يعتبروا أنفسهم يهوداً فقط وإنما يهوداً من نوع السابرا الأقوياء أبناء الصحراء ذوى الصلابة والخشونة الذين يتمتعون بالمظهر الجاذب للانتباه من الخارج ٠ تحكى موروثات الخمسينيات الأدبية فى إسرائيل عن هذه الفئة من الشباب ، كما يقول روبنشتاين ، عن الصبى المهاجر الهزيل أنه عندما يتعرف على شاب من السابرا فإنه يتخلص من هزاله بالتدريج، وفى الوقت نفسه يتحصل على القدرات التى يتمتع بها السابرا وبذلك يتمتع بالطهارة الحقيقية .

مثله فى ذلك مثل الكثيرين من رواد الصهيونية الذين استقر بهم المقام فى فلسطين ، غيَّر أول رئيس وزراء لإسرائيل اسم عائلته من جروين إلى بن جوريون الذى يعنى بالعبرية نفس الوصف " شبل الأسد " وشرح فيما بعد أنه قصد بهذا التغيير التدليل على ولادته الثانية ، لأنه يعتبر أن سنوات طفولته فى أرض الشتات لم تعد جزءاً

من حياته الجديدة ، وعلى المنوال نفسه دفع بناة إسرائيل من السياسيين والعسكريين إلى تغيير أسمائهم : جولدا ميرسون أصبحت جولدا مائير ، وشيمون بيرسكى أصبح شيمون بيريز[١٢] . كان هذا يحدث بينما أبدى ، فى الفترة نفسها ، عدد من الشعراء ومثقفى النخبة ممن أطلقوا على أنفسهم تسمية الكنعانيين عدم شعورهم حتى بالرضا لإطلاق تسمية إسرائيليين عليهم مصممين على أن ديانة اليهود القديمة كانت صورة مشوهة من روح الديانة العبرانية الأصلية[١٣] .

وهكذا لم يترك التطرف لدى الكنعانيين ولا حب الذات لدى زعماء الصهيونية فى إسرائيل مكانًا لليهود الأمريكيين الذين بدوا راضين بحياة المنفى فى ضواحى المدن الأمريكية ، وبالرغم من ذلك بقى الأمريكيون عنصرًا أساسيًا من بين الأسس التى تشكل مستقبل إسرائيل حتى لو نظرنا إليهم من زاوية أهمية الدعم المالى والسياسى الذى يقدمونه .

دولة إسرائيل الوليدة كانت فى حاجة ماسة إلى معونة الولايات المتحدة الأمريكية الاقتصادية ، خاصة وأن تعداد سكانها بلغ خلال الثلاث سنوات التالية لقيامها مليون نسمة، وكان مقدرًا لهذا العدد أن يتضاعف ثلاث مرات خلال السنوات الست التالية [١٤]. كانت المساعدات التى يقدمها اليهود الأمريكيون بالغة السخاء ولكنها لم تكن كافية ، وفى الوقت الذى قامت فيه الإدارة الأمريكية تبيعهم فائض أسواق موادها الغذائية مثل البطاطس والزبدة بأسعار مخفضة رتبت مع الجهات المختصة لكى تحصل حكومة إسرائيل على قرض قيمته ١٣٥ مليون دولار من بنك الاستيراد والتصدير الأمريكى . كانت إسرائيل فى حاجة إلى مزيد من المعونات الاقتصادية وإلى التشجيع المعنوى ، وكان زعماء اليهود الأمريكيون يؤمنون أن العرب سيقبلون بإبرام سلام معها إذا أدركوا عمليًا مدى التأييد القوى الذى تقدمه أمريكا لها .

حتى هذا الوقت لم يكن فى مقدور الرئيس ترومان أن يتغلب على معارضة وزارة خارجيته ويستجيب لمطالب زعماء اليهود بتحويل قدر ما يستطيع من المساعدات الأمريكية الأجنبية التى قررتها إدارته للدول التى تضررت بنتائج الحرب العالمية الثانية ، ولم يكن أمام إسرائيل إلا البحث عن أصدقاء لها فى مجلس الشيوخ لكى يتقدموا بعدد

من مشاريع القوانين التى من شأنها أن تشل ما يعتبره اليهود تحيزًا من جانب وزارة الخارجية إلى جانب العرب . وحتى لا يضيع منهم الوقت بدأ زعماء اليهود بحثهم للعثور على شخصية أمريكية تقبل القيام بتشكيل قوة ضاغطة فعّالة فى أقل وقت ممكن ، وكان المرشح المناسب لهذه المهمة يعمل فى الحقيقة لحسابهم ونقصد بذلك اى . ال . (سى) كنن الصحفى الأمريكى الصهيونى الذى كان يتولى وظيفة السكرتيرالصحفى ومسئول العلاقات العامة لدى أبا إيبان سفير إسرائيل فى الأمم المتحدة(١٥) . وقبل ذلك عمل خلال سنوات الحرب العالمية الثانية مديرًا للإعلام لحساب مجلس الطوارئ الصهيونى الأمريكى ، ذلك اللوبى الذى أسسه سيلفر وأصبح يطلق عليه بعد انتهاء الحرب وقيام دولة إسرائيل المجلس الصهيونى الأمريكى الذى سُجِّل كمنظمة معفاة من الضرائب لأنها لا تسعى إلى تحقيق أرباح .

استفهم أبا إيبان من كنن عما إذا كان لديه اهتمام أن يمارس ضغطا ما على أعضاء الكونجرس لدفعهم لتقديم مزيد من المساعدات لإسرائيل ، تساءل كنن: وإذا أبديت استعداداً هل أستمر فى وظيفتى لدى الحكومة الإسرائيلية ؟ وهل هى عملية مشروعة أن تقوم سفارة بممارسة ضغط ؟ "(١٦). اقترح أبا إيبان ، الذى سيعين بعد فترة سفيرا لبلاده فى واشنطن ، أن يحصل كنن على إذن " بإجازة من حكومة إسرائيل " لمدة تتراوح ما بين ستة أشهر وسنة يتولى خلالها إدارة عملية أمريكية محددة لخلق وسائل مناسبة لخلق ضغط سياسى ، يعود بعدها إلى وظيفته فى الأمم المتحدة عندما يحل موعد انعقاد الجمعية العامة .

اعترض لويس ليبسكى ، الزعيم اليهودى الأمريكى الشهير الذى كان يرأس آنذاك المجلس الصهيونى الأمريكى ، على الفكرة حيث رأى أن تكليف موظف لدى حكومة أجنبية بتشكيل قوة ضاغطة عن طريق الكونجرس يعد عملا غير لائق ، ويتسم أيضا بالخطورة ، واقترح بدلاً من ذلك أن يعمل كنن مديرًا تنفيذيًا لدى المجلس الصهيونى . وكانت فكرة ليبسكى تقوم على أن رفع اسم كنن من سجلات العمل كموظف لدى حكومة أجنبية والتعاقد معه للعمل لدى المجلس الصهيونى الأمريكى ، سيسمح له بحرية الحركة لكى يشكل جماعة ضغط من داخل الكونجرس تنتقد السياسات الأمريكية ، (كتب كنن فى مذكراته أنه علم فيما بعد أن ليبسكى وناحوم جولدمان كانا

قد تداولا فيما بينهما قائمة بأسماء عدد من المرشحين للقيام بمهام الوظيفة التى فاز بها ولم يكن من بينهم صهيونى واحد ، وعلم أيضا أنه تمت مناقشة مجموعة من أسماء غير اليهود كان من بينهم كلارك كليفورد المستشار السياسى السابق للرئيس ترمان وميلتون أيزنهاور شقيق الرئيس الأمريكى القادم إلى البيت الأبيض(١٧) .

فى عام ١٩٥١ ترك كنن وظيفته الدبلوماسية مع حكومة إسرائيل وانتقل للعمل لدى المجلس الصهيونى الأمريكى لكى يبدأ خطوات بناء عملية ضغط سياسى يفتح الباب لتقديم مساعدات أمريكية إلى الاقتصاد الإسرائيلى الذى يعانى من اضطرابات ، وسرعان ما تمكن بمساعدة جاكوب جافيتس رجل مانهاتن البارز ، وإيمانويل سيلر عضو المجلس عن بروكلين ، وثلاثة آخرين من الأعضاء هم الشيوخ : روبرت تافت وبول دوجلاس وهيوبرت هيمفرى ، أن يؤمِّن حصول إسرائيل على مساعدات اقتصادية قدرها ٦٥ مليون دولار عام ١٩٥١ ، ومساعدات مماثلة بما يوازى ٧٣ مليون دولار عام ١٩٥٢(١٨) .

كان كنن يهدف إلى توفير التأييد لإسرائيل من منطلق حزبى ، وفى صيف عام ١٩٥٢ أثبت أنه يتمتع بقدرات عالية وذلك عندما صدرت برامج كل من الحزبين الجمهورى والديموقراطى متضمنة عبارات التأييد لإسرائيل . أشاد الحزبان بالجهود الإنسانية التى تقوم بها إسرائيل لإعادة توطين اللاجئين اليهود فى إسرائيل وباركا الاهتمام الذى تبديه الإدراة الأمريكية للمساعدة فى إعادة السلام إلى المنطقة ، ولم يكن التطابق اللغوى الذى بدا واضحًا بين سطور برنامجى الحزبين وليد الصدفة ، حيث ساعد كنن فى صياغتهما . يقال إنه عرض مسودة الفقرات التى استخدمها لصياغة برنامج الحزب الجمهورى على مرشحى الرئاسة فى تلك السنة : جافيتس وتافت الذى وافق عليها ، أما الفقرات التى تضمنها البرنامج الديموقراطى فأرسلها كنن إلى إدارة الرئيس ترومان بالبيت الأبيض الذى طلب من لجنة الصياغة إبداء الرأى فيها .

فى العادة ليس من السهل تحويل برامج الدعاية الحزبية إلى خطط سياسية ، كما أنه ليس فى الإمكان تنفيذ كل الوعود الانتخابية ، وهذا هو ما حدث فى الانتخابات الرئاسية عام ١٩٥٢ ، التى فاز بها دوايت د. أيزنهاور، حيث أعلن وزير خارجيته جون

فوستر دلاس أن سياسة الإدارة الأمريكية الجديدة فى الشرق الاوسط سوف تنتهج مبدأ عدم التحيز الودى تجاه العرب والإسرائيليين. أما زعماء اليهود فكانوا على ثقة أن الرئيس أيزنهاور ووزير خارجيته يكنون العداء لإسرائيل ، ويزيد الأمر سوءاً أنه لا يوجد لهم نفوذ داخل هذه الإدارة الجديدة كما كان حالهم على أيام رجلهم ديفيد نيلز، كما أن رجل البيت الأبيض الجديد بطل قومى ليس فى عنقه دين لأى جماعة ذات اهتمام سياسى يمكن أن تدعى أنها سبب فوزه لأنها أيدت برنامجه المحلى أو سياساته الخارجية . فأيزنهاور كقائد عسكرى محترف لم يسبق له أن تولى منصباً عاد عليه بالنفع بسبب دعمه لليهود أو جلب عليه عداوة أنصارهم فى الكونجرس .

بعيداً عن هذه الاختلافات كانت مشكلة النفط هى القضية الأساسية التى تؤرق بال أيزنهاور واليهود معًا ، فى هذا الوقت صنفت وزارة الخارجية المملكة العربية السعودية " كمصدر هائل للطاقة وكواحدة من أعظم الغنائم المادية على مستوى تاريخ العالم "(١٩). آنذاك أشارت كافة الاحتمالات إلى أن إعادة بناء أوروبا بعد معارك الحرب العالمية الثانية ستعتمد كلية على نفط العرب، كما أن مستقبل الاقتصاد الأمريكى يرتكز أيضًا عليه ، مما يحتم على الإدارة الأمريكية أن تكون صديقة للدول العربية .. هنا أدرك زعماء اليهود أن مثل هذه الخطوة ستكون على حساب دولة إسرائيل .

فى الفترة نفسها ظهر تهديد جديد للنفوذ الغربى فى المنطقة ، حيث أدرك الاتحاد السوفيتى أهمية النفط العربى مما دفعه للبحث عن أصدقاء له فى الشرق الأوسط. كان من الطبيعى أن تحرص إسرائيل على عدم الانحياز إلى أى من الطرفين الأمريكى والسوفيتى لكى تستفيد من ميزة الدعم الذى توفره لها الولايات المتحدة الأمريكية حيث يعيش أكبر تعداد لليهود فى العالم ، وأيضا من الاتحاد السوفيتى الذى صوت فى الأمم المتحدة إلى جانب قرار التقسيم وأمدها بالسلاح عبر تشيكوسلوفاكيا خلال حرب الاستقلال عام ١٩٤٨ . إلا أنها قررت فى ضوء خشيتها من احتمال قيام الاتحاد السوفيتى بدعم الدول العربية المعادية لها بالمال والسلاح ، أن تتنازل عن مبدأ عدم الانحياز بين القوتين العظميين وأن تركز جهودها لنيل تأييد ومساندة الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب دعم ومناصرة الجماعة اليهودية الأمريكية ذات التأثير السياسى الكبير .

كان زعماء اليهود الأمريكيون على استعداد تام لتقديم يد الدعم والمناصرة ، ولكن ما العمل إذا كان الإسرائيليون كثيرا ما يجعلون سعيهم لتحقيق هذا الهدف صعبًا وفى بعض الاحيان معوقًا . أما الادارة الأمريكية فقد دفعتها ظروف الدولة اليهودية التى قامت على يد لاجئين يعيشون فى خيام وأكوخ فوق أرض معادية لهم ، إلى تركيز اهتماماتها حول مصالحها قريبة المدى خاصة وأن احتياجات إسرائيل الأمنية لا تتطابق دائما مع وجهة النظر الأمريكية الأمنية فى المنطقه ولا مع تفسير الرئيس أيزنهاور للمصالح الإسرائيلية .

فى عام ١٩٥٣ ، وبينما مستشارو البيت الأبيض منكبون على دراسة استكشافية حول إمكانية إقامة مشروع لتنمية موارد وادى الأردن يعود بالفائدة على الدول المحيطة به ، أحيطت الإدارة الأمريكية علمًا بأن إسرائيل بدأت بالفعل تنفيذ مشروع بناء مساقط مائية عن طريق شق قناة على امتداد نهر الأردن فى منطقة الجليل الأعلى القريبة من حدود دولة لبنان ، وبالاستفسار من الحكومة الإسرائيلية ادعت أن ما تقوم به ما هو إلا مشروع محدود يهدف فقط إلى توليد طاقة كهربائية تستخدم فى رى الأراضى القريبه منه. بعد ذلك أفاد تقرير ميدانى قدمه أحد موظفى الأمم المتحدة المسئولين عن مراقبة الهدنة التى أعلنت بين إسرائيل وجيرانها العرب عام ١٩٤٩ بعد زيارته للمكان ، أن النظرة الأولية للعمل الذى يجرى تؤكد أن الإسرائيليين يقومون بشق قناة يسمح اتساعها وطولها بنقل المياه من إقليم إسرائيل الأوسط إلى القطاع الشمالى من صحراء النقب . الأهم من ذلك أن المشروع من الناحية العملية لم يكن مقامًا فوق أرض لإسرائيل وإنما على أرض منزوعة السلاح إلى القرب من الحدود الإسرائيلية السورية مما دفع الوحدات العسكرية السورية المرابطة فى المنطقة منذ إعلان الهدنة بين الطرفين إلى التهديد بشن حرب على إسرائيل ، الأمر الذى جعل قائد القوات الدولية فى المنطقة ينصح بوقف العمل فى المشروع الإسرائيلى .

لم يستمع الإسرائيليون للنصح، وواصلوا استكمال العمل فى مشروعهم مما أثار حفيظة إدارة الرئيس أيزنهاور وجعلها ترسى أسس سابقة خطيرة فى تعاملها مع الدولة الجديدة حيث قام دلاس سرًا بتجميد قرض لإسرائيل قيمته ٢٦ مليون دولار حتى تلتزم حكومتها بالتعاون مع هيئة الأمم المتحدة. وهدد أيزنهاور بإلغاء الإعفاء

الضريبى الذى تتمتع به التبرعات الخيرية التى يقوم بجمعها صندوق النداء اليهودى الموحد وغيره من المنظمات اليهودية الأخرى من اليهود الأمريكيين لمساعدة إسرائيل فى تنفيذ مشروعها الضخم لاعادة التوطين . وبالرغم من ذلك واصل الإسرائيليون العمل فى مشروعهم .

فى خضم المعركة على المياه بين الأردن وإسرائيل . وفى يوم ١٣ أكتوبر ١٩٥٣ أطلقت قنبلة على منزل عائلة يهودية تقيم فى مستوطنة إسرائيلية تقع على بعد ميل واحد من الحدود الأردنية الإسرائيلية مما أدى إلى مقتل أم واثنين من أطفالها الستة أحدهما رضيع والآخر فى الرابعة من عمره . بعد انتهاء مراسم الجنازة اندفع القرويون الإسرائيليون الغاضبون عبر الحدود إلى قرية قبية فى الجانب الأردنى وقاموا بقتل أكثر من خمسين من المدنيين العرب ، هذا ما جاء فى البيان الرسمى الصادر عن السلطات الأردنية[٢٠] .

أثارت الغارة الإسرائيلية ضجة عالمية، واحتج بعض أعضاء الكونجرس عليها وأيضًا على تحدى إسرائيل طلب الأمم المتحدة منها أن توقف العمل فى مشروع توليد الطاقة الكهربائية ، كما أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية بيانًا وصفت فيه ما حدث فى قرية قبية الأردنية بأنه يمثل صدمة، وأعلنت رسميًا أنها ألغت مساعداتها إلى إسرائيل. وحين احتج مجموعة من قادة اليهود الأمريكيين على رأسهم عضو الكونجرس عن مدينة نيويورك جاكوب جافيتس بأن الإدارة الأمريكية تتجاهل بهذا القرار التهديدات التى تتعرض لها إسرائيل التى قامت بغارتها هذه ردًا على اعتداء العرب عليها ، رد دلاس على ذلك - بما أصبح مألوفا فى سياسة أمريكا الدبوماسية تجاه الشرق الأوسط بعد ذلك - إن أمريكا لا تستطيع أن تدفع العرب إلى الجلوس إلى مائدة المفاوضات ماداموا يعتقدون أن الولايات المتحدة منحازة تماما وعمليًا إلى جانب إسرائيل .

بعد تسعة أشهر من هذا التاريخ استفزت إسرائيل العرب ووزارة الخارجية الأمريكية عندما اتخذت قرارًا بنقل مقر وزارة خارجيتها من تل أبيب إلى القدس الغربية باعتبارها عاصمة لها ، ودعت أمريكا إلى نقل سفارتها من تل أبيب إلى

هناك . إلا أن واشنطن أدانت القرار ورفضت الدعوة لنقل سفارتها لأن ذلك " يتعارض مع الطابع الدولى لمدينة القدس(*) (٢١) .

فى ديسمبر عام ١٩٥٣، وفى أوج هذه الدعاية السيئة لإسرائيل أعلن بن جوريون بشكل غامض ابتعاده عن مسئوليات الحكم والاعتزال فى واحد من كيبوتزات اللاجئين فى شمال صحراء النقب !! البعض قال إن السبب يرجع إلى إصابته بانهيار عصبى والبعض الآخر وصف الأمر بأنه خدعة سياسية .

اتفق أن يخلف بن جوريون زميله القديم فى الوكالة اليهودية موسى شاريت وأول وزير خارجية لإسرائيل والذى كان يوصف باعتدال فى نظرته إلى القضايا العربية ، ولكن كبار مستشاريه من الموالين لبن جوريون وبالذات رئيس الأركان موشى دايان كانوا كثيراً ما يذهبون إلى الصحراء للتشاور مع الأسد العجوز .

تلك كانت أوضاع دولة إسرائيل الداخلية وتلك كانت أبعاد علاقتها بالولايات المتحدة الأمريكية الدولة الوحيدة التى تحسن إليها وترعاها، أو كما قال كنن فى مذكراته التى نشرها بعد ذلك بثلاثين عاماً "لقد كانت سنة عاصفة وكنتيجة للصراع القائم بين وزارة الخارجية والجماعة اليهودية فى أمريكا ، اتخذنا قراراً بأن ننشئ منظمة جديدة لكى تتحمل مسئولية القيام بأعباء الضغط السياسى الذى تحتاج إليه أنشطتنا"(٢٢) .

(*) القدس مدينة مقدسة عند المسيحيين والمسلمين واليهود ، لذلك نص قرار التقسيم الذى أصدرته الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ على أن تتمتع " بوضع دولى " تحت وصاية الأمم المتحدة، وأن تتوافر بها حرية التنقل وصولا إلى الأماكن المقدسة فيها . وبالرغم من هذا القرار قامت قوات إسرائيل العسكرية بعد إقرار مواثيق الهدنة بينها وبين الدول العربية باحتلال معظم الجزء الجديد من المدينة حيث الحائط الأسطورى، بينما احتلت الأردن المدينة القديمة . فى الأول من يناير عام ١٩٥٠ نقلت إسرائيل برلمانها ووزارات حكومتها (ماعدا الدفاع والخارجية والشرطة) من تل أبيب إلى هذا الجزء الذى احتلته ، فى اليوم نفسه أعلنت الأردن ضم الضفة الغربية إلى سيادتها بما فيها القدس القديمة، وبعد أربعة اشهر من هذا التاريخ أطلق الملك عبد الله على مملكته اسم " المملكة الأردنية الهاشمية " ، أما السياسة الأمريكية الحالية فتعتبر أن وضع القدس مسألة تفاوضية بحتة بين العرب والإسرائيليين .

وبسرعة سرت الشائعات فى واشنطن أن أعضاء المجلس الصهيونى الأمريكى سيخضعون للتحقيق بسبب دورهم فى المعارك التى أثيرت حول بيع الإدارة أسلحة إلى بعض الدول العربية و موقفها من مشاكل المياه الإسرائيلية ، فى غضون ذلك أبلغ أحد الصحفيين الإسرائيليين كنن ، وكما سجل هو ذلك فى مذكراته فيما بعد ، " أن وزارة الخارجية الأمريكية تقارن باهتمام بالغ بين المذكرة التى سبق له أن أعدها عام ١٩٥٣ منتقدا أداءها وبين المنشورات التى وزعتها السفارة الإسرائيلية رداً على ما أثير من شائعات "(٢٣) .

خلال جلسات التحقيق أصر كنن على أنه لم يكن " يردد وجهات نظر إسرائيل كالببغاء " ويدّعى أنه اختلف مع الإسرائيليين حول قضية الأسلحة (قال إنه كان ضد قيام الولايات المتحدة بإرسال أسلحة إلى أى من العرب أو الإسرائيليين) الملاحظ أن كنن عارض كثيراً وبشدة كل ما أدين به .

فى حقيقة الأمر كان كنن مسئولاً عن عمل عليه أن يؤديه ، وحتى لو أنه اختلف مع الإسرائيليين حول بعض المسائل إلا أنه فى نهاية الأمر كان يبحث عن دور جديد يقوم به. لقد كان كنن نشطًا يقوم بدور الضاغط السياسى لحساب المنظمة الصهيونية التى كان هدفها الأساسى زيادة حجم المساعدات الاقتصادية الأمريكية إلى إسرائيل ، لذلك كان من رأى وزارة الخارجية الأمريكية أن يسجل نفسه " كوكيل يعمل لصالح حكومة أجنبية " أما هو فقد أصر على أنه موظف أمريكى مدنى يعمل فى وظيفة ضاغط سياسى لدى منظمة أمريكية .

كانت مسألة شائكة وكان لا بد من إيجاد حل لها، فقد سبق لكنن ، وهو الأمريكى الجنسية ، أن عمل موظفا دبلوماسيًا لدى إسرائيل وهو يعمل الآن كضاغط سياسى لحساب حكومة أجنبية . ولتلافى فرض عقوبات على كنن ، الموظف بالمجلس الصهيونى الأمريكى الذى يقوم بأعمال معفاة من الضرائب ، تقرر فصل عملية الضغط السياسى عن مهام المجلس لأن وضعيته القانونية تمنعه من القيام بمثلها، على أن يتولى كنن فقط مسئولية جمع الأموال لتمويل عمليات الضغط السياسى .

على عكس عام ١٩٥٣ ، عُرف العام التالى كعام اللوبى الإسرائيلى ؛ حيث تشكل المجلس الأمريكى الصهيونى للعلاقات العامة* عام ١٩٥٤ ، ورصدت له ميزانية قدرها ٥٠ ألف دولار ، فى هذا العام أيضا كانت إسرائيل فى أمسِّ الحاجة إلى المساعدات التى يمكن أن توفرها لها جماعة الضغط السياسى لمواجهة المضايقات المتزايدة التى تسببها لها وزارة الخارجية فى إدارة أيزنهاور الجديدة، والتى كان من المنتظر أن يترتب عليها حجم أكبر من المعارضة لسياستها. من بين الأسباب التى جعلت خبراء الشرق الأوسط فى وزارة الخارجية يصنفون كنن " كوكيل يعمل لصالح حكومة أجنبية " أنه عن طريق دائرة أصدقائه وعمق اتصالاته المؤثرة عبر أعضاء الكونجرس كان قادراً أن يواصل عمله كضاغط سياسى ناجح.(*)

كانت وزارة الخارجية ترى أن الكونجرس سيواصل دعمه لإسرائيل بلا تحفظ، ولم يكن أمامها إلا أن تتصلب فى موقفها حتى تكبح جماح الإسرائيليين . أما قادة اليهود فكان من رأيهم أن الإدارة الأمريكية تضغط بشدة على إسرائيل بلا مبرر بالرغم من أنهم كانوا على غير علم بمجريات الأمور فى كل الأحوال ، وخير مثال على ذلك ما وقع فى قرية قبية الأردنية . فالبرغم من أنهم اعتبروا ما حدث " انتقاماً " بالغ القسوة ، إلا أنه يمكن فى رأيهم تبريره بأنه جاء رداً على التهديدات العربية فى مقابل أعمال التنمية التى يقوم بها المستوطنون اليهود على طول نهر الأردن .

حتى كنن عندما نشر مذكراته عام ١٩٨١ كان لا يزال يعتبر أن الهجوم الذى وقع على القرية الأردنية كان رداً عادلا من جانب المدنيين الإسرائيليين على القتل الوحشى الذى تعرَّض له أفراد واحدة من أسرهم . وهو الموقف الرسمى نفسه الذى لا تزال الحكومة الإسرائيلية تتمسك به إلى اليوم وصفًا للغارة التى قامت ضد قبية ، بالرغم من أن البيان الذى قدمه بن جوريون فى هذا الشأن أصاب أعضاء حكومته بالدهشة

(*) فى عام ١٩٥٩ أصبح مسمى عمليات الضغط السياسى التى يقوم بها كنن" اللجنة الأمريكية الإسرائيلية للعلاقات العامة" ، وجاء ذلك استجابة لاتساع الطبيعة غير الصهيونية للسياسات اليهودية فى الولايات المتحدة الأمريكية (إلى جانب أنه يجرد المتآمرين ضد الصهيونية على امتداد الحركة المناهضة للسامية فى طول البلاد وعرضها من هدف كان يعد سهلا بالنسبة لهم) .

لأنهم كانوا على علم بأن مجموعة هيئة الأمم المتحدة التى زارت مسرح الحادثة اكتشفت بلا معاناة ما كان الوزراء على علم تام به ، وهو أن غارة قبية كانت حملة عسكرية كبيرة مسلحة قام بها أفراد من الجيش الإسرائيلى فى منطقة منزوعة السلاح مما يعد خرقًا واضحًا لاتفاقية الهدنة التى وقعت بين العرب وإسرائيل عام ١٩٤٩ بإشراف الأمم المتحدة(٢٤) .

ما حدث هو أن أكثر من ٢٥٠ جندى قاموا بغزو القرية بإطلاق نيران مدافعهم الثقيلة وأسلحتهم الآلية ونسفوا مدرسة و٤١ منزلاً بالمتفجرات مما أودى بحياة ٥٣ من السكان المدنيين ، ويقول التقرير الذى أعدته لجنة الهدنة الدولية إن القتال استمر سبع ساعات، وإن القوات الإسرائيلية تجاوزت أبعاد العملية الانتقامية المحدودة. أما تقارير وتحليلات أجهزة المخابرات الأمريكية فتصنف الغارة بأنها واحدة من العمليات المبكرة الناجحة التى قامت بها وحدة من الفدائيين تخصصت فى عمليات الهجوم والتخريب الليلية بقيادة رائد عدوانى متهور اسمه أرييل شارون ، فى ذلك الوقت كان موشيه دايان هو رئيس الأركان .

عارض بعض الوزراء بشدة قيام إسرائيل بالحملة ضد قرية قبية لأنهم كانوا يتخوفون أن يؤدى مثل هذا الهجوم إلى زيادة العداوة القائمة فعلا بين إسرائيل والإدارة الأمريكية التى قامت فعلا بوقف مساعدة اقتصادية كانت ستقدمها لحكومتها بعد رفضها وقف مشاريعها المائية فوق نهر الأردن .

وفى حين كان الوزراء الإسرائيليون على حق فى توجسهم هذا ، بدا على قادة اليهود الأمريكيين أنهم بعيدون عن معرفة حقيقة ما جرى ، كما لم يكونوا على استعداد للاستماع إلى قصته بالكامل أو حتى التعرف على ما كان يجرى داخل مجلس الوزراء الإسرائيلى. هذا الجهل بالحقائق كثيرا ما سبب إحراجًا بالغًا لقادة اليهود فى أمريكا خاصة وأنهم أصروا آنذاك على أن الرئيس أيزنهاور ووزير خارجيته دلاس هما أصل المشكلة الأساسية ، لذلك قرروا أن تقوم مجموعاتهم النشطة بممارسة ضغط فعّال على البيت الأبيض مماثل لذلك الضغط الإيجابى الذى كان يقوم به كنن فى الكونجرس . وكان الوقت ملائما لتأسيس قوة ضغط جديدة موالية لإسرائيل .

لا صحة للأكذوبة التى تدّعى أن دلاس نفسه كان أول من تحرك فى اتجاه تأسيس قوة ضغط يهودية ثانية ، لأن الحقيقة كما ذكرها ناحوم جولدمان الذى كان يرأس الكونجرس اليهودى العالمى هى أن هنرى بياورد مساعد وزير الخارجية الأمريكية هو الذى بادر بأن اقترح على زعماء الصهيونية إبّان المعركة التى كانت مشتعلة بسبب مشروع المياه حول نهر الأردن وما ترتب على الغارة التى تعرضت لها قرية قبية الأردنية ، أن يكون لهم صوت واحد يتخاطب نيابة عنهم مع وزارة الخارجية . ودلل على رأيه هذا بأن أطلعه على تواريخ خمسة ارتباطات مع مجموعات مختلفه من اليهود سوف يتقابل معها خلال أسبوع واحد[٢٥] .

رحب جولدمان بالفكرة لسببين: الأول أن إسرائيل تحتاج إلى أن يظهر اليهود وحدتهم أمام كل الجبهات ولو ظاهريًا . والثانى أن ناحوم جولدمان نفسه كان فى حاجة إلى قاعدة نفوذ أمريكية تدعمه . أما دلاس فكان على يقين من أن كافة الجماعات اليهودية الصهيونية والمناهضة للصهيونية ذات الميول اليمينية وتلك اليسارية وحتى المعتدلة منها ما كان لها أن تتفق فيما بينها إلا على القليل . وكان هذا أمرًا بديهيًا لأن كل زعيم يهودى حرص فى الواقع على أن يبنى لنفسه جسورًا خاصة به تقوده إلى مكتب وزير الخارجية لأن مكانته كانت تعتمد على هذه الصلة ، وكان دلاس حصيفًا فى استثمار الخلافات القائمة فعلاً بين الزعماء اليهود .

كان الصراع العلنى الدائر بين بلوشتاين وبن جوريون من ناحية وموقف اللجنة اليهودية الأمريكية العقائدى غير الصهيونى من ناحية أخرى دليلان على إمكانية تحويل المواقف اليهودية الأمريكية بسهولة ودفعها لانتقاد إسرائيل والتأثير سلبًا على مكانتها داخل البيت الأبيض . من هنا أدرك جولدمان الدبلوماسى ذو التجربة الدولية العريضة حجم المكاسب السياسية التى يمكن أن تجنيها الحركة الصهيونية لو ألزم غيره من الزعماء اليهود حفظ ألسنتهم قبل أن يتحدثوا فى أى موضوع حتى يتفقوا على ما سيقال حياله .

كل الدلائل كانت تشير إلى أن ناحوم جولدمان سيستفيد من النتائج التى ستنتج عن هذه المظلة التى ستتجمع تحتها كل الجماعات اليهودية الأمريكية أكثر

مما ستستفيد وزارة الخارجية، فقد كان الصهيونيون الأمريكيون يعتمدون عليه فى محو الآثار السيئة التى تلحق بحركتهم منذ بزغ نجمه على المسرح السياسى فى أوائل الأربعينيات خاصة تلك التى تركها آبا هلل سيلفر خلفه والتى بسببها كانت إدارة الرئيس ترومان تعتبره متطفلا ، أما هو فكان يؤمن أن رئاسته لمنظمة يهودية أمريكية ذات تأثير ستجعل منه أقوى شخصية صهيونية خارج إسرائيل .

المشكلة التى واجهت جولدمان أنه لم تكن هناك مناصب خالية فى ذلك الوقت على مستوى المنظمة الصهيونية الأمريكية، ولم يضعف ذلك من حماسة جولدمان لأنه ، كما يقول إسرائيل سنجر أحد مساعديه المقربين والسكرتير العام الحالى للكونجرس ، " كلما ظهر ما يدل على أنه سيفقد قوته ونفوذه أقدم على تأسيس منظمة يهودية جديدة "[٢٦] وهل هناك أقوى فى الولايات المتحدة الأمريكية من أن يترأس جولدمان منظمة تمثل كل الجماعات اليهودية فى أمريكا ؟ .

بدأ جولدمان تنفيذ فكرته بتشجيع فيليب كلوتزنيك أحد أثرياء شيكاغو الذى يعمل بالمقاولات، وكان قد تولى مؤخراً رئاسة منظمة بنًاى بنًرت ، وهى إحياء المؤتمر اليهودى الأمريكى الذى أسس عام ١٩٤٣ كمظلة لأربع وستين مجموعة يهودية كان عليها أن تتعامل مع المشكلات والطوارئ التى ستواجه اليهود فى الفترة التالية لانتهاء الحرب العالمية الثانية، خاصة وأن هذا المؤتمر لم يمارس دوراً فعّالا منذ ذلك الحين . كان كلوتزنيك ما زال يذكر المصاعب التى كانت تكتنف أعمال المؤتمر القديم كلما تصدى لاستصدار قرارات تحمل صيغة الإجماع ، لذلك اقترح أن يتأسس " تجمع لرؤساء المنظمات اليهودية يكون فى بدايته بلا صفة رسمية وغير مقيد بقواعد وبلا ميزانية أو إدارة معينة وأيضا بلا هوية يتحرك من خلالها ولا تتطلب قراراته أخذ رأى الأغلبية "[٢٧] وذلك لاختبار إمكانية تنفيذ الفكرة الرئيسية .

عقد مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الرئيسية الذى عُرف أيضا باسم مؤتمر الرؤساء أول اجتماع له فى مارس عام ١٩٥٤ كمنبر غير رسمى ليناقش كيف يمكن ليهود أمريكا أن يقدموا أفضل ما يستطيعون لمساعدة إسرائيل فى مواجهة ما تبديه إدارة أيزنهاور من عداء واضح ، فى الوقت الذى كانت فيه إسرائيل تناصبهم العداء بإصرارها على أن حادث قرية قبية وقع بالاتساق مع غيره من حوادث .

قبل اجتماع هذا المؤتمر بشهرين عقدت الحكومة الإسرائيلية اجتماعًا صاخبًا ، ومما جاء فى مذكرات رئيسها موسى شاريت فى هذا الشأن " قدم موشى دايان رئيس الأركان المشروع تلو الآخر فيما يعرف بخطة العمل المباشر .. تضمَّن الأول ما يمكن عمله لكسر الحصار المضروب حول مضيق إيلات، ويتمثل فى قيام سفينة ترفع العلم الإسرائيلى بالإبحار فى المياه المؤدية إلى هذا المضيق، وإذا تصدى لها المصريون بنيران مدفعيتهم تقوم الطائرات الإسرائيلية بقصف القاعدة المصرية من الجو ، أو تقوم قواتنا باقتحام رأس النقب أو تشق طريقها جنوبًا نحو قطاع غزة ثم إلى السواحل ، عندئذ حدثت ضجة كبيرة بين المجتمعين وسألته : هل تدرك أن ذلك الفعل يعنى إعلان الحرب على المصريين ؟ وأجابنى قائلاً : نعم أعرف ذلك "(٢٨) .

قبل هذا أفضى الرئيس المصرى جمال عبد الناصر إلى عديد من الأمريكيين والبريطانيين، كان من بينهم رجل المخابرات المركزية الأمريكية كيم روزفيلت وعضو البرلمان البريطانى ريتشارد كروسمان الذى كان يعمل من قبل فى وزارة الخارجية ويعد من الخبراء فى الشأن الفلسطينى، أنه يرغب فى عقد سلام مع إسرائيل ، يؤكد هذه المعلومة أن اثنين من سفراء أمريكا اللذين عملا متعاقبين فى القاهرة أحدهما هو هنرى بايرود أشارا فى تقارير لهما إلى الرغبة نفسها(٢٩). هذا فى الوقت الذى رفض فيه ناصر المساعدات العسكرية التى قدمتها له إدارة أيزنهاور، وأبلغ سفارتها فى القاهرة أن مصر تفضل بدلا منها مساعدات اقتصادية .

كان ناصر يحكم قبضته على السلطة ويعمل على إيجاد حلول لمشاكل مصر الاقتصادية ، ويسعى لإدخال بلاده إلى القرن العشرين عن طريق برامج جديدة فى ميدان الزراعة والمواصلات والطاقة الكهربائية والإسكان ، وكان يلقى معارضة شديدة من جانب مسلمى البلاد المتشددين . فى الوقت نفسه كان الحزب الشيوعى يقوى، أما الجيش الذى بلغت قوته حوالى ٦٠ ألف رجل فى الخدمة النظامية فكان مسلحًا بمعدات عفى عليها الزمن منذ عام ١٩٤٨ . ربما لهذا السبب كان ناصر يتطلع إلى تحسين علاقات بلاده مع الولايات المتحدة الأمريكية وأن يحصل منها على تمويل يشيِّد به مشروع سد أسوان (السد العالى) لأن جيشه بما تحت يده من معدات كان من الصعب عليه أن يدخل حربًا أخرى ضد إسرائيل، وحتى إذا كان قادرًا على ذلك فإن حالة الاقتصاد المصرى لم تكن لتوفر له الإمكانيات التى يحتاج إليها .

تعددت خلال عام ١٩٥٤ رحلات المبعوثين البريطانيين والأمريكيين المكوكية بين مصر وإسرائيل ، وبناء على أقوال أحدهم تم التوصل إلى مسودة اتفاقية سلام إسرائيلية مصرية ، وفى الوقت الذى حصل فيه شاريت على موافقة برلمان إسرائيل على الدخول فى مفاوضات مع مصر اعتبر منتقدو سياسته أن المحاولة ساذجة لأن مؤسسة الأمن الإسرائيلية كان لها أهداف خاصة بها لم تفصح عنها . لم يكن من بينها إجراء محادثات سلام مع ناصر(٣٠). ومن ثم واصلت إسرائيل عملياتها الانتقامية ضد مصر عبر الحدود، ولم يملك شاريت حيالها إلا الغضب والشعور بالإحباط ، وبينما كان الدبلوماسيون الأمريكيون يراقبون هذه العمليات باندهاش كانت تقاريرهم حيالها تتضمن ما يفيد بأن إسرائيل تبذل جهوداً واضحة لكى تبقى منطقة الحدود مع مصر مضطربة مع العمل على زيادة الإيحاء بأن أمنها مهدد .

ركز ستيفن جرين من خلال بعض فصول كتاب ظهر له مؤخراً على الجهود التى كان يبذلها شاريت لحل مشاكله مع مصر باتباع الطرق الدبلوماسية بينما كان خصومه حريصين على تعويقها ، وفى فصول أخرى تمكن بفضل قانون حرية المعلومات أن يكشف، بعد الاطلاع على سلسلة من البرقيات البالغة السرية أرسلتها البعثات الدبلوماسية الأمريكية فى عدد من العواصم العربية ومن القدس، حجم الانتقادات التى كان يوجهها موظفو هذه البعثات إلى السياسات الإسرائيلية ؛ حيث وصفها أحد التقارير التى حررها قنصل أمريكا العام فى القدس بأنها " تتوق شوقا لإشعال معركة عسكرية ما " يقول جرين إن الرئيس أيزنهاور تلقى فى شهر مارس عام ١٩٥٤ مذكرة من جهاز الأمن القومى جاء فيها " لا تتوافر أدلة " على أن العرب يقومون باستعدادات لشن حرب، بل العكس هو الصحيح، حيث يتم ذلك على الجانب الإسرائيلى ، وأضافت المذكرة " .. تبدى إسرائيل اهتماماً كبيراً ، بعد تعرض مساعى إجبار الدول العربية على الاعتراف بالأمر الواقع للفشل ، بمواصلة الأعمال الانتقامية عبر الحدود لإثبات صحة النظرية التى تقول إن الأمور يجب أن تصل إلى قمة مأساتها قبل أن يتحقق من وارئها الأحسن "(٣١) .

هذا ما كانت وزارة الخارجية وكان البيت الأبيض على علم به فيما يتعلق بواقع الحالة الداخلية فى إسرائيل وأيضا ما يجرى على حدودها مع الدول العربية ،

وما حرصت فى الوقت نفسه على إبلاغ إسرائيل أنها على علم به خاصة وأن نتيجة الغارات الإسرائيلية العسكرية عبر الحدود لم ينتج عنها سوى زيادة حدة التوتر بينها وبين أمريكا . وكانت هذه النتيجة متوقعة ، وبالرغم من ذلك كانت هناك قوى داخل الوزارة الإسرائيلية تفضل التهور وارتكاب الحماقات .

أعلنت الجهات المصرية المختصة فى شهر أكتوبر ١٩٥٤ أنها ألقت القبض على شبكة إسرائيلية من الجواسيس والمخربين المتورطين فى سلسلة من التفجيرات وإشعال الحرائق المتعمدة ضد أهداف مصرية وبريطانية وأمريكية كان من بينها مركزا الاستعلامات الأمريكيين فى القاهرة والإسكندرية واللذان لحق بهما أضرار بالغة بسبب القنابل الحارقة التى ألقيت عليهما . اتهمت السلطات المصرية جهاز المخابرات الإسرائيلي بأنه يقف وراء هذه العمليات بهدف تسميم العلاقات بين مصر وأمريكا وللحصول على مساعدات عسكرية من إدارة الرئيس أيزنهاور ، أنكرت حكومة شاريت ضلوعها فى أى من هذه الأعمال ووصفت الاتهام بأنه محض تلفيق .

عقدت الجهات المصرية المختصة محاكمة علنية لأحد عشر متهماً فى هذه العمليات حضرها عدد من أعضاء البعثات الدبلوماسية الدولية وبعض منظمات حقوق الإنسان الغربية ، أدانت المحكمة ثمانية من بين المتهمين وحكمت على اثنين من اليهود المصريين بالإعدام شنقا . وقبل تنفيذ حكم الإعدام فى يوم ٣١ يناير عام ١٩٥٥ انتحر واحد من المحكوم عليهم بالسجن . بعد شهر واحد من انتهاء هذه المحاكمة أغار جنود إسرائيل على مدينة غزة وقتلوا ٣٦ جنديا مصرياً ومدنيين ، وعكس رد فعل هذا العمل مزيدا من القلق حول العالم ومزيدا من التذمر بين إسرائيل ووزارة الخارجية الأمريكية .

فى الخامس من شهر مارس عام ١٩٥٥ عقد مؤتمر الرؤساء أول اجتماع له فى العلن بفندق شوريهام بواشنطن، وشارك فى فاعلياته التى استمرت يومين ممثلون لست عشرة منظمة ومندوبون عن وزارة الخارجية ، وتغيب عن الحضور وفد اللجنة اليهودية الأمريكية مما ألقى بظلال على محاولات جولدمان وكلوتوزنيك الظهور أمام البيت الأبيض بمظهر أن اليهود الأمريكيين لا يمكن أن ينقسموا حيال ما يهم إسرائيل .

والحقيقة أن اللجنة اليهودية الأمريكية كانت تعارض ببساطة من الناحية الأيديولوجية قيام " جماعة واحدة " تسعى للتحدث بلسان اليهود الأمريكيين خاصة إذا كانت هذه الجماعة قد تأسست على يد السياسى الصهيونى المخضرم ناحوم جولدمان صاحب الأسلوب والمكانة المرموقة المعروف عنه موهبة فض الاشتباكات .

مثَّل المؤتمر لحظة تاريخية فى حياة اليهود الأمريكيين، ولكن المشاركين فى فندق شوريهام أصابهم الإحباط، فبينما يحاول قادتهم بذل قصارى جهدهم لإقناع الإدارة الأمريكية بأن إسرائيل تستحق أكثر مما يفرضه شعار دلاس " صداقة غير متحيزة " ، تسببت حكومة إسرائيل مرة ثانية فى إحراجهم بغارة قامت بها ضد مدينة غزة . وعلى الرغم من أن جولدمان نجح فى إقناع زملائه " بأن لا يتطرق المؤتمر بالنقاش إلى الحادث الذى وقع فى غزة " وأن الحادث لم يطرح لتبادل الآراء بين المجتمعين(٣٢) إلا أن المؤتمر نفسه من وجهة نظر المشاركين فيه " لم يحقق النجاح المنشود بسبب هذا الحادث"(٣٣) .

اتضح فيما بعد أن حادث غزة كان أمراً صعبا بالنسبة لقادة اليهود الأمريكيين خاصة الصهيونيون منهم ، فبرغم تعاطفهم مع مشكلات إسرائيل الأمنية العويصة إلا أنهم كانوا غير مرتاحين تماما لتعريض مكانتهم المرموقة فى المجتمع للاهتزاز بسبب إسرائيل وما تكتبه الصحف عن ما قامت به فى غزة وقبية . وقد كتب أحد القادة الصهيونيين فى ذلك الوقت محذرا من انعكاسات حادث مماثل لحادث غزة :

".. فقد يلحق أبلغ الضرر بالحركة الصهيونية العالمية، وربما يؤدى إلى تحطمها كلية ، فماذا سيقول قادة الصهيونية عندما يواجهون بحقائق كان هناك من يتعمد عدم إطلاعهم عليها ؟ إذا لم يتمكنوا من الرد سيكون انطباع الآخرين عنهم أنهم أقسموا على الدفاع عن إسرائيل بغض النظر عما تقوم به من أعمال، أى أنهم تحولوا إلى أبواق دعاية لها"(٣٤) .

ومهما يكن حجم إدارك قادة اليهود لدورهم أن يكونوا أكثر من أبواق بالنسبة لكل ما تقوم به إسرائيل من أعمال ، فقد كانوا سائرين فعلا فى هذا الطريق ، لأن إسرائيل كانت تقول لهم فقط ما تريد أن يسمعوه عنها، ومن ثم ما تريد أن تعرفه عنها الإدارة

الأمريكية . وبالتالي لم يكن أي من اليهود الأمريكيين راغبًا في أن يسمع أن حادث مدينة غزة ومن قبله حادث قرية قبية كانا جزءا من خطة كبيرة وضعها منذ سنوات بن جوريون ومساعدوه العسكريون لكي يدفعوا العرب في ضوء نتائجها دفعا إلى دخول حرب لا يكونون مستعدين لها أبدا .

خلال دورة انعقاد مؤتمر رؤساء كبرى المنظمات اليهودية بفندق شوريهام في واشنطن يومي ٥ و ٦ مارس عام ١٩٥٥ سجل موسى شاريت في مذكراته بإيجاز رأيه في الإرهاب الإسرائيلي " إنه الأسوأ نوعًا " .. فقد اعترف عدد من جنود الاحتياط بالجيش الإسرائيلي للسلطات العسكرية أنهم أخذوا بالثأر لمقتل زوجين من الإسرائيليين بعد أن قبضوا على خمسة صبيان من البدو وحققوا معهم حول هذه الحادثه ثم طعنوهم حتى الموت بالسكاكين ، من جانبها أعلنت قيادة الجيش للرأى العام أن جنودها لم يتورطوا في هذه العلمية .

أما شاريت فقد استخلص مما عرف وثارت حوله شكوكه " هذا ما يمكن أن يؤخذ كبرهان قاطع أننا قررنا القيام بعدوان دموي واسع على كل الجبهات: أمس كان حادث غزة، واليوم حادث على الحدود مع الأردن، وغداً حادث فوق الأرض المنزوعة السلاح بيننا وبين سوريا .. وهكذا . غداً في الاجتماع الوزراى سوف أطالب بأن يقدم القتلة إلى المحاكمة كمجرمين " .

بعد بضعة أيام أعرب شاريت عن إعجابه " بالموهبة " و " الروح العالية " التي يتمتع بها شباب السابرا والتي دفعتهم على الرغم منهم " أن يقتلوا بتصميم وبدم بارد خمسة من شباب البدو العزل طعنا بالسكين " وتساءل بينه وبين نفسه " أي من هاتين الروحين التوراتيتين ستنتصر على الأخرى داخل نفوس هؤلاء الناس ؟ " .

لم يكن هذا السؤال من نفس نوعية الأسئلة التي يمكن أن يسألها قادة اليهود الأمريكيون المجتمعون في فندق شوريهام لأنفسهم ، وفي حين كانت وزارة الخارجية تعرض عليهم التقارير التي تصلها من الشرق الأوسط كانوا هم يتحدثون عن الأخطار التي تواجه إسرائيل والتي وصفها كلوتزنيك " إسرائيل معزولة لأنها دولة ديمقراطية محاطة بحكومات تكنٌ لها العداء ومستعدة لشن حرب عليها، مما جعل ممثلي هذه

الوزارة يعضون بشدة على شفاههم لأن ما لديهم من معلومات يؤكد أن رئيس وزراء إسرائيل لم يعد قادراً على كبح جماح قادتها العسكرين .

من الواضح أن قادة اليهود الأمريكيين كانوا بعيدين عن الحقيقية، كانوا كأعضاء شركة كبيرة غُرر بهم ، حتى شاريت نفسه حرص بعض وزرائه على إبعاده عن الحقائق الكاملة . والظاهر أن حكومة إسرائيل الجديدة كانت منقسمة على نفسها، حيث كانت كل من وزارتى الخارجية والدفاع تسيران فى طريقين مختلفين وخطرين فى الوقت نفسه ، بينما كانت الإدارة الأمريكية على غير إلمام تام بسياسة الحرب التى تنتهجها حكومة إسرائيل .

شىء مخجل أن تكون قلة فقط من زعماء اليهود الأمريكيين على علم بحقيقة شاريت بالرغم من أنه كان من الآباء المؤسسين لإسرائيل وأول وزير لخارجيتها وثانى رئيس لوزرائها ، ويبدو أن سمعة الرجل تعرضت للتشويه كثيرا ، فهم يشيرون إليه فى إسرائيل على أنه تشمبرلن اليهودى بسبب ضعفه السياسى وقابليته للتأثر لأنه سعى إلى ترضية مع العرب، ومن حسن حظ إسرائيل أن بن جوريون استطاع أن يقهره .

كان شاريت من بين كل زعماء إسرائيل الكبار الأكثر تعاطفًا مع عرب فلسطين على عكس بن جوريون ، فبينما كان هذا الأخير مستعداً لاستخدام القوة لقهر العرب على القبول بحقيقة الدولة الصهيونية حاول شاريت أن ينزع فتيل كراهيتها فيما بينهم بالطرق الدبلوماسية .

ولد نى شارتوك الذى عُرف فيما بعد باسم شاريت فى أوكرانيا وعاش بها حتى سن الثانية عشرة من عمره قبل أن يهاجر مع أسرته إلى فلسطين عام ١٩٠٦ ، وهناك استقر فى قرية عربية إلى القرب من مدينة نابلس حيث تعلم العربية إلى أن انتقل إلى تل أبيب بعد ذلك بعامين . أتم دراسته بكلية الاقتصاد فى لندن وكان من المؤسسين لحزب الماباى (حزب عمال أرض إسرائيل) ورئيسًا لتحرير صحيفة دفار التى تتحدث باسم العمال الصهيونيين . من الناحية الثقافية كان شاريت أقرب إلى وايزمان أما على المستوى الشخصى فكان متماثلا مع بن جوريون الذى لم يكن ندًا له فى الأمور الثقافية .

ظللت أجواء الزمالة والمنافسة حياة شاريت وبن جوريون لمدة ربع قرن ، ولم تظهر كوامن هذه المنافسة وأبعادها إلا فى عام ١٩٧٨، عندما قامت أسرة شاريت بنشر مذكراته اليومية باللغة العبرية رغم المعارضة التى أبدتها حكومة بن جوريون فى ذلك الوقت . وحتى الآن لم يظهر أى تحليل مهم باللغة الإنجليزية لتعليقات رئيس الوزراء الإسرائيلى السابق الشخصية على الأحداث التى شهدتها إسرائيل ، سوى الدراسة المختصرة التى قامت بها ليفيا روكاش بعنوان "إرهاب إسرائيل المقدس" والتى ظهرت فى ثمانية مجلدات تتكون من ٢٤٠٠ صفحة[٣٥] .

عندما نُشرت مذكرات شاريت أحدثت انفجاراً كذّب كافة الادعاءات التى كانت ترددها إسرائيل حول تهديد العرب لأمنها خلال السنوات الأولى لقيامها . عبر صفحات المذكرات يكشف شاريت الستار أن حكومته وحكومتىْ بن جوريون السابقة عليها واللاحقة لها كانوا واثقين أشد الثقة من تفوق قوة إسرائيل العسكرية على المستوى الإقليمى، ومن قدرتهم على استدراج الدول العربية إلى مواجهة لا بد أن يخسرها العرب . وكانت إستراتيجيتهم الأساسية تعتمد على مواصلة القيام بالغارات الانتقامية عبر الحدود العربية ضد أهداف عسكرية ومدنية .

شاريت كان يفضل العمل الدبلوماسى لإغراء العرب بقبول إسرائيل ، وكان قد سبق له أن أدان أمام مجلس وزراء إسرائيل الغارة التى تعرضت لها قرية قبية لأنها "تجعلنا نبدو أمام العالم أجمع كعصابة من مصاصى الدماء قادرة على القيام بالمذابح الجماعية دون مراعاة ما إذا كانت ستقود إلى حرب أم لا .."[٣٦]. فى اليوم التالى تحدث بن جوريون أمام مجلس الوزراء لمدة ساعتين بأسلوب رنان كما جاء فى مذكرات شاريت " عن استعدادات القوات المسلحة للجولة الثانية من الحرب " وأسهب فى الإشارة إلى " أرقام تفصيلية تبين نمو القوات العسكرية للدول العربية والتى (على حد قوله) ستصل إلى ذروتها فى عام ١٩٥٦ .."[٣٧] .

بثقة كتب شاريت فى مذكراته " *بينما كنت أسمع لبن جوريون كنت أفكر فيما إذا* كان فى إمكاننا أن ندرأ الخطر بوسائل أخرى غير عسكرية، وأن نتقدم بحلول حاسمة لحل مشكلة اللاجئين عن طريق دفع تعويضات وتحسين علاقاتنا بالقوى المحيطة بنا وبالبحث المستمر عن تفاهم مع مصر"[٣٨] .

فى الوقت الذى كان شاريت يحاول التفاوض مع مصر ، كان معارضوه يسعون إلى استدراجها إلى معركة من وراء ظهر رئيس الوزراء .بعد أن نفى شاريت فى العلن أى صلة لبلاده بشبكة الجواسيس التى ألقت السلطات المصرية القبض عليها وأدان محاكمة أفرادها ، أدرك الحقيقة فيما بعد بما توفره الحادثة من أدلة على محاولات إسرائيل السرية لإفساد العلاقة بين القاهرة وكل من أمريكا وبريطانيا . وكشفت له تحرياته الخاصة حيال الاتهامات المصرية خلال عام ١٩٥٥ أن وزير دفاعه بنحاس لافون منفرداً أو معه رئيس جهاز المخابرات العسكرية بنيامين جيبلى وربما رئيس الأركان موشى دايان قد كلفوا شبكة الجواسيس والمخربين القيام بالعملية . لم يعرف رئيس الوزراء شاريت شيئا عن هذه الترتيبات، كما لم يُحط علما بخطة الإعداد للقيام بغارة ضد قطاع غزة . قام بن جوريون باستبدال وزير الدفاع لافون بطريقة مريبة حيث عينه فى منصب كبير بوزارة أخرى ، ولم يكن المنصب مهمّا بقدر ما كان لافون مشغولاً بالبحث عن دليل يبرئ به نفسه .

احتاج الأمر خمس سنوات كاملة قبل أن يُكشف عن هذه المسألة التى أصبحت تعرف فى إسرائيل باسم فضيحة لافون ، وتتحول إلى أكبر فضيحة سياسية فى تاريخ إسرائيل المحدود . حتى إنها ما زالت إلى اليوم تلقى بظلالها على مستقبل شمعون بيريز ، الذى تورط فيها بحكم موقعه كمدير عام لوزراة الدفاع آنذاك . خلصت اللجنة الخاصة التى شكلت لبحث هذة المسألة إلى تبرئة لافون، وإلى وجوب ملاحقة كل من دايان وجيبلى قضائيًا بسبب تلفيقهما التهم ضد لافون ، وبسبب الطبيعة غير الرسمية لأول لجنة تحقيق تتشكل فى إسرائيل لهذا الغرض والسنوات التى مضت بين وقوع الحادثة وبدء التحقيق فيها والمخاوف التى يمكن أن تهدد سمعة إسرائيل فى الخارج ، تقرر عدم اتخاذ أى إجراء فى القضية .

نجح شاريت ومناصروه فى إحراز بعض الانتصارات داخل مجلس الوزراء من أجل تبنى سياسة الاعتدال، إلا أنها لم تكن كافية، فى الوقت نفسه ألحقت أساليب بن جوريون القتالية الهزيمة بخطط شاريت الدبلوماسية ، لذلك جاءت نتيجة الانتخابات العامة فى يولية عام ١٩٥٩ لتمثل لطمة جماهيرية لسياسات شاريت المعتدلة حيث لم يفز حزبه إلا بخمسة مقاعد . وانتهز بن جوريون الفرصة وهاجم شاريت بسبب خشيته

الشديدة " مما سيقوله الناس المحترمون " فى الوقت الذى يركز فيه هو (بن جوريون) اهتمامه على أمن إسرائيل وتعليم شبابها . وأصبحت أيام شاريت معدودة حيث بقى رئيسا اسميا للوزارة الإسرائيلية حتى نوفمبر من العام نفسه عندما نجح بن جوريون فى تشكيل وزارة ائتلافية، وعاد إلى رئاسة الوزارة مرة ثانية .

نتيجة تآمرها مع بريطانيا وفرنسا وفى يوم ٢٩ أكتوبر عام ١٩٥٥ قامت إسرائيل بإنزال قوات مظلية تابعة لها فوق صحراء سيناء، وسرعان ما سيطرت على معظم أراضيها بما فيها قطاع غزة وشرم الشيخ الذى يمثل بوابة الدخول إلى مضيق تيران الذى كان ناصر قد أغلقه من قبل أمام الملاحة الإسرائيلية ، وكانت عملية عسكرية متقنة تم الإعداد لها بإشراف من موشى دايان . أدركت إدارة الرئيس أيزنهاور أن دولتان حليفتان لها ودولة صديقة مقربة منها قاموا بغزو مصر دون حتى أن يخطروها بذلك . أما قادة اليهود الأمريكيين فكان عليهم أن يعانوا مرة ثانية من حنق وغضب دلاس وأيزنهاور كلما حاولوا أن يدافعوا عن سياسات إسرائيل ، التى أصابتهم سياساتها بالدهشة ربما أكثر مما أصابت الإدارة الأمريكية التى كانت قد تلقت تقارير سرية تفيد بملاحظة استعدادات عسكرية يجرى بناؤها فى المنطقة .

أبدى زعماء اليهود الأمريكيين عدم رضاهم عما أقدمت عليه إسرائيل وحذر العديد منهم حكومتها من عواقب استغفال إدارة أيزنهاور ومناهضتها ومعاداة الجماعة اليهودية الأمريكية ، خاصة وأن زعماء هذه الجماعة كانوا قد أكدوا لأفرادها قبل عدة أسابيع مضت بناء على تأكيدات أبلغها لهم بن جوريون، أن إسرائيل لن تكون البادئة بالحرب . تبين بعد حين أن المسألة لا تخرج عن كونها ترضية عاطفية ولكنها وفرت الدليل أمام صانع القرار السياسى الأمريكى أن حدود العلاقة بين اليهود فى إسرائيل ونظرائهم فى الولايات المتحدة الأمريكية ، فرضت أن يكون من نصيب يهود أمريكا دور الشريك الصامت، وأنهم قبلوا القيام به(٣٩) .

بينما كانت خطوات الغزو تستكمل . كان كلوتزنيك يتحدث فى حفل عشاء، ولما سُئل عن الشائعات التى تقول بأن إسرائيل قامت بغزو مصر رد جازمًا " إنهم لم يقوموا بذلك " اعتمادًا على مواجهة وقعت بينه وبين وزير إسرائيلى داخل مبنى سفارة

إسرائيل فى واشنطن صباح اليوم نفسه . وفى ضوء ما تكشّف من حقائق مازال كلوتزنيك يرفض إلى يومنا هذا تعريض إسرائيل لسمعة الزعامات اليهودية الأمريكية للحرج إلى هذه الدرجة ولاحتمال فقدان مصداقيتهم لدى الإدارة الأمريكية ولدى المؤيدين لهم فى دوائرهم الانتخابية على حد سواء .

أما أبا إيبان فيذكر فيما كتبه عن سيرته الذاتية " الاضطراب كان عظيمًا بين اليهود الأمريكيين " وأن آبا هلل سيلفر انتقد عبر مكالمة تليفونية الهجوم الإسرائيلى باعتباره نتيجة " خطأ فى تقدير الأمور " ، ربما لهذا السبب طالب زعماءَ الصهيونية الأمريكيين بأن يظهروا " تضامنًا كاملا مع إسرائيل " وأرسل أيضًا مندوبًا إلى مؤتمر الرؤساء ليحصل منهم على تأييد مماثل . معلقا على التقرير الذى أعدّه هذا المندوب كتب أبا إيبان " من محتوى التقرير أدركت أنه (المندوب) قضى وقتا صعبًا، ولأول مرة كما تعى ذاكرتنا لقى تبرير أعمال قامت بها إسرائيل معارضة تم التعبير عنها بلا تردد أو وجل، بل إن البعض اقترح بشكل حاد نشر التحفظات التى جاءت على لسان اليهود ضد إسرائيل فى سياق هذه المناقشة على الملأ " .

مرة أخرى أظهرت الأعمال التى تقوم بها الحكومة الإسرائيلية قادة اليهود الأمريكيين بمظهر البلهاء ، كما أكدت أنهم سائرون فى هذا الطريق مادام ذلك فى مصلحة بلدهم . يقول أبا إيبان" فى النهاية تغلبت إرادة الاعتدال لدى الجماعات الممثلة فى مؤتمر الرؤساء، وتعبيرًا عن تضامنهم مع إسرائيل طالبوا الولايات المتحدة الأمريكية أن تدعم أمن اسرائيل وسلام الشرق الأوسط"(٤٠). كما طالب المؤتمر بالاشتراك مع اللجنة اليهودية الأمريكية علنًا الرئيس الأمريكى " بإعادة تقييم للصراع فى الشرق الأوسط " مركزين على علاقة ناصر بالسوفيت ، وداعين أمريكا إلى فرض الاستقرار فى المنطقة عن طريق مفاوضات مباشرة بين إسرائيل ومصر .

على الجانب الآخر كان دلاس يبحث عن التأييد اليهودى للجهود التى تبذلها الإدارة الأمريكية لإجبار إسرائيل على سحب قواتها من سيناء ، وكان عليه أن يضع يده على زعماء اليهود الذين يمكن الاعتماد عليهم لإتمام هذه المهمة خلال الأربع وعشرين ساعة التى أعقبت الغزو بعد أن كلف البيت الأبيض الحاخام سيلفر ببعث

رسالة إلى بن جوريون. طبقا لرواية أبا إيبان ، بلغ الرئيس أيزنهاور رئيس أركانه شيرمان آدمز أنه يود أن يضيف إلى خطابه العلنى الذى سيلقيه عبر الإذاعة تعليقًا على أزمة السويس " عبارة تنم عن التقدير العميق والصداقة لإسرائيل"(٤١) وفى المقابل لم يكن مطلوبًا من بن جوريون إلا أن يسحب قواته إلى مواقعها السابقة خلف الحدود . كما لفت أيزنهاور نظر رئيس الوزراء الإسرائيلى أنه مهما كان تقديره لعلاقات بلاده مع بريطانيا وفرنسا " فالحقيقة هى أن قوة إسرائيل ومستقبلها يعتمدان على علاقتها مع أمريكا . ولما أبلغ سيلفر أبا إيبان بذلك ، طلب منه أن يبلغ ذلك فورًا وبشكل مباشر إلى بن جوريون تليفونيًا .

يشير أبا إيبان إلى مقابلته مع بلوشتاين "الذى لم ينتقد إسرائيل فيما فعلت" (٤٢) ولكنه عندما ذهب بعد ذلك إلى وول ستريت ليتحدث مع توماس ديوى ، أبلغه هذا الأخير أن البيت الأبيض قلق بسبب إصرار إسرائيل على البقاء حيث هى فى سيناء، وأن ذلك ربما يكون سببًا فى دفع السوفيت إلى التدخل. بعث بن جوريون رسالة ردًا على طلب الانسحاب تضمنت : حاجة بلاده إلى السلام وإلى وضع نهاية للهجمات الإرهابية التى تتعرض لها إسرائيل، وبإنهاء المقاطعة الاقتصادية العربيه لها، وبفتح قناة السويس أمام سفنها ، وأخيرًا بعدم إقامة أحلاف ضدها ، وقال رئيس الوزراء أيضا: إنه يود لو أن العمل العسكرى الإسرائيلى لا تنجم عنه إساءة إلى الصداقة القائمة بين الولايات المتحدة وبلده .

حتى أواخر شهر فبراير عام ١٩٥٦ كان دلاس لا يزال يبحث عن المؤيدين لموقف الإدارة الأمريكية من الغزو، ولهذا السبب طلب الاجتماع مع مجموعة صغيرة منتقاة بعناية من زعماء اليهود من بينهم كلوتزنيك ، بلوشتاين و بارانى بلابان الذى كان يشغل منصب رئيس شركة باراماونت السينمائية وأحد المؤيديين لأيزنهاور. يقول كلوتزنيك فى مذكراته: إنه عندما جلس فى حجرة مكتب دلاس ونظر حول مائدة الاجتماع لاحظ مفزوعًا " أنه لا يوجد صهيونى واحد فى الحجرة " ، والأسوأ من هذا، فى نظر زملائه من زعماء اليهود، أن مؤتمر الرؤساء أُسس فى المقام الأول ليمنع عقد مثل هذه الجلسة التى دعى إليها وزير الخارجية. أما المصيبة الكبرى فهى أنه دُعى لهذا الاجتماع ليس بصفته رئيسا لمؤتمر الرؤساء، وإنما بصفته مسئولا عن منظمة بنّاى بنرت وحتى هذه لم يُخطر المؤتمر بها .

كتب كلوتزنيك بعد هذا التاريخ بثلاثين عامًا يتساءل عن هذه اللحظة: "جلست هناك أفكر فيما سأقوله لزعماء اليهود الأمريكيين الآخرين بعد انتهاء هذا الاجتماع" واطمأن عندما رفض المجتمعون مع دلاس التخفيف من مستوى تأييدهم لإسرائيل ، من هنا كان سهلا على كلوتزنيك أن يبلغ المؤتمر أن وزير الخارجية لم يكن فى مقدوره أن يفتت جبهة القادة اليهود ، أو على الأقل من اجتمع بهم فى مكتبه فى ذلك اليوم(٤٣). فى الحقيقة كانت قيادة اليهود الأمريكيين منقسمة على نفسها بسبب الإحراج الذى أوقعتهم فيه الأعمال التى تقوم بها إسرائيل بأكثر مما كان يمكن أن تؤدى إليه المحاولات التى كان يبذلها وزير الخارجية لهذا الغرض ، خاصة وأن أزمة السويس وضعتهم فى موضع المساءلة .

خشى الرئيس الأمريكى من وقوع مواجهة مع السوفيت بسبب الوضع حول قناة السويس ، لذلك أصر على أن تنسحب إسرائيل من أرض سيناء، وإلا فرض عليها مقاطعة اقتصادية ، وأمر إلى جانب ذلك بإلغاء الإعفاء الضرائبى الذى تتمتع به منظمة النداء اليهودى الموحد أكبر جامع أموال لإسرائيل فى أمريكا. بينما كانت مطالب بن جوريون مقابل سحب قواته من سيناء مبالغ فيها ، كانت الإجراءات التى لوّحت بها أمريكا كفيلة بتقويض الاقتصاد الإسرائيلى الذى يعانى من مشاكل جمة، فى الوقت نفسه لم يكن لدى الجماعات اليهودية المنظمة مصادر القوة التى تتيح لهم أن يحصلوا من الإدارة الأمريكية على أية تنازلات لصالح إسرائيل .

عندما أتمت إسرائيل انسحابها من سيناء فى منتصف شهر مارس ١٩٥٦ كانت قضية حرمان منظمة النداء اليهودى الموحد من امتياز الإعفاء الضريبى لم تحسم بعد ، مما دفع كنن إلى الاستنجاد بزعيم الأغلبية الديمقراطية فى مجلس الشيوخ ليندون جونسون الذى نجح بعد استخدام بعض أوراقه مع أيزنهاور فى إنقاذ المنظمة. وأثبت جونسون فيما بعد أنه صديق وفىٍّ لإسرئيل ، فبينما كان دلاس يهدد إسرائيل بفرض عقوبات اقتصادية عليها كان هو يحادث أبا إيبان تليفونيًا مبديا نقمته الشديدة على أسلوب التهديدات الذى تستخدمه الإدراة الأمريكية مع إسرائيل بينما لم تحرك ساكنا عندما غزا السوفيت المجر بوحشية وأضاف قائلا " لن تحصل هذه الإدارة على أى شىء هى فى حاجة إليه من المجلس إلا بعد أن يعاملوكم المعاملة اللائقة "(٤٤) .

من جانب آخر بدا واضحاً أن العمليات التى قامت بها إسرائيل ضد قرية قبية وضد سكان قطاع غزة والأزمة التى سببتها فى السويس لم تؤثر على سمعتها لدى الشعب الأمريكى ، وكأن بن جوريون لم يقم نظريا بارتكاب أخطاء ٠ الشعب الأمريكى يعرف مدى المعاناة التى عاناها اليهود على يد هتلر ، وكانوا مبهورين بحربهم من أجل الاستقلال فى فلسطين ومعجبين بما سمعوه عن الإسرائيليين الرواد " الذين زرعوا الصحراء " ، الأغلبية من هذا الشعب بالطبع لا يعرفون الكثير عن الصهيونية ويعرفون أقل القليل مما يحدث فى إسرائيل ٠

تبدلت هذه الصورة عام ١٩٥٨ عندما صدر كتاب وصفته صحيفة النيويورك تايمز بأنه " ملخص متعمق لأسلوب معاملة اليهود غير الإنسانى فى أوروبا وهجرتهم خلال القرنين التاسع عشر والعشرين إلى فلسطين وانتصارهم لإقامة دولة إسرائيل الجديدة " وكانت بذلك تشير إلى كتاب الشتات الذى حرره ليون أوريس[٤٥]. أصبح هذا الكتاب بعد نشره مباشرة الأكثر مبيعاً والمرجع الأساسى للمعلومات عن اليهود وعن إسرائيل الذى يقتنيه الأمريكيون ، وكما لاحظ ملحق استعراض الكتب الذى تصدره صحيفة التايمز كانت الصورة مقلوبة بحدة " حيث ظهر العرب بصورة سيئة للغاية فى الكتاب ، فالأبطال هم المقاتلون اليهود بما فيهم عصابة الأرجون التى تعرضت لبعض الانتقادات لما كانت تقوم به من إرهاب .. إلا أن هذا النقد كما يقول ملحق التايمز " اتسم بالتمجيد إلى حد ما ".

أتاح كتاب الشتات مساحة كبيرة من دعاية العلاقات العامة لإسرائيل بلا ثمن ، وبعد ذلك بعامين عندما عُرض الفيلم السينمائى الذى قام ببطولته بول نيومان من إخراج أوتو برمنجر اعتماداً على ما جاء فيه توطدت سمعة إسرائيل فى الولايات المتحدة ، وأصبح اليهود فجأة مبهرين حتى إن ناقداً وصف " السابرا " بطل الفيلم بأنه واحد من سلالة طرزان الإسرائيلى ، وعندما كانت تعرض لقطة الفيلم التى يبدأ فيها عزف موسيقى النشيد الوطنى الإسرائيلى كان المشاهدون يرقصون فى ممرات قاعات العرض. ومنذ نشر كتاب الشتات بيع منه أكثر من ٢٠ مليون نسخة حتى الآن، ولا تزال صورة إسرائيل لدى الأمريكيين هى الصورة التى عرضها هذا الكتاب عنهم .

الهوامش

1. Melvin I. Urofsky, *We Are One!: American Jewry and Israel* (New York: Anchor Press/Doubleday, 1978), pp. 265–266.

2. Ibid., p. 271.

3. Ibid., p. 279.

4. *Commentary*, January–June 1949, p. 341ff.

5. Ibid., p. 523ff.

6. Urofsky, *We Are One!*, p. 267.

7. See appendix of "In Vigilant Brotherhood: The American Jewish Committee's Relationship to Palestine and Israel," American Jewish Committee Institute of Human Relations, May 1964.

8. Ibid., p. 57.

9. Seymour Leventman, "From Shtetl to Suburb," in *The Ghetto and Beyond*, ed. Peter I. Rose (New York: Random House, 1969), pp. 33–56.

10. Charles Liebman, *The Ambivalent American Jew* (Philadelphia: Jewish Publication Society, 1973).

11. See National Community Relations Advisory Council Annual and Plenary Reports for 1949 and ff.

12. Amnon Rubinstein, *The Zionist Dream Revisited: From Herzl to Gush Emunim and Back* (New York: Schocken Books, 1984); see Chapters 2 and 8.

13. Jay Y. Gonen, *A Psychohistory of Zionism* (New York: Mason/Charter Books, 1975), p. 308.

14. I. L. Kenen, *Israel's Defense Line* (Buffalo: Prometheus Books, 1981), pp. 66–67.

15. Ibid., Chapter 7.

16. Ibid., p. 68.

17. Ibid.

18. Ibid., Chapter 7.

19. Cited in Joyce and Gabriel Kolko, *The Limits of Power* (New York: Harper & Row, 1972), p. 242.

20. See Howard M. Sachar, *A History of Israel* (New York: Knopf, 1976), p. 444; also Kenen, *Israel's Defense Line*, pp. 101–102.

21. See Sara M. Averick, *U.S. Policy Toward Jerusalem the Capital of Israel*, AIPAC Papers on U.S.-Israel Relations: 6, 1984.

22. Kenen, *Israel's Defense Line*, p. 105.

23. Ibid., p. 106.

24. Stephen Green, *Taking Sides* (New York: William Morrow and Company, 1984), p. 83ff. Green cites the documents and U.N. reports on Kibya.

25. The Dulles story is part of the oral tradition of U.S.-Israeli relations. Goldmann too gave his version often in conversation and interviews. See Etta Zablocki Bick, "Ethnic Linkage and Foreign Policy: A Study of the Linkage Role of American Jews in Relations Between the United States and Israel 1956–1968," an unpublished doctoral dissertation, City University of New York, 1983, p. 218; Kenen, *Israel's Defense Line*, p. 111.

26. Interview with Israel Singer, August 20, 1984.

27. Philip M. Klutznick, *No Easy Answers* (New York: Farrar, Straus, Cudahy, 1961), p. 45; also interview with Klutznick in Chicago, April 4, 1984.

28. Livia Rokach, *Israel's Sacred Terrorism* (Belmont, Mass.: Association of Arab-American University Graduates, Inc., 1980), p. 18.

29. Green, *Taking Sides*, p. 99.

30. Maurice Orbach, *New Outlook Magazine*, Tel Aviv, October and November-December, 1974, a two-part series; also cited in Green, *Taking Sides*, p. 103.

31. Green, *Taking Sides*, p. 119.

32. *American-Israel Relations: Addresses and Statements to the Conference of Major Jewish Organizations*, March 5–6, 1955, Shoreham Hotel; in the files of the Blaustein Library of the American Jewish Committee, p. 27.

33. Memorandum from Eliezer Greenberg to Dr. John Slawson, May 23, 1955, p. 7, Blaustein Library.

34. Ibid., p. 9.

35. Rokach, *Israel's Sacred Terrorism*, *passim*.

36. Ibid., p. 16.

37. Ibid., p. 17.

38. Ibid.

39. All the details of the Lavon Affair are still not known. What is known is fairly compiled and reported in H. M. Sachar's *A History of Israel*, pp. 481 and 543ff, and in Green's *Taking Sides*, p. 107ff.

40. Abba Eban, *An Autobiography* (New York: Random House, 1977), p. 213.

41. Ibid., p. 217.

42. Ibid., p. 218.

43. Interview with Klutznick.

44. H. M. Sachar, *A History of Israel*, p. 509.

45. *New York Times*, October 13, 1958.

الفصل الثانى

تشغيل القنوات : تفعيل الضغوط من أجل كيندي وجونسون

بعد فترتين رئاسيتين للرئيس أيزنهاور كان فى معظم سنواتهما على خلاف مع الدولة اليهودية ، أدرك قادة الجماعة اليهودية الأمريكية أنهم فى حاجة إلى أن يكون الجالس في البيت الأبيض صديقًا لهم . فى عام ١٩٥٨ ظهر مرشح للانتخابات الرئاسية يبشر بكل خير، ونعنى بذلك عضو مجلس الشيوخ عن ولاية ماساشوستس الشاب جون ف . كيندى ، الذى رأى فيه قادة اليهود من ديمقراطيين وليبراليين رجلا مشاركا لهم فى آرائهم فيما يتعلق بالقضايا الداخلية و الخارجية خاصة وأن البارزين من يهود ولايته بما فيهم الصهيونى ديوى ستون ساعدوه للفوز بمقعد مجلس الشيوخ فى انتخابات عام ١٩٥٢ ضد هنرى كابوت لودج .

بالنسبة لهذا المرشح كانت هناك عدة مشاكل منها : أن سجله بالنسبة لإسرائيل غامض بعض الشىء، فهو ليس فى نفس درجة إخلاص هيوبرت هيمفرى الإيجابية، ولم يكن من نوعية ليندون جونسون، فهو لم يسارع إلى الدفاع عن إسرائيل إبان أزمة السويس . كما أنه كاثوليكى متدين حيث يصنف الكثير من اليهود أمثاله فى خانة اليمين المؤيد لمكارثى والمناهض للسامية فى الوقت نفسه . الأسوأ من ذلك مسألة تخص والده ولكنها على درجة من الحساسية، ذلك أن هذا الوالد عندما كان سفيراً لأمريكا فى بريطانيا العظمى عام ١٩٣٠ عُرف عنه أنه كان مؤيدا لسياسة نيفل تشمبرلين رئيس الوزراء البريطانى القائمة على ترضية النازيين ، ولكن الابن سرعان ما أثبت أنه أكثر تفوقا على أبيه فى الميدان الدبلوماسى .

من ناحيته ، كان كيندى منذ اللحظة التى قرر فيها أن يترشح لمنصب الرئيس الأمريكى حريصًا على كسب أصوات اليهود إلى صفه ، يقول فيليب كلوتزنيك فى

مذكراته إنه وجّه سؤالا مباشراً إلى السياسى الشاب أثناء لقاء شخصى معه عن موقفه حيال إسرائيل، وكان رده كما وصفه فيما بعد " ضبابى إلى حد كبير " وأشار كلوتزنيك أنه أبدى اهتمامًا بمشكلة اللاجئين العرب وبالمخاطر المترتبة على اشتعال حرب فى الإقليم .

تعليق كلوتزنيك على هذه الضبابية لم يكن ضبابيًا بالمرة حيث قال له " اسمع ياسينتور إذا كنت تنوى ترشيح نفسك للانتخابات الرئاسية، وهذا ما سوف تفعله ، فعليك أن لا تعتمد علىّ ولا على الكثيرين من أمثالى أيضا " . وعندما سأله كيندى ماذا يريد منه اليهود أن يقول(1) . رد عليه كلوتزنيك إن موقف أيزنهاور أثناء أزمة السويس لم يكن مرضيا، بينما كان موقف ترومان عام ١٩٤٨ موفقا .

فهم كيندى الرسالة .. فى مناسبة العيد العاشر لقيام دولة إسرائيل عام ١٩٥٨ أيد ، خلال خطاب له أمام المنظمة اليهودية ، إسرائيل وهاجم الدعاوى العربية التى ترفع شعار إن السلام فى الشرق الأوسط لن يتحقق إلا بزوال دولة إسرائيل . وكان مما قاله " لندع جانبًا القيم والآمال التى قامت من أجلها إسرائيل وجراح الماضى الأليمة التى تحاول الشفاء منها ، ونركز على أنه يعد ليًا لعنق الحقيقة القول بأن ديمقراطية إسرائيل هى المسئولة بشكل مباشر عن إذكاء روح الخلاف والشقاق فى الشرق الأدنى"(2) . وفيما بعد أرسل كيندى صورة من هذا الخطاب إلى كلوتزنيك مرفقا بها ملاحظة نصها " ما رأيك فى هذا الخطاب ؟ " .

بعد اختيار مؤتمر الحزب الديمقراطى له عام ١٩٦٠ ليكون مرشح الحزب فى الانتخابات الرئاسية ، وافق كيندى على أن يتقابل مع عدد كبير من زعماء الجماعة اليهودية بفندق بيير النيويوركى الذى به جناح لإبراهام فينبرج رجل البنوك الثرى المعروف وأحد مناصريه الكبار ٠ وطلب من المشاركين الذين كان منهم ديوى ستون وكلوتزنيك أن يجهزوا أسئلتهم قبل مجيئهم، مما جعل الحوار والنقاش يدور صريحًا وواضحًا وأن يتبادل الطرفان وجهات النظر مما أتاح لكيندى فرصة التطرق لعدد كبير من القضايا الداخلية، وأن ينفى عن والده تهمة معاداة السامية(3). وعندما أثيرت القضايا المتعلقة بإسرائيل أبدى كيندى تحفظًا ملحوظًا(4) وتحدث عن حاجة إسرائيل

وناصر للتفاوض من أجل السلام مشيراً إلى ضرورة أن تتوصل الولايات المتحدة إلى صيغة تتعايش من خلالها مع القومية العربية ، مستفسراً عن مدى استعداد إسرائيل لقبول أعداد من اللاجئين العرب مع إمكانية توطين الباقين فى الدول العربية مؤكداً للحاضرين معه فى الحجرة أن الولايات المتحدة سوف تسرع إلى نجدة إسرائيل فى حالة تعرضها لأى اعتداء .

لم يكن ما جاء على لسان كيندى هو ما كان الحاضرون يودون الاستماع إليه ، ولكنه كان كافيًا حتى إنهم قرَّبوا كلوتزنيك منه كمستشار له، وقرروا جمع مساعدات قدرها ٥٠٠ ألف دولار لدعم صندوق دعايته الانتخابية بالرغم من أن الاجتماع لم يكن مخصصا لهذا الهدف . فيما بعد ، وبحساب دقيق ، سكب كيندى بعضًا من سحر جاذبيته لخدمة اليهود ؛ ففى خطاب قوى أمام المنظمة الصهيونية الأمريكية خلال قيامه بحملته الدعائية دعم كيندى إسرائيل إبان حديثه عن الشرق الأوسط وانتهز الفرصة للرد على من قالوا بأن صغر سنه - كان عمره ٤٣ سنة آنذاك - لا يؤهله لتولى الرئاسة الأمريكية، وأشار إلى أن هرتزل كان عمره ٣٧ سنة عندما أعلن " حتمية " قيام دولة صهيونية وأضاف " الشعب اليهودى لم يجعل السن فى يوم من الأيام عائقا دون تولى القيادة منذ أن قتل داوود جالوت"(٥) .

لم يتأثر حرص كيندى على كسب مناصرة اليهود له بأن أصبح هدفًا لتعصب أعمى بغيض من جانب بعض المعادين للكاثوليكية على مستوى قادة البروتستانتية ، وساعده على ذلك انتقال تأييد الحزب النازى الأمريكى صاحب شعار " النازيون وراء نيكسون واليهود وراء كيندى " و شعار " فرنكلين روزفيلت وجون ف . كيندى يدعوان إلى صفقة يهودية " إلى معسكره بعد تخلى زعمائه عن نيكسون(٦) .

صوَّت نحو ٨٠ ٪ من اليهود الأمريكيين إلى جانب كيندى فى الانتخابات النهائية التمهيدية التى جرت فى شهر نوفمبر عام ١٩٦٠ ، وبذلك بيَّنوا بجلاء لكل من يريد أن يكسب الصوت اليهودى عبر صندوق الاقتراع أن عليه أن يؤيد القضايا التقدمية فى داخل البلاد، وأن يقدم الدعم لإسرائيل فى الخارج . قد يكون للسياسيين الأمريكيين قضاياهم الخاصة وأجندة اهتماماتهم العليا، ولكن يبقى حرصهم الأساسى أن يتم انتخابهم .

أكدت نتائج الانتخابات الرئاسية عام ١٩٦٠ للسياسيين الذين لم يفوزوا مدى حماقة أن يتجاهل المرء قوة اليهود السياسية التى ترتكز بصفة أساسية على ثلاثة مصادر ، كلها معروفة على مستوى جيد لكن لاتتم مناقشتها بحذر .

أولها : السلاح السياسى الذى يستخدم كبديل أخير لا مفر منه ، وهو يعد من أقوى الأسلحة التى يسىء استخدامها اليهود المتشددون ٠ ويمكن لليهود أن يشهروه فى وجه من ينتقدونهم أو ينتقدون إسرائيل بالادعاء عليهم أنهم " معادون لإسرائيل " " مؤيدون للعرب " أو بانتقاد أسوأ من ذلك : " معادون للسامية " (أما إذا حدث وكان المنشق/ المنتقَد يهودياً فيوصف بأنه يهودى كاره لذاته) . وليس من بين السياسيين من يرضى بأن يوصف بأنه " معاد للسامية " بخاصة هؤلاء السياسيون الذين هم كذلك .

السلاح الثانى : أن اليهود الأمريكيين يمثلون وزناً سياسياً لأنهم ببساطة مهتمون بالعملية الانتخابية . فى أمريكا ذلك البلد الديمقراطى العظيم تحرص قلة فقط من الأمريكيين على التمتع بحقها الانتخابى ، وفى الحقيقة لم يذهب ٥٠ ٪ ممن لهم حق التصويت للإدلاء بأصواتهم أبدا . الستة ملايين يهودى أمريكى لا يمثلون سوى ٣ ٪ من تعداد السكان، وبالرغم من ذلك ضاعفوا من قوتهم السياسية عند صناديق الاقتراع بأن يذهب ٩٠ ٪ منهم للمشاركة فيها ٠ فمثلا، من المعروف أن انتخابات الولاية وانتخابات الكونجرس غالبا ما تتراوح نسبة حسمها ما بين ٥ ٪ و١٠ ٪ لصالح هذا المرشح أو ذاك ، ولما كان اليهود يسكنون تقليدياً فى مناطق مدنية واسعة لذلك أصبحت أصواتهم فى بعض الأحيان قادرة على ترجيح كفة مرشح على آخر. وهذا ما حدث فى المعركة الانتخابية التى كان يتنافس فيها كيندى ضد نيكسون(*) .

(*) يبدو أن هناك مبالغة فى إعطاء أهمية لأصوات اليهود الانتخابية على مستوى الانتخابات الرئاسية ، فى ضوء دراسة نشرها م . س . أزهرى بعنوان " تكاتف اليهود الأمريكيين حيال السياسة الأمريكية " (دار لانهام للنشر / مطبعة جامعة أمريكا عام ١٩٨٠) يقول إن اليهود بعد عام ١٩٦٠ لم يلعبوا دورا مؤثرا كصانعين للرؤساء الأمريكيين إلى إن جاءت المعركة التى هزم فيها جيمى كارتر منافسه جيرالد فورد عام ١٩٧٦ ، أما الأغلبية الساحقة التى أعادت انتخاب رونالد ريجان فى عام ١٩٨٤ فلم تتضمن سوى ثلث أصوات اليهود فقط .

أما ثالث مصادر هذه القوة السياسية فيرجع إلى الأموال التى تقدمها الجماعة اليهودية لدعم الحملات السياسية الانتخابية ، ومن المعروف أن أهمية المال فى الانتخابات الأمريكية مسألة قديمة قدم الجمهورية الأمريكية ذاتها . ففى أواخر عقد التسعينيات من القرن الثامن عشر ترتب على امتناع البنوك الاتحادية عن إقراض عدد من الديمقراطيين لشراء ممتلكات ، حرمانهم من حق التصويت مما دفع آرون بور إلى تأسيس بنك مناهض للاتحاديين قام بمدِّهم بما يحتاجون إليه من أموال(٧). وبعد مائة عام تقريبا من هذا التاريخ استطاع مارك حنا رجل الأعمال السيىء السمعة بولاية أوهايو وزعيم الحزب الجمهورى ، إبّان حملة الانتخابات الرئاسية لعام ١٨٩٦ ، أن يجمع الجزء الأكبر من تكاليف الحملة الدعائية لمرشح الرئاسة ماكنلى التى قُدرت ب ٧ ملايين دولار من الشركات الكبرى المنتشرة فى الولايات الأمريكية، والتى كانت حريصة كل الحرص على الإبقاء على تعريفات الحماية التى تتمتع بها خوفا من أن يؤثر إلغاؤها على أسعار منتجاتها .

يقرر ستيفن إيزاك فى كتابه " اليهود والسياسة الأمريكية " أن إبراهام فينبرج رجل البنوك " كان أول يهودى يقوم بجمع المال لخدمة السياسات الوطنية"(٨) وهوالذى جمع فيما بعد أموال الحملة الانتخابية لهارى ترومان ، وكان من أكبر المناصرين السياسيين لجون كيندى .

الدعم الأكثر أهمية للحملات السياسية وقع فى الأيام المبكرة التى يطلقون عليها " أيام بذر النقود " خاصة للمرشح غير المعروف ، المهم فى الأمر أن الشركات الممولة لا تقدم تبرعاتها من باب الصداقة أو كتقدير عاطفى للمحبوبين من المرشحين، ولكنها تؤجل خطوتها هذه حتى تتبين من هو صاحب الفرصة الأكبر للفوز. وقد عُرف عن اليهود الأمريكيين أنهم على استعداد لأن يموِّلوا بسخاء المرشح الذى يعتقدون أنه سيدعم مصالحهم ، وإذا فاز واحد من غير المأمول فيهم فسيكون حريصًا على رد الجميل لهؤلاء الذين قدموا له الدعم منذ بداية الطريق عندما كان محتاجًا للمال بشدة . يقول ديموقراطى ذو خبرة طويلة فى جمع التبرعات "لا أحد يستطيع أن يتصور مدى تقدير السياسى للأموال التى تصله فى بداية المعركة"(٩) .

التبرع بالمال وبذله يحتل مكانة مبجلة وراسخة فى الديانة اليهودية ، وفى العصور الوسطى طلبت بعض الدول من اليهود أن يدعموا احتياجات الفقراء من أبنائها، ومن هنا أصبح تقديم الأموال واجبًا ثم تحول إلى سبب من أسباب التفاخر وتعزيز المكانة . فى روسيا مثلا كان كل مبنى من مبانى الإيواء يخصص صندوقًا صغيراً تضع فيه كل أسرة بنسا أو بنسين لمساعدة الأسر الأكثر سوءا من حالتها ، أما فى أمريكا فانتشرت الأعمال الخيرية الإنسانية التى تقوم بها المنظمات القومية والمحلية خصصيًا لمساعدة فقراء المهاجرين اليهود ولحماية الجماعة من أساليب مناهضة السامية. ومن هنا لم يكن مستغربًا أن تسهم أموال الجمعيات الخيرية الأمريكية والأوروبية فى تأسيس المستوطنات الصهيونية الأولى فى فلسطين .

فى أمريكا لم يسيطر الحاخامات أو المثقفون على حركة الجماعة اليهودية، وإنما سيطر عليها رجال الأعمال ، وكان مطلوبًا من كل يهودى لديه تطلعات اجتماعية أن يثبت كرمه. وإذا استقر المبدأ أصبح من السهل سيكلوجيًا أن تتحول أموال التبرعات من خانة دعم الخدمات الاجتماعية لليهود إلى خانة دعم الحملات الانتخابية للسياسيين الذين من الممكن أن يضمنوا فى المستقبل توفير الدعم الرسمى للخدمات الاجتماعية . لهذا السبب أسس اليهود فى كل مدينة لها وزنها " اتحادات " للجمعيات الخيرية اليهوديه تقوم فيما بينها بتنسيق التبرعات ، وسرعان ما أصبح الماهرون فى مجال جمع التبرعات هم قادة الجماعة اليهودية كما أصبحوا هم أكثر المانحين للأموال وأكثر القادرين على جمعها لصالح المرشحين السياسيين .

وقف اليهود إلى جانب جون ف. كيندى حتى فاز بالانتخابات الرئاسية ، وأظهر الرجل أنه يحفظ لهم جميلهم ، ففى نهاية أول اجتماع له مع بن جوريون فى ربيع عام ١٩٦١ بفندق والدروف أوستريا بنيويورك التفت الرئيس كيندى إلى زعيم إسرائيل وقال له " أنا أعرف أن فوزى يرجع إلى أصوات اليهود الأمريكيين. إننى مدين لهم بانتخابى ، قل لى ماذا يمكن أن أفعل من أجل الشعب اليهودى ؟ يقول ميكل بار زوهار راوى سيرة بن جوريون: إن رئيس وزراء إسرائيل نظر ناحية الرئيس الشاب الذى أربكته صراحته المذهلة وقال له متجنبًا السؤال الذى طرحه " عليك أن تفعل الأفضل للعالم الحر". فيما بعد وفى جلسة خاصة تهجَّم بن جوريون ، أو الرجل العجوز كما كان يطلق

عليه مستشاروه المقربون ، على أسلوب كيندى فى التقرب إليه ، وتساءل " أى نوعية من السياسيين هذا الرجل"(١٠) .. أما كيندى فكان بحكم ما تربى عليه فى المدارس ، وصفة الكرم التى تعود عليها مع أصدقائه فى جامعة بوسطن ، يعبر ببساطة أمام ضيفه عن تقديره الشخصى لليهود .

أما على مستوى زعماء اليهود الأمريكيين فيمكن القول إن فوز كيندى كان بالنسبة لهم جائزة مرضية ، لأنه هيأ لهم استعادة نوعية التأثير الدبلوماسى الذى حظوا به على أيام ترومان. كانت تربط الرئيس علاقة شخصية مع العديد من الشخصيات اليهودية المتألقة، وإلى جانب إبقائه فينبرج فى منصبه كمستشار له عيّن كلوتزنيك نائبًا لأدلاى ستيفنسون مندوب أمريكا فى الأمم المتحدة ، واختار المحامى ماير فيلدمان الذى كان أحد معاونيه فى حملتة الانتخابية ليكون مساعداً للرئيس لشئون العلاقات الداخلية (وهو المنصب الذى كان ولا يزال يمثل حلقة الوصل بين البيت الأبيض والجماعة اليهودية الأمريكية) .

فى نهاية الأمر بدت تعيينات رجال إسرائيل فى البيت الأبيض إلى جانب جهود الدعم القوية التى أرساها كنن فى الكونجرس ، كما لو أنها مجموعة من الضمانات اللازمة ضد تيار كراهية إسرائيل الذى كان يمثلها كل من أيزنهاور ودلاس . هكذا كان يرى قادة اليهود فى أمريكا الصورة، أما بن جوريون فكان له رأى آخر .

خلال اجتماعهما فى ربيع عام ١٩٦١ سأل الرئيس كيندى رئيس الوزراء الإسرائيلى عما خططه حيال اللاجئين العرب سواء منهم من نزح من فلسطين إبان الحرب العربية الإسرائيلية عام ٤٨ / ١٩٤٩ أو الذين طُردوا منها ، وبينما كان بن جوريون يحاول تغيير موضوع الحديث ظل كيندى يكرر سؤاله .

عندما استقر فى البيت الابيض ، أدرك الرئيس الأمريكى أن أسرع وسيلة يترك بها بصمته فوق صفحة أحداث العالم وداخل صفحات التاريخ مرتبطة بميدان السياسية الخارجية .. ولما كان الصراع العربى الإسرائيلى منذ الخمسينيات يمثل هدفا رئيسيا لكل إدارة أمريكية ، اعتقد كيندى أنه فى مقدوره المشاركة فى صنع السلام فى الشرق الأوسط . وكانت الفكرة بسيطة للغاية : كل المطلوب أن يتم إقناع

إسرائيل بتعويض اللاجئين أو إفساح المجال لعدد منهم للعودة، وهذا من شأنه أن يشجع الدول العربية على توطين الباقين منهم لديها ، وكان كيندى يعلم أن إسرائيل سوف تقاوم هذه الفكرة وسوف يدعمها فى موقفها هذا مؤيدوها داخل أمريكا .

كان كيندى يعتقد، فى ضوء الدعم اليهودى الذى تلقّاه عبر تجربة صناديق الاقتراع، أن اليهود ليس لهم مكان يذهبون إليه غير الحزب الديمقراطى ، لذلك رأى أنه إذا تحرك بسرعة لتنفيذ فكرة حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين فسيكون فى استطاعته مقاومة أى نقد يتعرض له فى سعيه لكسب صداقة العرب .

كان الرئيس مخطئا ، لأن إستراتيجيته كما جسّدها مشروع جونسون(*)، الذى اقترح تخيير اللاجئين العرب بين العودة إلى منازلهم داخل ما يُعرف الآن بإسرائيل، أو إعادة تسكينهم فى أماكن أخرى داخلها أوتعويضهم إذا تم توطينهم فى البلاد العربية التى يعيشون فيها الآن أو فى أى مكان آخر من العالم ، كان محكوماً عليها بالإخفاق منذ جرى الحديث حولها • فقبل أن يتم الاعلام رسمياً عن المشروع أبلغ الإسرائيليون اللجنة اليهودية الأمريكية أنهم يعارضون مبادرة كيندى العربية ، فى الوقت نفسه كان مؤتمر الرؤساء يعمل من وراء ستار لإعاقة الطريق أمام أية خطوات قد يكون فيها إجبار لإسرائيل على إعادة توطين اللاجئين العرب . وكما تقول إيتا زابلوكى بيك فى تحليلها للعلاقات الأمريكية الإسرائيلية بين عامى ٥٦ و ١٩٦٨ "تعاون قادة اليهود الأمريكيون مع المسئولين الإسرائيليين طوال الثمانية عشر شهراً التالية للحيلولة دون تبنى الإدارة الأمريكية لأى مشروع يخص اللاجئين العرب ويأتى متعارضاً مع مصالح إسرائيل"(١١) .

نُشرت خطة جونسون على الملأ قبل نهاية عام ١٩٦٢ وأعلنت إسرائيل من جانبها رفض التنازل عن أى حق لها فى الإشراف على أعداد اللاجئين العرب الذين يسمح لهم باجتياز الحدود إلى داخلها ، واحتجت بأن أى دولة ذات سيادة لا يمكن أن تُجبَر على إدخال أى شخص إلى أراضيها بدون موافقتها، وأضافت إلى جملة اعتراضاتها أن

(*) عُرف المشروع بهذا الاسم بعد أن كُلف جوزيف جونسون رئيس هيئة كارينجى للسلام الدولى بإعداد تقرير مفصلٍ حول هذه الاستراتيجية .

المشروع برمَّته يضعها تحت رحمة القادة العرب الذين من السهل عليهم أن يشجعوا العدد الأكبر من اللاجئين على اختيار الاستقرار فى إسرائيل مما تخشى معه أن يؤدى إلى خلق طابور خامس فى استطاعته التآمر لتدميرها من الداخل .

أوضح بن جوريون وجهات نظره، التى يتوقع أن ينشر مضمونها بين قادة اليهود الأمريكيين ، فى رسالة بعَث بها إلى سفير بلاده فى واشنطن قال فيها " إسرائيل تنظر إلى هذه الخطة على اعتبار أنها تمثل خطراً شديدا على وجودها أكثر من التهديدات التى يمثلها حكام العرب الديكتاتوريون والملوك وأكثر مما تمثله الجيوش العربية وأكثر مما تمثله صواريخ ناصر وطائرات الميج السوفيتية التى يمتلكها ، وسوف تحارب إسرائيل هذا المشروع حتى آخر رجل"(١٢) .

لم يكن من بين قادة اليهود الأمريكيين من هو على استعداد لإنكار الحجة التى طرحها رئيس الوزراء الإسرائيلى ، إلا أن الرئيس الأمريكى كان يحدوه أمل باهت أن يتمكن من شراء تعاون بن جوريون لأجل تنفيذ خطة مشروع جونسون عن طريق إقراض إسرائيل ٢٣ مليون دولار هى فى أمسّ الحاجة إليها للحصول على نظام صواريخ هوك الموجهة لتوفير الحماية لها ضد قاذفات الطائرات المصرية .

فى هذا التوقيت كانت انتخابات الكونجرس على الأبواب، وانتشرت فى الأجواء القريبة تهديدات بوقف أى تبرعات مالية للمرشحين الديمقراطيين فى كل أنحاء الولايات الأمريكية. من ناحية أخرى رفض العرب خطة جونسون باعتبارها خديعة أكثر تحيّزًا لإسرائيل تعطيها مبررات الخلاص من القضية الفلسطينية ، ولما كان الرئيس الأمريكى من السياسيين البارعين الذين يعرفون متى يتوقفون ، فقد قرر طىّ أوارق هذه الخطة إلى الأبد .

ما حدث يعد مثالا نموذجيا لحجم الخطأ الذى يمكن أن يرتكبه رئيس أمريكى عند محاولة تقدير مدى إصرار حكومة إسرائيل والجماعة الأمريكية اليهودية على التصدى لأى إجراءات يكون من الواضح أنها ضد مصالح إسرائيل بغض النظر عن تمسك البيت الأبيض بأنها تصب فى صالح الولايات المتحدة الأمريكية .

لكن من الذى يحدد بدقة مصالح إسرائيل ؟ هل هم قادتها فقط ؟

قامت دولة إسرائيل على أكتاف المنظمة الصهيونية العالمية لكل يهود العالم أينما كانوا ، من هنا يؤمن اليهود فى الشتات أنه لا يزال لهم دور يمكن أن يلعبوه فى كل ما يتصل بتكوين دولة إسرائيل. لذلك اعتبر بعض الأمريكيين الصهيونيين أن بن جوريون وقادة اليهود الأمريكيين اللاصهيونيين الذين كانوا يسيطرون على حياة اليهود فى الولايات المتحدة الأمريكية جعلوا دورهم هامشيًا بالنسبة لإسرائيل. وعندما نُشر كتاب "الانشقاق الأبدى" الذى طالب مؤلفه الحاخام الإصلاحى والصهيونى الغيور ديفيد بولش يهود أمريكا أن يبرروا سبب عدم هجرتهم إلى إسرائيل بأن يبرهنوا أن ليهود الشتات دور يجب أن يقوموا به للمساعدة فى تكوين دولة اليهود الجديدة[١٣]، أثار جدلاً واسعًا حول علاقة اليهود الأمريكيين بإسرائيل بين القادة اليهود والمثقفين .

كان هناك بعض التعاطف على مستوى قمة الحركة الصهيونية نحو قيام دور قوى ليهود الشتات فيما يتعلق بمستقبل دولة اليهود الجديدة ، إلا أن هذه الدعوة "لمشاركة" حقيقية بين اليهود الذين يعيشون فى إسرائيل واليهود الذين يعيشون خارجها كان لها عدو عنيد هو بن جوريون، الذى ظل متمسكا بأن من يريد أن يكون له دور مؤثر فى سياسة إسرائيل عليه أن يهاجر إليها ، لذلك قرر يهود أمريكا أن يتركوا شئونها السياسية لقادتها .

بعد فترة وجيزة من اغتيال كيندى فى شهر نوفمبر عام ١٩٦٣ قال الرئيس ليندون جونسون لدبلوماسى إسرائيلى "لقد فقدتم صديقا عظيما ولكنكم وجدتم من هو خير منه" ، بَرَّ الرئيس الأمريكى بوعده، ولكنه لم يكن صدَيقا أفضل من سابقه فقط، بل كان أفضل أصدقاء إسرائيل الذين جلسوا فى البيت الأبيض[١٤] .

فيما يبدو كان ليندون جونسون مبهوراً بالإسرائيليين ؛ فقد كان يسعده أن يقول أمام مستمعيه من اليهود "إن ديانتى المسيحية انبثقت من دينكم"[١٥] وأن يشير إلى التشابه بين رواد اليهود الأوائل الذين كانوا يبنون بيوتهم فى الصحراء وبين ظروف الحياة الزراعية الشديدة القسوة التى عاشتها عائلته على تلال القرية بامتداد نهر باديرنالز بولاية تكساس .

لم يكن الرئيس جونسون الديمقراطي الآتي من تكساس خبيراً بالسياسة الخارجية ، وكان الأمر بالنسبة له يعتمد على العلاقات الشخصية فى المقام الأول، فهى لا تخرج فى رأيه عن كونها أصدقاء واتصالات ، لذلك لم يكن غريبًا أن يستقى معلوماته فى السياسة الخارجية من أصدقائه ومن هم على صلة وثيقة به. كان من بين أقدم أصدقائه يهود ومؤيدون مخلصون لإسرائيل مثل جيمس نوفى أمين صندوق أول حملة انتخابية ناجحة قادته إلى مجلس الشيوخ، وهو ينتمى إلى عائلة يهودية قديمة تعيش فى تكساس، وكان ضيفًا دائما بالبيت الأبيض[١٦] ، ومنهم صديق آخر قديم هو أبى فورتاس المحامى الشهير بواشنطن الذى عمل لفترة مستشاراً لجونسون وعيَّنه فيما بعد بالمحكمة العليا، ومنهم آرثر جولدبرج الذى كان قاضيا بالمحكمة العليا وألحقه بعد ذلك بالأمم المتحدة. أما مستشاره للأمن القومى فكان والت روستو الذى كان أخوه الأكبر يوجين يحتل منصب الرجل الثالث فى وزارة الخارجية إلى جانب جون روش المؤرخ الملازم لجونسون كظله ، وكان كل هؤلاء مؤيدين تواقين لخدمة إسرائيل. من ناحية أخرى كان هناك أبى فينبرج الذى كان معاونا قريبا من جونسون وكذلك كانت وضعية آرثر كريم رئيس شركة الفنانين المتحدين ومن كبار جامعى الأموال للحزب الديمقراطى (كانت زوجته ماتيلدا الحاصلة على درجة الدكتوراه فى علم الوراثه قد عملت لفترة باحثة فى الأمراض السرطانية بمعهد وايزمان، وتحولت من المسيحية إلى اليهودية وتزوجت من مقاتل من أعضاء عصابة الأرجون مما أتاح لها الفرصة خلال الحرب الإسرائيلية الأولى مع العرب أن تعمل مع هذه العصابة، وفيما بعد استقرت بالولايات المتحدة بعد زواجها من كريم هذا)[١٧] الذى كان هو وزوجته ضيفين دائمين على البيت الأبيض مع إيفرايم إيفرون (أو إبى كما كان يُطلق عليه) الذى كان يحتل منصبا رفيعًا بالسفارة الإسرائيلية ويعد أقرب العاملين بها إلى قلب ونمط حياة الرئيس الأمريكى .

يمكن للمرء أن يذهب بعيداً إلى حد القول إن ليندون جونسون تعلَّم كل ما عرفه عن الشرق الأوسط من الإسرائيليين (أو ما كان عليه أن يعرفه من خلال وجهات النظر الإسرائيلية). فى سيرته الذاتية يصف أبا إيبان أول مقابلة له مع جونسون عندما كان رئيسًا للأغلبية الديمقراطية بمجلس الشيوخ عام ١٩٥٢ قائلا "حين حضر ليندون ب.

جونسون إلى مقر سكنى فى واشنطن لأول مرة بصحبة صديق من هيوستون هو جيم نوفى عام ١٩٥٢ فى محاولة منه للحصول على كل ما هو مهم وأساسى حول إسرائيل فى أسرع وقت ممكن ، شعرت بعد أن قدم جيم كلاً منا للآخر، فى تلك الأيام المبكرة ، أنه يحاول التعرف على الأمور التى تهمنا بتردد لأن عقله وقلبه كانا متجهين فى ذلك الوقت صوب القوى التى تشكل المجتمع الأمريكى"(١٨) .

ليس هناك أى دليل على أن ليندون جونسون رئيس الأغلبية الديمقراطية فى عام ١٩٥٢ زار مقر سكن السفير السعودى أو السفير المصرى فى واشنطن، ولكنه بعد فترة وجيزة من استقراره كان أول رئيس أمريكى يستقبل رئيس وزراء إسرائيل رسمياً فى البيت الأبيض .. وطبقًا لما كتبه أبا إيبان تعليقا على هذه المقابلة " أسس ليندون ب. جونسون مع أشكول رئيس وزراء إسرائيل علاقة ودية متينة لم يسبق لها أن كانت موجودة من قبل بين رؤساء أمريكا ورؤساء حكومة إسرائيل الذين لم يعد مطلوباً منهم بعد الآن ان يستخدموا الأبواب الخلفية للوصول إلى مركز صنع السياسة الأمريكية " .

الحقيقة التى لا يمكن إنكارها أن أبا إيبان سفير إسرائيل فى أمريكا أصبح هو الزعيم الحقيقى للجماعة اليهودية الأمريكية ، وأصبح قادة اليهود يتقابلون مع رجال الإدارة الأمريكية الرسميين دون أن تزودهم السفارة الإسرائيلية بما يجب أن يقال كما كان يحدث فى السابق. وحول طبيعة ما كانت تزود به السفارة قادة اليهود الأمريكيين، دلل دبلوماسى إسرائيلى سابق لأحد المتحاورين معه على ذلك بالإشارة إلى الاجتماع الذى جرى بين السفير الإسرائيلى وأعضاء مؤتمر الرؤساء فى منتصف الستينيات "تسألنى عن نوعية الرسالة التى طلب السفير منهم إبلاغها إلى رجال الإدارة الأمريكية ؟ إن العرب أقوياء ويواصلون بناء قوتهم العسكرية، وإسرائيل ضعيفة لأنها لا تحصل على الأسلحة التى تحتاج إليها. وقد تصرّف قادة اليهود بمنتهى التعاطف ووعدوا السفير قائلين: سوف نحاول تقديم المساعدة لك. ولكن ماذا يعنى هذا الوعد ؟ هل فى مقدورهم الحديث بمستوى الذكاء المطلوب مع أى مسئول فى وزارة الخارجية حول مسألة ضرورة بيع أسلحة إلى إسرائيل ؟ فى الحقيقة لم يكونوا على علم كاف بقضية بيع الأسلحة إلى إسرائيل ، لذلك قررنا أن يكون حديثنا حول هذه المسألة مبسطاً مما جعلهم يدركون مدى أهمية المطلوب منهم."(١٩) .

من الطبيعي إذن أنه إذا حدث واجتمع يهودى أمريكى مع واحد من موظفى الحكومة الرسميين دون أن يطلع السفارة الإسرائيلية بنيته هذه أن تسارع السفارة إلى الاتصال به لتبلغه أنها على علم بما تم. وقد اعترف لى العديد من القادة الذين حاورتهم استقصاء لمادة هذا الكتاب أنهم أصيبوا بخيبة أمل عندما اكتشفوا أنه ليس فى مقدورهم مناقشة أى مسألة مع مسئول أمريكى دون أن تتدخل السفارة فى الموضوع ، وفى الوقت نفسه أبدوا لى تقديرهم لشبكة المخابرات الإسرائيلية التى كان فى مقدورها أن تعرف بسرعة قياسية مَن من اليهود قابل مَن من الموظفين الأمريكيين .

فى هذا السياق قال وليم ويكسلر الرئيس السابق لمؤتمر الرؤساء بصراحة للباحثة الإسرائيلية إيتا زابولسكى بيك إنه كان يتقابل مع السفير الإسرائيلى مرة كل أسبوع خلال فترة السنتين اللتين تولى فيهما رئاسة المؤتمر، وإنه سافر إلى إسرائيل ما بين ست إلى تسع مرات كل سنة لمناقشة أساليب توفير الدعم اليهودى لها فى أمريكا مع رئيس وزرائها ومعاونيه. وقال ويكسلر أيضا "لقد استخدمت إمكانيات الجماعة اليهودية الأمريكية (لخدمة إسرائيل) وكان لا بد أن تستخدم ويجب أن يتواصل هذا الاستخدام فى الاتجاه الصحيح لمعنى الكلمة ، ولا يصح أن يتصرف أى فرد منهم (يهود أمريكا) من تلقاء نفسه أويقوم بأعمال دون أن تكون لديه تعليمات واضحة (بما يجب عليه عمله) والمكان الوحيد الذى يمكن أن يصدر هذه التعليمات بدقة هو إسرائيل"[٢٠]. وهكذا "استخدمت" إسرائيل الجماعة اليهودية الأمريكية كوكالة كبيرة للعلاقات العامة من بين مهامها تنظيم المظاهرات المؤيدة لإسرائيل وإعداد منشورات الدعاية إلى جانب إغراق هيئة الأمم المتحدة والبيت الأبيض وأعضاء الكونجرس بسيل من البرقيات .

عندما أبدى قيادى يهودى مرموق تحفظاته لنائب وزير بالقنصلية الإسرائيلية فى نيويورك تجاه هذا الأسلوب سواء من ناحية صحة العمل به أو المخاطر التى تكتنفه وبالذات ما يتعلق بنظام تزويد القادة اليهود بما يقولونه أثناء مقابلتهم مع المسئولين الأمريكيين - وزارة الخارجية الأمريكية كانت بكل تأكيد على علم بأن هؤلاء القادة يلتزمون بخط حكومة إسرائيل - رد عليه الدبلوماسى الإسرائيلى قائلا "بكل تأكيد هم يعرفون ذلك ، ومن جانبنا نريدهم أن يعرفوا أننا نعرف أنهم يعرفون، نود أن يعرف الأمريكيون أننا قادرون على فتح القنوات وقتما نشاء"[٢١] .

ولكن هل هذا ما كانت الجماعة اليهودية فى أمريكا تريد أن تقوم به. أن تتحول إلى مدافع عن إسرائيل وإلى قناة تفتحها السفارة الإسرائيلية فى واشنطن وتغلقها كيفما تشاء ؟ وماذا عن حياتهم هم كيهود ؟ لم يفكر فيهم أحد كأمريكيين ناجحين!!

فى منتصف الستينيات بزغ اليهود فوق سطح الحياة الأمريكية ، لقد بدا واضحاً أن نجاح الأمة الأمريكية يعتمد على المهاجرين إليها ، وكان اليهودهم الأكثر نجاحاً على مستوى جيمع الجاليات الأخرى. فى عام ١٩٦٥ كان الدخل السنوى لنصف العائلات اليهودية تقريبا ما بين ٧٫٥٠٠ و١٥٠٠٠ دولار مقارنة ب ٢٥ ٪ فقط من الأسر الأمريكية التى كانت تحصل على الدخل نفسه. ومن ناحية أخرى بلغت نسبة اليهود الذين يقومون بأعمال إدارية وفنية لها جاذبيتها ثلاثة أضعاف المعدل على مستوى الولايات الأمريكية كلها. وكان تفوق أبناء اليهود مثيراً للإعجاب على مستوى أفضل الكليات والجامعات الأمريكية ومعاهدها الفنية[٢٢]. كما أثر سياسيوهم المفوهون من خلال خطبهم فى التقاليد المسيحية التى تلتزم بها الحياة الأمريكية ، لذلك لم يكن غريباً أن تبدو مظاهر معاداة السامية من بقايا الماضى الاجتماعى غير السوى، يؤكد ذلك نتائج استفتاء جرى عام ١٩٦٢ حيث قال ١٪ فقط ممن شاركوا فيه إنهم يعتبرون اليهود مصدر تهديد لأمريكا.

وبالرغم من ذلك عكست هذه الصورة المبهجة قلقاً من زاوية أخرى حيث نسب بعض اليهود فشلهم إلى كونهم يهوداً !! فنسبة الزواج المختلط كانت متدنية إذ لم تتعد ٣٠٪. حتى المعابد اليهودية التى انتشرت فى كل الولايات بدا دورها الاجتماعى أكثر وضوحاً من دورها الروحانى أو التوراتى. وبحلول عام ١٩٦٦ عاد الجدل مرة أخرى حول مدى إمكانية أن تكون هناك حياة يهودية غنية فى الشتات حتى إن البعض أخذ يتساءل عن إمكانية أن يدمر التزام اليهود الأمريكيين العاطفى بإسرائيل مستقبل الجماعة اليهودية الأمريكية نفسها، فمعظم طاقة الجماعة وأموالها يتم ضخها تباعاً إلى إسرائيل فى الوقت الذى كانت مؤسسات اليهود فى أمريكا خاصة تلك التى تهتم بالتعليم اليهودى متآكلة وتعانى من الفاقة .

فى العام نفسه ظهر كتاب "نظرة أخرى إلى صهيون" الذى ألفه جاكوب بيتوتشوويسكى منتقدا هيمنة إسرائيل على يهود أمريكا مؤكداً أنها تهدد كرامتهم واستمرار وجودهم. ولم يكتف بيتوتشوويسكى بذلك، بل أثار مخاوف حيال مستقبل الجماعة التى كانت توجهها إسرائيل وتتجاهل فى الوقت نفسه العواقب السياسية الوخيمة للأعمال الخيرية والإنسانية التى يرسلونها إليها مثل الهبات المعفاة من الضرائب التى يعرف غالبية اليهود أنها تذهب مباشرة إلى ميزانية إسرائيل وأنها تستخدم فى الأغراض التى تحددها هى.(٢٣)

وبصرف النظر عما كان يمكن أن يترتب على هذه الآراء التى تحمل فى طياتها بعض النبوءات لم يلتفت إليها إلا القلة ، فى الوقت الذى واصل فيه الإسرائيليون استعطافهم ليهود أمريكا ودأبهم على تحفيز الجهود لإضعاف شرعية الحركات الإصلاحية والمحافظة التى تهيمن على الجماعة اليهودية الأمريكية برغم حاجتهم (الإسرائيليين) إلى دعم الجماعة المالى والسياسى كما هو معروف .

ظل الاعتقاد قوياً بين قادة إسرائيل بأن اليهودى الحقيقى هو اليهودى الصهيونى، وأن كل الصهاينة ينتمون إلى إسرائيل ، فى حين تمسك بعض قادة اليهود، وبالذات ناحوم جولدمان، بأنه لا يجب على يهود الشتات أن يخافوا من عواقب انتقادهم لسياسة إسرائيل. وزاد تشدد الإسرائيليين بأن إسرائيل بلدهم هم وأنها تدار بطريقة ديمقراطية، وعلى من يريد من اليهود الأمريكيين أن يشارك فى إدارة شئونها أن يهاجر إليها .

مرة أخرى عاد السؤال إلى الساحة من جديد. ما الصلة بين اليهود فى الشتات وإسرائيل ، وقد تضمن عدم ارتياح بعض اليهود أن يقتصر دورهم فقط على الموافقة على كل ما تتخذه إسرائيل من قرارات على بادرة ذات مغزى إذ إن إعادة النظر فى تقسيم الأمور بين الطرفين تدل على بلوغ اليهود الأمريكيين مرحلة من النضج كأمريكيين وكيهود فى الوقت نفسه .

فى الشرق الأوسط بلغت الأحداث مرحلة جعلت مثل هذا البحث عن الذات أمراً غير مجدٍ بالمرة ، فقد تعثرت جهود الولايات المتحده منذ أزمة السويس لبث عوامل

الاستقرار في الإقليم، وكذلك محاولاتها وقف تسرب النفوذ السوفيتي بين الدول العربية وبالأخص إلى مصر الناصرية بسبب عناد زعيمها المتزايد. ومع تزايد العداء العربى تجاه إسرائيل - تأسست منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٤ - وتزايد التأييد السوفيتي لتحقيق حلم الوحدة العربية، بدا أن مصالح الولايات والمتحدة وإسرائيل أكثر تطابقا، وأصبحت الدولة الصغيرة تمثل أكثر فأكثر مقياسًا إستراتيجيًا إضافيًا لسياسة أمركيا فى الشرق الأوسط .

احتفلت إسرائيل بالذكرى التاسعة لقيامها يوم ١٤ مايو عام ١٩٦٧ وسط تهديدات بالحرب، حيث أعلن ناصر فى اليوم نفسه وبشكل مفاجئ وضع قواته المسلحة فى حالة "الاستعداد القصوى" وقام بإرسال فرقه العسكرية إلى داخل سيناء. وخلال أسبوع من هذا التاريخ طلب ناصر من الأمم المتحدة سحب قوة الطوارئ الدولية من فوق الأراضى المصرية ومن قطاع غزة، وقام بإغلاق خليج العقبة ومضيق تيران أمام السفن الإسرائيلية ، بالرغم مما أبدته أمريكا من معارضة لمثل هذا الحصار .

فى هذه الأثناء أعدت وزارة الخارجية مسودة حديث للرئيس جونسون لكى يلقيه تعليقًا على الأحداث التى يمر بها الشرق الأوسط ، تسرب نصه إلى السفارة الإسرائيلية وسرعان ما بدأت المكالمات الهاتفية تنهمر على البيت الأبيض من الزعماء اليهود. المفاجأة أنه عندما قام "رجلهم" بتسريب النص لم يكن على علم بأن الرئيس دفع بمسودة الحديث إلى معاونه جون روش الموالى لإسرائيل لإعادة صياغته ، فما كان من هذا الأخير إلا أن أعد له نصًا عنيفا يندد بالحصار الذى فرضته مصر باعتبار أنه "غير قانونى" "يحمل فى طياته كارثة ضد جهود السلام"(٢٤). ويقول روش فى غياب هذه المعلومة "تواصل ضغط الجماعات اليهودية فى طول البلاد وعرضها من واشنطن إلى كاليفورنيا" وكان الرئيس يستغل هذا القلق الذى يجعله يشعر بخبث ممتع عندما يقرأ على من يتصل به عبر الهاتف المسودة التى أرسلت بها وزارة الخارجية، وتأكيداً لوقع ذلك عليهم يقول روش إن والت روستو اتصل به يومًا وقال له مطمئنا" لا تحمل همًا ، لقد بدأ الرئيس فى نظام علاجي مؤقت للخلاص من الضغط الذى مارسوه عليه" (٢٥) .

كان جونسون يهدف إلى طمأنة الإسرائيليين ، ويسعى فى الوقت نفسه لكسب تأييد سياسى لإعادة فتح المضايق ، ولكن في يوم ٥ يونية ١٩٦٧ قامت قاذفات القنابل الإسرائيلية بضرب المطارات المصرية ملقية بقفّاز التحدى فى وجه العالم العربى كله . أصيب اليهود الأمريكيون بصدمة وأصبحوا يرون بأعينهم مقدمات محرقة يهودية جديدة ، وقبل أن تطلب منهم إسرائيل المساعدة تقدموا هم للقيام بها بأقصى سرعة لديهم. فيما بعد وصف آرثر هرتزبرج هذه التعبئة في مجلة كومنترى قائلا "بصفة عامة كان رد الفعل الفورى تجاه هذه الأزمة أكثر تركيزاً وأوسع انتشاراً من إمكانيات أى فرد على التنبؤ ، ولم يعتقد البعض من اليهود فى أى يوم من الأيام أن الخطر الكبير الذى يحدق بإسرائيل يمكن أن يهيمن إلى هذا الحد على أفكارهم ومشاعرهم وينسيهم كل ما عداه. وقد أدهشهم فيما بعد عمق الغضب الذى انتابهم وهم يراقبون البعض من أصدقائهم يعيشون حياتهم كما اعتادوا عليها دون أن يساورهم أى خوف على إمكانية زوال إسرائيل أو يلاحظوا ما شعروا به هم أنفسهم من تورط غريزى فى هذه المحنة"[٢٦] .

فجأة تحولت إسرائيل إلى أهم شيء فى حياة اليهود الأمريكيين ، ليس فقط على مستوى حياتهم الشخصية ولكن بالنسبة ليهوديتهم. يقول هرتزبرج إن استطلاعات الرأى العام خلال حرب الأيام الستة "أكدت أن ٩٩٪ من مجموع اليهود الامريكيين دعموا دون تردد الموقف الإسرائيلى من الحرب" وسرعان ما وصف النقاد اليهود هذه الحالة بأن اليهود الأمريكيين تحولوا كلهم إلى "صهاينة" .

وجاء السخاء المادى من جانب اليهود الأمريكيين منقطع النظير، فخلال الأسابيع الثلاثة الأولى من عمر الأزمة جمعت الجماعة اليهودية الأمريكية أكثر من ١٠٠ مليون دولار كان معظمها نقداً. وجمعت منظمة النداء اليهودى أثناء حفل غداء أقامته بنيويورك ١٥ مليون دولار فى عدة دقائق ، مما جعل هرتزبرج وغيره ينظرون إلى هذا الدعم الهائل لإسرائيل على أنه إعادة تأهيل ليهوديتهم، وهى فعلاً كانت كذلك ولكن دون أن يكون لها علاقة باليهودية كدين. مشاعر اليهود الأمريكيين المتناقضة تجاه يهوديتهم والسهولة التى جعلتهم يشعرون بأمريكيتهم التى يريدونها، دفعتهم إلى البحث عن هوية لها جانب عاطفى وآخر سيكولوجى، وكان الحل أن يدفعوا بشراع سفينتهم ناحية إسرائيل .

وسرعان ما ردد المراقبون اليهود: لقد أصبحت إسرائيل "دين اليهود الأمريكيين" وغدا للجماعة اليهودية الأمريكية ، مثلها فى ذلك مثل كل العرقيات الأمريكية الأخرى ، "وطنا قديماً" يمكن أن يفتخروا به ويذهبوا لزيارته وربما يعيشون فيه بعد تقاعدهم. وأدركوا عن وعى أن التهديدات التى انطلقت فى عام ١٩٦٧ مطالبة بتدمير دولة إسرائيل كانت تهديدات موجهة إلى الوجود اليهودى فى كل مكان ، وبعد الحرب تبين لهم أنهم يملكون مقومات وقف أى مذبحة جديدة قد يتعرضون لها، وكتب المنظِّر السياسى شلومو أفنيرى" الحقيقة الواضحة أن كل يهودى يشعر اليوم بطريقة أو بأخرى أن له صلة بإسرائيل[٢٧] .

من سخرية الأقدار أنه لم يكن هناك أى تهديد موجه نحو دولة إسرائيل فى عام ١٩٦٧ بعد أن تمكنت إسرائيل من إبادة الجيشين المصرى والسورى بشكل مفاجئ . من ناحية أخرى اكتشف المؤرخون أنه لا العسكريون الإسرائيليون ولا رجال المخابرات المركزية الأمريكية كان يساورهم أدنى شك أن العرب يمكن أن يبيدوا إسرائيل، وكان السؤال الوحيد المطروح آنذاك بين دوائر المخابرات: هو ما إذا كانت الحرب أو صيد الديوك الرومى كما سماها والت روستو فى حينه[٢٨] ستستمر ستة أيام أم سبعة. فيما بعد اعترف بن جوريون أنه لم يفكر أبدا أن ناصر كان يريد الحرب[٢٩] كما اعترف إسحاق رابين ، رئيس الأركان أيام الحرب فى مقابلة صحفية عام ١٩٧٧ ، أنه كان على ثقة من أن "ناصر كان يسعى إلى تحقيق مكاسب دون أن يدخل فى حرب"[٣٠]. ولكن عندما انضمت جيوش كل من سوريا والأردن والعراق فى أواخر شهر مايو ١٩٦٧ إلى القوات المصرية ، توقع الخوف العام الإسرائيلى الأسوأ وتذمر الشارع مطالبا أن يتولى موشى دايان وزارة الدفاع ، ونفذ دايان هجومه الصاعق وغيّر إلى الأبد مكانة إسرائيل على مستوى العالم .

برغم هذا النصر وتلك المكانة الجديدة لم تنس حكومة أشكول الخزى الذى لحق بها وهى فى أوج انتصارها عام ١٩٥٦ بعد حملتها فى سيناء حين أجبرتها الولايات المتحدة الأمريكية على الانسحاب من الأراضى التى استولت عليها ، لذلك عمد أشكول بسرعة إلى تعزيز النصر العسكرى الأكبر بنصر سياسى. فى يوم التاسع من يونية اتخذت حكومة الوحدة الوطنية التى كان يرأسها، والتى كانت تضم لأول مرة فى تاريخ

إسرائيل حزب حيروت بزعامة بيجين ، قراراً بالإعلان عن مشروع سلام طرحته على أمريكا ويتضمن : استعداد إسرائيل للانسحاب إلى الحدود الدولية بينها وبين مصر فى مقابل فتح مضيق تيران وقناة السويس أمام الملاحة الحرة لسفن إسرئيل ، والنظر فى تجريد سيناء من الأسلحة ، وإذا قبل الطرف السورى بتجريد مرتفعات الجولان هى أيضًا من الأسلحة يمكن لإسرائيل أن تنسحب إلى حدودها الدولية مع سوريا. أما الضفة الغربية وقطاع غزة ومشكلة اللاجئين الفلسطينيين فلم يرد لها ذكر فى المشروع الذى أكد للأمريكيين "أن هذه المسائل" يمكن التفاهم حولها كلاً على حده .

لو كان الأمر بيد بيجين لجاء مشروع السلام على شكل آخر ، لأنه وأتباعه ينظرون إلى الضفة الغربية - التى يطلقون عليها يهودا والسامرة التى وردت فى التوراة - على أنها هدية الرب لشعب إسرائيل، وبذلك فهى ليست أرضًا استولت عليها قواته وإنما على أنها أرض "حررتها" حرب الأيام الستة من قبضة الأغيار، وأصبح معروفًا أن أى حكومة إسرائيلية يشارك فيها حزب بن جوريون لن يكون فى استطاعتها أن تتنازل عن أى جزء من "أرض إسرائيل". أما حزب العمل المشارك فى الحكومة نفسها فكان يتحدث عن أقاليم تحتلها إسرائيل يمكن استخدامهاء " ورقة مساومة " يمكن إعادتها للعرب مقابل السلام والأمن .

أرسلت حكومة أشكول مشروعها هذا إلى الإدارة الأمريكية، ولكنه لم يُنشر أبداً على الملأ ، وتعطلت خطوات السلام فقد عارضها بيجين، والأكثر من ذلك أن الإسرائيليين كانوا ينتظرون أن يتحرك العرب، ولكنهم لم يتزحزحوا من مكانهم. وبدلا من السلام قدم العرب لإسرائيل "الثلاث لاءات" الشهيرة التى تمخض عنها مؤتمر الخرطوم فى شهر أغسطس عام ١٩٦٧ "لا سلام ، لا اعتراف ، لا تفاوض" .

فى شهر نوفمبر من نفس العام قامت الأمم المتحدة بإصدار القرار رقم ٢٤٢ بغرض تشجيع الطرفين على التحرك ، وما زال هذا القرار يشكل أساسًا لأى مفاوضات سلام فى الشرق الأوسط ، لأنه كان يوفر لكل جانب شيئًا يحتاج إليه : بالنسبة للعرب يطالب القرار إسرائيل بالانسحاب من أراضٍ احتلت أثناء مراحل الصراع الأخير، ويدعو إلى إيجاد حل عادل لمشكلة اللاجئين. أما بالنسبة لإسرائيل

فكان يطالب بوضع نهاية لحالة الحرب القائمة بينها وبين العرب وبحق كل دولة "فى العيش فى سلام داخل حدود آمنة معترف بها" وتوفير حق الملاحة الحرة عبر الممرات المائية الدولية (٣١) .

كانت الدول العربية على استعداد لقبول القرار ٢٤٢، أما الفلسطينيون فاعترضوا عليه لأنه لم يعترف بهم إلا باعتبارهم "مشكلة" لاجئين ، وهم فى نظر أنفسهم لا يقلون قومية عن اليهود، ويطالبون مثلهم بحق تقرير المصير لإقامة دولة خاصة بهم ٠ وقبل الإسرائيليون القرار ، إلا أن غموض اللغة التى صيغت بها فقراته جعلت كل فريق يترجمه وفق ما يراه فى صالحه .

رأى العرب أن القرار ينص على انسحاب اسرائيل كلية من كافة الأراضى التى استولت عليها بدون مفاوضات ، ورأت أمريكا أن النص على "إقامة حدود آمنة ومعترف بها" يستوجب التفاوض لتعيين هذه الحدود. وضع هذا التشابك والاختلاف الأمم المتحدة فى ورطة، أما الإسرائيليون فكانوا راضين بالوضع القائم على الحالة التى هو عليها ماداموا يحافظون على تفوقهم الحربى .

هذا التفوق يستوجب أن يحصل الإسرائيليون على أموال أمريكية بعضها من الحكومة والبعض الآخر من الجماعة اليهودية الأمريكية إلى جانب السلاح الأمريكى، لأن الاتحاد السوفيتى بدأ بعد الحرب مباشرة يعاون الدول العربية فى إعادة بناء قواتها المسلحة. الحكومة الفرنسية كانت قد أوقفت تزويد إسرائيل بخمسين طائرة ميراج قبل الحرب، وظلت متمسكة بعدم الإفراج عن الطلب بعد انتهائها، لأن الرئيس شارل ديجول كان ما زال مستاءً من إسرائيل بسبب ما كان يعتقده هجوما غير مبرر على العرب ، ولذلك كان يطالبها بالانسحاب الفورى من الأراضى العربية. اتخذت أمريكا بعد الحرب قرارًا بمنع تصدير الأسلحة إلى دول المنطقة لمدة ١٣٥ يومًا، وبذلك أوقفت تسليم سربى طائرات قاذفات سكاى هوك إلى إسرائيل كان قد سبق لها التعاقد على شرائهما على أن تحصل عليهما قبل نهاية العام (٦٧) ولما انتهت فترة الحظر فى شهر ديسمبر من العام نفسه أمر جونسون بالإفراج عن الطائرات النفاثه وتسفيرها إلى إسرائيل .

في الشهر نفسه نشرت الصحف الأمريكية في صفحاتها الأولى خبر تقدم إسرائيل بطلب لشراء خمسين طائرة نفاثة مقاتلة من طراز فانتوم إف / ٤، إلا أن وزارة الخارجية عارضت عملية البيع رغبة منها في خفض حدة التوتر في المنطقة ووقف سباق التسلح فيها، بالإضافة إلى أنها ترى أن الانتصار الحاسم الذي حققته قوات إسرائيل المسلحة في الصيف الماضي أسقط كافة الحجج التي تقول إن جيوش الدول العربية تهدد أمن إسرائيل. كما أيدت وزارة الدفاع هذا الرأي ، ووقف الرئيس جونسون إلى جانب هذا القرار ولو في الوقت الراهن .

أما الجدل الدائر في السفارة الإسرائيلية فدفع الجماعة اليهودية الأمريكية إلى الاعتراض على القرار الذي اتخذته وزارة الخارجية ، وبدأت هذه الأطراف تعامل أكثر أصدقاء إسرائيل نفوذاً في أمريكا (الرئيس جونسون) على أنه عدو لها. يحكي لويس باتل، سفير أمريكا السابق في مصر ومساعد وزير الخارجية آنذاك لشئون الشرق الأدنى وجنوب آسيا ، "قال لي الرئيس ونحن معًا في مزرعته إنه لم يتعرض طوال سنوات حياته السياسية لمثل الضغط السياسي الذي تعرّض له من جانب الجماعات اليهودية ومن أعضاء الكونجرس"، يقول باتل "قال لي الرئيس لا بد أن تعرض عليّ أسباباً أخرى تساند عدم استجابتي للطلب " فما كان منه إلا أن كرر الأسباب نفسها التي استندت إليها وزارة الخارجية وعلى رأسها أنه ليس من مصلحة الولايات المتحدة تشجيع سباق التسلح في المنطقة[٣٢] .

جاء عام ١٩٦٨ حاملا الخير لإسرائيل لأنه كان عام الانتخابات ، مما دفع اللجنة الإسرائيلية الأمريكية للشئون العامة (إيباك) إلى العمل على مستوى الكونجرس من ناحية وداخل الحزبين الديمقراطي والجمهوري من ناحية أخرى، ونسّقت مع المنظمات اليهودية لترتيب حملات علاقات عامة لكسب تأييد الصحافة. لأجل هذا الهدف شجعت المنظمات غير اليهودية وخاصة اتحاد العمال الأمريكي وكونجرس التنظيمات الصناعية وتنظيم الأمريكيين من أجل الديمقراطية ورابطة المحاربين الأمريكيين القدماء ، على مساندة بيع الطائرات لإسرائيل .

وفى شهر مارس أصدرت إيباك تقريراً سياسيًا دعت فيه الولايات المتحدة الأمريكية إلى بيع أسلحة إلى إسرائيل لدعم أمنها وسلامتها، وأرسلت نسخة منه إلى الكونجرس بمجلسيه النواب والشيوخ ، وعندما بدأت جلسات فصل الصيف أصدر المجلسان النيابيان مذكرة يدعوان فيها الرئيس إلى إبرام صفقة طائرات الفانتوم مع إسرائيل.. فى الوقت نفسه تضمنت البرامج الانتخابية لكلا الحزبين تأييداً لإتمام هذه العملية ، ومن جانبهما قام مرشحا الانتخابات الرئاسية هوبرت هيمفرى وريتشارد نيكسون بالمساندة اللازمة خلال الخطب التى كانا يلقيانها أمام حشود الجماعة اليهودية .

أصر الرئيس جونسون على موقفه لأول مرة فى حياته السياسية، ربما لأنه كان فى موقف يستطيع من خلاله أن يقاوم الضغوط السياسية التى يتعرض لها بعد أن فاجأ الأمة الأمريكية فى مارس عام ١٩٦٨ بخطاب عبر التلفزيون أثار فيه مشاعرهم عندما أعلن أنه لن يترشح لفترة رئاسة ثانية. وهكذا راح جونسون ضحية أخرى لتورط أمريكا فى حرب فيتنام .

ظل الإسرائيليون على وئام تام مع الرئيس جونسون طوال فترة رئاسته ولم يهاجموه كما كان يفعل ناصر ، وعلى عكس حلفاء آخرين لم تنتقد إسرائيل سياسات أمريكا فى فيتنام بينما انتقدها بعض اليهود الأمريكيين. كان جونسون ينظر إلى إسرائيل بنفس المنظار الذى ينظر به إلى فيتنام: دولة صغيرة يهددها عدوان خارجى ، لذلك كان يضايقه بشكل جاد المعارضة المكثفة لسياساته بين صفوة اليهود الناشطين فى مجال حركة مناهضة الحروب .

فى أواخر عام ١٩٦٨ أعرب جونسون لأبا إيبان عن مخاوفه أن تؤدى مخاطر عزلة أمريكا إلى "تلاشى" إسرائيل بالتدريج ، وعزز وجهة نظره قائلا " لقد حضر مجموعة من الحاخامات إلى هنا (البيت الأبيض) فى يوم من أيام ١٩٦٧ ليقولوا لى إننى لا يصح بعد الآن أن أرسل مسماراً واحدا إلى فيتنام، وفى الوقت نفسه طالبونى بأن أدفع بجميع حاملات طائراتنا عبر مضيق تيران لمساعدة إسرائيل"[٣٣] .

أثبت الرئيس جونسون أنه مثل من سبقوه ومن جاءوا من بعده من الرؤساء، لايعرف إلا القليل عن علاقة الصداقة العاطفية العميقة التى تربط بين اليهود الأمريكيين

وإسرائيل، فقد كان المتنورون منهم يجادلون ، عن معرفة ، ضد سياسات جونسون فى فيتنام إلا أنهم كانوا فى الوقت نفسه غير مستعدين لسماع أى مناقشات ضد بيع طائرات الفانتوم لإسرائيل. حتى أقرب أصدقاء الرئيس مثل فينبرج وكريم أمضوا ساعات طوالاً يحاولون إقناعه بأن إرسال الطائرات الفانتوم إلى إسرئيل يمثل مصلحة لها ولأمريكا أيضا[٣٤] .

أكد الرئيس جونسون فى مذكراته فيما بعد أن "العرب وإسرائيل" كانوا مصدراً لهواجس، أشار إليها الرئيس السوفيتى إليكسى كوسجين أثناء القمة التى أعدّ لها على عجل، وعقدت بينهما فى شهر يونية ١٩٦٧ بمدينة جلاسبورو فى ولاية نيو جيرسى[٣٥]. وعندما تساءل كوسجين : لماذا تدعم الولايات المتحدة إسرائيل إلى هذه الدرجة، بينما صداقة العرب واضحة عبر المصالح الأمريكية ؟ أجاب جونسون إجابته التى اشتهرت فيما بعد "لأن ذلك هو الحق" .

أما فيما يتعلق بصفقة طائرات الفانتوم التى أعلن جونسون موافقته النهائية على بيعها فى ديسمبر عام ١٩٦٨ كهدية وداع غالية لإسرائيل بعد إعلان نتائج الانتخابات الرئاسية ، فقد جاءت استجابة لضغوط نابعة من داخله، وتعبيراً عن مشاعر احترام دائم يكنه لها. صرّح فينبرج أثناء مقابلة معه: "عندما تم تسليم الطائرات الفانتوم إلى إسرائيل، كنت أشعر بالفخر لأننى كنت الأمريكى الوحيد المتواجد فى المطار أثناء هذه العملية"[٣٦] .

الهوامش

1. Etta Zablocki Bick, "Ethnic Linkage and Foreign Policy: A Study of the Linkage Role of American Jews in Relations Between the United States and Israel 1956–1968," an unpublished doctoral dissertation, City University of New York, 1983, p. 190.

2. I. L. Kenen, *Israel's Defense Line* (Buffalo: Prometheus Books, 1981), p. 156.

3. Melvin I. Urofsky, *We Are One!: American Jewry and Israel* (New York: Anchor Press/Doubleday, 1978), p. 333; Kenen, *Israel's Defense Line*, p. 155.

4. Kenen, *Israel's Defense Line*, p. 155.

5. Ibid., p. 156.

6. Urofsky, *We Are One!*, p. 332.

7. George Thayer, *Who Shakes the Money Tree?* (New York: Simon and Schuster, 1973, pp. 26–27.

8. Stephen D. Isaacs, *Jews and American Politics* (New York: Doubleday, 1974), p. 121; see also all of Chapter 8.

9. Confidential interview.

10. Kennedy's request is famous and often quoted. See Urofsky, p. 333. It and the Ben-Gurion response are cited by Etta Zablocki Bick, "Ethnic Linkage", p. 191. She found it in the Hebrew edition of Bar-Zohar's biography *Ben Gurion* (Tel Aviv: Am Oved, 1977), p. 417. The new edition of Bar-Zohar's biography celebrating Ben Gurion's centennial (New York, Adama Books, 1986) includes the story on pages 274–275.

11. Bick, p. 145ff.

12. Kenen, *Israel's Defense Line*, p. 161.

13. David Polish, *The Eternal Dissent: A Search for Meaning in Jewish History* (London: Abelard-Schuman, 1961), pp. 147–149; briefly discussed in Urofsky, *We Are One!*, p. 339.

14. Kenen, *Israel's Defense Line*, p. 173.

15. Lyndon Johnson, Presidential Papers, Washington: Government Printing Office.

16. White House logs, LBJ Library at the University of Texas.

17. Donald Neff, *Warriors for Jerusalem* (New York: Linden Press/Simon and Schuster, 1984), pp. 157–158.

18. Abba Eban, *An Autobiography* (New York: Random House, 1977), p. 355.

19. Bick, "Ethnic Linkage and Foreign Policy," p. 81; confirmed by author's interviews with members of the Knesset and former Israeli Cabinet ministers.

20. Bick, "Ethnic Linkage and Foreign Policy," p. 111.

21. Confidential interview.

22. Income and anti-Semitism data cited in Urofsky, *We Are One!*, p. 324.

23. Discussed in ibid., pp. 340–341; Jakob Petuchowski, *Zion Reconsidered*, (New York: Twayne Publishers, 1966).

24. Cited in Nadav Safran, *Israel: The Embattled Ally* (Cambridge, Mass: The Belknap Press of the Harvard University Press, 1981), p. 389.

25. Merle Miller, *Lyndon: An Oral Biography* (New York: G. P. Putnam's Sons, 1980).

26. *Commentary*, August 1967.

27. Shlomo Avineri, *The Making of Modern Zionism* (New York: Basic Books, 1981), p. 219.

28. Neff, *Warriors for Jerusalem*, p. 217.

29. Ibid., p. 107.

30. "Rabin: Nasser Wanted Gains Without War," *New Outlook*, Tel Aviv, June/July 1977. Translation of an article that had appeared in the Israeli daily *Yediot Ahronot*.

31. Summary of Resolution of Arab Summit Conference, Khartoum, Sudan, September 1, 1967, in *The Arab-Israeli Conflict: Readings and Documents*, ed. John Norton Moore (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1977), p. 1081; United Nations Security Council Resolution 242 Concerning Principles for a Just and Lasting Peace in the Middle East, November 22, 1967, in ibid., p. 1083.

32. Bick, "Ethnic Linkage and Foreign Policy," p. 65.

33. Eban, *An Autobiography*, p. 460.

34. Bick, "Ethnic Linkage and Foreign Policy," p. 166.

35. Lyndon Johnson, *The Vantage Point* (New York: Holt, Rinehart and Winston, 1971), p. 483.

36. Bick, "Ethnic Linkage and Foreign Policy," p. 167.

الفصل الثالث

السلام فى الشرق الأوسط : سنوات التردد

يمكن القول إن حرب الأيام الستة غيرت توجهات الجماعة اليهودية الأمريكية نهائياً ، فالانتصار العسكرى الذى أحرزته إسرائيل كان أكبر من أى نصر يمكن أن تحققه لها هذه الجماعة فى ميدان العلاقات العامة داخل الولايات المتحدة الأمريكية. وأضحى موشى دايان وزير الدفاع الإسرائيلى بعصابته التى يضعها فوق عينه أشهر شخصية فى أمريكا منذ أيام شهرة قميص هاثواى (حتى إن ممثلى الكوميديا فى التليفزيون الأمريكى كانوا يطالبون باستئجار الجنرال الإسرائيلى لكى يضع نهاية قريبة للحرب الدائرة فى فيتنام) .

من ناحية أخرى سجلت الهبات المالية لأفراد الجماعة اليهودية الأمريكية المتدفقة على منظمة النداء اليهودى الموحد أرقاماً قياسية ، فى الوقت نفسه قفز حجم مساعدات الحكومة الأمريكية الاقتصادية التى تقدمها لإسرائيل من ١٥ مليون دولار عام ١٩٦٧ إلى ٧٥ مليون دولار فى العام التالى لمساعدتها فى المقام الأول على تخطى الأزمة المالية التى سببتها لها تكاليف الحرب. وحققت الحرب لإسرائيل أيضا ما لم يتمكن أى من زعماء الصهيونية أن يحققه لها من قبل بغض النظر عما يتمتع به من قوة تأثير سحرية أو قدرة على الإقناع ، فقد حوّلت الملايين من اليهود الأمريكيين إلى "صهاينة" وبالرغم من أى مسافة تفصلهم عن مبادئها (الصهيونية) إلا أنهم أصبحوا مؤيدين لإسرائيل على طول الطريق. وإذا ما خطر لأى سياسى أمريكى أن يدّعى أن الدعم الأمريكى لإسرائيل قد تصاعد إلى مستوى غير معقول ، فسيجد الإجابة جاهزة على شفاه ستة ملايين أمريكى يهودى للرد عليه .

فى إسرائيل انتشر الشعور بنشوة الانتصار على كافة المستويات، وانتقل الإحساس بالقوة والمنعة إلى الجميع ، وأقنع احتلال الضفة الغربية التيارات القومية الدينية أن فى مقدور اليهود استرجاع أرض إسرائيل التوراتية ، أما المنتقدون لمنطق التيه الإسرائيلى بالنفس فقد وصفوا هذه الحالة بأنها لاتعدو كونها "عجرفة" و "ونزوة دينية". أما بين الإسرائيليين المعتدلين فكان هناك حديث حول السلام على اعتبار أن قيام إسرائيل باحتلال سيناء والضفة الغربية ومرتفعات الجولان وقطاع غزة سيدفع العرب للجلوس حول مائدة التفاوض من أجل السلام .

وسرعان ما تغير اللاعبون الساسيون فى أكثر من مكان: حلَّ ريتشارد نيكسون محل ليندون جونسون فى البيت الأبيض فى بداية عام ١٩٦٩، وخلال العام نفسه توفى أشكول وتولت جولدا مائير رئاسة الوزارة الإسرائيلية بعده، ووجدت نفسها على رأس دولة مزدهرة اقتصادياً بفضل الهبات المالية للجماعة اليهودية الأمريكية ومساعدات الحكومة الأمريكية، إلى جانب شعور بالأمن عمّ إسرائيل كلها وإحساس بنجاح سياسة الاحتلال التى وضع أسسها موشى دايان .

ولم يكن بين الجيمع مَن هو على ثقة من: كيف يمكن تحويل الحديث عن السلام إلى فعل ؟ حول هذه النقطة كتب الصحفى والمؤرخ جون كيمش "عندما تتحدث حكومة إسرائيلية عن رغبة فى السلام – وبالذات جولدا مائير ووزير خارجيتها أبا إيبان – فإنها تعبر عن أمل وليس عن مقترحات سياسية"(١) .

كما لم يكن اليهود الأمريكيون، الأكثر ارتباطا بإسرائيل الآن من أى وقت مضى، حتى على استعداد لدفع حكومة مائير برفق للجلوس إلى مائدة المفاوضات. وفى الحقيقة لم يكن فى إسرائيل كلها من هو قادر على فهم احتياجات اليهود الأمريكيين النفسية أكثر من رئيسة الوزراء التى كانت هى نفسها عضواً سابقًا بجماعة ميلووكى اليهودية. فأخذت تشجع التعلق العاطفى المفاجئ بالصهيونية، وتحتضن كبار المتبرعين بالأموال التى تضخ إلى إسرائيل، وتهمل فى الوقت نفسه تحفظات كبار قادة الجماعة اليهودية الأمريكية حول مصالح إسرائيل الحقيقية لعقد سلام مع جيرانها العرب .

وبينما بقى قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ فى مكانه دون تفعيل اقترح موشى دايان الذى كان لا يزال وزيراً للدفاع بإيعاز من الأمريكيين انسحاباً لإسرائيل من قناة السويس، ولكن اقتراحه قوبل باعتراض واسع من رئيسة الوزراء وباقى أعضاء الوزارة الإسرائيلية لأنهم جميعًا كانوا مجمعين على أن انسحاب إسرائيل من أى أرض احتلتها سيعتبر اقتراحًا ساذجًا يعرِّض أمن البلاد لخطر قائم وواضح .

ولما كان معروفا عن رؤساء أمريكا فى بداية توليهم للمسئولية شهرة السعى إلى إقرار تسوية للصراع العربى الإسرائيلى، لذلك وصف الرئيس نيكسون فى أول حديث صحفى له الشرق الأوسط بأنه "برميل بارود" وعبّر فى الوقت نفسه عن خشيته من خطورة وقوع مواجهة بين أمريكا والاتحاد السوفيتى إذا نشبت حرب أخرى فى المنطقة. وقامت وزارة الخارجية الأمريكية بإجراء مجموعة من المحادثات مع كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا فى نطاق الأمم المتحدة خلال ربيع وصيف عام ١٩٦٩، وأحست إسرائيل ومؤيدوها الأمريكيون أن مشروعًا للسلام يعد .

عندما سافرت جولدا مائير قبل نهاية عام ١٩٦٩ إلى أمريكا كانت المرة الأولى التى تعود إليها وهى رئيسة للوزراء، وسرعان ما شكلت هى والرئيس نيكسون وحدة إعجاب متبادل خاصة بهما، حيث قارن الرئيس بينها وبين بيدورة التوراتية، وأثنى على نجاح إسرائيل فى مجال زراعة الصحراء. يقول أحد التقارير التى غطت تلك الزيارة أن رون زيجلر سكرتير نيكسون الصحفى كان يردد وهو جالس فى مكتبه أثناء اجتماع الزعيمين حوار أحد مشاهد فيلم الشتات(٢)، حتى هنرى كيسينجر ، مستشار الأمن القومى ، أذهله حجم الألفة التى بدت بينهما. أما مائير فحيَّت نيكسون باعتباره "صديقا قديماً للشعب اليهودى"، وعلق كيسينجر على ذلك صراحة فى مذكراته قائلا : "عكس ذلك أخباراً مروعة لمن كان من بيننا على دراية بمشاعر نيكسون المتناقضة فى هذا الصدد" (٣) خاصة وأن الرئيس كان له رأى مسبق فى بعض اليهود (كما يمكن أن يكتشف كل من اطلع على ما جاء فى وثائق فضيحة ووتر جيت السياسية) .

أوحى نيسكون للإسرائيليين أنه لم يكن ملزَمًا بما تمليه تقارير وزارة الخارجية، وأنه على استعداد لإقامة اتصال مباشر بينه وبين حكومة مائير عن طريق كيسينجر

وإسحاق رابين السفير الإسرائيلى فى واشنطن، الذى كان رئيسًا للأركان فى حرب الأيام الستة[٤]، وجاء غياب وزير الخارجية الأمريكية وليم روجرز عن الاجتماع ليعزز من اقتناع الإسرائيليين بقوة الدعم الذى يمثله هذا الإيحاء لإسرائيل .

بعد اجتماع ودِّى كهذا بواشنطن فى شهر سبتمبر ، كان من حق جولدا مائير أن تفاجأ حين أعلن روجرز وزير الخارجية الأمريكية فى ديسمبر من العام نفسه خلال خطاب روتينى له ما أصبح يعرف فيما بعد بخطة روجرز للسلام. أما عن المقترحات فى حد ذاتها فلم تكن سوى إعادة صقل للقرار ٢٤٢، حيث طالبت بانسحاب من معظم الأراضى المحتلة، وبحق اللاجئين الفلسطينيين فى العودة إلى وطنهم أو الاستقرار حيث هم وبمشاركة أردنية / إسرائيلية على الحياة المدنية والدينية لمدينة القدس القديمة. رفضت إسرائيل خطة روجرز لأنها فى رأيها لم تترك شيئا للتفاوض حوله بينها وبين العرب ، وكما وصفت جولدا مائير الموقف بتبلد "إننا لم ننجُ بحياتنا بعد ثلاثة حروب لكى نقدم على الانتحار طواعية."[٥] .

تتبع قادة الجماعة اليهودية الأمريكية خطوات رئيسة وزراء إسرائيل. يقول الصحفى الإسرائيلى والمؤرخ سامحا فلابان الذى دُعى كإسرائيلى للمشاركة فى اجتماع بمكتب الجماعة فى نيويورك بعد فترة وجيزة من إعلان خطة روجرز، إن المسئول عن الاجتماع استأذن لأمر هام، ولما عاد أخبر الحاضرين "أن الحكومة الإسرائيلية طلبت منه المساعدة فى تنظيم مظاهرة احتجاج ضد خطة روجرز".. بعدها التفت إلى فلابان وقال له "والآن ياسيد فلابان هلا شرحت لنا خطة روجرز، ولماذا تعارضها حكومة إسرائيل؟" . أحس فلابان أنه صُعق وقال "لقد أوضحوا حتمية الالتزام بتأييد قرار اتخذته حكومة إسرائيل المنتخبة ديمقراطيًا "ويضيف" بينت لهم أن هذه الحكومة المنتخبة ديمقراطيًا على وجه الخصوص هى حكومة وحدة وطنية يمكن أن تنهار فى أى لحظة مما يستتبعه تغييرها وبالتالى إجبار اليهود الأمريكيين على تغيير موقفهم (لو قبلت على سبيل المثال خطة روجرز). علَّق الحاضرون على ذلك بأنه لو حدث فسيسبب لهم إحراجًا ولكنهم سيقومون بتنفيذ ما يطلب منهم، كتب فلابان فى مذكراته مستهجنا هذا الموقف" كان هذا هو موقف اللجنة اليهودية الأمريكية التى كانت تعد فى وقتها أكثر الجماعات اليهودية الأمريكية استقلالا على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية كلها"[٦] .

لم تشجع جولدا مائير مبدأ الاستقلالية فيما بين مؤيديها من اليهود الأمريكيين، وفى نهاية عام ١٩٦٩ أرسلت برقية علنية إلى ريتشارد نيكسون تمتدح فيها دفاعه عن الشعوب الصغيرة فى كل مكان. وبينما كان موقف الجماعة اليهودية الأمريكية من سياسات نيسكون فى فيتنام يسبب قلقًا له كما كان يحدث على أيام جونسون، أكدت له جولدا مائير تأييد إسرائيل لهذه السياسة. ولم يلق هذا التأييد معارضة تذكر من جانب قادة الجماعة اليهودية فى أمريكا .

خلال اجتماع لمجلس إدارة المنظمة الصهيونية العالمية كان منعقدًا بالقدس ليلة رأس سنة ١٩٦٩ هاجم آرثر هيرتزبيرج ، الذى عُيِّن منذ فترة وجيزة عضوا فى هيئة المنظمة التنفيذية، قيام رئيسة الوزراء بإرسال البرقية، ليس فقط لأنه تصرُّف "خاطئ"، ولكن أيضا "لأنه يعطى تأثيرًا عكسيًا لصورة إسرائيل داخل الولايات المتحدة الأمريكية" خصوصا بين أوساط الدارسين اليهود فى الجامعات الذين كانوا يشكلون قيادات داخل الحركة المناوئة للحرب. وأبدى هيرتزبيرج بمساندة محدودة من جانب عضوين أمريكيين داخل الهيئة التنفيذية مخاوفه من أن الدفاع عن الصهيونية عن طريق تأييد سياسات الحرب فى فيتنام، من المحتمل أن يدفع القيادات الطلابية اليهودية إلى اتخاذ موقف ضد إسرائيل .

أُبلغت جولدا مائير بالكلمات التى تبودلت أثناء الاجتماع قبل أن تذهب إلى مكان انعقاده لإلقاء كلمتها مساء اليوم نفسه ، وفور وصولها استفسرت عما قيل ، ودُعى رئيس الجلسة هرتزبيرج للحديث. يقول هرتزبيرج ، فيما بعد ، إنه قبل أن يقوم من مكانه بعث إليه أحد زملائه بقصاصة ورق مكتوب عليها "لقد دعيت إلى الرقص، أرنا ما إذا كنت قد قبلت الدعوة". هذه الملاحظة وإن كانت لا تشير إلى توتر داخل مكان الاجتماع، إلا أنها تبيِّن حجم الترحيب الذى كان يلقاه الاختلاف على أيام حكومة جولدا مائير. بعد أن كرر هرتزبيرج الملاحظات التى أشار إليها فى الجلسة الصباحية اختتم كلامه قائلا "السيدة رئيسة الوزراء. إذا كنت تتوقعين أن تضعينى كصهيونى بين رؤيتك للصهيونية وبين أطفالى فستخسرين"(٧) .

بالرغم من الجدل الغاضب الذى دار بين جولدا مائير وهرتزبيرج حول تأييدها سياسة أمريكا فى فيتنام، قامت فور انتهاء مشاركتها فى الاجتماع بإرسال خطاب

رسمى إلى الهيئة التنفيذية للمنظمة تحتج بأن هرتزبيرج نسب إليها افتراءات. فيما بعد لما أراد هرتزبيرج أن يرد على هذا الخطاب طلب منه رئيس الهيئة ألا يفعل .

توجّه ألف وأربعمائة زعيم من زعماء اليهود يمثلون ٣١ ولاية من الولايات الأمريكية إلى واشنطن يومى ٢٥ و ٢٦ يناير عام ١٩٧٠ لإبداء احتجاجهم ضد خطة روجرز ، وانتهزت اللجنة الإسرائيلية للشئون العامة المناسبة، ونظمت لهم عدة مقابلات بينهم وبين ٢٥٠ عضواً من أعضاء الكونجرس(٨) .

طلبت إسرائيل من اليهود الأمريكيين أن يعارضوا خطة روجرز لسبب وحيد، لأن حكومة جولدا مائير كانت تريد اكتساب بعض الوقت حتى تتقدم هى بخطة سلام باسمها، أو على الأقل تحقق نوعًا من الإجماع حول الصيغة الأمثل للسلام المنشود كما تراه. أما مواصلة الضغط على واشنطن فكان الغرض منه سد الطريق أمام أن تتقدم حكومة نيسكون بمزيد من الوعود للعرب ، يقول الصحفى البريطانى جون كيمشى المعروف باتصالاته على مستوى الحكومة الإسرائيلية "اعترف عدد من الوزراء الأكثر صراحة على مستوى شديد الخصوصية أن المقترحات التى جاءت فى خطة روجرز لم تكن بدرجة السلبية التى حاولت حكومة إسرائيل أن تظهرها بها ، ولكنها (حكومة جولدا مائير) كانت على درجة كبيرة من الحساسية من أية مقترحات ترد إليها من خارج البلاد مادام لا يوجد لديها هى نفسها خطة أو مؤشرات رأى جماعى بين أعضائها حول ما تريده إسرائيل كثمن مقابل السلام، وما التنازلات التى يمكن أن تتقدم بها"(٩) .

جهاز السياسة الخارجية التابع لحكومة إسرائيل كان محاطًا بالمكائد ، فوزير الخارجية أبا إيبان (سفير إسرائيل السابق فى واشنطن) الذى نال تأييد ليندون جونسون المطلق . والذى جعله دفاعه المتميز عن إسرائيل فى الأمم المتحدة خلال حرب الأيام الستة الشخص الأكثر انتشاراً وجماهيرية بين الأمريكيين من كل الأديان تم استبعاده بمهارة من المداولات التى كانت تدور بين إسرائيل ونيسكون فى البيت الأبيض بعد أن ضمن إسحاق رابين السفير الإسرائيلى فى واشنطن حسن الاستماع إليه من جانب كيسينجر خاصة وأنه (رابين) لم يكن من المعجبين بإيبان(١٠) .

أما على مستوى جولدا مائير فلا يملك المرء إلا أن يتعاطف معها بالنظر إلى الارتباك الذى كانت تعانى منه سياسة نيسكون الشرق أوسطية ، فلم يكن متوقعًا منها أن تتفهم الصراع الدائر على السلطة بين مستشار الرئيس للأمن القومى ووزير الخارجية الأمريكية. ومادام نيكسون أيَّد خطة روجرز إلى مدى معين لذلك رأت الحكومة الإسرائيلية أن تبقى دون حراك حتى تصل الخطة إلى هذه النقطة .

جولدا مائير لم تكن تعارض التفاوض مع العرب فقط، بل كانت تؤمن بأن أى اقتراب من الخطوط التى حددها قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ أو خطة روجرز يمثل مغامرة تعرض إسرائيل للفناء. استمرت الأعمال العسكرية بين مصر وإسرائيل؛ ففى مقابل مواصلة القوات المصرية إطلاق نيرانها فى اتجاه الإسرائيليين على امتداد قناة السويس، قررت حكومة جولدا مائير القيام بأول سلسلة هجمات فى العمق المصرى اعتباراًمن ٧ يناير عام ١٩٧٠ . تعليقًا على ذلك كتب رابين فى مذكراته "خطة روجرز تعانى من آلام الاحتضار"[١١] .

من ناحية المصريين كان إغلاق قناة السويس الممر الحيوى لملاحتهم وتجارتهم، إلى جانب وجود القوات الإسرائيلية على طول ضفتها الغربية عاملان يذكرانهم بعجزهم المطرد ، مما دفع ناصر إلى التوجه إلى موسكو للحصول على دعم السوفيت. وحصل عليه بعد ما هدد بالاستقالة من منصبه وترك المسئولية فى مصر لرئيس أكثر ميلا نحو الأمريكيين[١٢]. شعر الإسرائيليون بالقلق لما لاحظوا تزايد الدعم الروسى لمصر والذى كان من بينه طائرات مقاتلة من طراز ميج ٢٣ وصواريخ سام / ٣، فى يوم أسقط الإسرائيليون أربع طائرات مقاتلة روسية من طراز ميج كان يقودها طيارون روس على بعد نحو ١٩ ميلاً غرب قناة السويس .

وكان هذا النوع من الجنون على وجه التحديد هو ما يريد روجرز أن يتجنبه عندما عرض خطة تطالب الأطراف المتصارعة فى المنطقة بأن توقف إطلاق النار وتبدأ الحوار فيما بينها. وفى ظل تزايد التورط السوفيتى فى الصراع القائم من ناحية والضغط الأمريكى من ناحية ثانية، قبلت إسرائيل وقف إطلاق النار وتفسير روجرز للقرار رقم ٢٤٢، مما جعل الساحة معدة لإقرار السلام. ولكنه تأخر مرة أخرى .

سحب بن جوريون حزبه من حكومة الائتلاف الإسرائيلية فى شهر أغسطس لأنه كان معارضًا لقبول القرار ٢٤٢، وخاطب الشارع محذرًا من وقوع مذبحة جماعية أو حملات إبادة لليهود مؤكدًا أن التنازل عن أى جزء من الأراضى المحتلة معناه فتح الطريق أمام الانتحار الجماعى. وكان هذا التحول لافتا للأنظار، لأن بن جوريون يعلم حقيقة العلم أنه قد قبل ضمنا القرار ٢٤٢ مادامت حكومة الوحدة الوطنية برئاسة أشكول التى كان هو طرفًا فيها قد قبلته .

زادت الأوضاع من حجم القلق الذى تعانى منه جولدا مائير ، فإلى جانب عدم الرضا فى الداخل والضغوط الأمريكية هناك مؤشرات لاحتمال انتشار روسى على طول الضفة الشرقية لقناة السويس ، وجاء الغزو السورى للأردن فى شهر سبتمبر ١٩٧٠ ليضع حدا لهذا القلق. ووجد الأمريكيون أنفسهم فجأة فى أمسِّ الحاجة للاعتماد على خدمات إسرائيل حتى لا تنفجر الأوضاع فى الإقليم ، واستجابت تل أبيب للطلب فحركت قواتها ناحية نهر الأردن مما دفع السوريين إلى التراجع، تأثر نيسكون بتعاون إسرائيل وقرر الإفراج عن شحنة من ٤٥ طائرة فانتوم و٨٠ طائرة سكاى هوك قاذفة قنابل كان روجرز قد أوقف إتمام إجراءاتها فى شهر مارس على أمل أن يحصل على تأييد السوفيت للحد من سباق التسلح بين مصر وإسرائيل .

حدثت فورة من النشاط الدبلوماسى بين الولايات المتحدة وروسيا والمصريين، وفى هذه الأثناء تلقى ناحوم جولدمان، الذى كان لا يزال يرأس المؤتمر اليهودى العالمى، دعوة من ناصر لزيارة القاهرة قبل نهاية العام لمناقشة سبل السلام. ولما عرض الأمر على جولدا مائير طلبت من ناحوم جولدمان أن يلزم مكانه، فالوقت لم يحن بعد لمثل هذه الخطوة. وتوفى ناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ .

احتفظت مائير طوال الوقت بتشددها، فها هى حرب الاستنزاف بين إسرائيل ومصر قد توقفت، وها هى إسرائيل تبرهن على أنها "عامل إستراتيجى" مهم بالنسبة لأمريكا على امتداد الحدود الأردنية، لذلك كانت (مائير) تذكر كل من يطالب حكومتها بتقديم خطة للسلام "بلاءات الخرطوم الثلاث" .

فى ٤ فبراير عام ١٩٧١ تلقت إسرائيل مفاجأة أخرى ، وذلك حين أعلن أنور السادات خليفة ناصر فى خطاب له أمام البرلمان المصرى أن العام الحالى هو "عام

الحسم" وبادر بتقديم "رؤيتة الخاصة للسلام". يقول السادات فى مذكراته إنه أبلغ البرلمان".. إذا سحبت إسرائيل قواتها من سيناء إلى حدود الممرات سأقوم بإعادة فتح قناة السويس ونشر قواتى فى الضفة الشرقية. يلى ذلك الإعلان رسميًا عن وقف قانونى لإطلاق النار وإعادة العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة الأمريكية والتوقيع على اتفاقية سلام مع إسرائيل بمعرفة الأمم المتحدة، وما يمكن أن تبذله من جهود فى هذا الخصوص"[١٣]

كانت مبادرة السادات خطوة استثنائية من جانبه، وبالرغم من ذلك تجاهلها معظم اليهود الأمريكيين ، كما لم يعرالإسرائيليون باب السلام الذى فتحه أى اهتمام ، مما ترتب عليه نتائج مأساوية .

أخطرت الأمم المتحدة رسميًا بمبادرة السادات، وقامت الهيئة بإيفاد جونار جارينج مساعد الأمين العام وممثلها فى الشرق الأوسط، الذى لم تكلل جهوده منذ نهاية حرب الأيام الستة لإقناع كلا الجانبين بالجلوس معًا حول مائدة المفاوضات بالنجاح، إلى المنطقة لإجراء محاولة أخرى إلا أنه لم يوفق مرة أخرى. وحاول كيسينجر أن يشجع الإسرائيليين على التعامل مع مبادرة السادات ولكنه لم يوفق هو أيضا. كتب الصحفى الإسرائيلى آموس إيلون فى صحيفة هآرتس يقول إن مقترحات السادات دفعت حكومة جولدا مائير إلى مأزق[١٤] وبدا واضحًا أن إسرائيل ليس لديها استعداد للتعامل مع "خطة السادات" كما لم تكن من قبلها مستعدة للتعامل مع خطة روجرز .

حكومة مائير فى حقيقة أمرها لم يكن لديها سياسة خارجية بمعنى الكلمة، فلم يحز أبا إيبان وزير خارجيتها القوة التى تساعده على رسم أبعاد لمثل هذه السياسة، فبينما كان رابين يسد فى وجهه الأبواب فى واشنطن كان عليه أن يتنافس بشدة مع موشى دايان وزير الدفاع الذى كان يؤمن أن السياسة الخارجية يجب أن تتبعه، لذلك كان (أبا إيبان) قادرًا بالكاد على القيام بواجبات وظيفتة وكثيرًا ما لوح بالاستقالة من منصبه أكثر من مرة. فى ربيع عام ١٩٧١ أعد إيبان مسودة للرد على مبادرة السادات جاء فيها أن التزام إسرائيل بالقرار ٢٤٢ سيؤدى إلى انسحابها وفق ما اتفقت عليه مع جارينج فى اتصالاته الأخيرة معها[١٥]، إلا أن رؤساءه أضافوا تعديلا

حول الانسحاب جعله لا يبدو انسحاباً، وكانت الإضافة على الشكل التالى "لن تقوم إسرائيل بالانسحاب إلى خطوط ما قبل ٥ يونية ١٩٦٧" .

كانت تلك نهاية مشروع السادات للسلام التى زرعت فى الوقت نفسه عقبات هائلة فى طريق أى خطة مستقبلية تأخذ فى اعتبارها النقاط التى أشار إليها قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ الذى ينص على شكل من أشكال الانسحاب من الأراضى المحتلة. ورغم أن السادات أشار فى خطابه إلى نقاط جوهرية لها أهميتها من بينها الاعتراف بإسرائيل، إلا أن جولدا مائير لم تعلق من مكتبها فى القدس على ما جاء فيه سوى بقولها "ودى جدا"[١٦] .

بعد أسبوع من هذا التاريخ أعرب السادات فى مقابلة أجرتها معه مجلة نيوزويك عن استعداده للتعايش سلمياً مع إسرائيل[١٧]، وبذلك سار الرئيس المصرى شوطا بعيدا، ولكنه لم ينل من الإسرائيليين إلا إصراراً على أن أى معاهدة سيتم قبولها من جانبهم لا بد أن تنص على احتفاظ إسرائيل بجزء وافر من الأراضى المصرية، مما جعل حتى أصدقاء إسرائيل فى إدارة نيكسون يتساءلون عن مدى استعداد حكومة مائير لإقامة سلام .

اعتبر السادات الرد الإسرائيلى الكسيح الذى وصله إهانة له، وسرعان ما ألحقت إسرائيل ردَّها هذا بصفعة شديدة على وجه الرئيس المصرى حين أعلن الكنيست "أن الحق التاريخى لشعب إسرائيل فى أرض إسرائيل غير قابل للنقاش "أعقب ذلك نشر خطط للاستيطان فى الأراضى المحتلة[١٨]. كان بيجين وحزبه "حيروت" قد انسحب من الحكومة، ولكنه أبداً ما كان يختلف مع حزب العمل حول مفهوم حق اليهود فى أرض إسرائيل ، كما كانت أطروحات الطرفين فيما يتعلق بالاستيطان غير متباعدة، فعلى سبيل المثال عندما سيسمح موشى دايان فيما بعد ببناء مستوطنة ياميت فوق أرض مصرية سيعرض الإقامة فيها على عدد من أتباع بيجين .

تزايد الضغط المحلى على السادات ، وبينما كان بناء مستوطنة يهودية فوق أرض مصرية يهدد مستقبله السياسى كان كبار قادته العسكريون يطالبونه برد قوى فعال ضد إسرائيل فى حين كانت أمريكا تحرص على أن لا يقع انقلاب يطيح به. فى مايو ١٩٧١

وضع السادات كل الرموز القيادية المصرية المؤيده للسوفيت فى السجن ، وفى العام التالى أعاد مستشاريه الروس إلى بلدهم. لاح فى الأفق أنه فى مقدور إدارة الرئيس نيكسون الآن أن تجعل من أقوى دولتين فى الشرق الأوسط حليفتين لها، وظل الإسرائيليون على موقفهم حيث رفضوا اقتراح كيسينجر أن يتعاملوا مع خطة السادات. كانت إمكانيات إدارة نيكسون فى الحركة محدودة، وكانت إسرائيل لا تزال تعيش نشوة أنها أصبحت عنصراً إستراتيجيا ثبتت فاعليته بعد أن أشاع الخوف لدى السوريين عندما فكروا فى غزو الأردن، الأكثر أهمية أن عام ١٩٧٢ كان عام انتخابات رئاسية فى أمريكا، وكان هذا يعنى أنه أسوأ عام يمكن أن تمارس فيه الإدارة الأمريكية الضغط على إسرائيل .

لم تكن الحالة المزاجية للجماعة اليهودية الأمريكية تسمح لها بانتقاد إسرائيل ، على العكس من ذلك تماماً، فقد تحول تضارب آراء قادتها تجاهها إلى توافق، وتبدل استياء الإسرائيليين من يهود أمريكا الذين لم يهاجروا إليها إلى رضا، مما جعل الحب الجارف يجمع بين الطرفين، ففى خلال الفترة ما بين عامى ٦٧ و ١٩٧٣ هاجر إلى إسرائيل أكثر من ثلاثين ألف يهودى أمريكى[١٩] ومنع التفاخر بإسرائيل والاعتزاز بالهوية اليهودية أى شخص من أن يشير بشكل علنى إلى عيوب السياسة الإسرائيلية . أما الخلافات الخاصة ، على مثال الخلاف الذى أبداه هرتزبيرج حيال تأييد إسرائيل لسياسة الحرب فى فيتنام ، فكانت نادرة الوقوع. وأصبحت قلة من القيادات اليهودية مستعدة لتحمل نتائج إعراض الحكومة الإسرائيلية عنها، وبالتالى الاستمرار فى قيادة الجماعة اليهودية الأمريكية. وأصبح التأييد الكامل لإسرائيل مطلباً أساسياً لتولى قيادة الجماعات اليهودية على مستوى الولايات الأمريكية كلها ، كان فى مقدور أى زعيم يهودى أن يتزوج من امرأة أجنبية (غير يهودية) وأن لا تكون له علاقة حميمة مع المعبد، ولكن من غير المقبول إطلاقا أن يجهر بنقده لإسرائيل. ساعتها سيتحول إلى زعيم يهودى سابق .

كان انتقاد السياسة الأمريكية فى ذلك الوقت أسهل وأكثر أمْنا من نقد السياسة الإسرائيلية. وبعد موجة الغضب التى أثارتها خطة روجرز لم يعد لدى القيادات اليهودية الأمريكية الكثير مما يمكن لها القيام به . خاصة وأن الروابط التقليدية التى

تربط فى العادة بين قادة أمريكا والحكومة الإسرائيلية كانت فى أضعف فتراتها. ومن ناحيته كان السفير الإسرائيلى فى واشنطن فى غير حاجة إلى أية مساعدة يهودية أمريكية ليصل إلى داخل البيت الأبيض، فقد كان غير مؤيد لوسائل الاتصال التقليدية بصناع السياسة الأمريكية التى تتم عبر قنوات قادة الجماعة اليهودية الأمريكية. يقول رابين فى مذكراته "كنت أقدر هذه النوعية من العمليات، ولكننى لم أكن مقتنعًا بها ، لذلك بذلت جهداً لتغييرها بصبر وحيطة دون أن أجرح مشاعر قادة الجماعة اليهودية". ويضيف "أنا من المؤمنين بأن السفارة الإسرائيلية لابد أن تتحمل مسئولية القيام بالدور الأساسى على كافة المستويات السياسية ، وأن يكون من حقها الاستعانة بالمساعدات التى يمكن أن يقدمها اليهود وغير اليهود على حد سواء ماداموا قادرين على القيام بالخدمة"[٢٠].. ويؤكد "لست فى حاجة إلى القول إن القادة اليهود فى أمريكا لم يكونوا فى يوم من الأيام تحت سيطرتى كما لم يكونوا رهن رغبات الحكومة الإسرائيلية" .

هذا الكلام يعد تبريرات دبلوماسية لا طائل من ورائها ، لأن رابين يُصرُّ من ناحية على أن زعماء اليهود ليسوا فى جيبه، ومن ناحية ثانية يقول إنه يفضل أن تستفيد إسرائيل بمساعداتهم "ماداموا قادرين على القيام بها". هذا فى الوقت الذى كان زعماء الجماعة اليهودية الأمريكية يعرفون أن زعامتهم هذه مرتبطة فقط بحسن ظن إسرائيل فيهم ، لذلك كان من النادر أن تجد من يجرؤ على انتقاد سياسة إسرائيل حتى فى الخفاء، وكان الترتيب لمظاهرات احتجاج ضد خطة روجرز يعد من قبيل المخاطر المحسوبة .

يبدو أن الضغط اليهودى الأمريكى على البيت الأبيض فيما يتعلق بالصراع العربى الإسرائيلى انكمش إلى حد كبير فى هذه الفترة حتى إن بعض أعضاء الكونجرس اندهش وتساءل عما حدث لمثل هذه الممارسات، ولم تستمر هذه الدهشة طويلاً ؛ إذ سرعان ما عادت أخبار قيادات الجماعة اليهودية الأمريكية إلى صدر الصفحات الأولى ومن ثم إلى لعبة واشنطن المحببة. لكن هذه المرة بسبب آخر أثار غضب هنرى كيسينجر وريتشارد نيسكون معًا. فى أوائل السبعينيات عندما كانت إسرائيل تبدو قوية وآمنة فى إطار الشرق الأوسط ، تحول اهتمام يهود العالم، الذى غالبا ما يصاحبه نشاط سياسى، إلى الإجراءات الصارمة التى اتُخذت ضد اليهود فى

الاتحاد السوفيتي. وفى عام ١٩٧٢ قرر اليهود الأمريكيون تحويل نفوذهم السياسى المخصص بصفة عامة للقضايا العربية الإسرائيلية، لإقناع حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لممارسة ضغوطها على السوفيت لكى يصرحوا لمن يريد من اليهود بالهجرة إلى خارج البلاد .

فى شهر سبتمبر اقترح السيناتور هنرى جاكسون ، وهو يتحدث أمام المؤتمر القومى لليهود الذى عُقد لمناقشة قضية اليهود السوفيت، أن تربط حكومة أمريكا بين المنافع التى تعود على الاتحاد السوفيتى من الاتجار معها وبين موافقته على منح حق الهجرة لليهود. نال هذا الاقتراح التأييد المطلق لمائة وعشرين من زعماء الجماعة، وعندما تقدم به جاكسون إلى الكونجرس كاقتراح لتنقيح قانون التجارة بين الشرق والغرب حصل على موافقة ٧٥ من الأعضاء(٢١). لما عارض نيكسون ومعه كيسينجر مشروع القانون من منطلق أنه قد يؤثر على جهود الوفاق مع الاتحاد السوفيتى التى تبذلها أمريكا، قدم تشارلز فانيك عضو الكونجرس عن ولاية أوهايو إلى المجلس التشريعى مشروع قانون مشابه حظى بموافقة ١٣١ عضواً. أسرعت اللجنة الإسرائيلية الأمريكية للشئون العامة (إيباك) بالتنسيق مع مارك تاليسمان معاون فانيك إلى تبنى المشروع، وتمكنت من زيادة عدد المؤيدين له إلى ١٩٠ عضواً ، مما حفزها إلى تركيز جهودها خلال عام ١٩٧٣ لتمرير مشروعى جاكسون وفانيك بالرغم من المعارضة القوية التى أبدتها الإدارة(٢٢) .

أسوأ ما كان ينتظره نيكسون أن تقوم مظاهرات معادية للسوفيت فى الوقت الذى كانت إدارته تحاول جاهدة أن تخفف من حدة التوتر الذى يواجه العلاقات بين واشنطن وموسكو ، لذلك عندما حضرت جولدا مائير إبّان شهر مارس ١٩٧٣ لزيارة واشنطن للمرة الثانية حذرها كل من نيكسون وكيسينجر أن الضغط اليهودى الأمريكى سوف ينسف الوفاق من أساسه، وبالتالى ستتوقف هجرة اليهود إلى خارج الاتحاد السوفيتى. يقول رابين إن الرئيس الأمريكى قال لرئيسة الوزارة الإسرائيلية إن الإستراتيجية التى يتبناها الكونجرس (وبالتالى الجماعة اليهودية الأمريكية) "تمثل هزيمة للذات، ولن يقبل الكرملين على أى وجه أن يملى عليه الكونجرس الأمريكى أوامره". حاولت مائير أن تقلل من أهمية الموضوع إلا أن نيكسون كما يقول رابين أصرَّ

على وجهة نظره، وشرح لها الموقف قائلا " المشكلة أن أعضاء الكونجرس يقولون إن المنظمات اليهودية التى تعمل من هنا تقود خطواتهم فى هذا الخصوص، لذلك ليس من المستبعد أن تقضى تصرفات الكونجرس على سياسات الوفاق"، وعلى العكس من ذلك يمكنني شخصياً أن أحقق لك نتائج أفضل فيما يتعلق بهجرة اليهود خارج الاتحاد السوفيتي. أما تحذير كيسينجر فكان على حد قول رابين أيضا "موجعًا ومباشرًا" إذ قال لها "لا تجعلوا قادة الجماعة اليهودية فى أمريكا يمارسون ضغطهم على أعضاء الكونجرس". أوضحت رئيسة الوزراء الإسرائيلية وسفيرها أنهم لا يستطيعون تجاوز قيادة الجماعة اليهودية الأمريكية فى" موضوع رئيسي وحيوى كهذا "وأضافت" كما أنه ليس فى استطاعتى أن أتخذ من الخطوات ما يُعد طعنًا للسيناتور جاكسون فى الظهر " على حد تعبير رابين[٢٣]. وكان هذا بالطبع موقفا خلافيًا عصبيًا لا صلة له بسياسات إصدار أوامر عسكرية لقادة الجماعة اليهودية الأمريكية للتحرك فى اتجاه محدد .

هنرى جاكسون كان فى ذلك الوقت مرشحًا محتملا لخوض الانتخابات الرئاسية الأمريكية ، وكان وفقا للكلمات التى كتبها عنه رابين "من أعز أصدقائى ومن أعز أصدقاء إسرائيل على مستوى مجلس الشيوخ الأمريكى". أما منتقدوه فى مجلس الشيوخ وخاصة رئيس لجنة العلاقات الخارجية السيناتور ويليام فولبريت الذى كان متفقًا مع آراء نيكسون وكيسينجر فى أن الوفاق بين روسيا وأمريكا فى موقف حرج، فقد وصفه بأنه على استعداد لكى يضحى بالوفاق من أجل طموحاته السياسية. مثَّلت محاولات جاكسون، البريسبيتارى ابن ولاية واشنطن التى كان يقطنها عدد محدود من اليهود ، بالنسبة لقضية يهود الاتحاد السوفيتى استراتيجية خاصه به، وبرغم ذلك رفض الإسرائيليون وقادة اليهود الأمريكيون أن يتخلوا عنه .

قرر البيت الأبيض أن الوقت مناسب لاستخدام الدبلوماسية الهادئة. وكان نيكسون يعتمد فى استشاراته على ثلاثة من اليهود: الأول هو مليونير ولاية ديترويت الكبير ماكس فيشر أحد مؤيديه ومن بين كبار جامعى الأموال للجمهوريين، والثانى جاكوب شتاين مؤيد آخر له ورئيس مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الكبرى وثالثهم هو آرثر هرتزبيرج . كان فيشر ، الرئيس السابق لمجلس الاتحادات اليهودية الفيدرالية، ورئيس صناديق المعونات الاجتماعية، ورئيس النداء اليهودى الموحد وعضو الهيئة

التنفيذية للجنة اليهودية الأمريكية، ومن كبار المتبرعين للحزب الجمهورى وأقرب مستشارى نيكسون اليهود إليه ، على ثقة تامة من أنه إذا زاد الضغط على الروس فسيخفضون أعداد اليهود الذين سُمح لهم بالهجرة. قال نيكسون لمستشاريه هؤلاء بشكل خاص إن برجينيف وعده أن يسمح بتسفير ٣٨,٥٠٠ يهودى سنوياً بغرض الهجرة إلى إسرائيل بشرط أن لا يوافق الكونجرس على إصدار التعديل التشريعى المقترَح، وبالرغم من ذلك لم تفلح المحاولات التى بذلها فيشر وشتاين وهرتزبيرج لإقناع قادة اليهود الآخرين بوقف تأييدهم لجاكسون وفانيك .

فشلت المحاولات إذن وصوتت المؤسسة اليهودية برفض الضغط على جاكسون وفانيك ، يقول هيرتزبيرج فى مذكراته "كانت وجهة النظر أن جاكسون قدم مساعدات كثيرة لليهود فى أوقات سابقة ولدية فرصة لأن يصبح رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية" ويتوقع هو فى ضوء ذلك أن اليهود فى أنحاء أمريكا كانوا يُمنون أنفسهم بتولى مناصب سفراء لواشنطن بعد أن يشكل جاكسون إدارته[٢٤] .

وانفجرت فضيحة ووترجيت ، واعتقد نيكسون أن سياسة الوفاق تمثل أهمية خاصة لكى يبقى فى منصبه، وكانت لجنة اليهود الأمريكيين تقف، كما يراها هو ، بينه وبين تحقيق هذه السياسة . والأسوأ من ذلك أنه كان يعتقد أن أى فشل تتعرض له سياسته الخارجية معناه الفشل فى تقديم الترياق الشافى من آثار الفضيحة مما سيضع نهاية لتاريخه السياسى. لم يكن هذا الادعاء هو الأقوى على مستوى العالم، ولكن مع نهاية عام ١٩٧٣ لم يكن هناك غيره لأنه لم يكن حول نيكسون المحاصر فى البيت الأبيض من يستطيع أن يفكر بوضوح كاف .

فى هذا الوقت كانت قد مضت تقريباً ست سنوات عندما ظهر الخوف لأول مرة حيال مستقبل إسرائيل وما تلا ذلك من نشوة مسكرة سببتها ضربتها الناجحة للعرب خلال حرب الأيام الستة. أثناء الاحتفال بمرور خمس وعشرين سنة على قيام الدولة اليهودية، جدد المثقفون من اليهود الأمريكيين مرة أخرى اهتمامهم بالشراكة من طرف واحد التى تقوم بين اللجنة اليهودية الأمريكية وإسرائيل. حول هذه النقطة كتب المدرس والكاتب والمحرر اليهودى ليونارد فين عام ١٩٧٣ "تزايدت أعداد اليهود فى أمريكا

الذين كان يصيبهم الضجر لعدم فهمهم للعلاقة مع إسرائيل، فبدأوا البحث لعلهم يصلون إلى فهم أكثر حداثة وأكثر نضجًا لها. ويمكن القول إن الوقت كان قد حان لإعادة التقييم هذه مهما كانت مؤلمة"[٢٥] .

من الأمور غير القابلة للتصديق أن جهود اليهود الأمريكيين لإعادة النظر فى علاقتهم مع إسرائيل لم تستمر طويلا، وتوقفت مرة أخرى لنفس السبب الذى أثر على محاولة مماثلة قبل ذلك بست سنوات. ونعني بذلك نشوب الحرب فى الشرق الأوسط. خلال الفترة بين عامى ٧١ و ١٩٧٣ أخضع السادات خياراته المتاحة للفحص والتدقيق، وقرر أن الطريق إلى السلام هو القيام بالحرب، واليوم يعتقد الدبلوماسيون فى إسرائيل وفي أمريكا وكذلك المؤرخون الذين تعرضوا لهذه الفترة بالدراسة، أن السادات قد اتخذ هذا القرار ربما لأن الطريق الوحيد الذى يمكن عن طريقه أن يقضى على غطرسة إسرائيل واطمئنانها إلى الوضع القائم هو أن يقوم بمهاجمتها. وفى أحسن الأحوال، كما توقع السادات، يمكنه أن يستعيد جزءًا من الأراضى المصرية المحتلة، أما فى أسوئها فستتدخل القوى العظمى وتطالب بوقف لإطلاق النار وتدفع إسرائيل إلى مائدة المفاوضات[٢٦]

فى يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣، الذى صادف أهم الأعياد الدينية وفق التقويم اليهودى وهو عيد الغفران (يوم كيبور) عبرت القوات المصرية قناة السويس، واقتحمت خط بارليف ومن خلفه انطلقت إلى سيناء، وخلال ثلاثة أيام فقط دمرت هذه القوات مائة دبابة وخمسين طائرة وقتلت مئات الجنود الإسرائيليين. وخلال الخمسة أيام التالية كانت إسرائيل تتداعى تحت وطأة الضربات التى أصابتها ، وبينما هدد الروس بالتدخل وضعت الولايات المتحدة الأمريكية قواتها خارج الحدود فى حالة استعداد لمواجهة مع الروس وفق الخطة "ديفكون ٣" .

استطاعت إسرائيل عن طريق المساعدات الأمريكية وبتطبيقها لخطة هجوم مضاد ممتازة أن تحوِّل الهجوم المصرى الكاسح عليها إلى نصر، لكنها من الناحية السيكولوجية خسرت معركة كبيرة ، فإذا كانت حرب الأيام الستة منحتها الابتهاج فإن حرب يوم الغفران أصابتها بصدمة. أصبحت الصورة التى صنعتها لنفسها بعد حرب

الأيام الستة بأن قواتها لا تهزم موضع شك وتحول الإسرائيليون إلى دولة محبطة. هل من الممكن أن دولتهم كانت بالغة القوة منذ ست سنوات فقط وأنها الآن في حالة من الضعف يكاد يقودها إلى الدمار؟ يبدو أن العرب أعداء إسرائيل قد طوروا قدراتهم إلى مستوى لم تكن إسرائيل تتوقع أن يصلوا إليه. من ناحية أخرى نسفت حرب عيد الغفران سمعة جولدا مائير وموشى دايان الذى كان يُمنى النفس بأن يصبح رئيسا للوزراء ، وبدلاً من ذلك وُجِّه إليه اللوم لأنه لم ينبه الجهات الإسرائيلية المسئولة إلى تنامى قوة الجيوش العربية .

صدمت نتائج حرب عيد الغفران الجماعة اليهودية الأمريكية، فقد كانت لاتزال أسيرة النشوة التى أعقبت حرب الأيام الستة والتحولات الخاصة بالصهيونية الجديدة لذلك لم تعر مبادرات السادات أى اهتمام. أما إسرائيل نفسها ومعها زعماء أمريكا فكانوا فيما يبدو مطمئنين للوضع القائم فى الشرق الأوسط دون أن يأخذوا فى اعتبارهم أن أحد الثوابت الحقيقية فى سياسات الإقليم هو أن هذا الوضع يتغير بالتدريج. لقد رفضوا جميعًا الاعتراف بأن سبب إخفاق إسرائيل الأخير ربما يرجع إلى عدم قدرة مائير على التعامل مع خطة روجرز، وفيما بعد مع مبادرات السادات السلمية التى تقدم بها عام ١٩٧١ . يتضح الآن أن حكومة إسرائيل لم تكن مهيأة للحرب، كما لم تكن مهيأة للسلام، كما لم يكن اليهود الأمريكيون مستعدين لانتقاد إسرائيل لأنها لم تعمل من أجل السلام. بعد سنوات اعترفت جولدا مائير فى مقابلة صحفية أن مزيداً من الجدل القاسى بين إسرائيل ومنتقديها من يهود الشتات ربما أدى إلى تخلص حكومتها من غطرستها المميتة[٢٧]، هذا الشعور المتسامح مع الانتقادات التى يوجهها يهود الشتات لا يعد مقياسًا صالحًا للحكم، لأنه غالبا ما يصدر عن ساستها الذين تركوا المسئولية أكثر مما يصدر عمن لا يزالون فى السلطة .

لم يكن اليهود الأمريكيون فى حالة مزاجية تسمح لهم بانتقاد إسرائيل فى عام ١٩٧٤ ، لأن حكومة جولدا مائير التى اعتُبرت مسئولة عن الهزيمة التى أصابت البلاد فى أكتوبر، وكانت تصارع فى أواخر عام ١٩٧٣ من أجل إعادة انتخابها، شكلت حكومة عمالية ائتلافية ضعيفة بعد أن خسرت عدداً من المقاعد فى الكنيست لصالح تحالف الليكود بقيادة حزب هيروت الذى كان يتزعمه بيجين ومعه عدد من الأحزاب اليمينية.

فى شهر يناير عام ١٩٧٤ بدأ كيسينجر، الذى تولى وزارة الخارجية الأمريكية بعد روجرز، ومعه موشى دايان جولة من المفاوضات مع السادات للفصل بين القوات المصرية والإسرائيلية فى منطقة قناة السويس، ولإعادة إنشاء منطقة عازلة بينهما تشرف عليها الأمم المتحدة .

اعتبر الإسرائيليون هذه الخطوة التى عُرفت باتفاقية سيناء الأولى نصراً للسادات (وأيضاً لكيسينجر) ودليلاً إضافياً على أن حكومة مائير غير جديرة بتولى قيادة البلاد مما أدى إلى اندلاع المظاهرات فى شوارع إسرائيل احتجاجاً على خطوات الفصل بين القوات. لم تتمكن حكومة الائتلاف العمالى من الصمود مما دفع جولدا مائير إلى إعلان استقالتها فى ١٠ أبريل عام ١٩٧٤، ولم يلبث أن لحق بها موشى دايان. تولى إسحاق رابين قيادة حزب العمل وكان اختيارا صحيحا ، يمكن وفق ماضيه (تولى رئاسة الأركان فترة من الزمن كما عمل سفيراً لإسرائيل فى واشنطن) أن يحقق لإسرائيل هدفين أساسيين فى وقت واحد: سرعة استعادة قدراتها العسكرية وتحسين علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية. هذا بالرغم من أنه لم يكن معروفاً على وجه اليقين ما إذا كان رابين قادراً على الاحتفاظ لحزب العمل بهيمنته على سياسة إسرائيل الخارجية أمام تصاعد شعبية تحالف الليكود أم لا !

كان عام ١٩٧٤ فيما يتعلق بجماعة الضغط الإسرائيلية فى البيت الأبيض عاما طيباً وثورياً معاً، إلى جانب ذلك استقال سى كنن مؤسس ومدير اللجنة الإسرائيلية الأمريكية للشئون العامة (إيباك) وزاد حجم المساعدات الأمريكية لإسرائيل ، وأكدت فاعليات الكونجرس زيادة نفوذ المتبرعين اليهود للحملات السياسية عما كان عليه فى فترات سابقة .

كان سى كنن يمثل كل شىء بالنسبة لإيباك، حقيقة كان لها مجلس إدارة يضم رجال أعمال وقادة لمجموعات يهودية لكنه كان هو وحده المسئول عن إدارة دفة العمل، يقول مصدر مطلع على التطور الذى طرأ على جماعة الضغط إنها كانت عبارة عن "شركة عائلية يديرها رجل واحد". يمكن القول إن "نجاحات الجماعة ارتبطت بشخصية كنن وعلاقاته الواسعة مع حفنة من أعضاء الكونجرس المؤثرين[٢٨] كان من

بينهم على مستوى مجلس النواب رجل بروكلين إيمانويل سيلر، ورئيس المجلس كارل ألبيرت من ولاية أوكلاهوما، و هيوج اسكوت نائب بنسلفانيا، وجاكوب جافيتس، أما على مستوى مجلس الشيوخ فكان منهم هيوبرت هيمفرى وهنرى جاكسون (عندما أثيرت قضية الدعم المالي اللازم لإعادة توطين اليهود السوفيت خلال عام ١٩٧٢ قال ألبرت لكنن " سأتولى بنفسي مهمة الضغط من أجل هذه القضية داخل الكونجرس") .

خارج مدينة واشنطن كانت قلة من اليهود تعرف كنن وقلة أيضًا منهم كانت قد سمعت بلجنة إيباك . في عام ١٩٧٤ عندما سأل أحد معاونى كنن جمهوراً من ٣٠٠ يهودى في مدينة ممفيس عما تقوم به إيباك رفع اثنان فقط أيديهما للإجابة ! لم يكن سي كنن يطمح أن يكون زعيمًا يهوديًا، فقد كان يرى نفسه صحفيًا ورجل دعاية أكثر منه ممارسًا للضغط السياسى، وكان على ثقة أن دوره الذى يقوم به يجب أن يكون بعيداً عن الأضواء خاصة وأنه لم يجد متعته في جمع أموال التبرعات. كان اهتمامه الأول مركزا على نشرة "الشرق الأوسط" التى تصدرها إيباك، ووفقًا لما صرح به مصدر قريب منه، لم تتعد ميزانية اللجنة عام ١٩٧٤ مبلغ ٢٠ ألف دولار أنفق نصفها لإصدار النشرة والنصف الآخر لتمويل عمليات الضغط السياسى. كان كنن دائما ما يقرض المتطوعين من العاملين باللجنة من جيبه الخاص، لذلك لا يتعجب المرء حين يعلم أن مكاتبها الكائنة عند تقاطع شارعى ١٤ و ج كانت تعانى من الاضطراب والقذارة .

في هذا الوقت كان كنن يقوم بعمليات ضغط سياسى بغرض دفع الكونجرس للموافقة على معونة قياسية لإسرائيل عن العام المالى ١٩٧٤ - حوالى ٢ر٢ بليون دولار - لمساعدتها في إعادة بناء قواتها المسلحة بعد حرب عيد الغفران، وتقوية اقتصادها المنهار (في عام ١٩٧٢ بلغ إجمالى حجم الإعانات التى قدمتها أمريكا لإسرائيل ٤٠٤ مليون دولار فقط) .إلى جانب ذلك قام كنن بمساعدة ممثلى اللجنة اليهودية الأمريكية وجمعية مناهضة الافتراء المعروفة باسم بنّاى بنْرت بتأسيس "فريق الحقيقة" لمحاصرة الدعاية العربية الناشئة ، والوقوف في مواجهة جماعة الضغط العربية الوليدة التى تأسست منذ عامين تحت اسم الجمعية القومية للأمريكيين العرب لمحاكاة لجنة إيباك النشطة[٢٩] .

بذلت إيباك جهوداً إضافية لمجابهة الحملات التى تدّعى أن دعم إسرائيل هو الذى أدى إلى نقص البترول خلال عام مضى ، وفى الوقت نفسه كانت متيقظة للمحاولات التى تجرى فى الشرق الأوسط لجعل منظمة التحرير الفلسطينية التى يرأسها ياسر عرفات " الممثل الشرعى " لعرب فلسطين سواء الذين رحلوا عنها أو الذين واصلوا العيش فوق الأراضى التى احتلتها منذ حرب ١٩٦٧ . أما العنف المتصاعد ضد إسرائيل فقد وفّر برهانًا قويًا لتبرير زيادة حجم المعونة العسكرية لتعزيز أمنها .

لم يكن فى استطاعة كنن أن يختار وقتًا أفضل للتقاعد ، فالتأييد العام لإسرائيل بين الأمريكيين كان فى أعلى معدلاته على مستوى كل الأديان وكذلك كان مؤشر التعاطف معها داخل الكونجرس. بعد حرب فيتنام وفضيحة ووترجيت ظهرت بوادر تغيُّر داخل مجلسى النواب والشيوخ من جانب صغار النواب ذوى النشاط السياسى الفعال الذين يفضلون أن تكون قيادتهم من صنع أيديهم ، هذا فى الوقت الذى كان معظم أصدقائه إما ماتوا أو تقاعدوا. لن يمر وقت طويل إذن حتى تصبح السواعد القوية القليلة غير قادرة على الإبقاء على الجميع داخل الخط المؤيد لإسرائيل، ومادامت المعونات الأمريكية قد أصبحت مصدر الحياة العسكرية والاجتماعية لإسرائيل فليس هناك ما هو أكثر أهمية على مستوى العلاقات الأمريكية / الإسرائيلية من الحرص على العلاقة التقليدية الخاصة بين الكونجرس وإيباك .

تولى موريس أميتاى المسئولية بعد تقاعد سى كنن فى شهر ديسمبر ١٩٧٤ وقال إن الظروف وقتها كانت تشبه "مباراة جديدة فى الكرة" وأرجع سبب ذلك إلى "احتياج إسرائيل لبلايين الدولارات بعد حرب عيد الغفران، ورغبتى فى أن أجعل من إيباك لجنة ضغط حديثة ومؤثرة". فيما بعد لخص أحد معاونى أميتاى هذا الاتجاه الجديد بقوله "المؤسسة فى حاجة ماسة إلى التغيير وعلى إيباك أن تتحرك نحو القرن العشرين"[٣٠] .

كان أميتاى محاميا مشهوراً حصل على درجة الماجستير من جامعة هارفارد، واكتسب خبرة كبيرة خلال عمله لفترة فى وزارة الخارجية، وكمساعد فى مجلس الشيوخ للسيناتور إبراهام ريبيكوف نائب ولاية كونيكتيكت، إلى جانب ذلك كان سياسيا بارعًا استطاع يومًا أن يقنع جامعى التبرعات أن مبلغ الـ ٢٥٠ مليون دولار

التى تم جمعها لصالح جمعية النداء اليهودى الموحد مبلغ هائل ولكن لا يمكن مقارنته بالبلايين التى تحتاج إليها إسرائيل لمواصلة مسيرتها ، بالرغم من أن الجزء الأكبر من هذا المبلغ كان خارجا من الخزانة الأمريكية .

قرر أميتاى أيضًا أن إيباك فى حاجة إلى توسيع شبكتها المعلوماتية ، وإلى تركيز اهتمامها على عشرات السياسين الجدد من أعضاء الكونجرس الأكثر تعليمًا ونفوذًا، وأيضًا على العدد المتزايد من الشيوخ الذين يجهلون تاريخ الشرق الأوسط وتداخلاته الدبلوماسية، فالكثير منهم عارضوا الحرب فى فيتنام، واليوم يخشون أن تستدرج أمريكا للتدخل فى صراع إقليمى فى الشرق الأوسط .

كان أميتاى رجلا نشيطا لا يتأخر فى اتخاذ القرارات الفعالة، وكان أيضًا خبيراً فى انتزاع ريش رجال الكونجرس على عكس سى كنن الذى كان بارعًا فى الحنو عليهم، وفى حين كان هذا الأخير دبلوماسيا ودودًا حاول دائما أن ينظر إلى القضايا من وجهة نظر رجال الكونجرس - وكان دائمًا ما ينصح معاونيه بأن يكونوا مقدرين للضغوط التى يتعرضون لها - كان أميتاى كما وصفه أحد أصدقائه "عدوانيًا فى أسلوبه وعدوانيا أيضًا فى مظهره " ويضيف هذا الصديق " كان أسلوبه يعتمد على الهجوم القاسى وكانت سلوكياته أبعد ما تكون عن اللياقة"(٣١). بصفة عامة كان رئيس إيباك الجديد بعيداً كل البعد عن صفة الود ، لذلك لم يقبل بعض أعضاء الكونجرس من ذوى الكرامة أسلوب التهديد الذى لجأ إليه حين هدد بحرمان من لا "يصوِّت" وفق إرادتها من أموال تبرعات الحملات اليهودية .

كان لرجال كنن سيطرة محدودة على ذلك الجزء من أموال تبرعات الحملات المالية الذى أُطلق عليه "المال اليهودى"، وقد اعتمد السياسيون وبالذات الديمقراطيون منهم على سخاء حفنة من اليهود الأمريكيين الأثرياء، فمثلاً استفاد جون كيندى فى نشاطاته من ديوى ستون وفيل كلوتزنيك وابى فينبيرج الذين اشتركوا مع آرثر كريم فى جمع الأموال التى كان يحتاج إليها ليندون جونسون .

كانت المؤسسات الاستثمارية المالية التى أسستها العائلات اليهودية فى "وول ستريت" خلال القرن التاسع عشر مثل : كون / لويب ولازارد إخوان وجولدمان

ساكس ولهمان إخوان ، على درجة كبيرة من الكرم مع الحزب الديمقراطى. مثلاً فى عام ١٩٦٤ قدمت مؤسسة لهمان المتعددة مبلغًا إجماليًا قدره ٣٧ ألف دولار لمرشح الحزب الديمقراطى، أما أندرو ماير رئيس مجلس إدارة إخوان لازارد فقد تبرع بأكثر من ٣٥ ألف دولار من ماله الخاص ، وفى عام ١٩٦٨ أودع جون ل. لويب وأسرته وشركاؤهم فى شركة كارل م. ليوب رودس ٥٠٠ر٩٥ ألف دولار فى صندوق دعم حملات الحزب. فى الوقت نفسه قدم له لويب قرضًا بمبلغ ١٠٠ ألف دولار من ماله الخاص. وفى نيويورك قامت مجموعة المؤسسات المصرفية بتحرير عدد من الشيكات بمبالغ مالية ضخمة باسم الحزب الجمهورى ، كما قدم لهم جون شيفت من مؤسسة كون / لويب مبلغًا وقدره ٥٠٠ر٢٤ ألف دولار عام ١٩٦٨ .

أما رجال الأعمال والمصرفيون الماليون من أمثال لورانس وين مليونير نيويورك الكبير وتاجر العقارات ورجل البر. وتيش إخوان ولورانس / بريستون روبيرت من كبار المتعاونيين ، فكانوا من أوائل المتدخلين فى سياسات الحزب الديمقراطى. ومن الشاطئ الغربى حيث كان اليهود الذين ربحوا الملايين من صناعة السينما خرجت التبرعات الهائلة . فى عام ١٩٦٨ قدم لوى ويسرمان رئيس مؤسسة إم.سى.أيه. العملاقة للتسلية والإنتاج التلفزيونى وأحد اعضاء "مافيا هوليود اليهودية" (كانت قائمة كبار المتبرعين من بينهم معروفة بالاسم داخل دوائر الحزب الديمقراطى) أكبر تبرع لحملة هيوبرت هيمفرى الانتخابية وهو ٢٥٤ ألف دولار[٣٢] .

يقول ستيفان إيزاك فى كتابه "اليهود والسياسة الأمريكية" كان من بين الـ ١٢ شخصًا الذين تبرعوا عام ١٩٦٨ بأكثر من ١٠٠ ألف دولار لدعم حملة هيوبرت هيمفرى الانتخابية ١٥ يهوديًا على رأسهم ويسرمان. فى كاليفورنيا جمع رجل الأعمال يوجين وايمان، الذى كان عضواً فعالا على مستوى أنشطة الأعمال الخيرية اليهودية المحلية ، مليون دولار لدعم حملة هيمفرى، لذلك أطلق عليه البعض أفضل صاحب منجم للذهب السياسى فى كاليفورنيا قبل وفاته المبكرة عام ١٩٧٣[٣٣]. أما ماكس فيشر فكان داعماً سخيًا لحملة ريتشارد نيكسون الانتخابية، لذلك كله أصبح من المعروف على مستوى الدوائر السياسية أن اليهود هم المسئولون عما يزيد عن ٣٠ ٪ وربما ٥٠ ٪ من أموال الدعم اللازمة لحملات الحزب الديمقراطى الانتخابية .

الكلام حول هذه الأهمية السياسية البالغة للمال اليهودى ليست من الأمور المشاعة، والقلة المحدودة من السياسيين الذين يتبادلون الحديث فيها يدلون برأيهم همساً ، حتى اليهود الأمريكيون كانوا يفضلون الصمت على الخوض فى مثل هذا الكلام حتى ظهر على السطح ما يهدد مصدر القوة هذا بعد صدور تشريع جديد عام ١٩٧٤ لتنظيم تمويل الحملات الانتخابية كنتيجة مباشرة لما نجم عن فضيحة ووترجيت .

تمكنت الهيئة المسئولة عن حملة ريتشارد نيسكون الانتخابية - لجنة إعادة انتخاب الرئيس - من جمع ١٧مليون دولار لخدمة أغراض هذه الحملة ، وهو رقم يثير الشكوك لو قسناه بأى مقياس. الأكثر من ذلك إثارة ومدعاة للخزى أن هذا المبلغ جمع من ٤٢١ متبرع فقط دفع كل منهم ٥٠ ألف دولار، أما ما يعادل ١٫٧ مليون دولار فقد تبرع بها أشخاص كوفئوا بتعيينهم فى منصب سفراء لأمريكا فى الخارج فيما بعد !!

لم يجد الكونجرس أمامه من وسيلة لتنظيم تمويل الحملات الانتخابية إلا باسترداد حقه التشريعى ، فإصدار قانون عام ١٩٧٤ الذى يسمح للأفراد بالتبرع بمبلغ ألف دولار فقط لكل مرشح لانتخابات الكونجرس فى مراحلها الثلاث: الأساسية، ثم التصفية. وأخيرا العامة ، أو بمبلغ إجمالى قدره ٣٠٠٠ دولار يتقدم بها كل أمريكى لمساعدة أحد السياسيين ماليًا فى حملته الانتخابية. وبدا الأمر كما لو أن الكونجرس قد وضع حدًا لنفوذ "القطط السمان" .

عارضت الجماعات اليهودية الإصلاح القانونى. من أجل تأكيدها شرحت واحدة من هذه الجماعات لماذا قامت !، ففى حلقة نقاشية برعاية مجلة كومينترى قالت ريتا هايوزر ، الوكيل القضائى الشهير على مستوى نيويورك ذات النفوذ الواسع داخل اللجنة اليهودية الأمريكية ، بوضوح إن قوانين تمويل الحملات الانتخابية الجديدة "حدّت من قوة أشد الأسلحة التى اختبرت الجماعة اليهودية تأثيرها على مستوى اختيار الحزبين السياسيين لمرشحيهما فى الانتخابات"[٣٤] وهو المال تحديداً .

كانت هايوزر مخطئة أشد الخطأ لأنها أساءت تقدير مميزات ظاهرة جديدة متنامية، ونقصد بذلك لجنة النشاط السياسى - بصفة عامة هى لجنة تقوم برعايتها

شركة أو منظمة عمل أو مؤسسة تجارية أو أى تجمع يضم مجموعة من الناس يكون من حقِّها تلقى التبرعات أو تخطيط النفقات ذات الصلة بالانتخابات الفيدرالية، والتى يزيد نصيب المتبرع فيها عن ١٠٠٠ دولار خلال سنة مالية واحدة، هذه اللجان أسستها منظمات العمل خلال عقد الأربعينيات لإفراغ المبالغ المالية التى يتبرع بها الأغنياء الأمريكيون المعادون لاتحاد العمال من قوتها - أو "باك" كما تدل عليها الأحرف الثلاثة الأولى من كلماتها لأنها كانت الوسيلة الأفضل قانونياً لإبطال مفعول العقبات التى نص عليها قانون تنظيم تمويل الحملات الانتخابية الذى صدر عام ١٩٧٤(*) .

استيقن جامعو التبرعات اليهود أنه لم يكن فى مقدورهم ابتكار وسيلة أفضل لخدمة الجماعة اليهودية الأمريكية أفضل من لجان النشاط السياسى "باك"، فالبرغم من أن قانون عام ١٩٧٤ حدد للفرد الواحد أن لا يتبرع بأكثر من ألف دولار للمرشح الواحد إلا أنه أعطاه الحق فى التبرع سنوياً للجان النشاط السياسى حتى ٥٠٠٠ دولار وحتى ٢٠٫٠٠٠ دولار للحزب السياسى.. وأعطى الحقوق نفسها للزوجة وكل ابن من أبنائه بشرط أن لا يزيد تبرع الفرد عن ٢٥ ألف دولار سنوياً لكل المرشحين المتنافسين خلال السنة الانتخابية .

وفى الوقت الذى كبح فيه القانون جماح التبرعات الفردية التى تصل إلى ٥٠ ألف دولار لم يَحُد من حق لجان النشاط السياسى من تقديم المبالغ المالية الباهظة لمرشحيها المفضلين ، وبينما نص القانون على أن الحد الأعلى لتبرع اللجنة الواحدة للمرشح الواحد هو ١٥ ألف دولار إلا أنه لم يحدد عدد اللجان التى يمكن أن تتبرع فى الوقت نفسه لمرشح واحد إذ من الممكن أن تبلغ العشرات تخصص تبرعاتها لنفس القضية. وبذلك يمكن أن يصل إجمالى مبالغ التبرعات فى ظل قانون عام ١٩٧٤ إلى ما يفوق بكثير ما كانت القطط السمان تقدمه فى السابق .

(*) أدى انتشار الاسم المختصر " باك " الى الخلط بينها وبين " إيباك " ، لذا وجب التنويه أن اللجنة الإسرائيلية الأمريكية للشئون العامة ليست لجنة نشاط سياسى - خاصة وأن القانون يحرم على أى جماعة ضغط أن تحث على قيام حملات تلقى التبرعات .

وجدت الجماعة اليهودية الأمريكية التى كان لديها أعظم آلة لجمع الأموال على امتداد التاريخ ضالتها فى لجان النشاط السياسى (من الصعب التعرف عند مناقشة الخبرة التى طورها اليهود الأمريكيون من جامعى الأموال، على الكيفية التى تمكِّنهم من دفع اليهودى المتبرع بعد عناء طويل وشاق إلى تحرير شيك ثم شيك ثان) فلم يكن أسهل على مكاتب جمع التبرعات مثل : جمعية النداء اليهودى الموحد ، أو الصندوق القومى اليهودى ، أو حملات سندات إسرائيل ، أو الاتحادات المحلية للأعمال الخيرية اليهودية ، من القيام بتأسيس لجان نشاط سياسى مؤيدة لإسرائيل. ملَّكت هذه اللجان اليهود الأمريكيين سلاحا أكثر قوة لتحقيق مزيد من التأثير على السياسة، فقد أتاح الانتشار الواسع لها أن يوضع هذا السلاح بين يدى عدد من الناس أكبر مما كان متاحاً من قبل ، خاصة وأن اليهود الأمريكيين كانوا مهتمين بممارسة مزيد من الضغط على الكونجرس لمنح إسرائيل تأييداً أوسع بدلا من دفع حكومتها للتحرك نحو السلام فى الشرق الأوسط .

كان زعماء اليهود يسارعون إلى الوقوف فى مواجهة من تسول له نفسه أن ينتقد سياسة إسرائيل ، وكان أكثرهم تعرضًا لهجومهم وزير الخارجية اليهودى هنرى كيسينجر الذى كان مصمما على تحقيق صيغة سلام شامل تجمع بين قرار الأمم المتحده رقم ٢٤٢ وخطة روجرز عن طريق سياسة "الخطوة خطوة" التى تعتمد على عقد سلسلة من المفاوضات مع سوريا ومصر خلال فصل الربيع. كانت علاقة كيسينجر بالجماعة اليهودية فاترة منذ نهاية حرب عيد الغفران ، حيث شكك البعض فى أنه كان وراء تأخير إرسال شحنات الأسلحة الأمريكية إلى إسرائيل، لذلك بعد استقالة نيسكون وعودة كيسينجر إلى رحلاته "المكوكية الدبلوماسية" بتأييد من الرئيس جيرارد فورد بدا أن قادة اليهود الأمريكيين ومعهم رابين على استعداد للدخول فى معارك معه أكثر من استعدادهم لصنع السلام فى الشرق الأوسط .

دأبت الصحافة اليهودية فى إسرائيل على مهاجمة كيسينجر بانتظام خلال عام ١٩٧٥ ، وسرعان ما انضمت إليها مجلة كومينترى ، التى تحول محررها نورمان بودهورتز إلى صهيونى شره بعد حرب الأيام الستة ، متهمة إياه بأنه يعد جدولاً زمنياً للتخلى عن إسرائيل[٣٥]، أما كيسينجر فكان يبدو قادراً على انتزاع جزء من غضب

اليهود الأمريكيين لو استطاع أن يحقق تقدماً نحو السلام. فى هذه المرحلة كان يمكن أن يقوده عدم مرونة السياسة الإسرائيلية إلى الجنون، وبالرغم من أنه تمكّن فى حالات كثيرة أن يخفى عنهم خيبة أمله فيهم إلا أنه اضطر فى إحدى المناسبات أن يطلع قادة إسرائيل على رأيه فى "سياستهم". حدث هذا فى يوم ٢٢ مارس ١٩٧٥ فى الوقت الذى بدت فيه رحلاته المكوكية الدبلوماسية وكأنها قد منيت بالفشل لسبب رئيسى هو أنه لا اليهود ولا المصريون كانوا على استعداد لتقديم تنازلات جوهرية : فالإسرائيليون من ناحية يرفضون تماماً التخلى عن ممرات سيناء الإستراتيجية وآبار البترول، والمصريون من ناحية أخرى مصممون على عدم التزحزح عن موقفهم إلا إذا تنازل الإسرائيليون عن هاتين النقطتين. فى هذا اليوم ، وكان يوم سبت ، صرح كيسينجر عن خيبة أمله لرابين وعدد من كبار الوزراء فى مجلس الوزراء الإسرائيلى فور عودته بعد الغروب من رحلة زار فيها قلعة المسادا ذات الحصن الجبلى المشهور التى حاصر فيها الرومان نحو ألف متمرد من اليهود خلال القرن الأول الميلادى، مما دفعهم إلى الإقدام على الانتحار الجماعى ولا يسلمون أنفسهم .

وفقا لما جاء فى محضر أحد اجتماعين عقدا مساء اليوم نفسه بين الجانبين الأمريكى والإسرائيلى وأشار إليه إدوارد ر.ف. شيهان فى كتابه "العرب والإسرائيليون وكيسينجر"، أعرب وزير الخارجية الأمريكية عن شجبه الكامل لموقف إسرائيل من التنازلات التى يُطالب بها المصريون، ووصف موقفها بأنه يمثل "مأساة حقيقية" يمكن أن تفسد الجهود التى تبذلها الولايات المتحدة الأمريكية لتجنبها (إسرائيل) الضغوط الدولية التى تهدف إلى إجبارها على الانسحاب إلى حدود عام ١٩٦٧ .. لم يفهم كيسينجر لماذا لا تذعن إسرائيل إلى الانسحاب من مساحة "ضئيلة" لا تتعدى عشرة كيلو مترات من الأرض لتتجنب محاولات إجبارها على إعادة كافة الأراضى المحتلة، قال وزير الخارجية معلقا على ذلك "إنه أمر مأساوى أن يرى المرء أناساً يسيرون نحو خطر لا يمكن تقدير عواقبه"[٣٦]. بعد ذلك بعشر سنوات تقريبا قال واحد من الذين رافقوا كيسينجر إلى هذه المفاوضات فى مقابلة صحفية "كانت لكيسينجر طريقة خاصة ينحى بها جانباً دوره كوزير للخارجية، ومن ثم يتقمص شخصية البروفيسور مستشار الحكومة الإسرائيلية وأيضاً الشخص الذى يستعرض مع مسئوليها أبعاد الصورة

الكبيرة التي يرسمها لهم ويحلل معهم أبعاد الأمور ليس بأسلوب التعالى عليهم ولكن عن طريق مشاركة قادتها فى أفكاره. ولم لا وقد كان عائداً لتوِّه من زيارة لحصن المسادا وكانت فكرة الانتحار مسيطرة على عقله"[٣٧] .

فى مقابل وجهة نظر كيسينجر هذه كان تركُّز معظم اهتمام اليهود على جانب ضيق من الصورة يعكس رؤيتهم الذاتية، فقد أقلقهم تزايد تأثير العالم العربى بسبب ثروتة ونفطه وخشى قادة إسرائيل أن يكون كل من فورد وكيسينجر أضعف من أن يواجهوا تهديدات العرب باستخدام العرب لسلاح النفط ضد أصدقاء إسرائيل، لذلك فضل الإسرائيليون التشدد فى اللحظة الراهنة بغض النظر عن النتائج البعيدة المدى التى يمكن أن تترتب على هذا الموقف .

عاد كيسينجر إلى واشنطن وهو يكاد ينفجر من الغضب، ونقل ما يشعر به من مرارة تجاه الإسرائيليين إلى رئيسه بشكل بارد ، يقول فورد فى مذكراته الخاصة إنه "استشاط غضبا" من الإسرائيليين لأنه كان على قناعة بأن المصريين "تراجعوا بعض الشىء" بينما الحكومة الإسرائيلية ظلت غير مستعدة للتنازل عن شىء لأجل الحصول على شىء آخر فى المقابل[٣٨]. استجابة لإلحاح كيسينجر قرر فورد أن يضغط على إسرائيل فى محاولة منه لكسر ما تبينه الرجلان من تصلبها، فطالب عبر خطاب له حول الشرق الأوسط ألقاه خلال شهر مارس ١٩٧٥ "بإعادة النظر" فى خطط الولايات المتحدة الأمريكية السياسية .

اهتزت أوساط قادة اليهود الأمريكيين لأن "إعادة النظر" كانت تعنى عندهم "التخلى عن إسرائيل"، وسرعان ما جاءت قرارات فورد حاسمة لمن كان منهم يرى استحالة تحول "العلاقة الخاصة" بين إسرائيل وأمريكا إلى "علاقة غير خاصة" حيث أصدر أوامره بتأجيل تسليم صفقة أسلحة كانت مقررة لإسرائيل من بينها طائرات مقاتلة من طراز ف – ١٥، فى الوقت نفسه أوقفت الإدارة الأمريكية المفاوضات التى لم تحسم بعد حجم المساعدات المالية والعسكرية لإسرائيل. اجتمع كيسينجر بعد ذلك مع مجموعة من المسئولين السابقين وبعض خبراء الشرق الأوسط المعروف عنهم انتقادهم لسياسات إسرائيل ويُعتقَد أنهم مؤيدون للعرب، وأصدر أوامره إلى وزارتى الخارجية

والدفاع بدراسة بدائل مستقبلية للعلاقات التقليدية اللصيقة بين أمريكا وإسرائيل[٣٩].
لم يكن في مقدور أي زعيم يهودي أمريكي في هذه الفترة إلا أن يغمض عينيه ليرى شبحَيْ أيزنهاور ودلاس !!

مالت الدفة نحو الإجماع. وكان هذا على وجه التحديد ما حاول الإسرائيليون ومؤيدوهم أن يقاوموه منذ حرب الأيام الستة ، فطريق السلام الجديد الذى يشقه كيسينجر / فورد في الشرق الأوسط يشبه ، إلى حد كبير ، قرار الأمم المتحدة ٢٤٢ وخطة روجرز. اتفق معظم الخبراء على أن الوقت قد حان لتقوم أمريكا بتبني خطة سلام ترتكز على انسحاب إسرائيل إلى حدود ما قبل يونيه ١٩٦٧ مع ضمان الأمن الذى يوفره هذا الانسحاب لإسرائيل. واتفق أن يكون مفتاح الاقتراب الأمريكي القديم / الجديد من هذه القضية أسلوبًا جديدًا للغاية بكل ما تعنيه الكلمة !! خطابا يلقية الرئيس الأمريكي يبين فيه بجلاء مصالح بلاده في الشرق الأوسط التي تتطلب انسحاباً إسرائيليًا .

لم يذهب فورد لإلقاء خطابه المهم حول الشرق الأوسط ، لقد اتضح أن الرئيس الأمريكي ووزير خارجيته أخطأ تقدير القوة التي تتمتع بها مؤسسة الرئاسة الأمريكية من ناحية، وقوة الجماعة الضاغطة الموالية لإسرائيل من ناحية أخرى، إذ كان كيسينجر قد تمكن من أن يلقى بالكرة في ملعب الجماعة اليهودية الأمريكية إلا أنها ما لبثت أن ردتها إليه بسرعة وبراعة !! .

انطلقت إيباك إلى العمل بسرعة من داخل الكونجرس، وفي غضون ثلاثة أسابيع جرى خلالها الكثير من الخصام المحسوب والتملق المتوازن عبر قاعات المجلس، وصلت إلى البيت الأبيض رسالة بتاريخ ٢١ مايو عام ١٩٧٥ وقَّع عليها ٧٦ من الشيوخ تؤكد دعمهم لإسرائيل، وتعرب عن أملهم أن يحذو البيت الأبيض حذوهم. كانت لغة الرسالة خشنة وتنطوي على استفزاز ، فقد اقترح الشيوخ "إعادة نظر" في خطط سياسة البلاد الخارجية بشكل مخالف لما كان يدور في مخيلة فورد وكيسينجر.. وأوضحت الرسالة بجلاء أن الشيوخ يعتبرون إسرائيل سدا منيعًا في مواجهة تمدد النفوذ السوفيتي في المنطقة، وأن "وقف إمدادات الأسلحة إليها يشكل خطراً عليها"، وتتضمن الفقرة التالية مفتاح الرسالة الذى حمل التحيز للرئيس :

"يتوقع الكونجرس أن تصله منكم فى غضون الأسابيع القادمة مقترحاتكم الخاصة بالمساعدات الخارجية التى تتطلبها السنة المالية ١٩٧٦، ونحن على ثقة أن توصياتكم ستستجيب لمساعدات إسرائيل العسكرية العاجلة واحتياجاتها الاقتصادية. ونأمل أن توضحوا، كما نفعل نحن، أن الولايات المتحدة الأمريكية فى ضوء مصالحها القومية تقف بحزم إلى جانب إسرائيل فى مجال البحث عن السلام عبر المفاوضات القادمة.. وأن هذه هى الأسس التى سيتم من خلالها إعادة تقييم سياسات أمريكا الخارجية فى الشرق الأوسط فى المرحلة الحالية"(٤٠) .

لا يعرف أحد على وجه الدقة ما قاله أو فعله كيسينجر عندما تلقى هذه الرسالة القنبلة، ولكن المعروف أن "رسالة الـ ٧٦"، كما صارت تعرف فيما بعد، نسفت بكل تأكيد محاولاته إعادة تخطيط سياسة أمريكا الخارجية . لذلك اتفق مستشاروه أن إلقاء الرئيس لحديثه المتفق عليه فقد أهميته السياسية، وبناء عليه عادت الإدارة إلى مواصلة جهود السلام فى الشرق الأوسط خطوة خطوة .

كانت هذه الخطوة نموذجًا للضربة الضاغطة الناجحة و"حملت الرسالة ٧٦" الأسماء التى تشكل فى المستقبل "الأصدقاء الموالين لإسرائيل" وهم الشيوخ : جاكسون وموندال وكاس وستون ، وبالرغم من أن جورج ماكجوفرن وقَّع عليها إلا أنه سرعان ما عاد بعد وقت قصير للغاية مطالبا بانسحاب إسرائيل من الأراضى المحتلة والتفاوض مع ياسر عرفات. كما وقعها دانيال إنوى السيناتور المنتخب عن هاواى، الذى طالما تفاخر بأنه قادر على مقاومة ضغط اليهود لأنهم أقلية نادرة فى ولايته أو كما صرّح أحد مساعديه للصحفيين ذات مرة بأنهم مثل قشرة الثلج الهشة، وعلق على ذلك قائلاً "أن توقع على رسالة واحدة أسهل من أن تجيب على خمسة آلاف رسالة" وكان يقصد رسائل متعلقه بأمور تخص إسرائيل ستصل إليه من خارج هاواى. أما جون كولفر عن ولاية أويوا الذى قال لسيناتو من زملائه إنه لن يوقع على الرسالة لأنها فى رأيه لن تقيد أيدى الإدارة الأمريكية ولن تشجع إسرائيل على اتخاذ مواقف مرنة ، فقد جاء اسمه من بين الموقعين واعترف لصديق له فيما بعد قائلا " كان الضغط علىَّ كبيرًا جدًا، فرضخت"(٤١) .

"ثارت موجة واسعة من التذمر داخل قاعات مجلس الشيوخ بعد أن نُشرت الرسالة على الملأ، وتبين أن بعضاً ممن وقعوا لم يكونوا سعداء بما أقدموا عليه، وسمع أحد الشيوخ السيناتور إدوارد كيندى وهو يقول "تعرفون أنهم اختلوا بنا جانباً الواحد بعد الآخر، لقد ضربونا بالفعل على رءوسنا بهذه الرسالة الملعونة. لماذا لا نحاول جميعًا أن نتكاتف، وفى المرة القادمة عندما يظهر شيء مماثل علينا أن نتشاور فيما بيننا قبل أن تبدأ حركة التقاطنا والاستفراد بنا واحداً بعد الآخر"(٤٢) .

بعد خمس سنوات كان السيناتور تشارلز ماثياس لا يزال منزعجاً، واعترف علنا فى مقال نشرته له مجلة "الشئون الخارجية" تحت عنوان "الجماعات العرقية والسياسة الخارجية" أنه بسبب ضغط اللوبى " قام سبعة وستون منا بالتوقيع بلا إبطاء ودون عقد جلسات للاستماع، وبلا مناقشات تؤدى إلى فهم. حتى الإدارة لم تدع لعرض وجهات نظرها"(٤٣)، وأضاف ماثيوس فى مقاله "وكنتيجة لنشاطات اللوبى المؤيد لإسرائيل زادت القناعة بشكل مأساوى على مستوى الكونجرس عندما أشيع أن ثمة عقوبات سياسية ستُفرض على من يتقاعس عن الوفاء بما التزم به" .

ربما بدا أن فورد وكيسينجر قد أقدما فى حالة غضبهما على ارتكاب خطأ تكتيكى فادح، حيث بدا الأمر كما لو أن الولايات المتحدة على وشك أن تضغط على إسرائيل، مما أجبر قادة اليهود الأمريكيين على أن ينطلقوا معًا لإظهار موقفهم المتعاضد مع إسرائيل. حقيقة الأمر أنه منذ صدمة حرب عيد الغفران تزايد عدم الرضى بين قادة اليهود الأمريكيين حيال استعداد إسرائيل للسير فى طريق السلام ، وكان فى مقدور الإدارة الأمريكية أن تستغل هذا الموقف لصالحها، ولكنها لم تفعل .

لقد ساور البعض منهم الشك أن إسرائيل لم تعد تهتم بجدية بمبادلة بعض الأراضى التى احتلت نتيجة لحرب عام ١٩٦٧ بالسلام ، خاصة وأن حكومتها العمالية سمحت رسميا بإقامة بضع مستوطنات يهودية فى أراضٍ هى فى الأصل عربية، وبذلك أكدت مخاوف العرب بأن إسرائيل لن تنسحب أبدا، ودفعت فى الوقت نفسه زعماء اليهود الأمريكيين إلى التساؤل : متى يأتى الوقت الذى تواجه فيه إسرائيل المشكلة

الفلسطينية بجدية ؟ إلى جانب ذلك كان هناك من الإسرائيليين من أقلقهم أيضا تزايد التطرف والتشدد لدى حكومتهم، واستطاعت حركة السلام النامية داخل إسرائيل أن تستقطب عدداً من المعروفة أسماؤهم فى الميدانين السياسى والعسكرى، كما انضم إليها عدد من الأمريكيين المنشقين باعتبار أن هذه الجماعات "حمائم" إسرائيلية .

فى الوقت الذى كانت الإدراة الأمريكية تقوم فيه بتحديد موقفها ظهر ما يدل على أن الجماعة اليهودية الأمريكية تتجه إلى إعادة تقييم أعمالها، كانت القوة الدافعة إلى هذه الخطوة مجموعة صغيرة من مثقفى اليهود الأمريكيين والحاخامات أطلقوا على أنفسهم اسم "بريرا" وهى كلمة عبرية تعنى "البديل" أو "الاختيار" بدأوا بنشر أفكارهم على مستوى الكليات، وبين النشطاء من شباب جمعيات الحقوق المدنية والحركات المناهضة للحرب [٤٤] تأسست هذه الحركة عام ١٩٧٣، ومنحت اليهود الأمريكيين فرصة التحالف مع قوى السلام والاعتدال فى إسرائيل ، لأنها بدأت كمشروع يركز اهتمامه على علاقات إسرائيل بيهود الشتات، وبحلول عام ١٩٧٥ وصل عدد أعضائها ما بين ٧٠٠ إلى ١٠٠٠ عضو ألزموا أنفسهم ضرورة إيجاد "بديل صهيونى" لدعم إسرائيل فى الوقت الذى كانوا يبحثون فيه عن الدوافع التى توضح لها حاجتها إلى ضرورة مواجهة مشكلتها مع العرب .

خلال عام ١٩٧٥ أعدت جماعة بريرا برنامج عملها ووزعته ، وقالت فيه :

"اهتمامنا الفورى المهيمن علينا هو السلام فى الشرق الأوسط ، ومصدر هذا الاهتمام هو حبنا واحترامنا لشعب إسرائيل وأرضها، وإدراكنا أن تواصل الحياة اليهودية فى الشتات مرتبط أوثق الارتباط ببقاء إسرائيل. لسنا من المتفرجين السذج، ومن حقنا عندما يعترينا قلق تجاه سياسات إسرائيل أن نعبر عن ذلك ، وإذا تبينت لنا أخطاء قد تترتب عليها عواقب مفجعة فعلينا ألا نتجاهلها أو نكبت اهتمامنا بها" .

واختتمت الحركة هذه الفقرة بجملة من سفر إشعيا (٦٢-١) تقول كلماتها "من أجل صالح الصهيونية، لن نسكت"..[٤٥] .

أسبغ حمائم إسرائيل بركاتهم على مجموعة البدائل ، مما دفعها فى ربيع عام ١٩٧٥ إلى تمويل جولة خطابية داخل ولايات أمريكا للجنرال المتقاعد ماتيتياهو بيليد

أشهر دعاة التفاوض مع العرب وأكثرهم إثارة للجدل، وعلى عكس ما كان مستهدفًا أكدت الجولة أن غالبية اليهود الأمريكيين ما زالوا غير مستعدين لنقد إسرائيل علانية، ويرفضون أى محاولة لذلك حتى لو قام بها جنرال إسرائيلى. فى طريق عودته إلى إسرائيل كتب بيليد مقالاً لإحدى المجلات قال فيه إنه وجد يهود أمريكا متشددين تجاه أى نقد لسياسات إسرائيل ، وهم بذلك "إسرائيليون أكثر من الإسرائيليين أنفسهم"[٤٦]. واحتج بيليد أن الجماعة اليهودية "تؤيد أكثر وجهات النظر تعصبًا فى إسرائيل تجاه الصراع العربى الإسرئيلى، حيث يعتقد أفرادها أن هذا هو المنتظر منهم، متغافلين عن حقيقة هامة وهى أن إسرائيل ليست موحدة سياسيًا ، وأن الخط المتشدد الذى تتبناه حكومة إسرائيل يمثل تحديا لإسرائيل كلها"[٤٧] .

اتهم بيليد محاولات وأد وتجاهل نوعية النقد الذى يؤمن به هو وجماعة بريرا بأنها ستلحق دمارًا هائلا بصورة إسرائيل فى أمريكا وتعزز صورتها "كمجتمع من المحافظين المحبين لذاتهم الذين لا يتوقع منهم شيء سوى تصلُّب فى الرأى ورغبة فى الحرب". وجاء هجوم إيباك على إعادة تقييم فورد/ كيسينجر لسياسة أمريكا الخارجية دليلا واضحا على صحة اتهام بيليد ليهود أمريكا بأنهم "إسرائيليون أكثر من الإسرائيلين أنفسهم" وأنهم يكرهون أى نقد أمريكى يوجه إلى سياسات حكومة رابين الحالية ، لأن هذا التقييم وإن كان نابعًا من داخل الحكومة الأمريكية إلا أنه جاء متوافقا مع مخاوف حمائم إسرائيل حيال سياسات حكومة بلدهم .

وبالرغم من ذلك بقيت داخل جماعات المؤسسة اليهودية بعض الجيوب المؤيدة لأهمية متابعة السياسات الإسرائيلية عن قرب ، وفى شهر يونية من نفس العام تبنى المؤتمر المركزى للحاخامات الأمريكيين، الذى يعد الممثل الشرعى لحركة الإصلاح الأمريكية لشئون الحاخامات، قرارًا حول "حرية التعبير" أشاد فيه "بأهمية الجدل الدائر فى إسرائيل حول السلام" وطالب بدعمه. وأثنى المؤتمر على "الانفتاح الذى تشهده إسرائيل فى الوقت الراهن" وطالب الحاخامات اليهود الأمريكيين أن يعترفوا" بالتنوع داخل إسرائيل" وأوصوا بقيام حوار مفتوح فى الولايات الأمريكية مماثل لما تشهده إسرائيل ، وأوضحوا ضرورة" عدم إهمال أى موضوع قابل للنقاش بما فى ذلك البدائل المتاحة لإيجاد حل للمشكلة الفلسطينية"[٤٨] .

لم يكن لهذا الانفتاح أن يرى النور ، فالحقيقة كانت غير ذلك، حيث تبنت الجماعة اليهودية الأمريكية منهجا مختلفًا كانت ضحيته الأولى جماعة بريرا لأن خطيئتها الكبرى أنها نقلت عن اليهود ما كانوا يفكرون فيه. لقد نجحت هذه المجموعة فيما بين عامى ٧٢ و ١٩٧٦ بفضل تحريرها الجيد لمجلة "التبادل" التى كانت تصدرها فى تحريك بعض المعارضة داخل الولايات الأمريكية ضد السياسات الإسرائيلية، ولفتت انتباه صحيفة ذى نيويورك تايمز ومن بعدها واشنطن بوست التى نشرت فى أبريل عام ١٩٧٦ قصة عنوانها "اليهود الأمريكيون يبدأون فى نقد إسرائيل علنًا". ولما أرادت بريرا أن تتقدم خطوة نحو اجتذاب مزيد من اليهود الأمريكيين لتأييد موقفها المعارض ، هاجمتها جماعات صهيونية موالية لإسرائيل بحجة أنها جماعة متطرفة معادية لإسرائيل. بل وذهبت إلى ما هو أسوأ من ذلك، حيث وصفتها بأنها خلية خطرة تضم مؤيدين لمنظمة التحرير الفلسطينية .

وفقًا لما توصل إليه الباحث بول فوير الذى أعد دراسة جامعية بعنوان "الهجوم على بريرا" كشفت عن تفاصيل القضايا والأحداث القيمة التى أحاطت بالجدل الدائر حول هذه الجماعة، وصمَت نشرة هداسة الإخبارية التى ترسل بالبريد الجماعة بأنها عبارة عن "قادة يهللون للانهزامية" وغمزت إلى تحالف بينها وبين حزب العمل الأمريكى الفاشيستى الجديد الذى يرأسه ليندون لاروش الذى لم يكن معروفًا عنه ميله لليهود. كما هاجمتها افتتاحية نشرة الساحل الغربى اليهودية الأسبوعية على اعتبار أنها من "ابتكار فئة من الثوريين اليساريين". أما سى كنن الذى كان لا يزال يحرر نشرة إيباك المعروفة باسم تقرير الشرق الأوسط فاتهمها بأنها "زعزعت دعم الولايات المتحدة لإسرائيل" .

على امتداد الشهور التالية أصحبت جماعة بريرا هدفًا للتشهير والافتراء من قبل الجماعات اليهودية والصهيونية على مستوى ولايات أمريكا كلها، ولم يكتف المجلس الاكبر للجماعة اليهودية بواشنطن برفض عضويتها، بل أصدر قرارًا يستهجن حتى وجودها(٤٩). ونزلت المنظمة الصهيونية الأمريكية بثقلها فى المعركة، وشنَّت هجومًا بغيضا ضد بريرا ، وذلك حين نشرت فى سبتمبر عام ١٩٧٦ مقالا فى نشرة الصهيونى الأمريكى بعنوان "لماذا صقورنا حمائم" اتهمت فيه كل يهودى يؤيد حقوق الفلسطينيين

بأنه "حمامة خطرة". بعد بضعة أشهر هاجمتها فى مقال آخر حيث وصفتها بأنها "المتحدث الرسمى باسم منظمة التحرير الفلسطينية، والفلسطينيون الذين ليس لهم وجود إلا فى الأساطير" .

كما سعت المنظمة إلى طرد حاخام من أعضاء بريرا من وظيفته التى كان يشغلها فى مكتب تابع لمؤسسة هيلل الخيرية ، فى الوقت نفسه فتحت منظمة بنَاى بنرت تحقيقا مع الجماعة فى محاولة منها لتحديد موقف رسمى من المخالفين فى الرأى. من ناحية أخرى استدعى قادة بريرا إلى القنصليتين الإسرائيليتين فى فيلادلفيا وبوسطن، ووافق المسئولون عنها على الذهاب لكى يبرهنوا على ولائهم لإسرائيل ، وهناك قيل لهم إن نقد سياسات إسرائيل يعد من قبيل الهجوم على الدولة ذاتها(٥٠). يقول آرثر صمويلسون الذى كان يقوم بتحرير مجلة "التبادل" ويعمل الآن محرراً فى مؤسسة سوميت للكتب: "فور وصولنا إلى القنصليتين وُضعنا فوراً فى موقف الدفاع عن النفس، ولم يتح لنا أى وقت لمناقشة القضايا الحقيقية"(٥١)، وأصرَّ قادة بريرا على أنها جماعة موالية .

كان معظم أعضاء هذه الجماعة مثل صمويلسون من شباب اليهود الأمريكيين الذين عاشوا فى إسرائيل، ويعرفون اللغة العبرية ويتابعون الأحداث التى تقع داخل الأرض المقدسة ربما بصورة أكثر قرباً من متابعة غالبية أعضاء المؤسسة اليهودية الأمريكية الذين كانوا يستقصون منهم عن بواعثهم. استطاعت بريرا أن تجتذب إليها عدداً كبيراً من شباب اليهود الليبراليين وعدداً من الحاخامات المعروفين الذين لهم تواجد فى الحياة اليهودية مثل الحاخام بلفور برينكنير أحد كبار أعضاء الحاخامية الإصلاحية (حاليا حاخام معبد ستيفين وايز الحر بمدينة نيويورك) و جواشيم برنز صاحب الشخصية الخرافية الذى كان حاخاما فى برلين فى فترة بزوغ نجم هتلر وسبق له أن تولى رئاسة مؤتمر الرؤساء. كان أعضاء بريرا على عكس غيرهم من قادة اليهود الأمريكيين مستعدين أن يكرروا على الملأ مواقف الحمائم الإسرائيلية التى تقول إنه

لا يوجد طريق للسلام فى الشرق الأوسط إلا إذا نظرت إسرائيل بجدية فى قضية حق الفلسطينيين فى تقرير مصيرهم .

كان الحاخام ألكسندر شيندلر، رئيس اتحاد الطوائف العبرية الأمريكية والممثل الرسمى للحركة الإصلاحية فى لجنة الشئون غير الحاخامية، واحداً من قادة اليهود المشهورين القلائل الذين دافعوا عن حق جماعة بريرا فى الاعتراض على السياسات الإسرائيلية ، كما شبَّه الحملات التى تتعرض لها بعمليات "صيد الساحرات"(٥٢). كان تأييد شندلر، الذى انتُخب منذ فترة وجيزة رئيسًا لمؤتمر الرؤساء لمدة عامين، المستتر لحق معارضة السياسات الإسرائيلية رائعًا ، لأنه أثبت بذلك أنه مصمم على تحويل المؤتمر إلى صوت أمريكى يهودى موالٍ لإسرائيل، ولكنه مستقل عنها وذلك "لخلق حوار بين الأكفاء" على حد قوله فى مقابلة صحفية له مع مجلة نيو أوت لوك الإسرائيلية المعتدلة فى وقت مبكر من عام ١٩٧٦ . وقال أيضا فى هذه المقابلة :

" مؤتمر الرؤساء وأعضاؤه كانوا أدوات لسياسات الحكومة الإسرائيلية الرسمية، كان من الواضح أن مهمتنا هى أن نتلقى التوجيهات من دوائر الحكومة، وأن نبذل ما فى وسعنا دون أن يكون لنا رأى لكى نؤثر على الجماعة اليهودية. من جانبى أعتقد لأسباب عديدة أن هذا الأمر ليس مقبولاً، فليس من طبيعة اليهود الأمريكيين أن يسمحوا لكائن من كان أن يستغلهم، أما إذا كانت هناك حاجة لمساعدة يقدمونها فلا بد أن تكون لهم مشاركة فى الخطوات التى تُتخذ لصنع القرار"(٥٣) .

من سخريات القدر أن تنتشر فى إسرائيل وجهة نظر شيندلر حول إعادة تقييم الشراكة بين اليهود الأمريكيين وإسرائيل فى الوقت نفسه الذى كانت تقوم فيه إيباك بتجنيد المعارضة ضد إعادة تقييم العلاقات الأمريكية / الإسرائيلية كما ينادى بها الرئيس فورد. وليس أقل منها مدعاة للسخرية أنه بينما كان شندلر يؤيد الجدل الدائر بين اليهود الأمريكيين الذى كانت تنادى به جماعة بريرا، كانت بريرا على وشك أن تتلقى ضربة قاصمة من جانب اليهود الأمريكيين الذين كان يسعدهم تلبية أوامر

إسرئيل. تلك العادة التى كان شندلر يخطط للقضاء عليها. ومع أنه كان صعبًا على شندلر محاولة تغيير العلاقات بين أكبر جماعتين يهوديتين فى العالم، إلا أن تل أبيب كانت تفضل أن تكون لها شراكة غير متساوية مع اليهود الأمريكيين .

فى منتصف عام ١٩٧٦ استدعى رابين ثلاثة من الأكاديميين الإسرائيليين للقاء وصفه واحد منهم بعد ذلك بسبع سنوات بأنه "اجتماع لا يصدقه عقل"(٥٤)، كان الثلاثة من مواليد أمريكا، وكان لديهم بعض الخبرة فى مجال العمل مع أو بالقرب من منظمات يهودية أمريكية. فور التئام الحضور حدد رابين الهدف من دعوتهم قائلا : حكومة إسرائيل قلقة بسبب تزايد النقد العلنى لسياساتها بين اليهود الأمريكيين . لا أحد يتوقع من يهود الشتات أن يوافقوا على كل ما تقوم به إسرائيل، لكن المشكلة أن النقد فى الماضى كان يتم "داخل البيت" حيث كان قادتهم يبلغون وجهات نظرهم إلى سفير إسرائيل أو حتى إلى رئيس وزرائها. وقال رابين مواصلا النقاش، لا حاجة لاطلاع غير اليهود، وعلى وجه الخصوص صانعي السياسة الأمريكية أن اليهود الأمريكيين لا يقفون صفًا واحدًا خلف أى شىء تقوم به إسرائيل، ثم أضاف أن قادة اليهود لا يؤيدون النقد القاسى الذى يوجَّه لإسرائيل عبر باب القراء بصحيفة ذى نيويورك تايمز. وكان بذلك يلمح إلى ما تقوم بها جماعة بريرا .

ردَّ واحد من المدعوين إلى اللقاء موضحًا "إن من يعرف جماعة بريرا يعلم أنها لا تمثل تهديدًا لأمن إسرائيل، وبالرغم من ذلك كان رئيس وزراء إسرائيل قلقا إلى الدرجة التى جعلته يطلب الاجتماع بنا ليطلب منا أن ننصحه ماذا يفعل. الموقف كان مذهلا ؛ فقد استقال مستشار رابين للشئون العربية من منصبه مؤخرًا لأنه لم يجتمع معه على الاطلاق، وها نحن نستقطع ساعتين من وقت رئيس وزراء إسرائيل لمناقشة الاعتراضات التى تمثلها مجموعة من الأمريكيين اليهود. كان رابين مذعورًا، وكان منشأ ذعره قلقه النابع من فكرة الانشقاق". وقال هذا الأكاديمى معلقا على الاجتماع إنه "غرق فى بحر من الحيرة بسبب جهل رابين بأحوال الجماعة اليهودية الأمريكية وادعائه أنه يعرف كل شىء عنها" .

بعد فترة وجيزة أصدرت القدس أوامرها بدفن جماعة بريرا ، وأكد ذلك ما هو معروف عن رابين منذ أن كان سفيراً فى واشنطن من أنه لا يرتاح أبداً لأى جماعة يهودية أمريكية تحاول أن يكون لها دور فى رسم سياسة إسرائيل، ودائماً ما كان يعمد هو وجولدا مائير إلى الاتصال بالبيت الأبيض مباشرة، وليس عن طريق قادة اليهود الأمريكيين أو جماعات الضغط. لقد أراد رابين أن يحدد بشكل قاطع نوعية التعامل مع اليهود المعترضين على سياسات إسرائيل (وهو نفسه رابين ، وياللصدفة، الذى قال مرة لنيكسون وكيسينجر إنه لا يملك أى سيطرة على اليهود الأمريكيين ، وذلك فى سياق تحذيرهما إسرائيل من عواقب دعم اليهود الأمريكيين للتعديلات التى يسعى إليها السيناتور جاكسون وزميله فانيك من منطلق أنها ستنسف الانفراج الدولى الذى تسعى إليه أمريكا مع الاتحاد السوفيتى) .

عندما بدأت خطوات التصفية لم يكن أعضاء بريرا يعرفون من يقف وراءها، يقول صموئيلسون" شعرنا أنها حملة منسّقة الأدوار وسمعنا بعض الشائعات بأن الإسرائيليين يقفون وراءها ولكننا لم نكن على ثقة تامة من ذلك. أفضل ما وفّر معلومات حول هذه الخطوات كتيب صار يرسَل إلى أفراد الجماعة اليهودية الأمريكية اعتبارا من نهاية عام ١٩٧٦ وخلال شهر يناير من العام التالى بعنوان "بريرا : مشورة لليهود" كانت تؤلفه الأمريكية رائيل جان إيزاك المتخصصة فى العلوم الاجتماعية، والتى لم يكن تعاطفها مع الجناح الدينى القومى اليمينى فى إسرائيل بما فيهم جماعة جوش إيمونيم معروفاً فى ذلك الوقت (١٩٧٧) كما هو معروف الآن. كان تمويل رائيل لجماعة "أمريكيون من أجل إسرائيل آمنة" غير المشهورة أيضاً مستتراً كتحريرها للكتيب، إلا أن نشاطها هذا دفع بالجماعة إلى مزيد من الشهرة بوصفها ناطقة باسم الجناح اليمينى المتطرف داخل جماعة الضغط اليهودية .

هاجمت رائيل جماعة بريرا من أجل تشويه سمعتها باستخدام حقائق ملفقة وحجج لا أساس لها من الصحة، واتهمتها بأنها جبهة متقدمة لمعاداة الصهيونية تعمل لحساب منظمة التحرير الفلسطينية، وكان مما قالته "إذا أراد بعض اليهود أن ينظموا أنفسهم نيابة عن منظمة فتح التابعة لياسر عرفات فهذا تميُّز يخصهم وحدهم، ولكن عليهم أن يسموها باسمها الحقيقى: يهود من أجل فتح ، وليس جماعة بريرا" .

عقدت جماعة بريرا اجتماعها السنوى الأول والأخير فى شهر فبراير عام ١٩٧٧، وبدلاً من أن يناقش المجتمعون قضايا مثل حق يهود الشتات فى الاعتراض، وحركة السلام فى إسرائيل، والفلسطينيون فى الضفة الغربية، والسلام فى الشرق الأوسط، كانت القضية الأساسية هى الجماعة نفسها بسبب السخط المتعاظم ضدها وتصاعد حملات الافتراء حيال صدق ولائها. الأكثر من ذلك أن معارك الجماعة العقائدية الداخلية بين جناحيها اليسارى المتطرف والوسط جعلت مستقبلها غير مضمون. أما على المستوى الخارجى فقد أدى هجوم المؤسسة اليهودية المتواصل عليها من فوق منصات المعابد فى كل الولايات الأمريكية باعتبارها جماعة تعمل ضد مصلحة إسرائيل إلى تقليص عضويتها وتجفيف مصادر تمويلها وإلى موتها فى نهاية الأمر .

وذهب قادتها كلٌ فى طريق مختلف حتى من أراد منهم مثل صموئيلسون أن يواصل دوره النشط فى الحياة اليهودية لم يوفق إلى الحصول على عمل ، ويقول معلقًا على هذه الفترة : "بدا كما لو أن هناك منظمة هدفها الأساسى هو تدميرنا، وهذا الأمر ليس مستعصياً، فالتأثير على اليهود الأمريكيين لايحتاج إلى براعة ، فما على المرء إلا أن يعزف لحنًا وسرعان ما يستمع الكل لألحانه. لقد اتضح الآن أن نشر غسيلنا القذر على الملأ، وتقديم المساعدة والهدوء لأعداء إسرائيل مسائل غير مسموح بها بين الجماعة اليهودية الأمريكية. لذلك تنافست المنظمات المختلفة لأجل التمتع بتدميرنا إرضاءً لإسرائيل" .

السؤال المهم: هؤلاء الذين شاركوا بريرا كل أو بعض انتقاداتها لما كان يجرى فى إسرائيل، لماذا لم يدعموا جماعة بريرا؟ لقد أقدموا على ما هو أسوأ من ذلك حين تعاونوا مع المنظمة الصهيونية العالمية وحكومة رابين على تدميرها !! يقول صموئيلسون "عندما ذهب هيرتزبيرج إلى إسرائيل كان من فصيلة الحمائم، وعندما عاد إلى أمريكا وجدناه من الصقور. وإنى لأتساءل: لماذا؟" .

يقول هيرتزبيرج عن جماعة بريرا فى ذلك التاريخ "لم تكن فكرة جيدة أن نتساءل أى سياسة تناسبها الفترة الحالية، فما دام حزب العمل هو الذى فى موقع السلطة كنت أعتقد فى ذلك الوقت أن تشكيل تحالف فكرةٌ طيبة ، وهذا هو الثمن المناسب الذى يمكن

أن يقدمه حزب العمل، وكنت أعتقد كذلك أن الفرد يمكن أن يكون مؤثرًا وهو يعمل من داخل الحكومة خاصة وأن هذه الحكومة أرادت أن تبرهن للصغار أنهم لا يمكن أن يكونوا فى موقع المعارضة وينجوا بأنفسهم"(٥٥). أما اليوم وقد أصبح هيرتزبيرج أكثر المعارضين وأعلى المخالفين تعبيرًا على مستوى جماعة اليهود الأمريكيين، فإنه يشعر ببعض الألم والأسف عندما يتذكر معركة جماعة بريرا ويعترف : "لقد كنت مخطئًا" .

يمكن القول إن بريرا وقعت ضحية ليس فقط لصهيونية غاية فى التطرف، ولكن أيضًا لما هو أسوأ من ذلك ونعنى بذلك أساليب الهدم الماكارثية، وقدمت وفاتها دليلا على أنه حتى لو ظهر بين اليهود الأمريكيين من يستاء من السياسة الإسرائيلية فإنهم غير مهيئين لنقدها فى العلن، والأكثر من ذلك أنهم مستعدون للإطاحة بمن يجرؤ على مثل هذا الفعل كما فعلت إيباك فيما يعرف "برسالة الـ ٧٦" التى قدمت دليلا لا يقبل الشك على قوة هذا التكتيك .

كما برهنت هذه الوفاة على أن إيباك خرجت بعد الثورة التى شهدتها سياسات الجماعة اليهودية الأمريكية وهى القيادة الأكثر قوة على مستوى الجماعة اليهودية كلها فيما يخص أى قضية تتعلق بإسرائيل. فقد تبين أن قادة الجماعات اليهودية الأمريكية الذين هاجموا بريرا تنازلوا عن جزء كبير من القوة التى كانوا يتمتعون بها لإيباك التى تعد أكبر الجماعات ولاءً لإسرائيل فى الولايات المتحدة الأمريكية، وأكثرها قدرة على كشف الأعداء المعترضين على سياساتها سواء كانوا من اليهود أم من غيرهم .

الحقيقة أن الفترة التى كان يستطيع فيها قادة الجماعة اليهودية الأمريكية أو الغالبية منهم، مثل هرتزبيرج، أن يربطوا أنفسهم دائمًا بحزب العمل الإسرائيلى انتهت، لم يعد أى من هؤلاء القادة مستعداً لأن يبدو مهتمًا بما فيه الكفاية بالتغيرات الاجتماعية والسياسية التى كانت تجرى فى إسرائيل .

لقد زالت همينة حزب العمل على الحياة فى إسرائيل، ومن سخرية القدر أن أصوات المعارضة بدأت تكسب تأييداً فى داخلها، ولكنها ليست معارضة الحمائم. إنها معارضة أكبر منشق فى إسرائيل والمعارض السياسى الأكثر مثابرة منذ نشأة الدولة. الرجل الذى كافح ضد وجهة نظر بن جوريون قبل يوم إعلان الاستقلال، والذى قاد

مظاهرات فى شوارع إسرائيل ضد التعويضات الألمانية لليهود، والذى عارض قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢، والذى انسحب من حكومة جولدا مائير بسبب موقفها من خطة روجرز، والذى أصاب الناخبين فى إسرائيل بصدمة كهربائية ، والذى يمكن أن يثير مزيداً من الشكوك حول مستقبل إسرائيل بين قادة اليهود الأمريكيين. إنه مناحم بيجين !!

الهوامش

1. Jon Kimche, *There Could Have Been Peace* (New York: The Dial Press, 1973), p. 270.

2. Steven L. Spiegel, *The Other Arab-Israeli Conflict* (Chicago: University of Chicago Press, 1985), p. 185.

3. Henry Kissinger, *White House Years* (Boston: Little, Brown, 1979), pp. 370–371.

4. Yitzhak Rabin, *The Rabin Memoirs* (Boston: Little, Brown, 1979), p. 154ff.

5. I. L. Kenen, *Israel's Defense Line* (Buffalo: Prometheus Books, 1981), p. 239.

6. Interview with Simha Flapan, Jerusalem, October 30, 1984.

7. Interview with Arthur Hertzberg, April 11, 1984.

8. Kenen, *Israel's Defense Line*, p. 238.

9. Kimche, *There Could Have Been Peace*, p. 286.

10. Ibid., p. 297.

11. Rabin, *The Rabin Memoirs*, p. 165.

12. See Conor Cruise O'Brien, *The Siege* (New York: Simon and Schuster, 1985), p. 496ff.

13. Anwar el-Sadat, *In Search of Identity* (London: Collins and Fontana, 1978), p. 263. According to O'Brien, Sadat did not actually mention the peace agreement until he sent confirmation of his plans to the U.N. on February 14 (O'Brien, *The Siege*, p. 707 n. 15).

14. Cited in Noam Chomsky, *The Fateful Triangle* (Boston: South End Press, 1983), p. 64.

15. See O'Brien, *The Siege*, p. 510.

16. *Newsweek*, February 14, 1971.

17. *Newsweek*, February 23, 1971.

18. Cited in Chomsky, *The Fateful Triangle*, p. 65.

19. Melvin I. Urofsky, *We Are One!: American Jewry and Israel* (New York: Anchor Press/Doubleday, 1978), p. 402.

20. Rabin, *The Rabin Memoirs*, p. 229.

21. *Facts on File*, September 27, 1972, pp. 773, 844.

22. Kenen, *Israel's Defense Line*, p. 285ff.

23. Rabin, *The Rabin Memoirs*, pp. 230–231.

24. Interview with Hertzberg, April 11, 1984.

25. Leonard Fein, "Israel or Zion," *Judaism* 22 (Winter 1973).

26. See O'Brien, *The Siege*, Chapter 10.

27. Urofsky, *We Are One!*, p. 405.

28. Confidential interview.

29. Kenen, *Israel's Defense Line*, p. 320.

30. Interview with Morris Amitay, November 28, 1986; confidential interview with former AIPAC staffer.

31. Ibid.

32. Figures compiled by G. William Domhoff, *Fat Cats and Democrats: The Role of the Big Rich in the Party of the Common Man* (Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1972), pp. 42–44.

33. Stephen D. Isaacs, *Jews and American Politics* (New York: Doubleday, 1974), Chapter 8.

34. See Hauser's remarks in "Liberalism and the Jews," a symposium in *Commentary*, January 1980.

35. Norman Podhoretz, "The Abandonment of Israel," *Commentary* 62, July 1, 1976, pp. 23–31.

36. Edward R. F. Sheehan, *The Arabs, Israelis, and Kissinger* (New York: Reader's Digest Press, 1976), p. 162.

37. Confidential interview with former Kissinger associate.

38. Gerald Ford, *A Time to Heal* (New York: Harper & Row, 1979), pp. 246–247.

39. Sheehan, *Arabs, Israelis, and Kissinger*, pp. 164–174.

40. Full text in ibid., p. 175; also see Seth P. Tillman, *The United States in the Middle East* (Bloomington: University of Indiana Press, 1982), p. 67.

41. Russell Warren Howe and Sarah Hayes Trott, *The Power Peddlers* (Garden City, N.Y.: Doubleday, 1977), pp. 272–273.

42. Interview with ex-Senator James Abourezk.

43. *Foreign Affairs*, Summer 1981, p. 993.

44. The following information on Breira is from Paul Foer, "The War Against Breira," *Jewish Spectator*, Summer 1983, based on his unpublished undergraduate thesis at Hampshire College, "The Attack on Breira: Dissent and Repression in the Jewish Community"; from interviews with former Breira leaders Arthur Samuelson, Rabbi Balfour Brickner, and Rabbi Arnold Wolf, who confirm many of Foer's facts; from Carolyn Toll, "American Jews and the Middle East Dilemma," *Progressive*, August 1979, pp. 28–35; and from various reports in the Israeli press, which I will cite when appropriate.

45. Cited in George E. Gruen, "Solidarity and Dissent in Israel-Diaspora Relations," in *Forum*, a publication of the American Jewish Committee, Spring/Summer 1978.

46. Mattityahu Peled, "American Jewry: 'More Israeli Than the Israelis,'" *New Outlook*, May/June 1975, pp. 18–26.

47. Ibid.

48. Cited in Gruen, "Solidarity and Dissent."

49. See Foer, "The War Against Breira," p. 21.

50. See Toll, "Middle East Dilemma," p. 34.

51. Interview with Arthur Samuelson, September 1983.

52. See Foer, "The War Against Breira," p. 21.

53. "Interview with Rabbi Alexander Schindler," *New Outlook*, April/May 1976, p. 53.

54. Confidential interview with one of the professors.

55. Interview with Hertzberg.

الفصل الرابع

جيمى كارتر ومشكلته اليهودية

ركز جيمى كارتر فى حملته الانتخابية الطويلة والمتميزة خلال عامى ٧٥ و ١٩٧٦ على تأكيد التزامه سلامة وأمن إسرائيل، ففى خطاب انتخابى مهم ألقاه فى منتصف شهر يونية ١٩٧٦ بمناسبة يوم مدرس مدرسة الأحد وقف فى معبد يهودى بمدينة جورجيا بولاية نيوجيرسى واضعاً قلنسوة (كتلك التى يضعها المتدينون اليهود فوق مؤخرة رءوسهم) ناعمة زرقاء اللون فوق رأسه ، قال لجمهور الحاضرين "أنا أعبد الرب نفسه الذى تعبدونه، كما أننا نحن المعمدانيين نطالع الكتاب المقدس نفسه الذى تقرأون فيه" . ثم انتقل من هذه المقدمة إلى النقطة المركزية فى الخطاب حيث أعلن وسط تصفيق جمهوره المنشرح الصدر" إن بقاء إسرائيل ليس مسألة سياسية وإنما هو ضرورة أخلاقية لا سبيل إلى تجاهلها(١) .

وخلال الحملة أشار كارتر بوضوح إلى أبعاد ما أصبح مألوفا فى ميدان دبلوماسية الشرق الأوسط، ونقصد بذلك طبيعة العلاقات الخاصة بين الولايات المتحدة وإسرائيل. وأشاد بنهجهما الديمقراطى، وأوضح مدى الحاجة لمفاوضات مباشرة بين العرب والإسرائيليين، ونوّه بأهمية قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ . أما قلب المشكلة كما أشار إليها المرشح الرئاسى جيمى كارتر فهو "أن السلام فى الشرق الأوسط يرتكز أكثر من أى شىء آخر على تغيرات أساسية فى مواقف الطرفين"، وهذا معناه اعتراف العرب بإسرائيل . وقبولهم لإقامة علاقات دبلوماسية معها ، وعقد اتفاقية سلام ، وفتح الحدود بين الجانبين ، ووضع نهاية للمقاطعة العربية الاقتصادية لها"(٢) .

كان هناك شبه اقتناع أن زمن الخطوات الصغيرة الذى أجاد كيسينجر تشكيله انتهى، وكان هناك أيضًا شبه إجماع بين الخبراء (ومنهم كيسينجر نفسه) أنه يتحتم

على الولايات المتحدة أن تأخذ خطوة كبيرة فى اتجاه إقرار السلام فى الشرق الأوسط بغض النظر عن من الذى سيفوز بالانتخابات الرئاسية .

كان اليهود يرتابون فى توجهات جيمى كارتر فهو معمدانى متدين من الجنوب ، ليس له خبرة بما يجرى فى كواليس واشنطن ، وليس له احتكاك بالجماعة اليهودية الأمريكية، لذلك نظموا صفوفهم فى بداية الحملة الانتخابية تأييداً للسيناتور هنرى جاكسون. ومهما كانت درجة اهتمامات كارتر بإسرائيل لا يستطيع زعيم يهودى أمريكى مشهور أن يدعى أنه كان صديقًا له، لذلك عندما دعى رجل أعمال نيويورك الشهير هوارد صمويل ١٥٠ من مشاهير يهود شمال شرق الولايات الأمريكية للالتقاء به لم يحضر منهم إلا ٤٠ فقط ، مما سبب إحراجاً للمضيف الذى قال للصحفيين "لقد أساءوا تقدير الرجل كلية وكانوا خائفين منه إلى حد الرعب"[٣] .

خلال مرحلة انتخابات الرئاسة الأولية عام ١٩٧٦ بذل كارتر جهداً كبيراً لإحداث تغيير فى موقف اليهود تجاهه، وحقق نجاحًا كبيراً حيث لاحظت الدوائر المتخصصة تزايد قوة الترشيح التى يحظى بها. فى هذه المرحلة انضم إلى فريق حملته الانتخابية فى ولاية أطلانطا عدد من قادة المؤسسة اليهودية مثل إدوارد ساندرز المحامى بمدينة لوس أنجلوس وأحد الرؤساء السابقين لجمعية إيباك ، وبول زوكرمان رئيس مؤسسة النداء اليهودى الموحد. وفى الأسابيع الأخيرة من الحملة أعلن موريس أميتاى المدير التنفيذى لجمعية إيباك أن اللوبى الموالى لإسرائيل يؤيد ترشيح جيمى كارتر، مما جعل أحد معاونى فورد يقول مازحا "إذا فاز فورد بالرئاسة فيتحتم على أميتاى أن يغادر المدينة فى مدة أقصاها أربع وعشرون ساعة " أما سى كنن الذى كان قد تقاعد من العمل فى إيباك فقد أبدى قلقه إزاء الموقف المتحيز الذى اتخذته إيباك[٤]. بالطبع لم ينجح فورد، ولكنه حصل على أكثر من ٣٠ ٪ من أصوات اليهود .

أعلن كارتر قبل تنصيبه رسمياً رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية "أن هناك فرصة مواتية لتحقيق تقدم مثير" فيما يتعلق بأوضاع الشرق الأوسط[٥]، ذلك أن الزعماء العرب بعد ثلاث سنوات من حرب عيد الغفران أبدوا اعتدالا ملحوظًا، بينما أظهرت حكومة إسرائيل العمالية نوعًا من المرونة، وبدأ الطرفان مستعدين للذهاب إلى جنيف لإجراء مباحثات سلام فيما بينهما. كان الوقت مناسباً للسلام والظرف أكثر احتياجاً

إليه من أى وقت مضى، وكما قال نائب الرئيس الأمريكى والتر مونديل فى خطبة ألقاها فى الصيف التالى" الصراع فى الشرق الأوسط يحمل فى طياته تهديداً بإمكانية حدوث مواجهة عالمية ويفتح المجال لمخاطر حرب نووية"(٦) .

بدأ الرئيس الأمريكى الجديد بعد توليه المسئولية بعشرة أيام فقط فى عقد لقاءات حول الشرق الأوسط مع وزير خارجيته سايروس فانس ومستشاره للأمن القومى زبجينيو بريجينسكى وأندرو يانج صديقه القديم منذ أيام ولاية كاليفورنيا الذى عينه الرئيس مندوباً لأمريكا فى الأمم المتحدة. وعقد الرئيس اجتماعين آخرين فى شهر فبراير جاء موعد ثانيهما بعد عودة سايروس فانس من رحلته إلى الشرق الأوسط، كتب بريجينيسكى فى مذكراته التى أصدرها عام ١٩٨٣ ، حول فترة قيامه بعمله كمستشار للأمن القومى إلى جانب الرئيس كارتر ، "تم الاتفاق على أن التقدم بمبادرة سلام فى الشرق الأوسط أمر على جانب كبير من الأهمية"(٧) .

فيما يبدو كان كارتر وفانس وبريجينسكى متفقين على ضرورة التحرك بأقصى سرعة ممكنة قبل أن تبرز على السطح القضايا السياسية الداخلية مثل انتخابات الكونجرس لعام ١٩٧٨ ، وجولة الرئيس عام ١٩٨٠ ، وتأخذ منهم كل اهتمامهم. شدد بريجنيسكى على أنه "لن يكون هناك اختراق نحو السلام ما لم تفلح أمريكا فى إقناع إسرائيل بأن تخطو هذه الخطوة لأنه على حد قوله" ليس فى إمكان أى سياسى إسرائيلى أن يتحمل مسئولية تأييد تسوية حقيقية ما لم يكن فى مقدوره أن يضيف إليه، إن لم يتحقق هذا التأييد ستتأثر العلاقات بين أمريكا وإسرائيل"(٨). ومن ناحية أخرى كان على كارتر أن يقوم بهذا التحرك فى العام الأول لتوليه المسئولية وإلا جازف بخسارة الدعم المالى لليهود وعرَّض نفسه لسخط الجماعة اليهودية الأمريكية العام ، يؤكد بريجنيسكى أن التحرك بهذه الكيفية نال تأييد مستشارى كارتر السياسيين "على الرغم من أن جوردان هملتون ومونديل تحولا فى مرحلة متأخرة من فترة رئاسة كارتر عن تأييد خطوات السلام فى الشرق الأوسط وألحَّا على الرئيس أن يتجنب الإقدام على أى تحرك من شأنه أن يثير ضده الجماعة اليهودية الأمريكية" .

أثار تعيين بريجينسكى قلق قادة اليهود فى أمريكا، فقد سبق له أن نشر مقالاً فى مجلة "السياسة الخارجية" قال فيه : إن الظروف النفسية والعلاقات السياسية التى تحكم مسيرة الشرق الأوسط تفرض التخلى عن أسلوب الخطوة خطوة الذى يعتمد عليه كيسينجر لإقرار السلام فى المنطقة واستبداله بأسلوب التسوية الشاملة ، على أن يقوم كل من أمريكا والاتحاد السوفيتى بدور الوسيط. رأى اليهود الأمريكيون فى هذا التوجه فرضاً للسلام على إسرائيل بدلا من السماح لها بالتفاوض مباشرة من أجله مع الأطراف الأخرى، خاصة وأن بريجينسكى انتقد تصلب الموقف السياسى الإسرائيلى الراسخ الذى لم يكن قادراً على استيعاب فكرة "مبادلة الأراضى العربية المحتلة بقبول عربى لفكرة اقتسام أرض فلسطين القديمة التى كانت تحت الانتداب البريطانى بين إسرائيل وبين ما يحتمل أن يكون دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وغزة تسيطر عليها منظمة التحرير الفلسطينية"(٩).. وهذا يُعتَبر بالنسبة لليهود الأمريكيين بمثابة إقامة دولة فلسطينية فى نهاية الطريق الذى يقود إلى مبنى البرلمان الإسرائيلى .

كان مصدر قلق اليهود الأمريكيين الثانى حيال دور بريجينسكى فى إقرار السلام فى الشرق الأوسط اشتراكه مع ويليام كونت (الأكاديمى المتخصص فى الشرق الأوسط الذى يعمل مساعداً فى جهاز الأمن القومى) فى إعداد تقرير بروكينجز المثير للجدل فى شهر ديسمبر عام ١٩٧٥(١٠) . تضمنت الدراسة اقتراحاً بانسحاب إسرائيلى من الأراضى، وحق الفلسطينيين فى "تقرير المصير" مما اعتبره اليهود الأمريكيين دليلا إضافياً للتوجس من أن بريجينسكى يعمد إلى جذب الإدارة الأمريكية ناحية العرب، وبالرغم من ذلك لاحظ بعض المنتقدين أن اثنين من كبار قادة الجماعة اليهودية وقّعوا على المقترحات التى جاء ت فى تقرير بروكينجز هما ريتا هاوزر من أعضاء اللجنة الإسرائيلية الأمريكية للشئون العامة ، وفيليب كولتزنيك المشارك فى كل أمر يتعلق بإسرائيل .

كان اليهود الأمريكيون على معرفة مسبقة بآراء وتوجهات بريجينسكى، ولكنهم لم يكونوا قادرين على استجلاء ما يمكن أن يتوقعوه من جيمى كارتر، لذلك كان طبيعياً أن يتوقعوا منه الأسوأ .

سلك كارتر خلال عامه الأول فى البيت الأبيض أسلوباً وصفه أحد العاملين معه المتخصص فى قضايا الشرق الأوسط بقوله "كانت سياسة شرق أوسطية طموحة دون

الانشغال كما هى العادة باعتبارات قضايا السياسة الداخلية"(١١). فى الحقيقة كان كارتر يبدو متورطًا إلى حد كبير فى الشرق الأوسط، وكانت دواعى هذا التورط كما رآها المحيطون به تعود فى جزء منها إلى "موروثات دينية" وفى جزء آخر منها إلى رغبته العارمة أن تحقق إدارته مكاسب كبيرة وسريعة. يقول أحد مساعديه "ما كان للسيناريو الذى نعدُّه أن يكون شبيها بغيره، ولكننا نظرنا إلى الشرق الأوسط كأولوية رئيسية ، وكنا سعداء عندما كانت للرئيس النظرة نفسها ، وكتب فانس فى كتابه حول مسئولياته كوزير للخارجية إلى جوار كارتر "أقلقنى أشد القلق أن الإسرائيليين ظهروا بمظهر بالغ العصبية حيال نشاطاتنا الجديدة فى المنطقة ، لذلك قررت أن لا أبدو متسرعًا فى اتخاذ الخطوات"(١٢) .

حفلت المنشورات والمرويات عن سنوات حكم كارتر بالكثير من النظريات التى تصفه بأنه كان ساذجا إلى الدرجة التى مكَّنت فانس وبريجينسكى من استغلاله(١٣)، والحقيقة أن الرجلين كانا أكثر وعيًا منه بالمشاكل السياسية التى ستترتب على الإسراع فى اتخاذ خطوات نحو السلام. كان كارتر يعتقد أنه إذا تمكن من الصمود أمام غضبة الجماعة اليهودية الأمريكية العارمة فإنها ستذهب فى نهاية الأمر أدراج الرياح، وسيحل السلام فى المنطقة ، وبدلاً من أن يتحقق ذلك احترق نجم كارتر .

وصف سايروس فانس فى مقابلة صحفية كيف كان تأثره عميقًا عندما علم باستعداد كارتر "للتضحية بانتخابه رئيسًا لمرة ثانية إذا كان ذلك سيؤدى إلى إقرار السلام فى الشرق الأوسط"(١٤). ولما كان فانس مدركًا تمام الإدراك لحجم الضمانات السياسية التى تحتاجها التسوية السلمية فى الشرق الأوسط كما يتصورها كارتر فى مخيلته، فقد أصر على أنه لا يوجد سبب للاندفاع بأسرع مما يحتاج الأمر. ووافقه بريجينسكى على ذلك ، ولذلك قررا معًا البدء بالنقاط الأقل صعوبة والانتقال منها إلى الأصعب. وهكذا قرر فانس وبريجينسكى أن يبدأ بالأمن والحدود وطبيعة السلام نفسه أولاً. وفيما بعد، كما يقول خبير فى شئون الشرق الأوسط كان على صلة وثيقة بالقرارات السياسية التى تتخذها إدارة الرئيس كارتر، "يمكن التعرض للقضايا الصعبه المتعلقة بهذه المحاور الثلاثة، خاصة وأننا كنا نريد الابتعاد فى الوقت الراهن عن القضية الأكثر حساسية فى الموضوع كله وهى القضية الفلسطينية" .

عطل كارتر هذه الخطة بما جاء على لسانه من عبارات أثناء إلقائه لخطاب باجتماع عام في مدينة كلنتون/ ولاية ماساشوستس يوم ١٦ مارس عام ١٩٧٧، وذلك حين أعلن أن السلام فى الشرق الأوسط يتطلب تعاملا مع القضية الفلسطينية، ومضى الرئيس قائلا "يدعى الفلسطينيون حتى اللحظة الراهنة أن إسرائيل ليس لها الحق فى أن تتواجد هناك لأن الأرض تخصهم، وأنهم لم يتنازلوا بعد عن التزامهم المعلن أن يدمروها. هذا الوضع يجب التغلب عليه ، ويجب أن يقام وطن للاجئين الفلسطينيين الذين عانوا لسنوات طويلة"(١٥) .

كانت الجملة الأخيرة هذه بمثابة عود ثقاب أشعل حزمة من المتفجرات ثم ألقى بها داخل الجماعة اليهودية الأمريكية ، وبالرغم من ذلك حصل الرئيس على مساندة بعض المؤيدين المؤثرين، حيث جاء رد فعل صحف مثل واشنطن بوست ، وكريستيان ساينس مونيتور ، وذى نيويورك تايمز متجاوباً مع الخطاب الذى ألقاه الرئيس فى مدينة كلنتون، فقد وصفت افتتاحية ذى نيويورك تايمز ملاحظات الرئيس بأنها "سياسة حكيمة" وأنها تحدد أبعاد نظرة عامة لـ "سلام حقيقى وانسحاب حقيقى وحل حقيقى لمشكلة الفلسطينيين"(١٦) .

كان خطاب الرئيس فى مدينة كلنتون مفاجأة للجميع بما فيهم مستشاروه الشخصيون ، يقول خبير سابق فى شئون الشرق الأوسط عمل بإدارة الرئيس كارتر "المشكلة الكبرى أن الجملة التى أشار فيها إلى وطن فلسطينى كانت من صياغته هو شخصياً، ويبدو أن الرئيس لم يكن قد استوعب بعد حساسية بعض الكلمات عند التعرض لمناقشة الشأن العربى/ الإسرائيلى، لقد نطق كارتر بكلماته التى لم تكن جزءا من خطابه المعد سلفًا مما جلب عليه أول رد فعل سلبى لسياساته". وصف بريجينسكى زلة لسان الرئيس التى وردت فى خطابه بكلنتون بأنها "عفوية وغير متوقعة" وأشار إلى أنه قال للسفير الإسرائيلى "فى تقديرى الشخصى كلمة وطن لا تحمل فى طياتها أى مدلول سياسى خاص"(١٧) .

كانت سياسة الإدارة الأمريكية بعيدة عن فكرة إقامة وطن مستقل للفلسطينيين، إذ كانت تميل إلى أن يكون هناك شكل من أشكال "الوجود" الفلسطينى مع تفضيل أن

يكون مرتبطا بالأردن التى يسكنها غالبية من الفلسطينيين، أما ما يتعلق بطبيعة هذا النوع من "الوطن" وحدوده ونظامه السياسى فمتروك أمره للمفاوضات. وكانت هناك نقطتان واضحتان فى هذا السياق :

١) أن يتخلى الفلسطينيون عن الإرهاب ، وأن يعترفوا بإسرائيل لكى يكون لهم (ولمنظمة التحرير الفلسطينية التى تمثلهم) الحق فى التمتع بهذا الخيار .

٢) أن يكون للفلسطينيين دور فى مفاوضات السلام، إذا كان الهدف الأساسى هو استمرارها إلى أن تحقق غايتها .

وافقت إسرائيل على النقطة الأولى وعارضت الثانية بقوة .

لم تأت سيرة خطاب مدينة كلنتون فى مذكرات كارتر التى نشرها فيما بعد بالرغم من أن "الأمر برمته جعل نائبه مونديل شديد العصبية" كما ذكر أحد مستشارى كارتر للشئون الخارجية ، الذى يضيف " لكننا قررنا أن نهمل جانباً هذه الكلمات على اعتبار أنها عثرة لسان، خاصة وأن إهمالها يتفق بشكل أساسى مع وجهات نظرنا، وكان تقديرنا أن هذا سيهز الناس وسيغير أسلوب الاقتراب من المشكلة ، بدلا من ذلك دقت الأجراس داخل الجماعة اليهودية الأمريكية"[١٨] .

كانت الأجراس قد بدأت دقاتها فعلا لأن كارتر بما أشار إليه أثناء خطابه بمدينة كلنتون كان يردد للمرة الثانية خلال تسعة أيام عبارات كشفت عن عدم دراية بخبرة واشنطن واستخفاف بالكلمات اللازمة عند التحدث عن دبلوماسية الشرق الأوسط ، وألقت به فى داخل أتون مشتعل .

قبل ذلك، وفى السابع من شهر مارس، عقد الرئيس الأمريكى اجتماعاً مع إسحاق رابين رئيس الوزراء الإسرائيلى وصفه كارتر فيما بعد بأنه "لم يشكل مفاجأة سارة له"[١٩]، فى رأى كل من فانس وبريجينسكى لم تكن هذه المحادثات "موفقة" كما جاء تحديداً على لسان الثانى[٢٠] لأن كارتر كان منزعجا لما أبداه رابين من تحفظ وعدم مرونة تجاه مبدأ التفاوض مع العرب وخاصة الفلسطينيين. وعلق فانس على ذلك كما ذكر بريجينسكى أنه يظن أن الإسرائيليين "يعمدون إلى إعاقة" المساعى الأمريكية[٢١] .

ومن جانبه لم يسهم رئيس الوزراء الإسرائيلى فى تلطيف جو اللقاء بعض الشيء بسبب رفضه قبول دعوة كارتر له لإلقاء نظرة إلى ابنته آمى وهى نائمة. وكان رابين قد استمع إلى حديث الرئيس وفى الحال اعتبره من مؤيدى تقرير بروكينجز ، وربما أشد خطراً مما يتضمنه التقرير باعتباره "مبتدئ" فيما يخص دبلوماسية الشرق الأوسط. بعد ذلك اجتمع رابين بالزعماء اليهود الأمريكيين ، وأشاع فيما بينهم أن الرئيس الأمريكي يريد من إسرائيل أن تنسحب كلية من الأراضى المحتلة، ولكن سايروس فانس نفى ذلك وأكد أن الانسحاب المطلوب تدريجي. وعاد الارتباك مرة أخرى إلى الساحة لأن الرئيس كان قد قرر، كما كتب فى مذكراته، "أن يحدث انفجاراً" بالحديث عن حدود إسرائيل ينتقل بعده إلى تفجير قضايا أكثر خطورة. ارتكز اقتراح الرئيس على إمكانية إنشاء "نوعين مختلفين من الحدود لإسرائيل: الأول يحدد مجال سيادتها الوطنية، والثانى على بُعد منه يحدد مجال الدفاع عنها على أن يتواجد بينهما قوات إسرائيلية أو دولية لحمايتها من أى عدوان تتعرض له"(٢٢) .

فهمت الجماعة اليهودية الأمريكية كما فهم رابين أيضا أن هذا الكلام يعنى انسحابا إسرائيليًا، وبالرغم من أن كارتر بدأ يعانى من مشكلة سياسية داخلية خاصة بعد إلقائه خطاب مدينة كلنتون، إلا أنه لم يستوعب الرسالة حتى هذا الوقت .

عاد رابين إلى إسرائيل تساوره فكرة "احتمال أن تضطر إسرائيل إلى سداد ثمن غالٍ لصمودها ضد أفكار كارتر حتى تكتسب إدارته الجديدة الخبرة الكافية والنضج السياسى"(٢٣) . كان لدى الزعيم الإسرائيلى أيضا مشاكل سياسية داخلية عليه أن يتعامل معها؛ فالانتخابات العامة كانت على الأبواب، وكان أى تساهل من جانب حكومته فيما يخص موقفها تجاه منظمة التحرير الفلسطينية أو الدولة الفلسطينية ، يعنى الإضرار بها عبر صناديق الانتخاب. لذلك تمسَّك رابين بأن فكرة قيام دولة فلسطينية بين إسرائيل والأردن أمر غير قابل للنقاش، وأضاف "ليس لدينا اعتراض على أن يتضمن الوفد الأردنى إلى أى مباحثات فى جنيف فلسطينيين" وأعلن أن حكومته "سوف تكون مستعدة لمشاركة الأردن السيطرة على الضفة الغربية على أن تكون مسئولة عن الإدارة العربية المدنية، وأن تكون إسرائيل مسئولة عن المسائل المتعلقة بالأمن"(٢٤) .

فشل مستشارو كارتر فى ملاحظة الباب الذى كان يفتحه رابين فى اتجاه مفاوضات مشتركة بمشاركة فلسطينية، ولو أن الرئيس اغتنم فرصة العرض الذى تقدم به رئيس الوزراء الإسرائيلى- بدلا من أن يبدو مُصراً على الضغط لأجل إقامة دولة فلسطينية مستقلة - فلربما استطاع أن يدفع فوراً بخطوات السلام إلى الأمام، وأن يقى نفسه مزيداً من انتقادات اليهود الأمريكيين الذين كان يقلقهم أنه يريد منح تنازلات كبيرة للعرب (الذين يبدو أنهم لم يلاحظوا هم أيضاً ما كان رابين مستعداً لأن يسلم به) .

وزّع أصدقاء إسرائيل فى مجلس الشيوخ بمساعدة إيباك فى منتصف شهر يونية قائمة تحتوى على إحدى وعشرين شكوى كتبوها فى حق إدارة الرئيس كارتر كان من بينها مطالبة بالتخلص من بعض خبراء كارتر فى شئون الشرق الأوسط، فى الوقت نفسه تدفق على البيت الأبيض سيل من الرسائل التى تنتقد سياسات الإدارة الموالية للعرب. قال عضو فى مجلس إدارة المنظمة الصهيونية لمجلة تايم بغير تحيُّز "يظن الناس أنهم شاهدوا من قبل جماعة يهودية للضغط تمارس عملها، والحقيقة أنهم لم يروا أى شىء حتى الآن"[٢٥] وسرعان ما أضحى هذا التهديد المغلف حقيقة .

تحوَّل مسلك اليهود الأمريكيين من التوجس إلى العداء الصريح، ولم يسبق لأحد على معرفة بتاريخ جماعات الضغط الموالية لإسرائيل أن شاهد شيئًا شبيهًا بما كان يخبئه قادة اليهود لكارتر الذى فاز فى انتخابات عام ١٩٧٦ الرئاسية بنحو ٧٠٪ من أصواتهم. قال حاخام من نيويورك لمجلة تايم "لو أن كارتر قال فى أكتوبر (يعنى فى وقت الانتخابات) ما أصبح يردده فى فصل الربيع لما جلس فى البيت الأبيض"[٢٦]. لم تتمخض خطوات كارتر السياسية عن أى فعل مؤثر سوى إعادة طمأنة زعماء اليهود الذين ظلوا على قناعة أنهم يشمون رائحة سياسة مزدوجة المعايير، وبدا واضحًا أن كارتر غير قادر على الإتيان بأى فعل من شأنه أن يُرضى الجماعة اليهودية الأمريكية .

كتب كارتر فى مذكراته " فجأة فى ٤ أبريل عام ١٩٧٧ برز أمام ناظرىّ ضوء على شاشة الشرق الأوسط، ذلك حين اجتمعت لأول مرة مع الرئيس المصرى أنور السادات ، الرجل الذى كُتِب له أن يغير التاريخ والذى قدر لى أن أعجب به أكثر من أى زعيم آخر"[٢٧].

لقد أظهر السادات مرونة لم يبد علي رابين أنه على استعداد لها، وناقش مع كارتر وضع نهاية للمقاطعة التجارية مع إسرائيل، وكان على استعداد لمناقشة الاعتراف الدبلوماسى بها ومناقشة" حد أدنى من الانحرافات فيما يتعلق بحدود ١٩٦٧، بشرط أن تحل قضية فلسطين" .

راهن السادات بكل شيء على أن كارتر قادر على فتح طريق للسلام سيمنحه هو القدرة على أن يعمل بعقلية منفردة لحل المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تكاد تمزق بلده إربًا. عندما جاء الرئيس السادات إلى واشنطن فى أبريل عام ١٩٧٧ كان يريد أن يعرف بنفسه حقيقة الاستعدادات الجادة التى يبديها كارتر، وبناء على ما كتبه سايروس فانس "أراد السادات أن يطمئن تمامًا إلى التزام كارتر باستكمال المسيرة على الرغم من المشاكل السياسية الداخلية التى يمكن أن يتعرض لها "[٢٨] وأكَّد له كل من كارتر وفانس أن الرئيس مستعد لمثل هذه الضغوط .

كان الأمل بأبعاده هذه قابلا للتحقيق فى ذاك الوقت ، فحكومة رابين كانت مستعدة للتفاوض مع العرب بما فيهم الفلسطينيون، وكانت على ما يبدو مستعدة للتعاون مع إدارة كارتر، وبالتالى التحكم فى حركة زعماء اليهود الأمريكيين وكذلك أصدقائها فى الكونجرس .

تبددت هذه الافتراضات بعد شهر واحد عندما انتخب مناحيم بيجين رئيسًا لوزراء إسرائيل، وأرجع حزب العمل أسباب هزيمته إلى التغير الذى لحق بسياسة كارتر تجاه بلاده ، وقال رابين في سياق شرحه لأسباب خسارته للانتخابات :"إن لم تكن إسرائيل قادرة على الاعتماد على أمريكا كصديق وكحليف فما عليها إلا أن تضع مصيرها بين يدى زعيم عنيد وصلب الإرادة لحماية مصالحها الحيوية"[٢٩]، وهذه المواصفات بالنسبة للناخب الإسرائيلى لا تنطبق إلا على بيجين. فى الوقت نفسه تجنب رابين بدهاء الإشارة إلى مسلسل الفضائح السياسية التى ألصقت تهم الفساد بكبار المسئولين فى حكومته مما أساء إلى حزبه عبر صناديق الانتخابات، كما تعمد عدم الإشارة إلى أنه سحب اسمه من بين أسماء المتنافسين بسبب بوادر فضيحة ادعت عليه هو وزوجته أن لهما حسابات بنكية سرية فى أمريكا .

حول أخبار انتخاب بيجين كتب كارتر فيما بعد "أُصِبنا جميعًا: المواطن الإسرائيلى، والجماعة اليهودية الأمريكية، وأنا بصدمة، ولم يكن أى منا قادراً على التنبؤ بما يتوقع منه"(٣٠). كانت لدى الإسرائيليين، فى واقع الأمر، فكرة جيدة عن بيجين لأنهم تعايشوا معه حوالى ثلاثين عاماً، أما الرئيس فلديه فكرة محدودة عنه بعد أن شاهد شريطا تليفزيونيًا مسجلا له وهو يتحدث عن توجهاته السياسية أثناء حملته الانتخابية . بعد المشاهدة أسرَّ الرئيس إلى يومياته " كان أمراً مفزعًا أن تتابع مواقفه شديدة الصلابة تجاه قضايا يجب التوصل إلى حل لها قبل أن يتحول استقرار السلام فى الشرق الأوسط إلى حقيقة"(٣١) .

كان من رأى بيجين دائمًا أن الضفة الغربية جزء من إسرائيل، وأنها حُرِّرت فى معركة حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧، وكان كارتر يعتبر بطبيعة الحال هذه الإشارة بمثابة "إلقاء لقرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ ،الذى صوتت إسرائيل لصالحه، من النافذة" لذلك كتب فى مذكراته التى أصدرها عام ١٩٨٢ بعنوان الاحتفاظ بالإيمان "لم أصدق ما سمعته" .

هذا التوجه الثابت من جانب بيجين يمكن التأكد منه عبر مطالعة سريعة لتاريخ الحركة الصهيونية، حيث يتبين إيمانه به منذ أن كان زعميًا للحركة الصهيونية التصحيحية فى بولندا قبل الحرب العالمية الثانية. ويضاف إلى ذلك أن شعار عصابة بيجين التى تُعرف باسم الأرجون - كان قد شكلها قبل تأسيس حزب حيروت الذى هيمن على تحالف الليكود الذى أوصله إلى رئاسة الوزارة الإسرائيلية - كما يعرفه غالبية الإسرائيليين وقلة من الأمريكيين هو عبارة عن يد فى المقدمة تقبض على بندقية ومن خلفها خريطة تضم أقاليم شرقى وغربى نهر الأردن (بما فيها المملكة الأردنية الهاشمية) مكتوب عليها "هذه فقط". بالرغم من أن بيجين تنازل عن حلم ضم أراضى الأردن إلا أنه أبدًا لم يفرط فى حق الاحتفاظ بالضفة الغربية وغزة - اللتين كان يصر على تسميتهما بأسمائهما التوراتية يهودا والسامرة - كجزء من إسرائيل الحديثة، ولهذا السبب كان بيجين ينفر بشدة من القرار ٢٤٢ ،مما دفعه بالتالى إلى الإصرار على الانسحاب من حكومة الوحدة الوطنية برئاسة جولدا مائير عام ١٩٧٠

وأصر بيجين كما أصر من قبله رابين على الرفض القاطع لإمكانية قبول إسرائيل مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية فى مباحثات السلام فى جنيف ولو ضمن أعضاء الوفد الأردنى. وتأكد لكارتر أنه إذا كان بيجين جاداً إلى هذه الدرجة فليس "هناك أمل فى إحراز مزيد من التقدم فى مسيرة السلام بالشرق الأوسط"، ولكنه فى الوقت نفسه عرف عنه أنه "رجل مخلص وجرئ" .

حتى لو كان الأمر كذلك، فليس من المحتمل أن تجعل هذه الصفات من بيجين رجل سياسة أمريكى قادر على فهم مزايا تقديم تنازلات، بل العكس هو ما كان متوقعًا ؛ فمثل هذه الصفات تؤكد حماسته التبشيرية لإقناع العالم برؤيته لإسرائيل. الرئيس كارتر نفسه عرف عنه عند توليه المسئولية أنه رجل متدين يعتقد أنه سيعيد "مبادئ" السياسة الواقعية إلى سياسة أمريكا الخارجية. كتب سايروس فانس بعد أن تعرف لأول مرة عام ١٩٧٦ على أهداف السياسة الخارجية لكارتر "لديه مجموعة من المبادئ وجدتُ فيها جاذبية كما وجدت أن تفكيره فيها يعكس انطلاقا من قوة هذه المبادئ نحو السياسة الخارجية، وكنت على يقين من أنها ضرورية لإعادة بناء قاعدة واسعة من التأييد الداخلي لتحقيق سياسة خارجية أكثر شمولية"(٣٢). كانت لدى بيجين أيضًا مجموعة من المبادئ التى اعتنقها طوال حياته منذ أن كان شابًا مقاتلا وبعد أن أصبح سياسيًا مرموقا .

كان لا بد أن يؤدى التعارض بين مبادئ وأخلاقيات المتدين المعمدانى (كارتر) وبين مبادئ ومعتقدات اليهودى (بيجين) إلى انهيار الدعم الداخلى الهش الذى كان فانس يتطلع إليه، ناهيك عن السلام الشامل الذى كان هو وكارتر يخططان له بصدق. وهذا ما أتاح الفرصة أمام صنّاع السياسة الأمريكية واليهود الأمريكيين خلال أشهر قليلة قادمة لاكتشاف أنهم فى حاجة إلى الكثير ليتعلموه فيما يتعلق بهذا السياسى الإسرائيلى الاستثنائى .

كان لليهود الأمريكيين نظرتهم إلى إسرائيل منذ قيامها وحتى عام ١٩٧٧ الغالبية منهم عندما كانت تنظر إلى السياسة الإسرائيلية كانت ترى ديفيد بن جوريون أبًا لإسرائيل، وكانت ترى جولدا مائير أمًا لها (وأمًا يهودية أمريكية أيضًا) وكانوا

يشيرون باعتزاز إلى أبا إيبان الدبلوماسى الإسرائيلى المتخرج من جامعة كمبريدج الذى مكّنه سحره وفصاحته أن يمثل إسرائيل أفضل تمثيل داخل الأمم المتحدة (حقق الشريط المسجل عليه خطابه العاطفى أمام الهيئة الدولية خلال حرب الأيام الستة مستوى من المبيعات داخل نيويورك أكثر مما سجلت أشرطة فرقة البيتلز الغنائية البريطانية).. وهناك أيضا موشى دايان، عالم الآثار والقائد العسكرى المغوار، بطل حرب الأيام الستة (وضحية الحرب التالية لها، التى لم يعد يتذكرها إلا قلة من اليهود بالرغم من انقضاء أربع سنوات عليها فقط فى هذا التاريخ) .

أما مناحيم بيجين فلم يكن له مكان داخل إطار تصورات الأمريكيين لإسرائيل حيث لم يروا فيه عبر صفحات تاريخ حزب العمل الإسرائيلى، ذلك التاريخ الذى لم يكن يعرفه إلا قلة من اليهود ، سوى خيال سياسى مزعج. وإذا كانت أيام الكفاح فى حياة بيجين انتهت بقيام دولة إسرائيل إلا أنه لا يوجد إسرائيلى واحد يملك أن ينكر عليه شجاعته ووطنيته بغض النظر عن مدى اختلافه معه سياسيًا، أما معظم الأمريكيين فكانوا يرون أنه قد بلغ سن التقاعد كمقاتل منذ حرب يونية ١٩٦٧، لأنه لم يقم فيها لا بدور سياسى ولا بدور عسكرى . كان بيجين يمثل فى هذا الوقت تيارًا داخل المنظمة الصهيونية تميز بخسارته لكل معركة سياسية خاضها داخل إسرائيل مما جعله معزولا عن الأطر السياسية للدولة ، ولم يعد معظم اليهود الأمريكيين وقادتهم يتذكرون اليهودى الإرهابى الذى خطط لنسف فندق الملك داوود عام ١٩٤٦، ولمذبحة دير ياسين عام ١٩٤٨

قبل قيام دولة إسرائيل أقنع ناحوم جولدمان بعض أعضاء الإدارة الأمريكية فى عهد الرئيس ترومان ومن بينهم دين أشيسون أن أفضل وسيلة لدعم تأسيس دولة صهيونية فى فلسطين هى الحيلولة دون بزوغ نجم بيجين السياسى ، واليوم ونحن فى عام ١٩٧٧ ، فإن قلة من اليهود الأمريكيين فقط هى التى تذكر المعركة التى دارت بين بيجين وبن جوريون خلال حرب الاستقلال، حيث وصف الأول الثانى بأنه "ديكتاتور طائش" مما جعل بن جوريون يصفه بأنه "فاشيستى". والعدد الأقل منهم هو الذى يتذكر حادثة سفينة "التالينا" البشعة التى وقعت عام ١٩٤٨ التى أمر بن جوريون بنسفها لكى يتخلص من بيجين الذى كان على سطحها بالرغم من أنها كانت تحمل أسلحة مهربة إلى العصابات الصهيونية، وكذلك يتذكرون الحرب الأهلية التى وقعت بين

تيارين من اليهود داخل إسرائيل بعد إعلان قيامها بخمسة أسابيع فقط، حيث استمر تبادل إطلاق النار بينهما لعدة أيام. وأقل منهم هو الذى يتذكر الرسالة التى بعث بها كل من أينشتاين وحنا أريندت إلى صحيفة ذى نيويورك تايمز يشجبان فيها "تكتيكات بيجين الفاشية وأساليبه النازية" بمناسبة زيارته كرئيس لعصابة الأرجون للولايات المتحدة الأمريكية فى أواخر عام ١٩٤٨(٣٣) .

اعتمد بن جوريون فى بقائه على رأس الوزارة الإسرائيلية على إقامة تحالف لم يدخل فيه "حزب حيروت ولا الشيوعيون" ويبدو أن غالبية الناخبين فى إسرائيل كانت موافقة على ذلك. أما بيجين فقد جلس فى الكنيست الإسرائيلى طوال الجزء الأكبر من حياته السياسية، مثل كاتيلين عضو مجلس الشيوخ فى الدولة الرومانية القديمة، محاطًا بثلة من الأعضاء الموالين له، منبوذًا من بقية الأعضاء، صابرًا فى انتظار اليوم الذى يقود فيه حزب حيروت إسرائيل وفق فلسفة الصهيونية الجديدة التى ابتدعها معبودهم فلاديمير زئيف جابوتنيسكى. اليوم وبعد مرور ثلاثة عقود تقريبًا منذ قيام إسرائيل، ها هى الفرصة مواتية وبيجين يقود الدولة .

يقول الحاخام ألكسندر شيندلر "كنت على ثقة من أن بيجين سوف ينتقل من موقعه فى نهاية الخط السياسى فى إسرائيل إلى منتصفه"(٣٤) .

عندما تولى بيجين المسئولية كان الحاخام شيندلر رئيسًا لمؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية، وقال فى مقابلة صحفية أجريت معه بعد ذلك بسبع سنوات "شعرت أن مسئولية المنصب ستدفعه (يقصد بيجين) إلى منطقة الوسط السياسى كما حدث مع الرئيس نيكسون من قبل". كان موقفًا نبيلا من شيندلر أن يفكر بهذه الكيفية لأن الأمريكيين – كما قال هو عن نفسه – يصنفونه على أنه "سياسى غير متعصب" وتحسبه إسرائيل على قائمة الحمائم بسبب موقفه من سياساتها فى الأقاليم المحتلة وتجاه الفلسطينيين .

كان من الطبيعى إذن أن تتصادم وجهات نظر بيجين التصحيحية المدعومة بتأييد اليمين الإسرائيلى مضافًا إليهم التأثير المتصاعد لخط الأحزاب الدينية والقومية المتشدد داخل تحالف الليكود ، مع آراء شيندلر السياسية والدينية ونظرته الخاصة إلى

إسرائيل. كان شيندلر فى هذا الوقت (ولا يزال) رئيس اتحاد الجماعات الدينية الأمريكية العبرية الذى يمثل الجماعات الدينية الإصلاحية فى الولايات الأمريكية - إلى جانب رئاسته لمؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية - ومن المعروف أن محاولات الحاخامات الإصلاحيين منذ الخمسينيات لكسر شوكة المتدينين المتشددين المتحكمة فى سياسات إسرائيل الداخلية لم يُكتب لها النجاح .

أعلن شيندلر على الملأ بعد فوزه برئاسة مؤتمر الرؤساء، وكان رابين لا يزال فى السلطة، أن هذا التجمع لن يكون طوع إرادة إسرائيل كما تعودت حكوماتها أن تراه ما بقى هو رئيسًا له. أثار انتخاب بيجين المفاجئ موجة عارمة من النقد العلنى غير العادى، حيث تحدث كتّاب افتتاحيات الصحف والمراقبون وكتاب الأعمدة عن "المتطرف" الذى وصل إلى السلطة وأيضًا عن نهاية إسرائيل. وأعربت صحيفة ذى نيويورك تايمز عن قلقها إزاء التخبط الخطير الذى ستعانى منه السياسة الإسرائيلية.. أما مجلة تايم فشبهت "بيجين بفيجن" (وتقصد بذلك الاسم الذى يطلق على الشخصية الروائية التى تمارس الإجرام فى الأدب الأمريكى) مما جعله على عداء معها لفترة طويلة. أما نشرة سى.بى.إس. للأخبار فوصفته بأنه "إرهابى سابق" ولما طالبها بالاعتذار اعتذرت له .

ويمكن القول إن الانتقادات الأمريكية كانت معتدلة إلى حد كبير إذا ما قورنت بالتعليقات التى حفلت بها صحف بريطانيا، حيث لم ينس الكثيرون أن حكومة بلدهم عندما كانت تدير شئون فلسطين رصدت مكافأة قيمتها ١٠ر٠٠٠ جنيه إسترلينى لمن يأتى برأس بيجين رئيس عصابة الأرجون التى كانت تقوم بهجمات مدمرة ضد الجنود البريطانيين.. قال أحد كتّاب الأعمدة فى صحيفة التايمز اللندنية "الأب المؤسس لدولة إسرائيل يحصد جوائز الإرهاب، وما دام الإرهاب يحقق المكاسب لم لا نشجع عرفات إذن" ؟!(٣٥) .

أضرت حملة النقد الخارجية بيجين ولكنها لم تضعف من عزيمته، فالتاريخ آل إليه فى نهاية المطاف ومالت الأحداث فى إسرائيل إلى صفه، وكان فى إمكان أى أمريكى متابع للسياسة الإسرائيلية طوال الخمس سنوات الأخيرة سواء من أبناء الجماعة اليهودية الأمريكية أو من العاملين فى الصحافة أن يلاحظ صعود نجمه ؛ ففى عام ١٩٧٧

خسر تجمع حزب العمل بقيادة رئيسة الوزراء جولدا مائير خمسة من أعضاء الكنيست فى الانتخابات العامة بينما كسب تحالف الليكود، المكون أساسًا من حزب حيروت والحزب الليبرالى البعيد عن الليبرالية ، بزعامة بيجين سبعة مقاعد، مما جعل الأكثرية العمالية ضئيلة ومتصدعة. يقول عالم الاجتماع دان فى. سيرج، الذى حلل الفترة السياسية التى قادت إلى انتخابات عام ١٩٧٧ ،"إن ما يثير الدهشة حقًا ليس هو استبدال الاشتراكيين بعد بقائهم ثلاثين سنة فى الحكم، ولكن استمرارهم كل هذه المدة بالرغم من التغيرات السكانية والثقافية الكبيرة التى شهدها المجتمع الإسرائيلى"[٣٦] .

وفقًا لتحليلات سيرج : بقى حزب العمل فى الحكم أكثر مما يجب، فالنمو الاقتصادى المتصاعد الذى حدث بعد حرب عام ١٩٦٧ مزودًا بطاقة هائلة من الأموال الخارجية خلق طبقة وسطى جديدة عملت على التخلص من سياسات التدخل الحكومية فى الشئون الاقتصادية والاجتماعية. ومسايرة للمد العالمى اتجه الشباب الإسرائيلى إلى صناديق الانتخابات ليسجل اعتراضه ضد آبائه، أما المثقفون، كما يقول سيرج، فكانوا يناضلون لكسر شوكة التماثل العقائدى للاشتراكية الصهيونية المهيمن على الحياة والذى يبدو أنه فقد قوته المعنوية. أما اليهود الشرقيون - السفارديم - فكانوا ثائرين بشكل معلن ضد الأشكيناز أو اليهود الأوروبيين الذين أقاموا الدولة، ولما كان المجتمع الإسرائيلى فى شكله التخيلى مجتمعًا يهوديًا بلا طبقات يعمل على تطبيع العلاقات بين أبنائه ؛ فإن الصراع الذى يشهده هذا المجتمع الآن ينبئ بأن إسرائيل تخوض صراعًا طبقيًا .

كانت التغيرات التى يشهدها المجتمع الإسرائيلى عميقة، وهذا يعنى أن إسرائيل التى يعرفها اليهود الأمريكيون ويألفونها من بعيد - إسرائيل الرواد، وإسرائيل المزرعة الجماعية، وفصول رواية الشتات - بدأت تتلاشى . كما بدأت تتلأشى قوة حزب العمل بعد أن تراكمت أخطاؤه ومشاكله : كارثة حرب عيد الغفران، والمشاكل الاقتصادية التى نجمت عن الإضرابات المتهورة، وانسحاب الأحزاب الدينية من التحالف الذى يقوده رابين، بالإضافة إلى سلسلة الفضائح السياسية والمالية التى طالت رموزًا كبيرة من أعضاء حزب العمل بما فيهم رئيس الوزراء ، رابين نفسه .

كانت إسرائيل تعانى من أزمة تقليدية، هى "أزمة القيادة" وكان القائد الوحيد من جيل الآباء المؤسسين الذى لم تلوثه الفضائح وحماقات حزب العمل السياسية هو مناحيم بيجين الذى تجنبه الحزب منذ نشوء الدولة .

بين يوم وليلة أصبح بيجين شخصية أبوية تمثل التغيير المستهدف الذى أسماه سيرج "النظام الجديد" وتحافظ فى الوقت نفسه على صلة قوية بتاريخ الدولة العظيم ، فمن ناحية تبنًى بشكل غير متكلف أحلام اليهود الشرقيين، واستثمر من ناحية ثانية مرارتهم تجاه هيمنة حزب العمل التى كان يشاركهم الإحساس بها، ولكن لأسباب مختلفة. وهكذا أصبحت الصهيونية التى كان ينادى بها بيجين ولا يسمع له أحد على رأس اهتمامات إسرائيل السياسية والاجتماعية .

لم تلحظ الدوائر السياسية الأمريكية كل هذه التغيرات بشكل موسع، فقد كان غالبية قادة اليهود الأمريكيين شديدى الارتباط بحزب العمل، وبعضهم تقابل مع بيجين والأقلية منهم كانوا قلقين تجاه رؤيته الخاصة لإسرائيل، بل كانوا رافضين لها بقوة .

توقع شيندلر أن الهجوم العلنى على بيجين قد يؤدى إلى وقف الدعم الأمريكى لإسرائيل ، وقال شارحاً وجهة نظره "من المستحيل أن نصف بيجين بأنه سياسى فظيع وفى الوقت نفسه نطالب الحكومة الأمريكية بمساعدة إسرائيل" .

أعاد انتخاب بيجين قضية الانشقاق إلى الساحة من جديد لأن رؤيته "لإسرائيل الكبرى" أثارت لدى عدد كبير من قادة اليهود الأمريكيين مزيداً من التخوف ؛ فبينما غلّف حزب العمل محاولات الاستيطان الإسرائيلية فى الضفة الغربية بإستراتيجية دفاعية، أجبر بيجين اليهود الأمريكيين على إعادة النظر فى "المشكلة السكانية" التى كانت تمثل همًا كبيراً من هموم حمائم إسرائيل، فإذا ضمت إسرائيل الأراضى المحتلة كما يخطط التحالف الذى يقوده بيجين، فى هذه الحالة يكون فى إمكان العرب كمواطنين إسرائيليين أن يصوتوا لصالح تحويل إسرائيل إلى دولة ثنائية علمانية. أما إن لم يُسمح لهؤلاء العرب بأن يكونوا مواطنين إسرائيليين فليس فى مقدور إسرائيل أن تواصل الادعاء بأنها دولة ديمقراطية .

وإذا كانت سياسات بيجين قد أثارت من جديد الادعاءات القديمة بأن إسرائيل دولة استعمارية، فإن وضعية فلسطينيِّي الأراضى المحتلة كمواطنين من الدرجة الثانية أظهرتها كنموذج شرق أوسطى لدولة جنوب أفريقيا العنصرية. أمام هذه الإشكالية تساءل شيندلر: هل يمكن أن يهاجم المرء بيجين دون أن يكون فى ذلك تشجيعًا لنزعة كارتر المؤيدة للعرب بالتخلى عن إسرائيل ؟

بعد فترة محدودة من انتخاب بيجين نشر جورج جروين الخبير فى شئون الشرق الأوسط باللجنة اليهودية الأمريكية مقالاً بعنوان "علاقات التضامن والانشقاق بين يهود الشتات وإسرائيل" استعرض فيه وجهات النظر المتناقضة مع والمؤيدة للسياسات الإسرائيلية. لم يترك جروين مجالا للشك حيث طالب كل من يدعى اهتمامًا بمستقبل إسرائيل "أن يرتبط ارتباطا وثيقا" بعلاقات أفرادها الداخلية وأساليب حياتها الاجتماعية والسياسية " إلى جانب التعرف على مغزى الإستراتيجية التى تحدد أبعاد الميزانيات الدفاعية لكل من أمريكا وإسرائيل"[٣٧]. هذا الرأى الاستثنائى من جانب جروين لم يلفت الأنظار إليه، بل وأهملته الأغلبية، بالرغم من أن حمائم إسرائيل كانوا يتساءلون : لماذا يوثق بحكومة بلدهم وحدها فيما يتعلق بأمور كهذه فى الوقت الذى لم يطالب زعماء اليهود الأمريكيين برأى مستقل يوازن الاحتياجات الأمنية الحقيقية لإسرائيل ؟

ظلت قناعة زعماء اليهود الأمريكيين على ما هى عليه مؤكدين أن أى نقد لسياسات إسرائيل لن يفيد سوى التيار المتعاطف مع العرب داخل الإدارة، وبدلا من كشف خلافاتهم مع بيجين بشكل علنى بدأوا يرتبون أوراقهم للدفا ع عنه ضد سياسات الرئيس كارتر .

فى إسرائيل وجد شيندلر نفسه فى موقف لا يُحسد عليه، كان يجلس فى مكتب شيمون بيريز الذى هزمه بيجين، فى الوقت الذى كان بيريز يهاجم عبر شاشة التلفزيون اختيار بيجين لموشى دايان وزيراً للخارجية فى وزارته الجديدة. فى اللحظة نفسها قرر شيندلر أن يضع نهاية للرابطة القوية التى كانت قائمة بين يهود أمريكا وحزب العمل (على الأقل ما بقى الحزب بعيداً عن إدارة شئون إسرائيل) وأبلغ قراره فوراً إلى الصحفيين الذين كانوا ينتظرونه خارج المكتب .

قال أحد الصحفيين لشيندلر "لقد فهمنا أن يهود أمريكا حانقون بسبب تعيين دايان وزيراً للخارجية" فأجابه "لا ، هذا غير صحيح" وشرح ذلك قائلا إن دايان قادر على التعامل بشكل جيد مع أمريكا لأن وجهه مألوف بين ساستها، بينما يفتقد بيجين هذه الميزة، وفى حين هبطت شعبيته فى إسرائيل بعد حرب عيد الغفران - حتى إن أمهات قتلى هذه الحرب قذفن بالحجارة نوافذ شقة مناحيم بيجين فى تل أبيب بعد الإعلان عن تعيينه فى منصب وزير الخارجية[٣٨] - كان لا يزال الإعجاب به كبيراً بين قادة اليهود الأمريكيين بسبب جهوده التى يبذلها للتعرف على العالم العربى ، وفوق ذلك اعتبره شيندلر سياسياً ينتمى إلى الواقع وليس إلى النظريات. باختصار كان زعماء اليهود الأمريكيين مرتاحين إلى تعيين دايان لأنه كان جزءاً من إسرائيل التى يعتقدون أنهم يفهمونها، ويبدو أن وزير خارجية إسرائيل الجديد كان إلى حد ما قريبا من هذا الفهم على عكس رئيس الوزراء الذى اختاره .

لم تمض سوى دقائق على مهاجمة شيمون بيريز - الذى سانده غالبية زعماء يهود أمريكا ليصبح رئيسا لوزراء إسرائيل - لقرار تعيين دايان وزيراً للخارجية ، إلا وأبدت هذه الغالبية نفسها ترحيبها بهذا التعيين. وفى إسرائيل احتل هذا الترحيب عناوين الصفحات الأولى، وعلق شيندلر على ذلك قائلا "لقد اكتشفت ما يمكن أن تصنعه الصحافة" لذلك لم يتوان عن استخدام هذا الاكتشاف فى إسرائيل وفى أمريكا لمصلحته ولفائدة بيجين مرات عديدة على امتداد السنوات القليلة التالية .

أخيراً تقابل شيندلر مع بيجين لأول مرة فى المستشفى، حيث كان رئيس الوزراء الإسرائيلى يتعافى من أزمة قلبية ألمت به فى بداية حملته الانتنخابية، ووصف اللقاء قائلا "على المستوى الشخصى تولدت بيننا علاقة حميمة غير طبيعية" أكد ذلك مساعدو بيجين، وقال أحدهم "بدا شيندلر شخصاً أوروبياً شديد الأناقة وملماً بالسياسة". أما شيندلر فقد جذبه إلى بيجين "إحساسه بالمسئولية تجاه الشعب اليهودى ككل" على عكس رابين الذى كان يراه "إسرائيليًا أكثر منه يهودياً و معاديًا للجماعة اليهودية الأمريكية".

اكتشف شيندلر أن بيجين إنسان "متحضر وودود" ولم يكن ذلك رأيه هو وحده بل وجهة نظر الكثيرين الذين تقابلوا معه وتوقعوا أن يجدوا أمامهم إرهابياً سابقًا متشدداً صلب الرأى، فى حين اتضح لهم أنه محامٍ مفوّه متمكن بشكل بليغ من لغته العبرية. لما زار شيندلر بيجين فى شقته الصغيرة المشهورة الكائنة بشارع روزينبوم فى تل أبيب صدمته "الحياة البسيطة التى يحياها"، وعلّق على ذلك بقوله إن هذا الأسلوب المتواضع فى الحياة مع الالتزام بمستقبل اليهود يعكس مقومات لها وزنها مقارنة "بالسنة الأخيرة من حكم حزب العمل التى اتسمت بالفضائح ومُلئت بالمفاسد والسرقات" .

لما عاد شيندلر إلى أمريكا كتب تقريراً لفانس وكارتر ذكر فيه أن بيجين يمكن أن يكون الرجل الساعى من أجل السلام فى الشرق الأوسط، وقال "أنا على ثقة من ذلك". وشرح عضو من تحالف الليكود كان من المقربين لبيجين آنذاك أهمية ذلك بقوله " مثّل تأييد شيندلر لنا انطلاقة هائلة، والأمر كان مهماً لأنه زعيم الإصلاحيين الليبراليين على مستوى يهود أمريكا، وعلى الرغم من أنه كان فى مقدوره أن يكون مصدر إزعاج لبيجين وأن يسبب مشاكل كثيرة لإسرائيل إلا أنه بدلاً من ذلك قرر أن يلعب بلا أدنى تردد إلى جانبها"[٣٩] .

أما دان ميريدور الليكودى عضو الكنيست والمتحدث الرسمى باسم بيجين فى ذلك الحين فقد وصف مساندة شيندلر لرئيس الوزراء الإسرائيلى بأنها موقف "شجاع جداً ومهم جداً ونقلة تاريخية"[٤٠]. بينما رأى آخرون فى إسرائيل وأمريكا أن التحالف الذى تم بين الحاخام الإصلاحى "المسالم" وبيجين بمثابة "خيانة كاملة" و "كارثة"[٤١]، يقول مثقف إسرائيلى من نشطاء حركة السلام الدينية "فى الوقت الذى يجب أن يكون لليهود الأمريكيين دور أكثر نقداً لما كان يجرى فى إسرائيل يتبرع زعيم يهودى أمريكى كبير يعتبر نفسه من الحمائم بأن يقدم تأييده لبيجين، إنه فسق بكل ما تحمله الكلمة من معنى"[٤٢] .

أما نقد كارتر فكان أيسر بكثير ، ففى أسبوع واحد من شهر يونية انتقد أصحاب ٩٠٪ من الخطابات ذات الاهتمام بشئون الشرق الأوسط التى وصلت إلى البيت الأبيض ، وعددها ألف ، الموقف السياسى لكارتر فى هذه المنطقة. اضطر كارتر إلى

تكثيف نشاط أبرز مساعديه اليهود مثل ستيوارت ايزنستات وروبرت لبشوتز ومارك سيجل الذى عُين ضابطًا للاتصال بين البيت الأبيض والجماعة اليهودية الأمريكية لتهدئة مخاوف اليهود تجاه سياسة إدارته فى الشرق الأوسط، فى الوقت نفسه بعث بنائبه مونديال الذى كان على علاقة وثيقة باليهود الأمريكيين إلى سان فرانسيسكو حيث ألقى خطابًا أُعد بعناية كرر فيه أكثر من مرة دعم أمريكا لإسرائيل .

تجاهل بيجين المؤسسة اليهودية الأمريكية خلال الأشهر الأولى لتوليه المسئولية . فبينما كان السياسيون الإسرائيليون من أقطاب تحالف حزب العمل ينظرون إليهم كمناصرين سياسيين وممولين "كان بيجين عندما ينظر إليهم يرى شيئًا مختلفًا" ويشرح أحد مساعديه ذلك بقوله "إنه لم يُدع إلى أمريكا للتحدث أمام مؤسسة النداء اليهودى الموحد، كما لم يلق خطابًا أمام حملة سندات إسرائيل، مما جعله حساسًا للغاية بسبب افتقاده المساندة الأساسية داخل الولايات الأمريكية"[٤٣]. من ناحية أخرى كان رئيس الوزراء الإسرائيلى يعلم أن غالبية زعماء الجماعة اليهودية الأمريكية يرون انتخابه انحرافًا عن الطريق وينظرون إليه على أنه مغتصب للسلطة، لذلك وكما يقول مساعده "خلق بينه وبينهم عادة الازدراء، ولم يأخذ كلامهم معه مأخذ الجد لأنه كان يعلم أنهم على اتصال خفى بحزب العمل" .

كلف بيجين اثنين من أعضاء حزب حيروت هما شموئيل كاتز رئيس الدعاية السابق لعصابة الأرجون الذى سبق له أن زار أمريكا عدة مرات لتشجيع قادة اليهود الأمريكيين على انتقاد سياسات حزب العمل، والثانى هو نائب رئيس الحزب إلياهو بن إليسار، بالسفر إلى أمريكا لإقامة جسور مع الصحافة ومع السياسيين ولطلب المساعدة من اليهود الأمريكيين. كان بيجين يتوقع أن تنجح شبكة اتصالاته الخاصة المؤسسة على ولاء أعضاء حزب حيروت فى تولى مسئولية تعبئة دعم اليهود الأمريكيين والسياسيين لحكومته، ولكنه اكتشف بعد فترة أن مبعوثيه غير قادرين على النفاذ إلى مركز قوة السلطة السياسية لليهود الأمريكيين، لأنهم كانوا بعيدين عنها لفترة طويلة مما حد من قدرتهم على تحريك مفاتيح واشنطن أو حتى دوائر التأثير داخل المؤسسة اليهودية. اتجه تفكير بيجين إلى شيندلر اللبق الملم بالسياسة الذى يترأس المنظمة اليهودية ولديه اتصالات واسعة مع إدارة كارتر فى البيت الأبيض، يقول أحد مساعديه "كان بيجين مبهورًا بقدرة شيندلر على صنع الأحداث" .

كان شيندلر يعتقد أن تولى بيجين المسئولية سيحوله من رجل عقائدى إلى رجل دولة ، ولم يكن وحده، إذ كان يشاركه اعتقاده هذا عيزرا وايزمان قائد سلاح الطيران الإسرائيلي، بطل الحرب الذى أدار حملة (بيجين) الانتخابية، بينما كان يرقد فى المستشفى. فيما بعد كتب وايزمان فى مذكراته حول الحوادث التى قادت إلى توقيع اتفاقية كامب ديفيد "تولى المسئولية سيدفع بيجين إلى التغيير"، وبالرغم من هذه الظنون اكتشف كل من شيندلر ووايزمان أن بيجين سيبقى كما هو بيجين. يقول وايزمان فى مذكراته "كان الرجل أقوى بكثير من قوى الواقع"[٤٤] .

حذر الصحفيون المتابعون للأحداث الإسرائيلية التى شارك فيها بيجين على قدر استطاعتهم منذ البداية أن الرجل لن يتغير !! حتى إن سيمحا فلابان الذى يكتب فى صحيفة نيو أوتلوك التى تصدر بالإنجليزية استهزأ من فكرة إمكانية أن يصبح الرجل نموذجًا من الرئيس نيكسون عدو الشيوعية الذى ذهب فى زيارة إلى الصين أو نسخة من الجنرال ديجول الذى أوصله إصراره على الاحتفاظ بالجزائر إلى السلطة ثم منحها الاستقلال. كتب فلابان "لم يتحول كل متطرفى الأمس إلى معتدلين، وليس كل الوطنيين على الدرجة نفسها من الوعى بصالح أوطانهم "وأضاف – محللا أبعاد مرونة بيجين – المتطرفون الذين لم يوصلهم تطرفهم إلى السلطة بل جاءوا إليها تعبيراً عن معتقد راسخ يظلون متطرفين ، لذلك لن يكون فى مقدور بيجين أن يلعب الدور نفسه الذى لعبه ديجول"[٤٥].. وكتب صحفى آخر فى صحيفة جيروزاليم بوست "إنه صاحب مصداقية مرعبة"[٤٦] .

كان آرثر هيرتزبيرج أول من أدرك حقيقة بيجين بين زعماء اليهود الأمريكيين، وكان فى ذلك الوقت عضوًا فى اللجنة التنفيذية بالمنظمة الصهيونية العالمية ونائب رئيس المؤتمر اليهودى العالمى، سافر هيرتزبيرج إلى القدس فى مطلع شهر يولية عام ١٩٧٧ فى مهمة تتعلق بالمؤتمر اليهودى، وكان يحمل رسالة من إدارة كارتر إلى بيجين الذى كان من المقرر أن يزور واشنطن قبل نهاية الشهر نفسه[٤٧]. كان الحاخام هيرتزبيرج يعرف بيجين منذ عدة سنوات وكان عند زيارته المنتظمة لإسرائيل يتناول معه الغذاء بالمقهى الملحق بالكنيست فى بعض الأحيان باعتباره زعيم حزب حيروت الذى يمثل الجناح اليمينى فى إسرائيل. كان الرجلان مختلفين تمامًا فى توجهاتهما السياسية،

وبالرغم من ذلك استمتع هيرتزبيرج البولندى الأصل - الذى يعد نفسه من حمائم ساحة السياسة الإسرائيلية وسبق له الاختلاف مع حكومة العمل حيال مستقبل الضفة الغربية - بتبادل القفشات والنميمة مع بيجين حول السياسيين الإسرائيليين والأمريكيين باللغة الياديشتية .

دعا بيجين الحاخام الأمريكى لتناول القهوة، وبعد كلمات محدودة انتقل هيرتزبيرج إلى صلب القضية" لدىَّ تعليمات بأن أقول لك إذا كنت ذاهبًا إلى الولايات المتحدة للتباحث حول الضفة الغربية وأمن إسرائيل فستجد كل الترحيب من الإدارة الامريكية، أما إذا كنت تنوى تسويق عقيدتك الخاصة بحق إسرائيل الإلهى فى الاحتفاظ بيهودا والسامرة فإنهم يرون أن ذلك سيثير الكثير من المشاكل بينك وبينهم " أثارت هذه الكلمات بيجين وظهر الغضب على وجهه، ولم يدع الحاخام يكمل حديثه ورد عليه " من الطبيعى أن أذهب إلى هناك لمناقشة المسائل الأمنية" .

رد هيرتزبيرج قائلا "حسنًا، لأن انطباعى عن المسئولين فى واشنطن أنه إذا كنت تنوى مناقشة مسائل أمنية فهم على استعداد لأن يجلس خبراؤهم الأمنيون مع خبرائك الأمنيين لتحديد النقاط التى تضمن أمن إسرائيل فى الضفة الغربية". عند هذه النقطة كتب هيرتزبيرج "عاد بيجين للتدخين بشراهة" وقال بغضب للرسول الأمريكى " لن أسمح مطلقًا لكائن من كان أن يتدخل فى مسائل الأمن الإسرائيلية؛ لأنها ليست مسائل أمنية فقط، بل هى قضايا سياسية أيضًا" .

وافقه هيرتزبيرج محاولاً أن يطوق أفكاره "مادام الأمر يتعلق بقضايا سياسية فعلى إسرائيل أن تتنازل عن بعض الأراضى لأن ذلك يقرب المسافات فى كلا الاتجاهين، ولأن إسرائيل ليست فى حاجة أن تحتل الضفة الغربية ، فيمكننا أن نشترى السلام بوسائل أخرى ببناء جسر هنا والتنازل عن بعض الأراضى هناك" .

بكل تأكيد لم يكن هذا هو الحديث الذى يود بيجين أن يستمع إليه ، لأن المبدأ الذى تتمحور حوله النقطة المركزية التى تشكل أفكاره الصهيونية التصحيحية يدور حول تبعية كل فلسطين إلى الدولة اليهودية، وكان ينوى أن يعلن عن عودة الضفة الغربية إلى اليهود مرة أخرى عن طريق ضمها رسميًا إلى إسرائيل. وشرح وجهة نظره لهيرتزبيرج

قائلا: "القضية الأساسية هي أنني انتخبت رئيساً لوزراء إسرائيل لأن الناس اقتنعت بوجهة نظري العقائدية، وعليّ أن أحترم ذلك هنا وفي واشنطن، وسوف أقول لهم هناك يادكتور هيرتزبيرج (وكانت المرة الأولى التي يتخاطب فيها مع ضيفه بشكل رسمي) إنني أعتبر أن مهمتي الرئيسية تجاه الشعب اليهودي أن أرتد به بعيداً عن تسعة وعشرين عاماً من تاريخه كان طوالها هدفاً لتعليم صهيوني رديء قام به حزب العمل . لقد خُلقت لأمحو آثار هذا التعليم السيئ" .

كان بيجين رئيس الوزراء الجديد يتحدث تماماً كما كان يفعل بيجين القديم، هكذا بعث هيرتزبيرج باستنتاجاته في تقرير أرسله إلى إدارة الرئيس كارتر التي لم تكن تعرف عنه إلا النذر اليسير سواء كان في ثوبه القديم أم الجديد. ولذلك، وكتمهيد لزيارته المرتقبة، طلب موظفو الأمن القومي من سفارة إسرائيل في واشنطن تزويدهم بمادة مكتوبة عن بيجين، فما كان منها إلا أن أرسلت لهم نسخاً من كتاب ظهر حديثاً بعنوان "إنقاذ الصهيونية من الإرهاب" يرسم صورة خلابة لبيجين كرئيس لعصابة الأرجون ليس لها إلا علاقة محدودة بما كانت تعتقده المؤسسة الإسرائيلية عن رئيس وزرائها الجديد الذي انتُخب عام ١٩٧٧(٤٨) .

بدا واضحاً أن رجال الإدارة نسوا تماماً التحذيرات التي قالها لهم رابين "أن بيجين ليس ممن يقربون وجهات نظرهم من الآخرين" وبنفس الطريقة تجاهلوا التقرير الذي قدمه إليهم هيريزبيرج والذي "أكد فيه أنه (بيجين) غير مستعد للمساومة فيما يتعلق بالضفة الغربية" ، وتوقعوا أن يأخذ بوجهة نظرهم فيما يتعلق بمستقبل إسرائيل، وها هم وجهاً لوجه مع مناحيم بيجين بشحمه ولحمه .

اجتمع الجانبان في قاعة مجلس الوزراء بالبيت الأبيض، ووجد الأمريكيون أنفسهم يبحلقون في خرائط للشرق الأوسط لُوِّنت فيها الدول العربية باللون الأحمر وإسرائيل باللون الأزرق، ويقف إلى القرب منها شموئيل كاتز مستشار رئيس الوزراء الإسرائيلي للإعلام الخارجي وبيده مؤشر. كان كاتز يلقي على الجانب الأمريكي درساً ملوناً في التاريخ والجغرافيا، ولكن ليس باللونين الأحمر والأزرق وإنما بلون الصهيونية التصحيحية وفق فلسفة جابوتنيسكي وتابعه المخلص مناحيم بيجين ، مما جعل واحداً

من الحاضرين الذين صرفوا حياتهم للتخصص فى قضايا الشرق الأوسط يقول إنه أحس كما لو كان " فى فصل دراسى لتلاميذ عمرهم أربع سنوات"(٤٩). كان معه فى الفصل نفسه الرئيس الأمريكى جيمى كارتر ووزير خارجيته سايروس فانس، ومستشاره للأمن القومى زبجنيو بريجينسكى جنبًا إلى جنب مع كبار معاونيهم الذين كان غالبيتهم من المشتغلين والجامعيين المتخصصين فى الشرق الأوسط .

استحوذ بيجين على الاجتماع الصباحى الأول الذى عقد بينه وبين الرئيس كارتر فى أول يوم من أيام زيارته لأمريكا، وعاد الأمر مرة أخرى إلى كاتز فى جلسة المساء حيث قال إن لمشلكة "إسرائيل الفلسطينية" حلاً بسيطًا يرتكز من وجهة نظره على إيجاد مخرج للخلاف الواضح بين الفلسطينيين العرب والفلسطينيين اليهود ورؤية كل طرف لحقوقه المشروعة فى أرض إسرائيل. كانت حجة كاتز الرئيسية أن غالبية العرب الفلسطينيين هاجروا إليها على امتداد المائة عام الأخيرة "وللتدليل على ذلك" قال إن المهاجرين الجدد سرعان ما تركوا ممتلكاتهم بعد حرب عام ١٩٤٨، وأضاف، إن المزارعين ذوى الجذور الراسخة فى الأرض لا يتركون أرضهم، وخلص من ذلك إلى القول بأن "العرب الذين لهم الحق فى العيش فى أرض إسرائيل هم فقط العرب الذين بقوا فوقها بالرغم من وقائع الحرب"(٥٠) .

قال أحد خبراء الشرق الأوسط الذين حضروا هذه الجلسة " كان الضغط يستهدف من وراء هذا العرض القول بأن على العرب الذين يعيشون فوق ما أسماه أرض إسرائيل أن يتركوها إلى الدول العربية الملونة باللون الأحمر لكى تعيش هذه الدولة الصغيرة الفقيرة ذات اللون الأزرق فى سلام". كتب موشى دايان وزير خارجية بيجين فى مذكراته "اختراق" أنه عندما اطلع على برقية تضمنت تقريراً حول الملاحظات التى أبداها كاتز أرسل من واشنطن إلى القدس "لم أسمح لنفسى حتى بمحاولة التنبؤ بما كان يفكر فيه الأمريكيون ساعة استماعهم لما كان يقال(٥١) .

على الجانب الآخر لم يكن الأمريكيون على ثقة تامة بأن ما سمعوه باقتدار من كاتز أو حتى من بيجين يعكس الحقيقة، ربما كان جيمى كارتر على دراية بما جاء فى الكتاب المقدس عن إسرائيل، ولكنه لم يكن يعرف عن تاريخها الحديث إلا القليل. كما أن

خبراءه فى شئون الشرق الأوسط بدوا فى صورة ليست أفضل منه كثيراً فيما يتعلق بخبايا الصهيونية وصراعاتها. أزعج دايان إدراكه أن صهيونية كاتز اليمينية العارية كست لغة تخاطبه بكلمات فظة متعالية ، يؤكد ذلك قول أحد الحاضرين " تنفسنا الصعداء ، فماذا لو أن بيجين نفسه هو الذى كان يحاضرنا؟" .

خطط رجال إدارة كارتر لأن تدور مباحثاتهم مع الجانب الإسرائيلى حول السلام دون أن يأخذوا فى الاعتبار الدور غير المنظور الذى تلعبه العقيدة فى مثل هذه المفاوضات، وفى حين كانوا بحكم ميولهم الواقعية يرون كل شىء قابلاً للتفاوض كان العقائدى الإسرائيلى الجالس فى الناحية الأخرى يؤمن بأن هناك أشياء لا يمكن التفاوض أبداً بشأنها. علّق واحد من خبراء الشرق الأوسط فى الإدارة الأمريكية بعد ذلك على هذه الجلسة بقوله "كان الأسلوب الأمريكى لإدارة المفاوضات ساذجًا وخارج إطار الزمن" .

أما الرئيس جيمى كارتر فكان يؤمن بعد سلسلة من المقابلات المكثفة التى عقدها مع عدد من زعماء الدول العربية، أن التصدى للمشكلة الفلسطينية هو السبيل الوحيد الذى سيدفع العرب إلى الجلوس إلى مائدة المفاوضات، وأن على الإسرائيلين أن يكونوا مستعدين للتنازل عن الأرض مقابل السلام، خاصة وأن هذا هو المبدأ الذى قامت عليه السياسة الأمريكية فى أعقاب حرب الأيام الستة، يعزز ذلك، كما يعرف كارتر وبيجين جيداً، أن السياسة الرسمية الإسرائيلية كانت أيضًا ترتكز على مبدأ "التسويات الإقليمية". لم تكن أبداً هذه سياسة مناحيم بيجين فى يوم من الأيام، لأنه عارض عملياً كل قرار للأمم المتحدة وكل خطط الأمريكيين والعرب والإسرائيليين التى اقترحت تنازل إسرائيل عن أى أراضٍ .

اصطحب بيجن معه إلى مائدة المفاوضات أشياء كثيرة لم تكن المرونة من بينها، خاصة إذا كان الأمر يرتبط بمستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة، فقد أصرَّ من البداية على الإشارة إليهما بأسمائهما التوراتية يهودا والسامرة كما لو أنهما أصبحتا جزءاً من إسرائيل الحقيقية. ولكى يؤكد على أن الأمر قد أصبح حقيقة استبق زيارته لواشنطن بالإعلان عن خطة طموحة للسماح لليهود بالاستيطان فى الضفة الغربية، مما دفع كارتر إلى أن يحذره من عواقب استكمال مخططات بناء هذه المستوطنات .

عندما سأل أعضاء السفارة الإسرائيلية بيجين ما هى خطوته التالية فيما يتعلق بخطط بناء المستوطنات فى ضوء معارضة كارتر المباشرة الواضحة، أشاح بيده وقال كما أورد كاتب سيرته الذاتية إيريك سيلفر: "إنه سوف يقوم ببناء المستوطنات وفق التخطيط المسبق، وتنبأ بأن الأمريكيين سينسون الأمر برمته فى غضون ستة أشهر، بعدها يعودون إلى حالتهم السوية"(٥٢) .

عاد بيجين إلى إسرائيل بعد زيارته لواشنطن متباهيًا بشكل علنى "بعلاقات الصداقة الشخصية العميقة" التى نشأت بينه وبين جيمى كارتر (وهذا دليل آخر على مدى الاختلاف بين وجهتى نظر الرجلين تجاه العالم). استقبل اليهود الأمريكيون بيجين استقبالاً حافلا يماثل تمامًا الاستقبال الذى لقيته جولدا مائير، والحقيقة أن بيجين لم يكن من مدرسة رابين، بل كان خطيبًا مفوهًا مثلها هى وبن جوريون، من هنا استطاع أن يحرك بشكل أسطورى من خلال حديثه مفاتيح العاطفة الصحيحة عند اليهود؛ حيث دارت عباراته الخطابية البليغة المزخرفة حول موضوعه المفضل، ألا وهو زيادة جرعة شبح الإبادة الجماعية لليهود وتهديدات العرب بإعادة تكرارها .

كان بيجين عكس أسلافه ؛ فهو حين يطلب من اليهود الأمريكيين أن يقفوا صفًا واحدًا إلى جانب إسرائيل لم يكن يطلب منهم الهجرة إليها أو يوصيهم بتعلم اللغة العبرية، وحين تحدث عن الاقتصاد وعد بخلق مجالات عمل لا تخضع للإشراف الحكومى العقيم، وكانت هذه النغمة تطرب آذان رجال الأعمال من اليهود الأمريكيين الذين لم يشعروا بالراحة (أو الاطمئنان أبدًا للاستثمار) للمناخ الذى أشاعته روح حزب العمل الاشتراكية. كان بيجين رجلاً متدينًا وهذا أمر بالغ الأهمية لأنه، على عكس بن جوريون وجولدا مائير، أبدى احترامًا للحاخامات خاصة وأنهم كانوا يشكلون قطاعًا مهمًا بين قيادات اليهود الأمريكيين، وكان كما قال عنه إيريك سيلفر "أول رئيس وزراء يصف نفسه بأنه يهودى قبل أن يصفها بأنه إسرائيلى"(٥٣) .

فور عودته إلى القدس بدأ بيجين يردد مقولة يوليوس قيصر المشهورة بعد أن هزم قبائل الغال "عدت، رأيت، قهرت" وبالرغم أن مثل هذا الغلوّ كان أمرًا معتادًا من جانبه ، إلا أن صورته العالمية كرجل دولة أعادت الاطمئنان إلى اليهود الأمريكيين

والإسرائيليين معاً . فعندما يعلن عن استعداده للذهاب إلى جنيف فهذا معناه استعداد ضمنى للتعامل مع العرب، وعندما يؤكد تأييد إسرائيل للعالم الحر فهذا معناه أنه مختلف عن الاشتراكيين العماليين الذين كانوا دائماً غير مرنين تجاه أى إدانة تتعلق بالروس، الأكثر من ذلك أنه أقدم على ما لم يقدم عليه رئيس وزراء إسرائيلى سابق من قبل، وذلك عندما أشار تحديداً إلى أهمية إسرائيل لأمريكا. ولكى يثبت عمق هذه الأهمية اقترح أن يشترك الطرفان فى العمليات الاستخبارية، وأن يقدم الطرف الإسرائيلى لواشنطن ما يلتقطه جواسيسه من أسرار تتعلق بالسوفييت. كان هذا التفكير بالنسبة لليهود الأمريكيين أمراً لا يمت "للإرهابى الأصولى" بصلة، أما بالنسبة للإسرائيليين الذين عاشوا ثلاثين عاماً مع شعاراته الرنانة فكان هذا التفكير دليلا على أن رحلته الناجحة إلى أمريكا فاقت كل توقعاتهم .

بعد عودته بفترة وجيزة رخص بيجين رسمياً ببناء ثلاث مستوطنات فى الأراضى المحتلة، وكأنما أراد بذلك أن يؤكد لكارتر من خلال هذه المسألة المزعجة أنه مصمم على السير فيما خططه من قبل. أبدى كارتر وفانس حنقهما تجاه هذا التحرك، وأعلنا أن المستوطنات عمل "غير قانونى" وأنها تمثل عقبة خطيرة فى طريق السلام"(٥٤) حتى شيندلر بدا غير متساهل حيالها، وبينما كان كسياسى على استعداد لتأييد حكومة بيجين كان فى الوقت نفسه يرى كواحد من الحمائم أن محاولات ضم الضفة الغربية لإسرائيل تمثل عقبة فى طريق السلام، وتمثل تهديداً لأى مساندة يحتاج إليها رئيس الوزراء الإسرائيلى على مستوى اليهود الأمريكيين .

ادعى شيندلر أنه طرح على بيجين منذ اجتماعهما الأول تحفظات اليهود الأمريكيين حيال سياساته فى الأراضى المحتلة والفلسطينيين ورؤيته لقرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ ، بالرغم من الاعتراضات التى أبداها رئيس الوزراء الإسرائيلى(٥٥). فى الوقت نفسه حذر فريق آخر من اليهود الأمريكيين عدداً من قادة إسرائيل أن سياسات بيجين المتشددة سوف تتآكل إما بفعل الإدارة الأمريكية أو الجماعة اليهودية .

الاختلاف بين شيندلر وبيجين حول القضايا الأساسية والذى كان يتم بينهما فى اللقاءات الخاصة، لم يمنع شيندلر من مواصلة بناء جبهة صلبة لدعم حكومة إسرائيل

بين يهود أمريكا. جاء فى تقرير مؤتمر الرؤساء السنوى لعام ١٩٧٧ بشكل لا لبس فيه أن شيندلر كان حتى ذلك الوقت مقتنعاً "بأنه لا يجب مطلقا أن تخرج الانتقادات التى توجه إلى إسرائيل إلى العلن، لأن ترويجها يخدم الأعداء ويضعف الوحدة اليهودية ذات الأهمية القصوى لأمن إسرائيل"(٥٦) .

عندما زار موشى دايان وزير خارجية بيجين أمريكا فى سبتمبر من العام نفسه لم تكن مسألة المستوطنات قد عرفت طريقها إلى الحل، لذلك حرص كارتر على شرح اعتراضاته تجاه سياسات رئيس الوزراء الإسرائيلى حيالها. وألمح كارتر وفانس إلى بيان مشترك كانت أمريكا والاتحاد السوفيتى على وشك إصداره تلتزم فيه القوتان الأعظم بإجراء تسوية شاملة فى الشرق الأوسط تضمان إليها كافة الأطراف بما فيها الفلسطينيون.. يقول بريجينسكى فى مذكراته "لم يعلق دايان بشىء ربما عن عمد"(٥٧) كان دايان يعرف أن مثل هذه الخطوة لا تحتاج منه إلى انتقادها .

أثار البيان المشترك بين أمريكا والاتحاد السوفيتى الذى أعلنه البيت الأبيض فى الأول من أكتوبر لغطًا كبيراً فى الكونجرس وعلى مستوى الجماعة اليهودية الأمريكية، ولم يتبين منتقدو الرئيس الأمريكى الأسباب الكامنة وراء إقدام إدارة الرئيس على منح موسكو دوراً بارزاً فى الشرق الأوسط بعد خمس سنوات من طرد السادات لخبرائها من مصر. أما اليهود الأمريكيون فقد أزعجهم احتمالات أن يوسع البيان من دور الفلسطينيين فيما يتعلق بخطوات السلام فى المنطقة .

استعدى كارتر عليه بخبطة واحدة كل الفئات التى كان يساورها نوع من القلق حيال إسرائيل بالإضافة إلى الذين أزعجتهم عودة الدبلوماسية السوفيتية إلى الشرق الأوسط، لذلك لم يكن مستغرباً أن يتدفق على البيت الأبيض كل يوم فور الإعلان عن ذلك البيان المشترك ما لا يقل عن أربعة آلاف برقية من اليهود الحانقين ومن الأمريكيين المعادين للسوفيت. استدعى هذا التطور أن يقوم مارك سيجل ضابط اتصال الجماعة اليهودية فى البيت الأبيض، الذى لم يكن كارتر حتى قد أبلغه بنية إدارته فى تبنى البيان المشترك، بجهود مضنية لشرح خلفياته لقيادات اليهود الثائرة .

أربكت ردود فعل الجماعة اليهودية الأمريكية كارتر وفانس خاصة وأن البيان المشترك لم يلزم الإدارة الأمريكية بشيء جديد، بالإضافة إلى ذلك أكد فانس لدايان خلال اجتماع ساده الشد والجذب عقد بينهما بعد صدور البيان بعدة أيام أن السوفيت خففوا من غلوائهم وأسقطوا من بين مطالبهم قيام دولة فلسطينية مستقلة. وعندما اعترض دايان على الجملة التى وردت فى البيان بشأن "الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى" أشار فانس إلى أنها نوع من المساومة، ثم تساءل "وما الخطأ فى أن نشير إلى الحقوق المشروعة للفلسطينين ؟ أجابه دايان قائلا "إنها مرفوضة تماماً من جانب الحكومة الإسرائيلية"(٥٨) .

وفقًا لشهود عيان، لعب وزير الخارجية الأمريكية دوره بنوع من التشدد، وهدد بفتح منافذ النقد مرة أخرى فى وجه إسرائيل، وكانت إدارة كارتر تعرف مسبقًا أن دايان يستعد للقيام بجولة لجمع التبرعات بين تجمعات الجماعة اليهودية الأمريكية. كان دايان صريحًا عندما كتب فى مذكراته "لم يكن هناك أدنى شك أننى سأنتقد سياسات أمريكا فى الشرق الأوسط عبر كلماتى التى سألقيها خلال هذه الجولة"(٥٩). اختار البيت الأبيض أن يضع حداً للضغوط اليهودية، وكحل وسط بين الطرفين، غادر دايان أمريكا بعد تسوية أعطت لإسرائيل مزيداً من السيطرة لتحديد من الذى سيمثل الفلسطينيين فى مؤتمر السلام الخاص بالشرق الأوسط الذى سيعقد بجنيف .

كان كارتر فى حاجة إلى خلق فترة هدوء بينه وبين اليهود الأمريكيين، لذلك دعا إلى عقد لقاء مع أعضاء الكونجرس منهم بالبيت الأبيض يوم ٦ أكتوبر، اليوم التالى لإبرام الصفقة مع دايان. وبادرهم قائلاً "من الأفضل لى أن أنتحر سياسيًا على أن أخطو خطوة واحدة فيها ضرر على إسرائيل"(٦٠). كان العديد من اليهود ينظرون إلى تصرفات كارتر تجاه إسرائيل والتى ظهرت بوادرها منذ شهر مارس (قبل حوالى سبعة أشهر) على أنها نوع من إقدام الشخص على تقطيع شرايينه بنفسه. وظهر الرئيس فى صورة الذى يقضى وقتًا أكثر محاولاً تفادى غضب قادة الجماعة اليهودية على حساب بناء الإستراتيجية الخاصة حول مؤتمر السلام فى جنيف، حينئذ بدا البيت الأبيض غير قادر على تجنب المزيد من ارتفاع مؤشر غضب الجماعة اليهودية خلال الأسابيع التالية .

سافر ناحوم جولدمان إلى واشنطن فى شهر نوفمبر لعقد اجتماع مع الرئيس الأمريكى، وفى المقابلة التى حضرها فانس وبريجينسكى ومارك سيجل قدم الرئيس السابق للمؤتمر اليهودى العالمى البالغ من العمر ٨٢ عامًا خلاصة تجاربه بشكل صريح موضحًا أفضل السبل التى يرى أن تتبعها الإدارة الأمريكية لكى تؤتى جهودها لإقرار السلام فى الشرق الأوسط ثمارها. قال لهم جولدمان "اكسروا حلقة جماعات الضغط اليهودية النشطة فى أمريكا"(٦١) .

لم يصدق الرئيس ورجاله ما سمعوه !! فهاهو جولدمان الذى وهب سنوات حياته الطويلة للصهيونية، وكان لاعبًا رئيسيًا فى ميدان جماعات الضغط اليهودية منذ أيام الرئيس ترومان، وأنشأ جماعة مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية التى تعد واحدة من أقوى وأنشط أسلحة الضغط اليهودية فى أمريكا، يقرر بشكل مباشر أن هذه الجماعة التى يرجع إليه فضل وجودها قد أصبحت "قوة مخربة" و "عقبة كئود" فى طريق السلام بالشرق الأوسط. كان جولدمان مقتنعًا أنه إذا وافق الإسرائيليون على الحلول الوسط، وتحقق السلام فى الشرق الأوسط بالرغم من الاعتراضات التى سيواجهها البيت الأبيض فى بداية الطريق، فسيتوج كارتر "بطلا لليهود". تضمن الاقتراح الذى عرضه جولدمان سخرية لم يدركها المجتمعون معه؛ فهذا الرجل الذى أوجد مؤتمر الرؤساء ليمنع من خلاله أى نقد علنى ضد سياسات إسرائيل، يقوم فى هذه اللحظة بدور مخالف لأهم أهداف هذه المنظمة، وهو أن يقف الزعماء اليهود فى جبهة واحدة ضد سياسات البيت الأبيض فى الشرق الأوسط !! لكن هذا الهدف كان مناسبًا للفترة التى كان هو وأصدقاؤه مسئولون فيها عن حكومة إسرائيل .

أما عندما يجلس بيجين فى مقعد مسئولية إدارة شئون إسرائيل فإن جولدمان على استعداد للقيام بأى عمل من شأنه أن يقوِّض سياسته، بما فى ذلك تدمير جماعة الضغط التى كان هو السبب المباشر لوجودها. تلك الجماعة التى ستحاول فى وقت لاحق أن تقضى على جولدمان، تمامًا كما فعل الوحش المتخيل فرانكينشتين مع مبدعه، عندما يبدأ فى توجيه نقده العلنى إلى سياسات إسرائيل .

كانت مقترحات جولدمان جديدة على البيت الأبيض، فلم يسبق لرجاله أن عُرض عليهم مثيل لها طوال فترة معاركهم مع الجماعة اليهودية حول الشرق الأوسط والتى امتدت ثلاثين عامًا، وبالرغم من توقعات الصدام المحتمل مع شيندلر، الرئيس الحالى لمؤتمر الرؤساء، وافق مستشارو كارتر على التقييم الذى عرضه عليهم القائد الصهيونى. وفى الوقت الذى قرر فيه الرئيس أنه يتمنى أن يحطم "جماعة الضغط اليهودية" لم يكن لديه القدرة على بذل الجهد اللازم لتحقيق هذه الغاية .

أكد سايروس فانس وزير الخارجية السابق فى مقابلة صحفية بعد ذلك بست سنوات، المقترحات التى تقدم بها جولدمان فى هذا اللقاء وقال "كان رد فعلى عندما اقترح علينا أن نكسر شوكة جماعات الضغط اليهودية، أننا لا يجب أن نقدم على هذه الخطوة، والأفضل من ذلك أن نعترف بحقها فى أن تواصل وجودها وأن نعمل على احتوائها بحيث لا تعطل من السياسات ما هو فى صالح بلدنا ، لأننى كنت أعتقد أن كسر شوكة هذه الجماعات ليس فقط مضيعة للوقت، بل سيفتح الباب نحو معاداة السامية"[٦٢] .

وقفت تطورات الأحداث فى طريق إحكام إدارة كارتر قبضتها على خطوات السلام فى الشرق الأوسط كما كانت تخطط، ولم يكن لجماعات الضغط اليهودية فى أمريكا دخل بذلك، لأن إعلان السادات المفاجئ فى بداية شهر نوفمبر أمام البرلمان المصرى عن استعداده للسفر إلى القدس عدل من ترتيب صنا ع السلام المحتملين فى المنطقة. فبعد أن كانت أمريكا، لشهور قليلة مضت، اللاعب رقم واحد على مستوى خطوات السلام بالشرق الأوسط صارت مجرد مراقب لما يقع فيه من أحداث جسام. أوضح السادات بجلاء فى إحدى محادثاته مع الإدارة الأمريكية أنه كان يظن أن مجهوداته الفردية ستقود إلى مفاوضات جادة حول قضية الضفة الغربية، أما منتقدوه فى مصر وإسرائيل فنظروا إلى استعددات الرئيس المصرى لزيارة القدس بأنها تعبر منذ البداية عن رغبة فى إبرام صلح منفرد مع إسرائيل مع اهتمام محدود بالقضية الفلسطينية والمصير النهائى للضفة الغربية. تزايدت المعارضة الداخلية للسادات ووجد أنه لن يكون فى مقدوره أن يستعيد شعبيته مرة أخرى إلا إذا استرجع سيناء التى أضاعها ناصر العظيم، فى الوقت نفسه كان السادات يعتقد، وفق ما ذكره فانس، أن بيجين فى نهاية الأمر سيترك الحكم وأن من سيأتى بعده أيًا كان سيكون مستعدًا

للتباحث حول اتفاق بشأن الضفة الغربية. فى ضوء هاتين النقطتين قرر السادات أن يواصل الضغط من أجل السلام مرة أخرى .

أمام الكنيست الإسرائيلى يوم ٢٠ نوفمبر لم يستطع السادات أن يقاوم رغبته فى تذكير إسرائيل أن هذه ليست المرة الأولى التى يخطو فيها نحو السلام، وقال موضحاً "لقد حملت فوق كاهلى ما تفرضه علىَّ المسئولية التاريخية وأعلنت منذ بضع سنوات، أو على وجه التحديد فى ٤ فبراير ١٩٧١، أننى على استعداد لتوقيع اتفاقية سلام مع إسرائيل"(٦٣) .

لم تلبث جهود السادات من أجل إقرار السلام أن اصطدمت بخطة بيجين الخاصة بالسلام التى تمنح العرب الفلسطينيين فى يهودا والسامرة وقطاع غزة فى نهاية المطاف "حكمًا ذاتيًا" بينما تحتفظ إسرائيل بإدارة شئون الأمن والشرطة فى هذه المناطق ويظل من حق سكانها أن يتملكوا ويقيموا المستوطنات فى الأراضى المحتلة، وتقدم فى الوقت نفسه بتصور لانسحاب كامل من صحراء سيناء. الأمر الذى لم يكن متوقعا من عقائدى مثل بيجين. تعرض بيجين لانتقادات شديدة حتى إن حزب العمل المعارض اتهمه فى داخل الكنيست بأنه قدم تنازلات كثيرة، وكان الرجل يعرف على وجه الدقة عمَّ يتنازل ! فسيناء ليست جزءاً من أرض إسرائيل التوراتية، ولذا فهى ليست جزءاً من إسرائيل الجديدة وفق تصوراته. أما منح الفلسطينيين حق الإدارة الذاتية فليس سوى إيحاء بتحرك إيجابى ناحيتهم لا يمس اعتقاده الجازم بحق إسرائيل الإلهى فى يهودا والسامرة .

لم يكن بيجين بالشخصية التى تقف صامتة أمام هجوم المعارضة، فما كان منه لكى يثبت لهم أنه مازال بيجين القديم برغم سعيه لصنع السلام إلا أن أصدر فى يناير ١٩٧٨ أمراً بزيادة مستوطنات سيناء "ست مستوطنات جديدة"، لكن تسريب هذا الخبر إلى الصحافة وما نتج عنه من استياء فى إسرائيل ومصر وواشنطن أجبر حكومة إسرائيل على التراجع عن هذا القرار. وبدا أن الموافقة على التفاوض للانسحاب من سيناء وإصدار أوامر فى الوقت نفسه ببناء مستوطنات جديدة، يعد من قبيل الإستراتيجيات المتضاربة التخريبية. وقف دايان وشارون وراء هذه الخطوة لأنهما كانا

يؤيدان سياسة التوسع فى إقامة المستوطنات، أما عيرزا وايزمان فهاجمها باعتبارها "أعمالاً تافهة وضارة من الممكن أن تقوض عملية السلام من أساسها"(٦٤) خاصة وأن كارتر والسادات كانا فى هذا الوقت تحديداً يتبادلان الرأى فى أسوان حول كيفية التعامل مع القضية الفلسطينية .

تقابل الرئيسان المصرى والأمريكى مرة أخرى فى بداية شهر فبراير بواشنطن حيث عومل السادات كشخصية ذات شهرة عالمية فى وقت كان فيه الرأى العام يتحول عن إسرائيل، وكانت افتتاحيات الصحف تهاجم بيجين وتصفه بأنه عبء على إسرائيل وعلى الجماعة اليهودية. وتساءل قادة الجماعة باندهاش: إلى متى ستستمر الإدارة الأمريكية والدوائر التابعة لها في السماح لبيجين بمواصلة سياساته الاستيطانية المثيرة للقلاقل؟ وقد عبَّر لورنس تيسك الذى يعد من كبار جامعى التبرعات، رئيس مجموعة شركات لويس العملاقة وأحد كبار مؤيدى الصندوق اليهودى الموحد، عن هذا الرأى فى مقابلة مع صحيفة هاَرتس التى تصدر باللغة العبرية قائلا :

" أعطى بيجين الفرصة للإدارة الأمريكية لتتلاعب بحكومته، الشىء الوحيد الذى يمكن أن تقدمه إسرائيل هو أن تتبنى طريق الحق. يهود أمريكا سيكونون إلى جانب الرأى العام عندما يثبتون أنهم قادرون على خوض معركة من أجل الحق. إننا يمكن أن ندافع عن وجهة نظركم فى أمور مثل الحدود الحقيقية وحتمية إحراز سلام حقيقى، ولكن عندما ترتكب إسرائيل أخطاء، فإن ذلك يفقدنا قوة التأثير. لذلك إذا واصل بيجين الحديث عن المستوطنات فمعنى هذا أنكم ستخسرون الحرب إلى آخر أمريكى، ولن تكونوا قادرين على تبرئة أنفسكم من هذه الخطيئة. لقد بنى قادة الجماعة اليهودية الأمريكية طوال الثلاثين سنة الماضية صورة لإسرائيل كدولة محبة للسلام وجاء بيجين وهدمها خلال ثلاثة أشهر"(٦٥) .

لم يكن فى مقدور الرئيس أو وزير خارجيته أو مستشاره للأمن القومى أن يعبروا عن هذه الآراء أفضل من ذلك، المشكلة أن تيسك لم يشأ أن يُنشر ما جاء على لسانه داخل الولايات الأمريكية باللغة الإنجليزية. ولكنه نُشر !!. كان آرثر صموئيلسون، المحرر السابق لمجلة بريرا، يبحث عن مادة تدور حول بيجين والجماعة اليهودية

الأمريكية لنشرها في مجلة ذى نيشن فعثر على مقابلة تيسك التى نشرتها هاَرتس. ترجم صموئيسلون النص العبرى إلى الإنجليزية وناقشه مع تيسك الذى أكد ما أدلى به، ولكنه لم يوافق على نشر مقاطع منه بمجلة ذى نيشن مبرراً ذلك بقوله "كنت أوجه حديثى إلى الإسرائيليين، وكان يهمنى أن تصل ملاحظاتى إلى البيت وليس إلى البيت الأبيض". رفض صموئيلسون هذا التبرير موضحًا أن هذه الآراء قد وصلت إلى البيت الأبيض إما عن طريق تقارير الـ سى.آى.أيه. أو تقارير وزارة الخارجية، ومن هنا لم يعد حكرا على الإسرائيليين وحدهم مناقشة سياسات بيجين. لم يقتنع تيسك بهذه المقولة وصمم على عدم النشر، وبالرغم من ذلك نشر صموئيلسون الملاحظات التى جاءت على لسانه اعتماداً على المقابلة التى أجرتها معه صحيفة هاَرتس(٦٦) .

سرعان ما اكتشفت إسرائيل أن تيسك ليس الوحيد الذى أبدى ملاحظات حيال سياستها، ففى أوائل عام ١٩٧٨ تعاقدت حكومة بيجين مع مؤسسة رودروفين للعلاقات العامة بنيويورك لعمل مسح شامل لآراء ١٥٠ من قادة الجماعة اليهودية الأمريكية حيال السياسات الإسرائيلية. لم تنشر نتائج هذا الاستطلاع لأنها كانت، كما جاء فى التقارير، ستسبب إحراجًا بالغًا لحكومة بيجين؛ حيث عبر ثلاثة إلى واحد من المشاركين عن رغبتهم فى أن تكون إسرائيل أكثر اعتدالاً(٦٧). بقيت آثار المشكلة الخلافية بين بيجين وقادة الجماعة اليهودية الأمريكية "داخل جدران البيت" وفشلت الإدارة الأمريكية أن تحول عدم التوافق القائم بين الطرفين إلى تأييد يستفيد منه كارتر .

لم يستمر الخلاف بين إسرائيل وقادة اليهود الأمريكيين طويلاً، ففى الوقت الذى كان فيه نفر من كبار الإسرائيليين ومشاهير يهود أمريكا يعبرون عن خيبة أملهم تجاه التصلب الذى تمثله سياسات بيجين أقدمت الإدارة الأمريكية على ما وصف بأنه فعل انتحارى، وذلك حين أعلنت فى فبراير عام ١٩٧٨ عن اقتراح ببيع طائرات المقاتلة إف / ١٥ إلى المملكة العربية السعودية. وترجع بدايات هذا الاقتراح إلى عام ١٩٧٥ حين وعد كيسينجر السعوديين ببيعهم طائرات مقاتلة، وحين كان الأمير فهد ولى العهد السعودى فى زيارة إلى واشنطن فى شهر مايو ١٩٧٧ ذكَّر كارتر بهذا الوعد، وكرر هذا التذكير مرة ثانية عندما كان الرئيس يزور المملكة فى شهر يناير. يعد هذا الإلحاح

السعودى أحد نتائج زيارة السادات إلى القدس حيث وجد السعوديون أنفسهم مضطرين إلى إعادة النظر فى نُظم تسليح قواتهم الدفاعية، ومن هنا تقدموا بطلب لشراء الطائرات المقاتلة إف / ١٦ التى كانت إسرائيل قد حصلت على عدد منها قبل ذلك. وكان من الطبيعى أن يؤدى الإعلان عن هذه الصفقة إلى وقف الضغط الذى كان يمارَس ضد بيجين ليتحول إلى كارتر .

كان الوقت مناسبًا لتحرك تقوم به جماعات الضغط اليهودية ، فلم يكن من المتوقع بعد ما وقع من اضطرابات بين الطرفين أن يعمد كارتر إلى صب المزيد من الوقود على النار المشتعلة بينه وبين بيجين. عزز من قوة هذا التحرك أن موعد انتخابات الكونجرس كان يقترب، ولم يكن فى مقدور الإدارة أن تفرض على الشيوخ التصويت ضد مصلحة إسرائيل. كما كانت واشنطن تستعد لزيارة بيجين الثانية فى شهر مارس فى الوقت الذى شهدت معابد اليهود فى غالبية الولايات الأمريكية لقاءات غاضبة. لذلك انتهزت جماعات الضغط فرصة زيارة كارتر إلى لوس أنجيلوس، وقامت بتنظيم مظاهرة مؤيدة لإسرائيل غاية فى الترتيب حملت لافتات أعدها محترفون مثل "إلى الجحيم.. لا لمنظمة التحرير الفلسطينية" و "مساعدة إسرائيل أفضل استثمار لأمريكا"، "كارتر: حافظ على وعودك"(٦٨) .

برهن تحرك جماعة الضغط بهذه الكيفية على أن اليهود الأمريكيين على غير معرفة بتوجهات الرأى العام فى إسرائيل، فبعد شهر واحد من هذا الانقلاب ضد كارتر استطاع ثلاثمائة من جنود الاحتياط بالجيش الإسرائيلى والدارسين الذين أطلقوا على أنفسهم اسم "السلام الآن" أن يجمعوا ٦٠ ألف توقيع يتوسل أصحابها إلى رئيس الوزراء بيجين أن يتوقف عن بناء أية مستوطنات جديدة فى الأراضى العربية المحتلة. بالإضافة إلى ذلك نشرت حركة السلام الآن بيانًا على صفحات الصحف الإسرائيلية وقَّع عليه ٣٦٠ من أساتذة الجامعات والمثقفين يدعى أن "سياسة إسرائيل لا تحقق تسويات، ولكنها تؤدى إلى فقدان الأصدقاء وتفاقم من عزلتها"(٦٩) .

وهكذا حصلت سياسة الرئيس جيمى كارتر على مزيد من التأييد داخل إسرائيل أكثر مما حصلت عليه من دعم بين الجماعة اليهودية الأمريكية .

استقال مارك سيجل ضابط اتصال البيت الأبيض مع الجماعة اليهودية الأمريكية من منصبه على أثر هذه التداعيات، خاصة وأنه كان من بين المنتقدين الذين رأوا فى صفقة بيع طائرات إف / ١٥ إلى السعودية برهانًا إيجابيًا على أن الرئيس وقع كلية ضحية لأفكار السادات وأصبح مواليًا لمعسكر العرب. أدرك الدكتور سيجل، الذى ولد فى ولاية بروكلين وعمل مساعداً لهيبورت هيمفرى وكان من كبار المسئولين فى اللجنة الديمقراطية الوطنية فى الولاية وساعد رئيس الحزب روبرت شتراوس على إعادة توحيد صفوفه فى أعقاب فضيحة ماكجفرن، أن نفوذه داخل البيت الأبيض بدأ يضعف منذ تجاهله مستشارو الرئيس عندما صدر الإعلان الأمريكى السوفيتى المشترك فى أكتوبر، فقرر أن يهاجم صفقة بيع طائرات إف / ١٥ . وعندما كان مسئولا عن زيارة ناحوم جولدمان للبيت الأبيض كان يقول للمراسلين الصحفيين الذين يقابلهم إن هذه الصفقة جزء من خطة بريجينسكى لتحطيم جماعة الضغط اليهودية داخل الكونجرس [٧٠] .

تبادل بريجينسكى مستشار الأمن القومى (الذى هوجم منذ بداية عهد كارتر بوصفه رجل الإدارة الموالى للعرب) وشيندلر اتهامات عنيفة على الملأ فى شهر مارس ، فما كان من الأول الذى كان معروفًا عنه أنه سريع الانفعال إلا أن رد بقسوة شديدة على اتهام الثانى له بمعاداة السامية. نفى شيندلر أن يكون قد صدر عنه هذا الوصف فى مجال الحديث عن والد بريجينسكى البولندى الجنسية الذى كان يعمل بالسلك الدبلوماسى وساهم فى تهريب أعداد كبيرة من اليهود من معسكرات النازى، وقال إنه وصفه "بالخصم المعادى" وأنكر استخدامه لكلمة "معاد للسامية". توقع الحاخام شيندلر أن يتعرض لحملة منظمة من الهجوم ضده ، واستشهد بعد ذلك بسنوات بزاوية فى صحيفة ذى نيويورك تايمز كتب فيها وليم سفير ، المعروف بتأييده لوجهات النظر الإسرائيلية، أنه تلقى مكالمة من البيت الأبيض تطلب منه مهاجمة شيندلر[٧١] .

قرر شيندلر أن يرد بعنف على محاولات البيت الأبيض احتضان قادة اليهود المنتقدين لسياسات بيجين، وبدأ فى تنظيم حملته الخاصة لإحباط خطط كارتر فى الشرق الأوسط. وعندما علم بأن فانس دعا نحو خمسين من أعضاء مؤتمر الرؤساء وقادة اتحادات الأعمال الخيرية اليهودية على مستوى الولايات الأمريكية لاجتماع معه

فى وزارة الخارجية ، وعرف من مصادر وثيقة أن البعض منهم سيكون متعاطفًا مع رأى البيت الأبيض، خشى أن يتمكن فانس من خلالهم أن يوجه ضربة قاصمة إلى منظمته، لذلك دعا إلى اجتماع تمهيدى مع المدعوين فى المقر الرئاسى لمنظمة بنّاى بنّرت بواشنطن. يقول شيندلر فى مذكراته بعد ذلك بسنوات "لقد عرفت أسماء المدعوين ودعوتهم جميعًا إلى اجتماع تحضيرى، وبذلك فَوَّت على فانس الغرض الذى كان يخطط له لأننا ببساطة رتبنا لكل شيء مقدمًا وحسبنا حساب كل نقطة يمكن أن يتطرق إليها اللقاء وحددنا الاشخاص الذين سيتحدثون ، ولما جرى الاجتماع بفانس كنت أشير من طرف خفى لمن يتولى الرد على ما يطرحه وزير الخارجية من أسئلة" .

عندما سئل فانس عما إذا كان قد أدرك أن الأدوار فى الاجتماع الذى دُعى إليه كانت موزعة أجاب قائلا "كان من الواضح جدا أن شيندلر رتب له جيدا وكنت ساذجًا حين ظننت أنه فى مقدورى أن أناقش سياستنا الخارجية مع مجموعة كبيرة من قادة الجماعة اليهودية . ويضيف فانس أن أحد الأصدقاء ممن حضروا وقائع الاجتماع صعد إلى المنصة ونصحه قائلا "إياك أن ترتكب هذا الخطأ مرة أخرى، إذا أردت الاجتماع بقادة اليهود فلا تدعو منهم أكثر من خمسة فى كل مرة"[٧٢] وبالفعل عمل فانس بهذه النصيحة وعقد بعد ذلك عدة لقاءات مع مجموعات صغيرة، ولكنها لم تأت بنتائج مجدية .

وُصِفت صفقة بيع طائرات إف / ١٥ إلى السعودية داخل الكونجرس فى شهر مايو بأنها معركة مقززة ووحشية وليست قصيرة الأمد، خاصة وأن السعوديين كانت لديهم جماعات الضغط التى تعمل لمصلحتهم. لذلك لم يكن غريبًا أن تتحول الأسابيع التى سبقت التصويت عليها إلى تظاهرات لاستعراض القوة يحاول كل طرف من خلالها أن يبدو قادرًا على كسب المعركة لصالحه، فى الوقت الذى توفرت فيه للرئيس مقومات أكثر تؤيد توجهه. تضرع الرئيس وفانس بشكل شخصى إلى أعضاء الكونجرس من الحزب الديمقراطى أن يؤيدوا الصفقة. فى الوقت نفسه لجأت إيباك (اللجنة الإسرائيلية الأمريكية للشئون العامة) إلى أساليب هجومية لإقناعهم بالاعتراض عليها، وهددت من تسول له نفسه عكس ذلك بوقف الدعم المالى الذى تقدمه الجماعة اليهودية لمن ينوى منهم أن يرشح نفسه لانتخابات الكونجرس القادمة. لم يستمر ضغط

إيباك طويلا لأن بعض قادة اليهود الأمريكيين نصحوا رئيس اللجنة موريس أميتاى بالتخفيف من تهديداته لأن المعركة لا تستحق كل هذا العناء، وبالتالى ليس من مصلحتهم كسب عداوة مَن رأى من رجال الكونجرس أن يظهر بمظهر الموالى للرئيس، ووصف أميتاى المعركة التى استعرض فيها عضلاته بأنها كانت مسلية .

أذاع راديو أمريكا القومى العام فور انتهاء التصويت لصالح بيع الطائرات إلى السعودية نقلا عن صحيفة ذى نيويورك تايمز أن هاملتون جوردان كبير موظفى البيت الأبيض قال إن الإدارة "أخذت على عاتقها أن تكسر ظهر جماعة الضغط اليهودية" وأنكر مسئولو البيت الأبيض هذه الملاحظات. الحقيقة أن كارتر هزم هذه الجماعة، إلا أنه لم يجن من وراء ذلك إلا مزيداً من عدائها له .

قررت إيباك أن توسع من دائرة هذه العداوة لأنها فوجئت بتحول البعض ممن كانوا يعتبرون أنفسهم أصدقاء لإسرائيل وطالما أشاروا فى الماضى - للبرهنة على ذلك - إلى المساعدات المالية التى تلقوها أثناء حملاتهم الانتخابية، إلى "أعداء" حين صوتوا إلى جانب بيع الطائرات إلى السعودية. فعلى سبيل المثال لم يكن السيناتور جورج ماكجوفرن فى حاجة إلى إعلان تأييده لليهود لكى يفوز بالانتخابات فى ولاية داكوتا الجنوبية ذات الأقلية اليهودية، ولكنه كان فى حاجة إلى دعم مالى على أوسع نطاق كما أنه كان يطمع فى المنافسة على منصب الرئيس، لذلك لم يكن مستعداً لإغضاب اليهود ولكنه صوت ضد رغبة إيباك .

خلال الانتخابات الرئاسية التى خاضها ماكجوفرن عام ١٩٧٢ شكل اليهود ثلثى الأشخاص الذين تبرعوا له بأكثر من مائة ألف دولار وأقرضه يهودى آخر ٣٩٠ ألف دولار[٧٣] علاوة على ذلك كان له أصدقاء مقربون داخل إيباك يتدرجون من اليمين إلى اليسار السياسى حتى أن رئيسها الأول سى كنن كان مساعداً له .

خطط ماكجوفرن طوال عام ١٩٧٨ لجمع المال اللازم ليضمن إعادة فوزه فى انتخابات عام ١٩٨٠، وقام صديق يهودى له بإنشاء أربعة مراكز لجمع التبرعات اللازمة لمرحلته الدعائية الأولى فى نيويورك وشيكاغو ولوس أنجيلوس وميامى فى حدود ٢٠٠ ألف دولار أو ما يوازى عُشر ما تحتاجه حملته الانتخابية. وقبل ان يبدأ

ماكجوفرن جولته هذه حل موعد التصويت على صفقة بيع الطائرات للسعودية، وكان عليه أن يشارك فى العملية لأن صوته من وجهة نظر الإدارة له قميته كأحد أعضاء لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس .

قرر السيناتور منذ البداية أن يصوت ضد بيع الطائرات، كما يقول أحد مساعديه السابقين، وظل مصمما على قراره هذا إلى ما قبل ٢٤ساعة من موعد تصويت أعضاء اللجنة، حين تلقى اتصالا هاتفياً من وزير الخارجية ومن الرئيس الذى قال له "أريدك أن تصوت إلى جانبى". يقول هذا المساعد إن ماكجوفرن "تراجع عن تمسكه بالتصويت ضد الصفقة، وفي الحال سقط السقف فوق رأسه"(٧٤) .

بدا موريس أميتاى شديد الغضب وهو يتناول الغذاء مع أحد أصدقاء ماكجوفرن من جامعى التبرعات بسبب تغيير السيناتور لموقفه حتى إنه نغزه بإصبعه فى صدره عدة مرات وهو ويقول له ثائراً "لقد خذَلنا صاحبُك، ولن ننسى له هذه الفعلة". قال صديق ماكجوفرن إن مجلس الشيوخ لم يشهد طوال الخمسة عشر عاماً الماضية من هو أكثر مناصرة لإسرائيل منه، وتساءل: هل ستضع جماعات الضغط اسمه فى قوائمها السوداء لمجرد أنه صوت مرة واحدة ضد رغبتها استجابة لرجاء من الرئيس الديمقراطى الذى طلب منه أن يقف إلى جانب الإدارة ؟ رد أميتاى متوعداً "ليس هذا فقط، ولكننا لن نسمح لأى من الجماعات اليهودية بتقديم المساعدة لك" .

وقعت هذه الأخبار على رأس ماكجوفرن وقع الصاعقة !! ففى هذه الأثناء كان يناضل باستماتة دفاعًا عن حياته السياسية ضد هجمة ضارية من الجناح اليمينى للحزب تقودها اللجنة القومية المحافظة للعمل السياسى ذات التنظيم الجيد التى عبأت قواها وأموالها لوضع نهاية للحياة السياسية لعدد من الشيوخ الليبراليين الخارجين عن خط الحزب السياسى. يقول أحد مساعدى ماكجوفرن: أصدرت إيباك أوامرها بأن عضو مجلس الشيوخ عن ولاية جنوب داكوتا عدو لإسرائيل، وعلى كافة الجماعات اليهودية أن تدافع عن الليبراليين المعرضين للهجوم من جانب اللجنة القومية المحافظة للعمل السياسى. ماعدا جورج ماكجوفرن .

اختفى اليهود من جامعى تبرعات الحملة الدعائية لماكجوفرن بشكل مفاجئ، فلجأ السيناتور إلى فيليب كلوتزنيك صديقه الذى أيده فى مواقف كثيرة والذى يشغل منصب وزير التجارة فى حكومة الرئيس كارتر لكى يعيد الأمور بينه وبين إيباك إلى سابق عهدها، فطلب منه أن يمهله بعض الوقت. بعد عدة اتصالات أبلغ كلوتزنيك صديقه أنه ليس فى إمكانه أن يفعل أى شىء سوى أن يتبرع له هو وأسرته بالمبلغ الذى يسمح به القانون. اتصل ماكجوفرن بهوارد صموئيلسون ليخرجه من ورطته ولكنه لم يكن قادراً على فعل أى شىء، فقرر السيناتور أن يمضى قدمًا فى حملة إعادة انتخابه بدون أى مساندة من اليهود. وكانت النتيجة أنه هُزم.

كانت فترة العام ونصف العام من عمر إدارة كارتر من أسوأ فترات العلاقات الأمريكية / الإسرائيلية، وبدلاً من أن تأتى جهوده لكسب مودة الجماعة اليهودية بنتائج إيجابية زادت كلماته وأفعاله من حدة غضبهم. كان من الممكن أن يكون الرئيس فى وضع أفضل إلى حد ما لو أنه اتبع نصيحة جولدمان "وقصم ظهر جماعات الضغط اليهودية " لأن محاولاته لكسب ود اليهود لم تدعم إدارته ولم تهيئ له الأجواء لضمان الفوز بفترة رئاسة ثانية. اجتمع كارتر بمجموعة من "حكماء الحزب" الديمقراطى فى شهر يونية عام ١٩٧٨ المطلعين على خبايا الأمور السياسية لمناقشة الأمر معهم، ويقول فى مذكراته إنهم نصحوه بأن "يبتعد قدر ما يستطيع عن التدخل المباشر فى مفاوضات الشرق الأوسط لأنها قضية خاسرة"(٧٥).

وجد كارتر نفسه فى "مأزق" فقد كان يسعى لضمان أمن إسرائيل فهاجمه اليهود الأمريكيون، وعندما سعى لتحقيق السلام فى الشرق الأوسط حذره كبار الديمقراطيين بأن هذا التوجه من شأنه أن يحطم الحزب!! كان كارتر مقتنعًا بأنه يجب عليه على الأقل أن يواصل دفع خطوات السلام إلى الأمام، وكان الرئيس على حق. ولكن ما العمل وحكماء حزبه أيضًا على حق لأن جهوده فى ميدان العلاقات العربية الإسرائيلية لن تؤتى ثمارها إلا إذا رضى عنها اليهود الأمريكيون أولاً.

كانت طريقة كارتر فى إدارة السياسة الخارجية غريبة بكل المقاييس، ولو أنه نظر إلى ما بذله رؤساء سابقون من محاولات للتعامل مع الصراع العربى الإسرائيلى

آخذين فى الاعتبار مصالح كلا الطرفين كالخطة التى قدمها كيندى وجونسون، أو إعادة التقييم التى أعدها فورد، لأدرك على الفور أنهم كانوا جميعًا يتجنبون المزالق السياسية .

لم تكن الإدارة الأمريكية قادرة على إقناع اليهود الأمريكيين بأن خيبة أملهم الناجمة عن تشدد بيجين هى خيبة الأمل نفسها التى يحسونها نحوه، لأن المشكلة تكمن فى أن يهود أمريكا مقتنعون تمامًا أنهم يمكن أن يختلفوا مع سياسات بيجين دون أن يؤثر ذلك على مستوى تأييدهم لإسرائيل، وفى الوقت نفسه يرون أن التنافر السياسى بين إسرائيل وأمريكا لا يصح أبدًا أن يدفع واشنطن إلى أحضان العرب .

فى هذه الأثناء كان الجدل يدور صاخبًا . ولكن فى السر بين الجماعات اليهودية الأمريكية حول إيجابيات وسلبيات الاعتراض على سياسات إسرائيل علنا ، وفى أواخر عام ١٩٧٨ نشرت الجماعة اليهودية الأمريكية "دليلاً للمناقشة" بعنوان "اليهود الأمريكيون وإسرائيل : حدود الديمقراطية والاعتراض" بينّ بشكل واضح ومتميز دواعى الاتفاق معَ والاعتراض على هذه السياسات. المغزى المهم لهذا الدليل أنه يحتوى على "الحجج التى تقف مع حق الاعتراض العلنى" و "الحجج التى تقف ضده"، لقد تبنى الدليل غالبية حجج جروين التى أشرنا إليها من قبل، لذلك فهى جديرة بأن نقتطع مقتطفات موسعة منها لنبرهن على معانيها الجيدة :

– الحجة المعارضة(*): تماسك اليهود الأمريكيين عامل مهم لرفع معنويات إسرائيل .

الحجة المؤيدة : كل من يعيش فى واشنطن من عرب وإسرائيليين يعرف حق المعرفة قوة تضامننا الأساسية تجاه إسرائيل، لذلك ليس ضروريًا أن تحظى كل خطوة سياسية من جانبها بتأييدنا الأعمى، على العكس تمامًا فإن التضامن الحقيقى مع إسرائيل يعنى حتمية النظر بعناية وبتدقيق إلى النتائج التى يمكن أن تتمخض عنها هذه السياسات على المستويين الداخلى والدولى .

(*) المقصود هنا بالحجة المعارضة تلك التى تعارض أى نقد علنى لسياسات إسرائيل ، والعكس صحيح بالنسبة للحجة المؤيدة حيث ترى فى نقد سياستها تحقيقًا للمصلحة العامة (المترجم) .

الحجة المعارضة : نقد اليهود العلنى لإسرائيل يفسح المجال أمام العرب لدق إسفين بين إسرائيل واليهود الأمريكيين .

الحجة المؤيدة : ليست هناك نتيجة ملموسة للدعايات العربية التى حاولت من قبل أن تدق إسفيناً بين اليهود الأمريكيين والدولة اليهودية، إن أشد اليهود انتقاداً لسياسات إسرائيل هم من أشد مناصريها، وما يصدر عنهم من انتقاد إنما يصدر عن اهتمام .

الحجة المعارضة : النقد العلنى لإسرائيل يوفر الذخيرة لأسلحة النقد العربية ويصبغ عليها المصداقية .

الحجة المؤيدة : يتحقق الفوز فى الحرب الدعائية للفريق الذى يمتلك قدراً أكبر من المصداقيـة ، وهذه المصداقية لا تتوافر إلا إذا كنا مستقلين، لأن هذا الاستقلال من شأنه أن يعزز من مصداقيتنا ويقلل من مصداقية العرب. أما العرب فلديهم المقدرة التامـة على التفكير فى مجالات نقدهم الخاصة بهم ، والتى يمكن لهـم أن يجدوا ما يعززها فى الإعلام الإسرائيلى .

الحجة المعارضة : الإسرائيليون وحدهم يعيشون الخطر ، ومن هنا يكون لهم وحدهم الحق فى طرح ما يرونه من انتقادات .

الحجة المؤيدة : إسرائيل تملك المسئولية النهائية فى اتخاذ القرار ولكن ليس معنى هذا أنها لا يمكن أن تخطئ (هذه الجملة الإضافية لتأكيد المقصود) لذلك يمكن أن تكون النصيحة التى يقدمها طرف بعيد قادر على رؤية الأشياء ذات جدوى للإسرائيليين الذين عاشوا تحت ضغوط هائلة لمدة ثلاثين عاماً. لذلك إذا وجدنا الاعتراض ضرورياً فلابد أن نعبر عنه لأن حياتهم بكل المقاييس فى خطر .

الحجة المعارضة : إسرائيل لديها الخبرة والمعلومات التى لا تتوافر لنا، وهذا يوفر لها أفضل أداة لاتخاذ قرارات مصيرية فى الحرب وفى السلام ...

الحجة المؤيدة : مما لا شك فيه أن الحكومة الإسرائيلية فى بعض الأوقات تعرف الأفضل والقول بأنها تعرفه فى كل وقت غير واقعى وليس ديمقراطياً. مثال على ذلك أن العرب والإسرائيليين واجه كل منهم الآخر لمدة ثلاثين عاماً، وبسبب محدودية الاتصالات البشرية فيما بينهم لا يفهم أحدهما الآخر حتى الآن .

الحجة المعارضة : اليهود الأمريكيون لا يفهمون إسرائيل ، وهم في الحقيقة لا يريدون أن يفهموا أولويات سياستها الداخلية ومرتكزات صنع سياستها الخارجية .

الحجة المؤيدة : لكي يتحقق السلام لا بد أن تقدم إسرائيل على اتخاذ قرارات تسمو فوق أولويات سياساتها الداخلية، وهذا الأمر تدخُّل كبار اليهود الأمريكيين في شئونها[٧٦] .

إنها حقًا وثيقة غير عادية، ولكن للأسف لم يلتفت إليها أحد، لأن قادة اليهود الأمريكيين كانوا قلقين حيال تأثيرات سياسة جيمي كارتر تجاه إسرائيل على الصداقة التي تجمع البلدين أكثر مما أبدوا قلقا بتبعات سياسات بيجين على هذه الصداقة. وأبدوا اهتمامًا بوقف تداعيات هذه الصداقة أكثر من اهتمامهم بالأخلاق والروابط الديمقراطية التي تحافظ على هذه الصداقة، مما مكن هؤلاء القادة من إزهاق روح الاعتراض والتنقيب وراء دوافع كل من تسول له نفسه أن ينقد إسرائيل أيًا كان يهوديًا أو شخصًا عاديًا أو حتى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية .

لم يستسلم كارتر لهذه الإحباطات، ونجح في نهاية الأمر أن يجمع بيجين والسادات معًا في كامب ديفيد في شهر سبتمبر عام ١٩٧٨، وكان للمساته الشخصية وتواجده الحيوي الأثر الأكبر، كما تشير كافة التقديرات المصرية والإسرائيلية، في توصل الأطراف في أيام المباحثات الأخيرة إلى اتفاقية كامب ديفيد التي عُرفت باسم "إطار للسلام في الشرق الأوسط". دعت الاتفاقية الدول العربية إلى التفاوض مع إسرائيل وفق قراريْ الأمم المتحدة ٢٤٢ و ٣٣٨ (الفقرات الثلاث المتعلقة باتفاق وقف إطلاق النار الذي وقعه الطرفان بعد انتهاء حرب يوم الغفران عام ١٩٧٣ تلزمهما أن يبدأ التفاوض فيما بينهما وفقا لبنود القرار رقم ٢٤٢) .

تضمَّن الإطار أيضا ترتيبات خاصة بفترة انتقالية يحصل بعدها الفلسطينيون على حق تقرير المصير في الضفة الغربية، وغزة وترتيبات أخرى لإجراء مفاوضات بين إسرائيل وكل من مصر والأردن و"ممثلين عن الشعب الفلسطيني" حول الوضع النهائي لهذه الأقاليم. هذا الحل وفقًا لاتفاق كامب ديفيد سوف يؤدي إلى "اعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ومطالبه العادلة" وهي الجملة نفسها التي وردت في بيان

كارتر المشترك مع السوفيت الذى صدر فى أكتوبر ١٩٧٧، وفجرت حنق وغضب قادة الجماعة اليهودية الأمريكية. وتضمنت الاتفاقية أيضًا نصوصًا تنظم خطوات التفاوض لعقد اتفاقية سلام بين مصر وإسرائيل ترتكز على انسحاب إسرائيلى من سيناء إلى حدود عام ١٩٦٧ .

تعتبر اتفاقية كامب ديفيد أعظم إنجاز حققته إدارة الرئيس كارتر، وبالرغم من أنه خصص معظم وقته فى البيت الأبيض لدعم خطوات السلام بين العرب وإسرائيل أكثر مما فعل أى رئيس آخر (ونال نجاحًا لم يحرزه أى من الرؤساء الذين سبقوه)، إلا أنه لم يتمكن مرة أخرى من الاعتماد على أصوات الناخبين اليهود طوال العامين اللذين بقيهما رئيسًا لأمريكا. بلغ عداء الجماعة اليهودية له حدًا عظيمًا، ولم يوفر التوتر المستمر بينه وبين بيجين الفرصة المناسبة للتخفيف منه، فمن ناحية لم يكن فى استطاعة الإسرائيليين أن يواجهوا المشكلة الفلسطينية كما دلل على ذلك فشل محادثات الحكم الذاتى التى أقرتها اتفاقية كامب ديفيد، ومن ناحية ثانية لم يكن اليهود الأمريكيون على استعداد للتعبير عن عدم رضاهم لسياسات بيجين الاستيطانية التى وصفها كارتر بأنها "غير شرعية" .

وفقًا لرواية أحد قادة اليهود الأمريكيين، فكَّر كارتر خلال عام ١٩٧٩ أن يلقى خطابًا موسعا حول الشرق الأوسط عبر التلفزيون يوضح فيه نقاط اختلاف المصالح بين أمريكا وإسرائيل، ويشجب تشدد حكومتها. وقبل أن يقدم على هذه الخطوة أرسل إليه عدد من قادة الجماعة اليهودية، المتعاطفين معه بسبب المشاكل التى تلحق به نتيجة سياسات بيجين ومواقف جماعات الضغط، كلمة عن طريق الأب تيودور هيزبيرج أسقف كنيسة نوتردام قالوا له فيها، كما كتب واحد منهم فيما بعد، إنه سيكون أول رئيس أمريكى "يجازف بفتح أبواب معاداة السامية فى أمريكا". بعدها قرر كارتر التوقف عن خلق مشاكل جديدة، ويكفيه ما لديه[٧٧] .

على امتداد العام التالى حاول معاونو الرئيس كارتر اليهود من أمثال روبرت اشتراوس الذى أصبح مفاوض البيت الأبيض فى قضايا الشرق الأوسط منذ عام ١٩٧٩ وإيد ساندرس الرئيس السابق لإيباك الذى حل محل مارك سيجل كضابط اتصال بين

البيت الأبيض والجماعة اليهودية الأمريكية، ومحامى واشنطن الشهير آل موزيس الذى سيحل فى القريب محل ساندرس، أن يخففوا من ضغطه على إسرائيل وأن يفكوا ارتباطه بوجهة النظر الموالية للعرب التى يمثلها بريجينسكى وفانس. المشكلة الأساسية التى واجهتهم هى أن كارتر كان مقتنعًا أيضا بهذه الأفكار، لذلك بقى بالنسبة لهم غير قادر على اتخاذ أى خطوة صحيحة .

نُقل عن كارتر فى شهر أغسطس عام ١٩٧٩ أنه وصف القضية الفلسطينية بأنها "تشبه حركة الحقوق المدنية فى أمريكا"[٧٨] ولما طُلِبَ منه أن يفسر ما قاله قال إن ملاحظاته أسىء فهمها. وفى أواخر الشهر نفسه منِيت علاقات البيت الأبيض العامة بكارثة مدوية، وذلك حين اكتشف الإسرائيليون، عن طريق مراقبة تحركات مندوب منظمة التحرير الفلسطينية فى الأمم المتحدة ، تلك المراقبة التى جعلت معظم الدبلوماسيين العاملين فى المنظمة يقولون إن حوائطها لها آذان، إن أندرو يانج رئيس الوفد الأمريكى إلى المنظمة والصديق المقرب من كارتر اجتمع بالمندوب الفلسطينى فى بيت السفير الكويتى. لم تكن تلك المرة الأولى التى يجتمع فيها يانج مع مندوب منظمة التحرير الفلسطينية (ولن تكون الأخيرة التى يتقابل فيها ممثل أمريكا فى المنظمة سرًا مع مندوب فلسطينى) ولكن الواقعة نفسها كانت نقضًا واضحًا لاتفاق عام ١٩٧٥ الذى وقعه كيسنجر مع الإسرائيليين لإقناعهم بفك ارتباط قواتهم مع القوات المصرية فى سيناء، وتعهدت بموجبه أمريكا أن لا تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية أو تتفاوض معها إلا بعد أن تعترف المنظمة أولاً بحق إسرائيل فى الوجود .

كان كارتر وفانس يحاولان فى واقع الأمر إيجاد حل للتعهد بعدم الاتصال بمنظمة التحرير الفلسطينية، فى هذا الوقت ضُبط يانج متلبسًا بالاجتماع مع مندوبها دون علم وزارة الخارجية. ولما ووجه بما أقدم عليه أنكر فى البداية ثم قال إنه حدث صدفة، وفى نهاية المطاف قال إن الواقعة التى كشفها الإسرائيليون صحيحة. استشاط فانس غضبًا وقال لكارتر: إذا كان يفضل الاحتفاظ بيانج فعليه أن يبحث عن وزير خارجية جديد، قرر الرئيس أن يضحى بمندوبه فى الأمم المتحدة. أسعد إقصاء يانج الجماعة اليهودية الأمريكية، ولكنه شكل كارثة على مستوى العلاقات بين السود واليهود والتى كانت متدهورة فعلا، إذ حمّل السود اليهود مسئولية الاستغناء عن مندوب أمريكا الأسود فى المنظمة الدولية[٧٩] .

لم يكن حظ دونالد ماكهنرى الأسود الذى كان متعاطفًا مع شعوب العالم الثالث، والذى خلف يانج كمندوب لأمريكا فى الأمم المتحدة بأفضل منه، ففى مارس عام ١٩٨٠ وبسبب ما وصف بأنه "عطل فى الاتصالات" صوّت الرجل إلى جانب قرار الأمم المتحدة الذى هاجم سياسات إسرائيل الاستيطانية بما فى ذلك ما تقوم به فى مدينة القدس. لم يكن أحد يتوقع أن يصدر القرار بهذه الصيغة، وقيل لكارتر تبريرًا لذلك إن كل ما له علاقة بالقدس حُذف من القرار ولكنه فى حقيقة الأمر لم يحذف، حتى حمائم إسرائيل الذين كانوا على استعداد لإعادة الضفة الغربية كانوا يصرون على أن لا يكون من ضمن الصفقة أراضى مدينة القدس .

أحست الجماعة اليهودية الأمريكية بالهوان مرة أخرى فى وقت لم يكن مناسبًا لكارتر الذى كان يخوض معركة حياته السياسية، حيث تزامن ذلك مع فورة الحملة الدعائية الأولية لانتخابات الرئاسة فى مدينة نيويورك ضد السيناتور إدوارد كيندى، لذلك وصف تأييد أمريكا للقرار الذى اتخذته الأمم المتحدة بأنه إجراء خطأ. أما مصيره السياسى فى المرحلة الأولية على مستوى نيويورك فتقرر بعد ذلك بعدة أيام عندما اعترف فانس أمام الكونجرس بأن الإدارة الأمريكية ترى أن المستوطنات "عمل مخالف للقانون الدولى" وأكد خلال استجوابه أنها تنظر إلى القدس الشرقية باعتبارها أرضًا محتلة. كل هذا حقيقى ولكن مثل هذه الآراء تذكر الناخبين اليهود فى نيويورك بأنهم كانوا يستمعون من أصدقائهم منذ شهر أبريل عام ١٩٧٧ أن كارتر كان يمارس ضغطًا شديدًا ضد حكومة إسرائيل .

من وجهة نظر إسرائيل لم يكن ذلك كافيًا، فقام أريبل شارون وزير الدفاع فى حكومة بيجين بحث اليهود الأمريكيين على الاحتجاج على أسلوب الإدارة الأمريكية فى التعامل مع ملف المستوطنات وقال لهم "لا أود التدخل فى الشئون الداخلية للولايات المتحدة الأمريكية، ولكن يجب أن يعلموا أن قضية الأمن الإسرائيلى هى قضية اليهود فى أى مكان فى العالم"[٨٠]. وللإنصاف لم يُعرف فى يوم من الأيام عن شارون أنه شجع قادة اليهود الأمريكيين على التدخل فى السياسات الإسرائيلية، خاصة وأن هؤلاء القادة يعلمون حق العلم أن حماسة بيجين وشارون لضم الضفة الغربية إلى إسرائيل تتنافى مع صورة إسرائيل الديمقراطية .

أوضحت هذه الظروف تزايد أعداد اليهود الأمريكيين الذين يشاركون شارون وجهة نظره ويرون واجبًا حتميًا عليهم أن يرفعوا صوتهم عاليًا عندما يتعرض أمن إسرائيل للخطر. ونشرت صحيفة ذى نيويورك تايمز صفحة إعلانات كاملة تضمنت أسماء لمشاهير اليهود من المثقفين ورجال الجامعات على رأسهم الروائى شاؤول بيلو أعلنوا تضامنهم مع إسرائيل، أعقب ذلك نشر صفحات إعلانية فى صحف أخرى مولها اليمين واليسار اليهودى وكذلك المؤيدون لضم الضفة الغربية والمعارضون له. إلا أن هذه الإعلانات الدعائية لم تستمر طويلا لأنه وكما هو معروف، لا يلجأ إلى هذا الأسلوب إلا قلة من اليهود للتعبير عن تذمرهم وغضبهم .

فى منتصف الثمانينيات انتقد تيودورمان، رئيس مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الذى انتهت مدة رئاسته، سياسات حكومة بيجين التى تواصل السماح ببناء المستوطنات فى الضفة الغربية، ولم يقتنع غالبية اليهود الأمريكيين بهذا النقد لأنهم يعرفون حق المعرفة أنه يدخل كما هى العادة تحت بند "تبادل المنافع"، بالرغم من أنهم فى السر كانوا يمنون النفس باختفاء بيجين والعقائديين من رفاقه من الساحة الإسرائيلية .

لم يستفد كارتر كثيراً من هذا الشعور المعادى لسياسات بيجين، صحيح أن موقفه (بيجين) من بناء المستوطنات سبب لقادة اليهود الأمريكيين الكثير من الضجر منذ فترة ولكنه لم يكن كافيًا أبدا لكى يقفوا صفًا واحداً وينتقدوا هذه السياسات علنا. وعندما حاول كارتر أن يستفيد من محصلة هذه الاعتراضات وجدها محدودة ومبعثرة وكلها تفضل إبقاء أى انتقاد "داخل البيت". من هنا بدا واضحًا للمراقبين فى واشنطن أن الجماعة اليهودية الأمريكية وقادتها يقفون بصلابة وراء حكومة إسرائيل ويعارضون جيمى كارتر ، فى الوقت نفسه ظهر جليًا أنه لا كارتر ولا أى عضو من أعضاء الكونجرس على استعداد للظهور بصورة المؤيد للمعارضين للسياسات الإسرائيلية خاصة أنهم جماعة غير منظمة وغير قادرة على تقديم وعود بمساعدات مالية أثناء فترة الانتخابات على عكس إيباك التى كانت تملك كل تلك العوامل. لم يكن الرئيس إذن فى موقف يُحسد عليه، لقد كان فى حاجة إلى كل مساعدة يمكن أن يحصل عليها، ولكن الرجل الذى صمد بقوة أمام حرارة الانتخابات عام ١٩٧٧ احترق بلهيبها عام ١٩٨٠ .

طلب ناحوم جولدمان من صديق مشترك خلال الأشهر السابقة على الانتخابات أن يرتب له مقابلة أخرى مع الرئيس لا تزيد مدتها عن ٢٠ دقيقة يستطيع خلالها أن يعرض له الشائعات التى تملأ الجو السياسى فى إسرائيل، ورفض كارتر لأن جولدمان أصبح أكثر انتقاداً لإسرائيل مما يخشى معه أن تدشن المقابلة مع هذا المنشق، موجة جديدة من هجوم الجماعة اليهودية الأمريكية ضده. أصيب الصديق المشترك بصدمة بسبب الخوف الذى أبداه كارتر[٨١] ولكن الرئيس الأمريكي كان لديه مبرراته، فبعد ثلاث سنوات من هجمات قادة اليهود الكثيفة كان لا بد أن يختار السكينة الداخلية .

حصل جيمى كارتر فى انتخابات عام ١٩٧٦ على ٦٨ ٪ من أصوات اليهود. أما فى انتخابات عام ١٩٨٠ فلم يحصل سوى على ٤٦ ٪ منها وهى نسبة ضئيلة بالقياس لأى مرشح ديمقراطى فما بالنا بمن هو فوق كرسى المسئولية فعلا. ولكى يضمن اليهود الأمريكيون تواصل الدعم لإسرائيل لم يكتفوا بالتعايش مع سياسات بيجين، بل تحولوا إلى دعاته المتحمسين على الأقل فى العلن، وأصبح خصوم بيجين من الموالين لجيمى كارتر خصومهم هم أيضا .

يحكى واحد من كبار مساعدى كارتر أنه ذهب مع آخرين من موظفى الإدارة إلى بلدة بليز للمشاركة فى وليمة لحم مشوى دعا إليها القسم الصحفى بالبيت الأبيض، وأنهم شربوا نخب اثنين من الموظفين ورثتهم إدارة ريجان من إدارة كارتر: كان الأول سام دونالدسون مراسل شبكة أخبار أيه.بى.سى. العنيد لدى البيت الأبيض، أما الثانى فكان مناحيم بيجين[٨٢]، ربما يكونون قد أضافوا نخبًا لثالث هو منظمة إيباك التى تهمين على جماعات الضغط اليهودية، والتى كانت مصصمة على أن لا تخسر معركة أخرى كبيرة داخل الكونجرس .

كان المشاركون فى وليمة مدينة بليز يجهلون أنه قبل أكثر من شهر من تولى ريجان المسئولية رسميًا كرئيس للولايات المتحدة قامت إيباك بوضع خطتها الإستراتيجية لعرقلة أى محاولة جديدة لبيع أسلحة أو طائرات أمريكية إلى السعودية .

الهوامش

1. *Time*, June 21, 1976.

2. *Statement by Governor Carter on the Middle East*, June 6, 1976, released by the New York Citizens Committee for Jimmy Carter.

3. Cited in Richard Reeves, "Is Jimmy Carter Good for the Jews?" *New York*, May 24, 1976.

4. Cited in Mark Bruzonski, "Carter and the Middle East," *The Nation*, December 11, 1976, p. 617.

5. *New York Times*, January 15, 1977.

6. To the World Affairs Council of Northern California, June 17, 1977.

7. Zbigniew Brzezinski, *Power and Principle* (New York: Farrar, Straus, Giroux, 1983), p. 86.

8. Ibid., p. 88.

9. Brzezinski, *Foreign Policy*, New York: Summer 1975.

10. "Toward Peace in the Middle East," Washington, D.C.: The Brookings Institute, December 1975.

11. Confidential interview.

12. Cyrus Vance, *Hard Choices* (New York: Simon and Schuster, 1983), p. 172.

13. In a recent summary of U.S. policy in the Middle East, the historian Bernard Reich attributes the "intellectual" (his quotation marks) origin of Carter's policy to Brzezinski's writings and "the Brookings Report." See Reich, *The United States and Israel: Influence in the Special Relationship* (New York: Praeger, 1984), pp. 43–44; and "Mark Siegel Reveals White House Rivalries," *Israel Today*, June 23–July 6, 1978.

14. Interview with Cyrus Vance, New York, September 26, 1984.

15. *Weekly Compilation of Presidential Documents*, March 21, 1977, p. 361.

16. *New York Times*, March 18, 1977.

17. Brzezinski, *Power and Principle*, p. 91.

18. Confidential interview.

19. Jimmy Carter, *Keeping Faith* (New York: Bantam Books, 1982), p. 280.

20. Brzezinski, *Power and Principle*, p. 90; Vance, *Hard Choices*, p. 173.

21. Brzezinski, *Power and Principle*, p. 90; for the Israeli prime minister's appraisal of Carter, see Yitzhak Rabin, *The Rabin Memoirs* (Boston: Little, Brown, 1979), pp. 298–300.

22. Carter, *Keeping Faith*, p. 280.

23. Rabin, *The Rabin Memoirs*, p. 300.

24. Ibid., p. 294.

25. *Time*, June 27, 1977.

26. Ibid.

27. Carter, *Keeping Faith*, p. 282.

28. Vance, *Hard Choices*, pp. 173–174.

29. Rabin, *The Rabin Memoirs*, p. 300.

30. Carter, *Keeping Faith*, p. 284.

31. Ibid., p. 288.

32. Vance, *Hard Choices*, p. 29.

33. "Lunatic dictator" reported in *Facts on File*, June 23, 1948, p. 198; on the *Altalena* affair, see original reports *New York Times*, June 23 and 25, 1948; also Howard M. Sachar, *A History of Israel* (New York: Knopf, 1981), pp. 329–330; and for its curious role in Israeli history, see Sidney Zion, "Begin from the Beginning," *Harper's*, November 1983, pp. 25–31; Einstein and Arendt letter, *New York Times*, December 4, 1948.

34. Interview with Rabbi Alexander Schindler, New York, April 26, 1984.

35. Quotations cited in Eric Silver, *Begin: The Haunted Prophet* (New York: Random House, 1984), p. 166.

36. Dan V. Segre, *A Crisis of Identity: Israel and Zionism* (Oxford: Oxford University Press, 1980), p. 147.

37. Cited in George E. Gruen, "Solidarity and Dissent in Israel-Diaspora Relations," in *Forum*, a publication of the American Jewish Committee, Spring/Summer 1978. See files on "Dissent" in AJC's Blaustein Library.

38. Silver, *Begin: The Haunted Prophet*, p. 161.

39. Confidential interview.

40. Interview with MK Dan Meridor in Jerusalem, October 23, 1984.

41. Confidential interviews.

42. Confidential interview with a prominent Israeli academic who is very familiar with American Jewish politics, October 26, 1984.

43. Confidential interview with former Begin aide.

44. Ezer Weizman, *The Battles for Peace* (New York: Bantam Books, 1981), p. 118.

45. Simha Flapan, "Begin and the Diaspora," *New Outlook*, Tel Aviv: June/July 1979, p. 17.

46. Cited in Silver, *Begin: The Haunted Prophet*, p. 167.

47. Interview with Arthur Hertzberg in Englewood, N.J., March 16, 1984.

48. J. Bowyer Bell, *Terror out of Zion* (New York: St. Martin's Press, 1977).

49. Confidential interview.

50. Moshe Dayan, *Breakthrough* (London: Wiedenfeld and Nicolson, 1981), p. 21.

51. Ibid.

52. Silver, *Begin: The Haunted Prophet*, p. 168.

53. Ibid., p. 164.

54. Jimmy Carter, *Presidential Papers*, July 30, 1977, pp. 1393–1394; August 23, 1977; *Department of State Bulletin*, August 22, 1977, p. 233.

55. See Sol Stern, "Menachem Begin vs. the Jewish Lobby," *New York*, April 24, 1978; I also discussed Schindler's differences with Begin in an interview with Schindler, April 26, 1984.

56. Cited in Sol Stern, *New York*, April 24, 1978; see Annual Report, Conference of Presidents of Major American Jewish Organizations, 1977.

57. Brzezinski, *Power and Principle*, p. 108.

58. Interview with Vance.

59. Dayan, *Breakthrough*, p. 64.

60. *Middle East Contemporary Survey*, ed. Colin Legum, vol. 1, 1976–77, p. 30.

61. See Stern, *New York*, April 24, 1978, who, as far as I know, was the only journalist to report this extraordinary story; associates of Goldmann and Vance have confirmed its accuracy to me in interviews.

62. Interview with Vance.

63. Sadat's Knesset Address as translated for ABC News; also cited in *Peace-making in the Middle East*, ed. Lester A. Sobel, (New York: Facts on File, Inc., 1980), p. 173.

64. Weizman, *The Battle for Peace*, pp. 142–143.

65. Yoel Marcus, "American Jewry: Between Power and Perplexity," *Ha'aretz*, February 24, 1978. Translated by Israel Shahak. A slightly different translation appears in Arthur Samuelson, "The Dilemma of American Jewry," *The Nation*, April 1, 1978.

66. Samuelson, *The Nation*, April 1, 1978.

67. Interview with a Jewish leader, who was sent the results of the unpublished Ruder & Finn poll.

68. *Newsweek*, March 20, 1978.

69. *Peace-making in the Middle East*, ed. Lester A. Sobel, p. 204.

70. See Stern, *New York*, April 24, 1978; also *Newsweek*, March 20, 1978; also Mark Siegel, *Israel Today*, June 23–July 6, 1978.

71. Interview with Schindler.

72. Interview with Vance.

73. Stephen D. Isaacs, *Jews and American Politics* (New York: Doubleday, 1974), p. 122.

74. Confidential interview with former McGovern aide.

75. Carter, *Keeping Faith*, p. 315.

76. Cited in Gruen, "Solidarity and Dissent."

77. Confidential interview.

78. *New York Times*, August 1, 1979.

79. *Peace-making in the Middle East*, ed. Lester A. Sobel, p. 279ff.

80. Sharon remark cited in Paul Findley, *They Dare to Speak Out* (Westport, Conn.: Lawrence Hill & Co., 1985), p. 134.

81. Confidential interview.

82. Confidential interview with a close associate of President Carter and a top member of his Administration.

الفصل الخامس

معركة طائرات الأواكس . النصر لمن: ريجان أم بيجين ؟!

عندما انتُخب رونالد ريجان رئيسًا لأمريكا عام ١٩٨٠ كان اليهود الأمريكيون قد أمضوا حوالى ٣٥ عامًا يمارسون الضغط على الإدارات الأمريكية بالنيابة عن الدولة الصهيونية، وكان كل من مؤتمر الرؤساء ومنظمة إيباك يعملان منذ عام ١٩٥٤ كجماعات ضغط متنامية موالية لإسرائيل ولكن بعيداً عن الأنظار. أما غالبية الأمريكيين فكانوا حتى هذا الوقت أيضًا لا يعرفون إلا القليل عن جماعات الضغط اليهودية، وفضَّل قادة اليهود الأمريكيون أن تظل هذه المعرفة محدودة لأن تهمة الولاء المزدوج كانت تقلقهم إلى حد كبير، كما كانوا حريصين على عدم فتح أبواب مناهضة السامية. فى هذا التاريخ لم يكن على رأس الجماعة اليهودية شخصية ذات سطوة دينية أو مدنية على نسق براندايز أو ستيفن وايز أو آبا هيللر سيلفر ، وكانت قلة من الأمريكيين وأقل منهم من اليهود يعرفون أسماء الذين ينسقون بين القوى اليهودية فى كل من واشنطن والقدس، ويمكن القول إن عدداً محدوداً من اليهود فى أمريكا وفى إسرائيل أيضا سمعوا عن منظمة إيباك .

يقول ليونارد ديفيز رئيس قسم البحوث السابق بمنظمة إيباك، والذى يعمل حاليًا مستشارًا سياسيًا ويعيش فى القدس، "تطلب منى الأمر أن أشرح للإسرائيليين طوال عامى ١٩٧٧ و ١٩٧٨ ما قمت به من عمل لمساندة دولتهم، لأن العاملين فى مجال الصحافة أو فى الحكومة أوحتى فى وزارة الخارجية لم يكن لديهم فكرة واضحة عن إيباك وعما قامت به جماعات الضغط اليهودية"[1]. على العكس من ذلك تمامًا كانت شهرة إيباك أو إن شئت الدقة سمُعتها تملأ جنبات مجلس الشيوخ، حيث كل عضو

يراها من زاويته الخاصة بالقياس إلى مصالح الشرق الأوسط أو إلى ضغوط مديرها المتسلط موريس أميتاى .

أساءت الأساليب التكتيكية القائمة على مبدأ العين بالعين والسن بالسن التى استخدمها أميتاى إبان معركة صفقة طائرات إف / ١٥ التى شهدتها أروقة الكونجرس ليس فقط إلى العديد من الساسة الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أصدقاء منذ زمن طويل لإسرائيل، وإنما أضرت أيضا بنشطاء واشنطن العاملين ضمن المنظمات اليهودية الوطنية الذين تسممت علاقاتهم الشخصية بالسياسيين والعاملين معهم بسبب اندفاعه الزائد عن الحد. بعد انتهاء عملية تصويت مجلس الشيوخ على صفقة الطائرات سأل عدد من قادة الجماعة اليهودية فى كاليفورنيا السيناتور فريد داتون ، الذى عمل مساعداً لجون إف كيندى، وكان مسئولاً سابقًا باللجنة الوطنية الديمقراطية، خصم أميتاى الذى قاد مجموعة الضغط لصالح السعودية عن رأية الشخصى المهنى فيما يتعلق بانعكاسات دور أميتاى على هذه العملية. يقول داتون "أعرف أنه من الصعب تصديق ما أقول ولكن منذ نشاطى السياسى فى كاليفورنيا وطوال فترة عملى بإدارة كيندى كانت لى شبكة كبيرة من الأصدقاء والاتصالات بالجماعة اليهودية ، وهذا ما حقق للصفقة أن تفوز بتصويت المجلس ، ويضيف: "أخذنى عدد منهم معهم بالطائرة إلى كاليفورنيا وطلبوا منى أن أوضح لهم كتابةً (بشرط ألا تكون للنشر) الأخطاء التى ارتكبتها منظمة إيباك، وقد أدى ذلك إلى تغيير قيادتها فيما بعد وهذا يدل على أننى لم أكن وحدى الذى يلمس أخطاءها"(٢) .

يصر أميتاى أنه لم يكن ينوى الاستمرار فى منصبة بمنظمة إيباك لفترة طويلة كما حتمت عليه الظروف، وأنه أبلغ مجلس إدارتها قبل عام بنيتة ترك منصبه، ويقول "لقد شعرت أننى نجحت فى تغيير سياسات المنظمة وأحسست بعد سنوات من العمل الحكومى ومن ممارسة الضغط من أجل إسرائيل أن الوقت قد حان لترك ذلك، و علىَّ أن أقوم بما يساعدنى على جمع بعض المال لأسرتى" . وبالرغم من الانقسام الذى شهده مجلس إدارة إيباك حول أسلوبه فى القيادة القائم على "المواجهة" إلى جانب نزعته الاستبدادية، إلا أنه قبل فى النهاية استقالة أميتاى وبدأ فى الترتيب لاختيار غيره .

فى نهاية المطاف وقع اختيارهم على توماس أيه دين الذى كان يشغل وظيفة معاون فى مجلس الشيوخ ويحمل درجة الماجستير فى تاريخ جنوب شرق آسيا ولم تكن له أية خبرة بالمنظمات اليهودية، وهذه النقطة بالذات هى التى أصابت العديد من زملائه القدامى فى مجلس الشيوخ بصدمة شديدة عندما تولى مسئولية إدارة اللوبى الأسطورى الموالى لإسرائيل فى شهر أكتوبر عام ١٩٨٠ . وعلق مساعد قانونى من زملائه عرفه لمدة عشر سنوات على تعيينه فى هذا المنصب قائلاً "لم أكن أعرف أن توم يهودى"، وفيما بعد التقط هذه المقولة واحد من كبار موظفى المنظمة على أيام أميتاى وعمل على نشرها(٣) .

يقول توماس دين عن نفسه إنه كان يهودياً من جماعة "إخوان بروكس" نشأ فى ولاية سينسناتى وحصل على قدر محدود من التعليم اليهودى وكانت أسرته تنتمى إلى معبد إصلاحى. وبعد أن أنهى تعليمه الجامعى عام ١٩٦٢، وحصل على درجة الماجستير من أكاديمية كاليفورنيا فى الدراسات الجنوب شرق آسيوية تطوع فى قوات السلام وعمل تحت رايتها لمدة سنتين فى الفلبين، ولما عاد إلى واشنطن عين لفترة مؤقتة فى وظيفة ضابط اتصال لقوة السلام فى الكونجرس. انضم دين فى عام ١٩٦٧ إلى وزارة الخارجية وعين مساعداً شخصياً للسفير الأمريكى تشستر بويلز فى نيودلهى، وبعد ثلاث سنوات التحق بمجلس الشيوخ وعمل مساعداً قانونياً للشئون الخارجية مع السيناتور فرانك تشرشل الذى أصبح فيما بعد عضواً بارزاً فى لجنة الشئون الخارجية للكونجرس. حصل على منحة دراسية بمركز الشئون الدولية التابع لكلية كيندى بجامعة هارفارد عاد بعدها إلى واشنطن عام ١٩٧٥ ليتولى رئاسة موظفى الأمن القومى العاملين بلجنة الميزانية الخاصة بمجلس الشيوخ. فى عام ١٩٧٩ عمل زميلاً باحثاً بمؤسسة بروكينجز، ثم أصبح مستشاراً للسيناتور إيدموند موسكى الذى كان مسئولا عن معاهدة الحد من انتشار الأسلحة الإستراتيجية (سولت).. وقبل اختياره لإدارة منظمة إيباك فى عام ١٩٨٠ كان يشغل وظيفة نائب مستشار الشئون الخارجية للسيناتور إدوارد كيندى(٤) .

كانت الفروق بين دين وأميتاى واضحة: فبينما كان دين يبدو كدبلوماسى من خريجى جامعة إيفى كان أميتاى يصلح بشاربه الكثيف يوجو فى مسرحية عطيل.. كان

مدير إيباك الجديد طويل القامة ، يعتنى بملابسه وفق صيحات الموضة الشبابية ، يخطو فى سيره متمايلا، منحته صراحة سكان الغرب الأوسط من أمريكا وتعصبهم المظهر الشرقى المخادع دون مسحة متخرجى جامعة كمبريدج المتغطرسة التى تقول "أنا أكثر وسامة منك يا هذا". كان دين فى ذلك الوقت فى السابعة والأربعين من عمره يريد أن يكون محبوباً من الآخرين على عكس أميتاى الذى كان يسعده أن يكون مخيفا للآخرين، وكان يتمتع بروح الدعابة التى ربما تقوده إلى الاستخفاف بالذات. باختصار كان دين الاختيار المثالى للمنصب؛ فقد كان يملك خاصية كين فى الانفتاح على السياسيين والصحفيين إلى جانب إلمام أميتاى بأحوال مجلس الشيوخ فى عقد الثمانينيات واستيعابه لحجم النشاطات السياسية اليهودية .

يقول صديق لكل من أميتاى ودين كان على معرفة بالعمل الذى يقوم به كل منهما "كان توماس على علم بالمشاكل التى تهتم بها إيباك لأن أميتاى كان يستخدمه كوسيلة ضغط عندما كان يعمل مستشاراً قانونياً، حيث كان فى مقدوره أن يخفف من سلبيات كلا الجانبين" ويضيف هذا الصديق « فى استطاعة دين أن ينقل المنظمة إلى مشارف القرن العشرين لأنه من النوع الحازم الذى يتمتع بالذكاء، وفوق ذلك كان يتعاطف مع أعضاء الكونجرس ويحترم مشاعرهم(٥) » .

سرعان ما شاع فى أروقة مجلس الشيوخ أن دين "رجل سياسى جيد"، لكن الأمر الذى لا شك فيه أنه كان غزير المعرفة والأهم من ذلك أنه كان صديقًا وفيًا ولبقًا، عيبه الوحيد أنه لم تكن لديه أدنى خبرة بجوانب الصراع العربى الإسرائيلى. كانت زوجته جوان، التى لم تكن يهودية، كثيراً ما تمزح مؤكدة أن زوجها لم يكن فى مقدوره أن يحدد موقع إسرائيل الجغرافى قبل أن يتولى إدارة منظمة إيباك. ويبدو أن هذا التحدى جعله يرفع من مستوى معرفته بهذا العلم فى وقت قياسى بعد أن بدأ يمارس عمله مديراً لمنظمة إيباك فى أكتوبر ١٩٨٠ .

عكَّر صفو إجراءات التسليم والتسلم التى تتم بين الإدارة الأمريكية القديمة والإدارة الجديدة كالمعتاد فى شهر ديسمبر عام ١٩٨٠ ما تسرب من أنباء حول صفقة أسلحة يتم الترتيب لبيعها إلى السعودية، وقع ذلك قبل أن يجلس ريجان فى المكتب

البيضاوى وبعد شهرين فقط من تولى توماس دين مسئولية إدارة إيباك. علمت المنظمة أن هناك محاولة ثانية لبيع أسلحة إلى السعوديين من بينها سرب إضافى من الطائرات المقاتلة إف / ١٥ التى باعتهم إدراة كارتر عدداً منها عام ١٩٧٨ بالإضافة إلى خمس طائرات أواكس للإنذار المبكر التى تعد آخر ما أنتجته الشركات الأمريكية فى مجال المسح الجوى تقنياً. ولم يكن هناك من سبيل لوقف هذه الصفقة إلا أن يمتنع غالبية أعضاء مجلسى النواب والشيوخ عن إبداء موافقتهم عليها .

هذه الصفقة التى أصبحت تعرف باسم "معركة الأواكس" تحولت إلى واحدة من أشد المعارك شراسة فى ذاكرة مجلس الشيوخ الحالية، لأن الجماعة اليهودية وذراعها الضاغط إيباك عندما قررتا الوقوف بحزم فى مواجهة الرئيس الأمريكى مرة ثانية وضعتا نهاية للغموض الوطنى الذى أحاط بالمنظمة لسنوات طويلة وسطرتا فى الوقت نفسه بدايات ثورة فى حياة اليهود السياسية. وتعد معركة الأواكس نموذجاً مثالياً لفن ممارسة القوة السياسية اليهودية فى شكله الحالى، أو الصورة المتكاملة ذاتياً لما يطلق عليه دين "عضلات إسرائيل عندما تعمل". أثارت معركة الأواكس من ناحية أخرى لغَطًا بين العامة حول مدى هيمنة القوى الموالية لإسرائيل على الحياة السياسية فى واشنطن، ولكنها أبداً لم تحرك القضية الرئيسية وهى: لماذا لا يوجد للولايات المتحدة الأمريكية سياسة شاملة (أو مفهومة) فى الشرق الأوسط ؟

عندما تشكلت قوة الضغط اليهودية فى منتصف الخمسينيات كان الغرض من ورائها تأمين هدف محدد وهو تواصل دعم أمريكا لإسرائيل، ولكن بعد ثلاثة عقود بدا واضحًا أن لعبة ممارسة الضغط التى كان الغرض من ورائها تحقيق هدف ما. أصبحت هدفًا فى حد ذاتها. واتهم المنتقدون القوى الموالية لإسرائيل أنها أصبحت عقبة فى طريق السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط وفى طريق السلام على وجه الخصوص. لذلك بذلت هذه القوى جهداً مضاعفًا لمحاصرة هذا الاتهام، لأنه لم يكن هناك من هو على استعداد داخل منظمة إيباك أو على مستوى الزعامات اليهودية، إلا قلة منهم، أن يسأل السؤال التقليدى فى التاريخ اليهودى: هل هذه القوة العدوانية الموالية لإسرائيل، تعمل لصالح اليهود فى إسرائيل أم فى أمريكا ؟

نُشر أول تلميح حول مبيعات الأسلحة الجديدة للسعودية فى شهر يونية عام ١٩٨٠ عندما أعلنت إدارة كارتر أنها تبحث بشكل جدى طلبًا سعوديًا بشراء صواريخ ومنصات إطلاق قذائف وخزانات وقود إضافية تتيح للطائرات إف/ ١٥ التى سبق للملكة شراؤها أن تصل إلى أجواء أعلى ومسافات أبعد، وطائرات من طراز كيه سى/ ١٣٥ التى تعيد إمداد الطائرات إف/ ١٥ بالوقود وهى فى الجو ، بالإضافة إلى " طائرات الإنذار المبكر "المعروفة باسم أواكس والتى تستطيع أيضا أن توجه الطائرات إف/ ١٥ وهى تطير فى أجواء المعركة(٦) .

قائمة المشتريات السعودية الجديدة تتعارض مع ما تعهد به الرئيس الأمريكى أثناء التعاقد على صفقة طائرات إف/ ١٥ الأولى بأن لا تزود بمعدات تجعلها مصدر تهديد لإسرائيل، لأن المطالب الجديدة من شأنها إذا استُجيب لها أن تضاعف مدى الطائرات مرتين بحيث يصبح حوالى ألف ميل. سارع إيفرايم إفرون "أو إيبى كما يطلقون عليه فى واشنطن" سفير إسرائيل لدى أمريكا إلى القول" هدفها الوحيد سيكون إسرائيل"، فرد عليه كارتر بأن غزو الاتحاد السوفيتى لأفغانستان أحدث تغيرات كثيرة فى أجواء الأمن الإقليمية" .

تلقى كارتر فى يوم ٨ يونية عام ١٩٨٠ رسالة وقع عليها ٦٨ من أعضاء الحزبين الجمهورى والديمقراطى بالكونجرس يطالبونه برفض قائمة مشتريات السلاح السعودية، وقالوا فى رسالتهم إن المعدات الإضافية" لن تتوافق مع الضمانات والتفسيرات التى قُدمت للكونجرس عام ١٩٧٨ "وأكدوا أن مجلسهم لن يعطى موافقته لكارتر لكى يتمكن من إبرام مثل هذه الصفقة .

قال الرئيس فى حديث إلى إذاعة مدينة نيويورك يوم ٢٤ أكتوبر. أى قبل موعد الانتخابات الرئاسية بأحد عشر يومًا، إن إدارته "لن توافق على تزويد طائرات إف/ ١٥ بإمكانيات هجومية". فهم اليهود الأمريكيون هذه الإشارات على أنها تعنى تعهدا ضمنيًا بأن الولايات المتحدة لن تزود الطائرات المباعة للسعودية بمعدات تساعدها على مهاجمة إسرائيل. كانت الإشارات أيضًا نوعًا من الاستهلاك الانتخابى، لأن هارولد براون وزير الدفاع أمر قبل أيام من إطلاق كارتر لضماناته بإعداد دراسة حول إيجابيات وسلبيات الإمكانيات المطلوب إضافتها للطائرات. وذكرت تقارير أن وزارة

الدفاع تأمل من وراء تمرير صفقة طائرات إف/ ١٥ أن يصبح من حق الأمريكيين الوصول إلى القواعد العسكرية فى العربية السعودية، ربما لهذا السبب ظل رجال الإدارة حتى ٢٧ أكتوبر منكبين على دارسة الطلب السعودى .

انتُخب رونالد ريجان رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية ورجع جيمى كارتر إلى مدينة بلينز بولاية جورجيا موطنه السياسى، وبقيت صفقة طائرات الأواكس مشتعلة فى واشنطن وستبقى لفترة من الوقت. قال توم دين رئيس إيباك "سمعنا عنها خلال فترة انتقال المسئولية، عندما حاول بريجينسكى وبراون التصديق عليها بطرق ملتوية بعد انتهاء الانتخابات، فالوقت كان مناسبًا جدًا لأنه فى الظروف المشابهة إذا بدأت أولى خطوات التصويت فى مثل هذه العمليات لن تستطيع التوقف"(٧) .

أقنعت إدارة كارتر المنتهية إدارة ريجان التى ستبدأ فى تحمل المسئولية أن مصالح أمريكا فى الشرق الأوسط ومصالح مؤسسة الرئاسة نفسها، تفرض على واشنطن أن تفى بما تعهدت به للسعوديين، وكان كارتر على استعداد لو أعيد انتخابه أن يتحمل كامل المسئولية. اتفق على إحالة تفاصيل الموضوع برمته إلى لجنة مشتركة من وزارتى الدفاع والخارجية برئاسة فريد إيكلى وكيل وزارة الدفاع للشئون السياسية، وسرعان ما انقسمت إدارة ريجان حيالها. فوزير الدفاع كاسبر واينبرجر يؤيد البيع ويؤكد أنه قادر على كسب أصوات الكونجرس للموافقة عليه ، أما وزير الخارجية ألكسندر هيج، الذى لا يخفى طموحاته نحو منصب الرئاسة، فكان يبدى تخوفه من انعكاسات صفقة تسليح السعوديين - إذا تمت - على السياسة الداخلية للبلاد .

كانت توقعات هيج السياسية فى محلها، ويبدو أنه لم يكن ينقصه الحس السياسى ، فها هى إيباك تبدأ منذ شهر ديسمبر فى بناء معارضة قوية ضد عملية بيع الأسلحة للسعودية داخل الكونجرس، ثم تعيد فى شهر يناير تنظيم إستراتيجيتها استعداداً لمعركة يتوقع أن تكون طويلة الأمد. بدت الإدارة الجديدة أكثر ميلا فى شهر فبراير للانحراف عن أهداف اتفاق كامب ديفيد، فقد أعلن هيج بوضوح بعد لقائه مع إسحاق شامير وزير خارجية إسرائيل أن بلاده لن تضغط من أجل تحقيق الخطوة التى اتفق أن تعقب الاتفاق والمتعلقة بعقد مباحثات مصرية إسرائيلية حول الحكم الذاتى الفلسطينى فى الضفة الغربية. حدد هيج فى الوقت نفسه أن جهود بلاده ستوجه فى

المقام الأول لمعالجة "وضع الغرب المتدهور حيال الاتحاد السوفيتى"[٨] ويبرر المتحدث باسم وزارة الخارجية هذا التوجه بغزو السوفيت لأفغانستان من ناحية، وبالآثار المتخلفة عن الاستيلاء على السفارة الأمريكية فى طهران من ناحية ثانية، وبالحرب العراقية الإيرانية من ناحية ثالثة .

اتضح بشكل مباشر أن إدارة الرئيس ريجان لا تريد أن تخرج عن الطريق الذى رسمته لنفسها إرضاءً لإسرائيل، وعندما انتهز شامير الفرصة أثناء إلقائه خطاباً أمام مؤتمر رؤساء أكبر المنظمات اليهودية ووجه نقداً قاسياً لأمريكا بسبب تخليها عن دورها فى استكمال خطوات السلام فى الشرق الأوسط استغرب الكثيرون فى واشنطن هذه النغمة لأن موقفه الرافض بشدة لاتفاق كامب ديفيد كما أعلنه فى الكنيست الإسرائيلى معروف للكافة. وكرر شامير أيضاً على الملأ ما أبلغه لهيج من معارضة إسرائيل لأى تقوية تقنية لطائرات إف/ ١٥ التى سبق بيعها للسعودية .

قام السعوديون من جانبهم بتحذير الإدارة الأمريكية أن أى تعطيل من جانب البيت الأبيض لاستكمال خطوات بيع الأسلحة إلى المملكة سيعرض مستقبل العلاقة بين البلدين للخطر. ولم يتأخر السيناتور إدوارد كيندى، الرئيس السابق لتوماس دين رئيس إيباك، عن القيام بدور فى تسخين الأجواء، حيث حذر علناً أن المعدات التقنية المضافة إلى الطائرات إف/ ١٥ ستخل بميزان القوى فى الشرق الأوسط. وأضاف أنها ستؤدى أيضاً إلى خرق للتعهد الذى أخذه كارتر (على أمريكا) بأن لا تتحول هذه الطائرات إلى مصدر تهديد لإسرائيل "مما سيعرض مصداقية الكلمة التى تتعهد بها البلاد بصفتها قوى عظمى وضامنة لخطوات السلام فى الشرق الأوسط للقيل والقال"[٩]. اتضح أكثر أن إيباك بدأت تقوم بدورها عندما قدم غالبية أعضاء لجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس خطاباً إلى الرئيس ريجان فى اليوم التالى لتصريحات كيندى يصرون فيه على أن إتمام بيع صفقة معدات التقنية الخاصة بالطائرات إف / ١٥ للسعودية فيه خرق للتعهد الذى سبق وأن قدمه كارتر .

قبل هذه التطورات قام توماس دين بزيارة مكتب إدوين ميز مستشار الإدارة الأمريكية الجديد والصديق المقرب من الرئيس الأمريكى، وأوضح له ببراءة كما تقول

إيباك (وبوقاحة كما تقول ملفات البيت الأبيض) أن الجماعة اليهودية الأمريكية مستعدة لمعركة طويلة الأمد لوقف بيع صفقة الأسلحة إلى السعودية. وشرح دين فصول "سيناريو" التعامل مع هذه المعركة التي سيخوضها اليهود الأمريكيون معتمدين على "أصدقائهم" فى الكونجرس، وقال إن "النتائج التى ستنجم عن هذا التصادم لن تكون فى صالح أى طرف". وركز دين فى كلامه لإدوين ميز على اعتقاد قال إنه يسود بين قادة الجماعة اليهودية والمراقبين المهتمين بالشرق الأوسط هو أن نظام الحكم فى السعودية ليس الأكثر استقراراً فى المنطقة العربية، وذكَّره بصواريخ فينكس وطائرات إف / ١٥ التى باعتها أمريكا لصديقها شاه إيران لتسقط فى نهاية المطاف بين يدى آية الله الخمينى عدو أمريكا اللدود(١٠) .

نظمت جماعات الضغط اليهودية فى الشهر التالى مباشرة ندوتى حوار فى مجلسى النواب والشيوخ لوقف بيع صفقة الأسلحة إلى السعودية، وعلق توماس دين على ذلك قائلا "أطلقنا أول طلقة تحذيرية فى اتجاه إخضاع الإدارة، إننا نقول للبيت الأبيض: نعم سيكون هناك رابح وخاسر فى هذه المعركة التى سيديرها التصويت من داخل مجلسى النواب والشيوخ، ولكن لن تكون نتائجها فى صالح أى طرف" .

لم تهز هذه الطلقة التحذيرية إدارة ريجان الذى كان مزهواً بفوزه الانتخابى الذى حققه فى شهر نوفمبر الماضى، وكان مثله مثل كل الرؤساء الذين سبقوه يتلذذ بتذوق طعم القوة ، وفوق كل ذلك لم تكن صفقة الأواكس على رأس أولوياته. كانت اللجنة المشتركة من وزارتى الدفاع والخارجية ما زالت تدرس تفاصيلها من داخل إحدى قاعات البنتاجون ، وبالرغم من ذلك بدا واضحاً أن واينبرجر وزير الدفاع الأكثر ميلاً لفكرة البيع قادر على إقناع الآخرين بها أكثر من هيج وزير الخارجية الذى لم يكن من المتحمسين لها .

سرَّب الرئيس ريجان فى منتصف فصل الربيع أنه ملتزم بإتمام الصفقة، وكلف مستشاره للأمن القومى ريتشارد إلين بإدارة المعركة داخل مجلس الشيوخ. كان إلين صديقًا قريبًا من الرئيس، ولكن لم يكن له أصدقاء يعتد بهم بين الشيوخ، وعلق أحد المراقبين المهتمين بموضوع صفقة الأواكس على ذلك بقوله " يبدو أن إلين يمتلك موهبة

إلقاء الآخرين من فوق التل"[١١]. كان إصرار ريجان على الإمساك بيد قوية على مقاليد الأمور واضحًا عندما بدأت ملامح معركة الأواكس، لذلك احتاج لعدة أشهر ليدرك أن صفقة بيع الأسلحة للسعودية كانت تتحول مع الأيام الى حدث هائل بالقياس إلى فترة حكمه المحدودة .

استعادة هذا التصرف من ريجان إلى الذاكرة الآن يجعلنا نراه تصرفًا متطابقًا مع سياسته في وضع أسس لعلاقته مع الكونجرس خلال فترة ولايته الأولى ، أما علاقته في فترة ولايته الثانية فكانت عكس ذلك. نشر كارل بيرنشتاين مقالاً رئيسيًا في مجلة نيو ريببليك، في بداية الولاية الثانية لريجان، أثار فيه عدة شكوك حول قدرة الرئيس على إدارة البلاد لأن معاونيه كانوا يبتعدون عن المراكز القيادية في الصف الأول أو يتحولون إلى مسئوليات أخرى ضمن الإدارة[١٢]. نقل بيرنشتاين في مقاله عن واحد من شيوخ الحزب الجمهوري البارزين على امتداد فترة حكم الرؤساء الجمهوريين الثلاثة الأخيرة (ربما يكون السيناتور المتقاعد هوارد بيكر زعيم الأغلبية السابق بمجلس الشيوخ) قوله "كثيراً ما كنت أخرج الرئيس من المأزق الذى تضعه فيه القرارات التى تُتخذ بلا تفكير يحكم سيرها، وكان ينبغي للبعض ممن يعمل في البيت الأبيض أن يفكر في النتائج التى ستحدث في ضوء هذه القرارات . يبدو أن الرئيس كان يفكر من رأسه مباشرة" .

هكذا كان يبدو موقف ريجان من الاتفاق مع السعودية، أما على مستوى الإدارة فكان من الواضح أن كبار المسئولين فيها لا يلقون بالاً إلى القوة الساحقة التى تستعد عناصر الضغط الإسرائيلية لركوبها في طريقها إلى الكونجرس، وكان لا بد من إنقاذ الرئيس علي يد السيناتور هوراد بيكر زعيم الأغلبية في الكونجرس وجيمس بيكر كبير موظفي البيت الأبيض .

قام دين في أوائل شهر فبراير بتقدير الأصوات المعارضة لصفقة السعودية داخل الكونجرس، وبدا أنه مرتاح للنتيجة لأنه علق عليها قائلا "أصدقاؤنا في الكونجرس (كما كان يحب أن يصفهم) الذين يقفون دائمًا إلى جانب السياسة الإسرائيلية سيكونون مؤيدين على طول الخط". وكانت إيباك تعلم من ناحية أخرى أنها يمكن أن

تضمن تصويت مجلس النواب فى صفها إذا تم التنسيق بين أعضائه المشايعين لها وبين غالبيته الديموقراطية لفرض الوصاية على الرئيس الجمهورى. لذلك قام السيناتور ألن كرانستون عن كاليفورنيا، والذى لا يخفى طموحاته الرئاسية والمعروف بولائه الشديد لإسرائيل، والسيناتور روبرت باكوود عن أوريجون بجمع أسماء أعضاء مجلس الشيوخ المعارضين للصفقة .

إذا كان ألن كرانستون معروفًا بميوله الإسرائيلية، فقد كان باكوود رئيسًا للجنة التجارة والعلم والنقل فى الكونجرس إلى جانب رئاسته للجنة حملات المجلس الانتخابية لأعضاء الحزب الجمهورى. كان باكوود يبذل جهدًا مضاعفًا وبطوليًا لمنع هذه الصفقة لكى يغرى تبرعات أثرياء اليهود التى تذهب بشكل تقليدى إلى الحزب الديمقراطى بالتحول إلى الحزب الجمهورى، من هنا كان يدرك أنه إذا وافق المجلس على صفقة الأواكس فمعنى ذلك توقف الدعم المالى الذى يحلم به .

أما على مستوى الجالية اليهودية فكانت إيباك حريصة كل الحرص على إطلاع أعضائها بشكل دورى على ما يحدث فى واشنطن. وكانت مكالمة تليفونية واحدة من "مجلس علاقات الجماعة" إلى قياداتها المحلية على مستوى الولايات كفيلة بتحريكهم فورًا لكتابة الخطابات وإجراء المحادثات الهاتفية وإرسال البرقيات إلى أعضاء مجلس الشيوخ • وكانت هذه الاتصالات التى تنزل كالطوفان على مكاتب الشيوخ تتضمن معلومات حول القدرات القتالية للطائرات إف/ ١٥ سواء أضيفت إليها التقنيات الحديثة أم لم تضف مع إيضاحات حول المخاطر التى تمثلها طائرات الأواكس تجاه أمن إسرائيل، إلى جانب عقد مقارنة بين الاستقرار الذى تنعم به إسرائيل، الدولة الديموقراطية الوحيدة فى الشرق الأوسط، وعدم الاستقرار الذى يعيشه النظام الحاكم فى السعودية .

لم يكن فريد داتون الذى يقوم بتنظيم قوى الضغط لصالح السعودية أقل توجسًا حيال تعامل الإدارة الأمريكية مع الصفقة من توماس دين، وكان توجسه لأسباب مختلفة منها أن اللجنة المشتركة برئاسة إيكلى ومن بعده ريتشارد ألن كانت تعادى الشخصيات المهمة فى مجلسى النواب والشيوخ الذين كانت حاجة السعوديين إليهم

ماسة. ومنها أنه كان يرى (مثله فى ذلك مثل كوادر إيباك) أن معاونى البيت الأبيض الذين يتولون أمر الصفقة مثل إيكلى وألن وحتى هيج يصنِّفون من زاوية قادة الجماعة اليهودية الأمريكية و ممثلى السفارات العربية على أنهم أصدقاء لإسرائيل .

كان داتون يخطط لحشد أكبر عدد من المؤيدين لعقد الصفقة مع السعوديين فى التوقيت نفسه الذى تستعد فيه إدارة الرئيس ريجان للإعلان علنًا عن بيع الأسلحة للرياض، ولكنه اكتشف أن إيباك بدأت فى بناء جبهة معارضة لعرقلتها قبل هذا التاريخ بخمسة أشهر تقريبًا. جاء الاعتراض على خطة ديتون من السعوديين أنفسهم الذين كرهوا أسلوب المواجهة مادام هناك وعد من رئيسين أمريكيين بالعمل على تهيئة الأجواء لإتمام عملية البيع، فماذا تريد دولة صغيرة كالسعودية فى حوزتها بلايين الدولارات النفطية أكثر من ذلك ؟ عند الملكية الصحراوية للعربية السعودية: مادام الرأس الكبير وعد فلابد أن تتم الصفقة. ولكن الأمر كان جد مختلف كما كان يقول داتون دائما "لم يكن السعوديون على معرفة حقيقية بالحدود التى تقف عندها مؤسسة الرئاسة الأمريكية"(١٣) .

خطر لداتون فى أوائل عام ١٩٨١، عندما كان يقلب الأمر فى ذهنه بحثا عن أفكار جديدة تضمن له تمرير صفقة الأسلحة السعودية على مستوى الكونجرس ضد إرادة معارضة يهود أمريكا الهائلة، أن يستخدم شعاراً بسيطًا للغاية يلخص معركة بيع الأسلحة من وجهة النظر السعودية، وتفتق ذهنه عن مقولة "ريجان أم بيجين" !!. وقال ديتون فى مقابلة صحفية بعد التصويت على صفقة الأواكس بثلاث سنوات "كان السبب الوحيد وراء هذا الاختيار التشابه اللفظى بين الاسمين "وقال" إن الجماعة اليهودية الأمريكية وصفته بأنه أفسح المجال أمام مناهضة السامية، وهذا هراء لأن الأمر برمَّته ليس له علاقة بهذا الشأن، لقد لخص الشعار الموقف ولكنه لم يتطرق إلى القضية فى حد ذاتها" .

أكد داتون أن السعوديين رفضوا اعتماد الشعار عنوانا لحملتهم "لأنهم لا يريدون إطلاق العنان لما هو أكبر من الحملة نفسها"، وبالرغم من ذلك أفصح عن دخيلة نفسه فى مقابلة صحفية عندما سئل عن دوره فى حملة الضغط لصالح بيع الأسلحة

للسعودية "لو كان الأمر بيدى لأغرقت المدينة بملصقات تحمل شعار ريجان أم بيجين"(١٤).
قام الإعلام بدوره فى ضوء هذه المقابلة، ولذلك عندما حملت الصحف هذا الشعار فى صدر صفحاتها لم يكن الأمر يدعو إلى الدهشة.. لقد صنع ديتون عنوانًا عريضًا للسعوديين .

قد يبدو فردريك ج٠داتون هاويًا بالنسبة للعمل الذى كلف به على مستوى العالم العربى، أما بالنسبة لعالم واشنطن السياسى الخفى فكان محترفًا. كان ديتون فى السابعة والخمسين من العمر، يتقن على وجه الخصوص التعامل مع الصحافة، وكان غالبية معاونيه الأقوياء من رفاق الدرب القدامى مثل بن برادلى محرر صحيفة واشنطن بوست، وجوزيف كرافت كاتب الزاوية السابق، وريتشارد ريفيز الكاتب السياسى، ومدير مكتب صحيفة نيويورك تايمز فى واشنطن بل كوفيتش، وزميله كارل برينشتاين، وروجر مود المعلق بشركة الإذاعة القومية، والقائمة تضم الكثير من المشاهير. لم يكن فى استطاعة السعوديين التعاقد مع من هو أكثر مهارة من داتون على مستوى واشنطن، حتى لو تقاضى منهم كما تقول بعض التقارير ٤٠٠ ألف دولار عام ١٩٨١(١٥) فقد كان مكسبًا لهم .

كان لديتون رحلة طويلة من التعامل مع سياسات الحزب الديموقراطى: عمل معاونا انتخابيا مع النائب أدلاى ستيفينسون، ومساعداً تنفيذيًا مع إديموند ج. براون حاكم كاليفورنيا، ومعاونًا أثناء حملة جون ف كيندى الانتخابية، ومساعداً خاصًا معه بعد توليه الرئاسة، ومساعًدا لوزير خارجيته لشئون الكونجرس بعد ذلك. قبل ذلك وفى عام ١٩٦٨ عمل كبيراً لمستشارى روبرت كيندى خلال حملة ترشحه للرئاسة، ثم عمل عام ١٩٧٢ لصالح السناتور ماكجوفرن الذى كان يقود حملته الانتخابية فرانك مانكويز زميل ديتون السابق فى الدراسة بلوس أنجيلوس. استشاره عام ١٩٧٠ آرثر جولدبيرج العضو السابق بالمحكمة العليا وسفير أمريكا السابق بالأمم المتحدة، وواحد من الرموز التى تحظى بالاحترام بين أوساط المؤسسة اليهودية الأمريكية، فى الأمور التى تتعلق بحملته الفاشلة للفوز بمنصب حاكم نيويورك. ظل ديتون قريبًا إلى السيناتور تد كيندى بالرغم من علاقاته بالسعوديين، وتبنى تد للموقف المؤيد لإسرائيل، بل أبقى على كثير من صداقاته مع البارزين من أعضاء الجماعة اليهودية فى كاليفورنيا .

يبلغ ديتون اليوم من العمر ثلاثة وستين عامًا ومازال يعمل فى مجال العلاقات العامة بالاشتراك مع زوجته نانسى، إلى جانب ممارسة دوره كمحام شهير فى واشنطن، بالإضافة إلى تفعيله الضغط لصالح السعودية التى يعمل لحساب سفارتها على مدار الساعة مع الاستعداد للدفاع عن بعض الأمراء السعوديين فى قضايا تتعلق بمخالفات قانونية محدودة. وكثيراً ما يطلب منه السفير السعودى تلبية بعض الخدمات فى وقت قصير، بينما يفضل ديتون دئمًا أن يتم ذلك وفق ترتيب مسبق حتى لا يؤثر الأمر على ارتباطاته المحددة سلفا وقوائم الانتظار التى تنتظر دورها .

كان ديتون يقوم فى عام ١٩٨١ بإلقاء بعض الدروس التدريبية للعاملين فى مكتبه حول حقوق المواطنين وواجباتهم عندما وصف السفارة السعودية بأنها مبتدئة فى معرفتها بالنظام السياسى الأمريكى، هذه الحقيقة سبق أن أدهشت كوادر منظمة إيباك الذين كانوا على معرفة متعمقة بإمكانياتهم جعلتهم يلاحظون أن السعوديين كثيراً ما تجاهلوا النصائح التى أشار بها ديتون عليهم. كان أول درس تعلمه ديتون عندما يقوم بعملية ضغط لصالح دولة عربية أن ينسى كل ما تعلمه عندما كان مساعداً خاصًا للرئيس كيندى وما اكتسبه كضابط اتصال لوزير خارجيته على مستوى الكونجرس، لذلك تجنب إلى حد كبير وسائل الضغط التقليدية التى تعتمد على الاختيار الشخصى لبعض أعضاء الكونجرس المضمون تأييدهم الشعبى واحتضانهم بزيادة المساندة لهم والعمل على إغراق الكونجرس والبيت الأبيض بآلاف الرسائل والبرقيات عن طريقهم. ربما لهذا السبب أيضًا وجد أنه لا يتحقق أى نجاح ملحوظ من وراء الكتابة فى الصحف أو تدبيج الافتتاحيات أو حتى نشر وجهات نظر العرب فى موضوع ما، لأنها كلها مسائل متعارف عليها عند البدء فى شن حملة ضغط عبر أعضاء الكونجرس .

كان ديتون على معرفة تامة بالقدرات المحدودة لوسائل "الضغط العربى" داخل الولايات المتحدة بالرغم من كل ما يشاع من حكايات عن تضاعف هذه القوة وتنامى تأثيرها (والتى كان له هو نفسه فضل الترويج لها عندما قال يوما "الدعاية ضرورية بعض الوقت مادمنا نريد أن نتحرك من المربع صفر إلى المربع واحد").. يصف ديتون أسلوبه بأنه كان يعتمد على الواقعية وعلى التعويذة السحرية التى تقبع بين أصابع الصحفيين ، ويشرح ذلك قائلا :

"كان يجب على من يتولى هذه المهمة أن يكون على قدر كبير من الدهاء والحنكة لأنه لم يكن لدى السعودية أو أى بلد عربى آخر الوسائل التى تتيح لهم الانتشار داخل الولايات الأمريكية كما كان الحال بالنسبة لمنظمة إيباك. لم تكن صورة العربى فى البلاد طيبة، لذلك كان من الصعب الترويج لها عند ربات البيوت من خلال شاشة التلفزيون. فى الوقت نفسه كان لأمريكا مصالح قومية فى الشرق الأوسط مثل النفط والاستثمارات الكبيرة والتجارة، ولكنها لم تكن مما يصلح لجذب اهتمام الرأى العام. وعندما يريد المرء أن يبنى خطة عمل للحصول على مساندة حقيقية وفق هذه المعطيات المحدودة فإنه يكون مثل توماس دين (مدير إيباك) عندما يسعى للحصول على تأييد خارج إطار الجماعة اليهودية. فى هذه الحالة لن تتمخض خطته عن منتج له قيمة، وربما أحاطته فى كل خطوة يخطوها بدلاً من ذلك مجموعة من الحيوانات الشرسة، لذلك وجدت من الأنسب أن يكون للمرء قناته الخاصة، وللأسف كان حجم قناة العرب فى هذه البلاد لا يتعدى سمك ورقة الكتابة"(١٦) .

كان الطرفان ديتون ودين يعرفان حق المعرفة أن ساحة الاستعراض الكبير بينهما ستكون قاعة مجلس الشيوخ: توماس دين كان يميل إلى اعتماد إستراتجية تقوم على شحن المجلس ثم ممارسة الضغط على أعضائه، أما ديتون فكان يستقطب الأعضاء المحايدين ويبدأ فى التعامل معهم، يقول ديتون "جمعت إيباك فى ذلك الوقت ٥٨ توقيعاً معارضاً لإتمام الصفقة، لذلك اعتمدت إستراتيجيتنا على الحصول على تأييد من ٥٠ إلى ٥٢ عضواً، وهذا ما لجأنا إليه عام ١٩٧٨ لتمرير صفقة بيع الطائرات إف/ ١٥ لأول مرة وحقق لنا النجاح. وإذا كان هدفنا الأساسى هذه المرة هو اللعب على قوة العلاقات السعودية الأمريكية فسنحقق نجاحا عظيماً لنا إذا استطعنا أن نحصل على تأييد العدد نفسه، وأنا دائما أنظر إلى نطاق مساندة فى حدود ٥٠ إلى ٥٢ عضواً، ولا أمنّى النفس بأكثر منه، خاصة وأن رونالد ريجان يعرف هذا الواقع كما يعرفه الآخرون لذلك كان يبحث فقط عن الشيوخ الذين يمكن أن يساعدوه" .

أعلن البيت الأبيض يوم ٦ من شهر مارس أن الولايات المتحدة ستبيع للسعوديين صواريخ جو/ جو، وخزانات إضافية للطائرات إف/ ١٥ فى الوقت نفسه الذى رفضت

طلبهم لشراء منصات توجيه قذائف قادرة على زيادة فاعلية الطائرات المقاتلة ضد أهدافها الأرضية. وقرر ريجان فى الوقت نفسه، تفاديًا للاعتراضات الإسرائيلية، أن يقدم لحكومتها مساعدة عسكرية إضافية قدرها ٦٠٠ مليون دولار على مدى السنتين التاليتين ، ووعد بأن تفكر إدارته فى تخفيف القيود التى فرضتها على حرية بيعها طائراتها المقاتلة كافير (مزودة بمحركات أمريكية الصنع، ولابد أن تحصل إسرائيل على موافقة أمريكا فى كل مرة تتعاقد على بيعها) إلى طرف ثالث .

تمسكت إسرائيل بمبادئها "لا.. لبيع أسلحة للعرب الأعداء" واحتج مكتب بيجين أن دعم الطائرات إف/ ١٥ بتقنيات جديدة من شأنه أن يهدد السلام فى الإقليم لأنه يضع بين يدى العربية السعودية التى انطلقت منها "دعوة الجهاد المقدس ضد إسرائيل"، قوة هجومية إضافية. ردت وزارة الخارجية على ذلك الاحتجاج قائلة "لقد تغيرت الظروف فى المنطقة بشكل مثير" وأعادت التأكيد أن غزو السوفيت لأفغانستان والحرب العراقية الإيرانية يتطلبان تسليح السعوديين .

تعرض هيج وزير الخارجية يوم ١٨ مارس فى بيان له أمام لجنة الشئون الخارجية بمجلس النواب لعدة مواضيع فى السياسة الخارجية وخاصة تزايد إمكانية تعرض أمريكا وحلفائها لهجمات الإرهاب العالمى، وتبنِّى الاتحاد السوفيتى لسياسات خارجية استبدادية وصفها بأنها تستدعى الحيطة والحذر. مسهبًا فى شرح ظروف الشرق الأوسط . قال هيج للجنة" من الأمور البالغة الأهمية أن نبدأ فى تطوير إجماع على مستوى الإقليم حول مجموعة من الاهتمامات الإستراتيجية بين العرب واليهود للتأكد من عدم تجاهلهم لمحاولات الهيمنة الخطرة التى يخطط لها السوفيت. عاد هيج للتأكيد فى اليوم التالى أمام لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشيوخ على الحاجة إلى "الإجماع الإستراتيجى" فى الشرق الأوسط، وقال إن مقترحات أمريكا للسلام تتطلب توسيع نطاق التحالف مع دول فى المنطقة مثل إسرائيل ومصر والعربية السعودية والأردن وتركيا وباكستان عن طريق تعزيز التعاون والمساعدات العسكرية والاقتصادية والسياسية(١٧) .

كشفت الملاحظات التى أشار إليها هيج عن افتقار الإدارة الأمريكية لسياسة شاملة فى الشرق الأوسط وعن فهم قاصر لرؤية كل دولة فى المنطقة لمصالحها الأمنية الخاصة بها. تمحورت وجهة نظر رونالد ريجان حول "المصلحة الأكثر أهمية لأمريكا فى الشرق الأوسط حول منع سقوط الإقليم تحت سطوة الاتحاد السوفيتى"(١٨)، أما على مستوى إسرائيل والعربية السعودية فمصلحتهما الأكثر أهمية لم تكن تهديدات الاتحاد السوفيتى، وإنما التهديد الذى تمثله كل منهما للأخرى .

فى الوقت الذى كان يعرض فيه هيج الخطوط الرئيسية لسياسة الإدارة الخارجية أمام الكونجرس كان توماس دين يناقش مع مجلس مدراء إيباك مذكرة سبق أن أعدها تتضمن خطوطًا استراتيجية لدحر عملية بيع الأسلحة للسعودية. فى نهاية حديثه طلب من الحاضرين إتلاف النسخة التى معهم من هذه المذكرة أمام عينيه لأنه كان يعرف من خبرته فى واشنطن كيف يتم تداول "المعلومات البالغة السرية" بسرعة قياسية بين أطراف المدينة، ولم يكن يرغب أن يطالع استراتيجية إيباك فوق صفحات الواشنطن بوست فى اليوم التالى (وبالرغم من هذه الحيطة لم يعثر دين على نسخته الشخصية من هذه المذكرة بعد ذلك التاريخ بثلاث سنوات) .

قبل أن يتولى رئاسة إيباك صرف دين جزءًا كبيرًا من تفكيره حول: كيف يتسنى للكونجرس أن يكون له دور فعال فى تشكيل السياسة الخارجية للبلاد . وحاول من خلال المذكرة التى عرضها على مدراء المنظمة أن يختبر مدى صحة نظريته حول قدرة الكونجرس أن يكون له دور فى مراقبة اندفاع وحماسة الرئيس الأمريكى فى تنفيذ سياسته الخارجية وتعديل مسارها إذا لزم الأمر، وخصوصًا فى النطاق الذى يحق لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية أن يتحرك فيه عمليًا بشكل تلقائى دون أن تعيقه صلاحيات أعضاء مجلس الشيوخ أو مصالح الجماعات الخاصة .

لم يكن توماس دين فى حاجة إلى إحراق نسخ مذكرته التى قدمها إلى مجلس مدراء إيباك وتدارسها معهم حتى لا يحصل عليها جواسيس السعودية أو البيت الأبيض، لأن هؤلاء كان من اليسير عليهم الحصول بدلا منها على نسخة من صحيفة

ذى نيويورك تايمز بتاريخ ٤ أبريل عام ١٩٧٥ التى نشر فيها أول مقال له أيام كان زميلا فى جامعة هارفارد بعنوان "الكتاب التمهيدى لمجلس الشيوخ". كانت المقالة عبارة عن بيان من ثمانى نقاط حول كيف يمكن لمجلس الشيوخ "أن يمارس سلطاته الدستورية فى مجال السياسة الخارجية بشكل فعال" فى مواجهة المحاولات التى يبذلها الرئيس جيرارد فورد ووزير خارجيته هنرى كيسينجر لإبعاد الجناح التشريعى للدولة نهائيا عن ميدان الشئون الدولية(١٩) .

اقترح دين فى مقالته: على التشريعيين أن يستخدموا قوة "مرونة سلطاتهم" من أجل فرض سياسات بديلة. ولابد أن تحظى هذه السياسات بتأييد الحزبين وعلى دعم زعماء الكونجرس، ويجب الربط بين "القوى الداخلية والقوى الخارجية حتى تبدو أهداف كل منهما متطابقة"، على الكونجرس أن يحاصر قنوات الاتصال السهلة القائمة بين الإدارة والصحافة عن طريق خلق صداقاته الخاصة مع الإعلام وتشكيل قنوات معلوماته الخاصة التى تعرض وجهة نظره، ومن خلال لجان التحقيق التى" من حقها استخدام أسلوب الاستقصاء قبل المحاكمة بانتزاع المعلومات بعد حلف اليمين ".. يجب أن تحاط" جماعات المصالح الخاصة خارج المجلس إحاطة تامة بالقضايا التى يناقشها "لأن فى مقدورها أن توفر شرعية شعبية للسياسات البديلة المقترحة، وأن تقيم منبراً لنشر وجهات النظر. إلى جانب تجنيد مَن هم قادرون على جمع المعلومات ومَن فى استطاعتهم "مراقبة تصويت الآخرين بحنكة وكياسة" .

كان توماس دين يرى صناعة السياسة الخارجية ميدانا كبيراً تمارس فيه القوى المختلفة وسائل ضغطها: الإدارة تدفع فى اتجاه تحقيق وجهة نظرها ويقوم أعضاء الكونجرس بعرض بضاعتهم . فى الوقت نفسه تقوم "مجموعات المصالح الخاصة الخارجية - ممارسو الضغط المحترفون - وأعضاء لجان الدعم والمساندة بإمداد جميع الأطراف بالمعلومات و"الأفكار الذكية". لذلك اقترح توماس دين تزويد الكونجرس بعدد من الموظفين الخبراء فى الشئون السياسية الخارجية لكى يضعوا له خريطة استراتيجية ويوفروا لأعضائه المعلومات اللازمة لهم فى هذا الميدان. وفوق كل هذا يرى توماس دين أن الكونجرس يحتاج إلى اتباع أسلوب "المثابرة" فى تعامله مع برامج الإدارة فى السياسة الخارجية، وفى رأيه أن "المداومة والمثابرة على انتقاد السياسات توفران إمكانية لإقناع الإدارة بتعديل برامجها السياسية أو إلغائها" .

وهكذا تمحورت استراتيجية إيباك خلال عام ١٩٨١ لمحاربة محاولات بيع أسلحة إلى السعودية على "إقناع الإدارة بالتخلي عن هذه السياسة" .

وقعت في يوم ٣٠ مارس عام ١٩٨١ حادثة خارج إرادة الرئيس ريجان حولت اهتمامه الشخصي من البحث في تلافي المصاعب التي تساعد الكونجرس على الاعتراض على بيع الأسلحة إلى السعودية إلى اتخاذ خطوة في طريق إتمامها، وذلك حين أطلق عليه شاب متعصب يدعى جون دبيو هينكلي الرصاص فأصابه في صدره. أصدر ريجان من فوق سريره بمستشفى جورج واشنطن الجامعي أمراً واضحاً بإضافة خمس طائرات من طراز أواكس إلى صفقة الأسلحة المنتظر بيعها إلى العربية السعودية، يقول توماس دين "قدم إليه معاونوه منطوق الأمر ليوقّعه.. فوقّعه" .

انتهز رئيس الوزراء بيجين قيام هيج وزير خارجية أمريكا برحلة إلى الشرق الأوسط بدأها بزيارة إسرائيل يوم ٥ أبريل وأبلغه أن اقتراح بيع طائرات من طراز أواكس بالإضافة إلى تجهيزات تقنية لتطوير قدرات ٦٢ طائرة مقاتلة من طراز إف/ ١٥ إلى السعوديين يتضمن تهديداً لأمن إسرائيل وللوضع الاستراتيجي للمنطقة ككل. عبر هيج نهر الأردن في اليوم التالي إلى العاصمة الأردنية عمان، وهناك قال له الملك حسين إن عناد إسرائيل وتصلبها تجاه الفلسطينيين "فتح الباب أمام الاضطرابات وعدم الاستقرار والمشاكل الأخرى" التي يعاني منها الإقليم. زار هيج الرياض بعد يومين من زيارته للأردن واجتمع فيها بكل من ولي العهد السعودي الأمير فهد والأمير سعود الفيصل وزير الخارجية والأمير سلطان، وللتأكد من أنه فهم الرسالة قبل أن يترك الشرق الأوسط. يقول هيج إن الأمير سعود الفيصل أبلغه قبل مغادرته المطار أن "إسرائيل هي السبب الأساسي لعدم الاستقرار في الشرق الأوسط"(٢٠) .

تصدرت أخبار صفقة طائرات الأواكس الصفحات الأولى للصحف خلال شهر أبريل في الوقت الذي كان فيه هوارد بيكر يستعد لزيارة بعض دول الشرق الأوسط خلال عطلة عيد الفصح، مما حفز توماس دين لزيارته مكرراً ما سبق أن قاله لضابط الاتصال ميز منذ عدة أشهر خاصة وأن الأدلة التي تؤيد وجهة نظره أصبحت اليوم أكثر وضوحاً. التمس مدير إيباك من زعيم الأغلبية في الكونجرس أن يأخذ في اعتباره

الظروف المحيطة بمعركة بيع الأواكس داخل المجلس وأكد عليه" سنسير الطريق إلى نهايته" وعلى الإدارة أن تقوم بنفس الدور ضد إرادة المعارضة. وأضاف دين مستسلماً" ربما يحققون مكسباً ولكنهم فى نهاية الأمر سيخسرون"[٢١] ثم حذره من دور الصحافة التى ستنزل إلى ميدان المناظرة بكامل عدتها" وستنتقد سياسات الإدارة لما تعانيه من خلل، وليس هذا جديداً فكل إدارة جديدة معرضة لنوع من الفوضى". لم يكن ريجان فى حاجة إلى من يخوفه من أثر الدعايات السيئة عليه لأنه كان فى قمة شعبيته فى هذه الفترة بعد ما أبداه من روح مرحة وقوة تحمُّل فى مواجهة إطلاق النار عليه ، وكان التساؤل يدور حول لياقته الجسمانية بعد أن بلغ من العمر سبعين عاماً وما ينتظر منه بعد عودته لاستئناف العمل مرة أخرى .

استمع بيكر إلى كلام دين مواسيًا - لأنه هو أيضا لم يكن يرغب فى خوض هذه الحرب المحتومة - وشرح له أن زعامته للأغلبية تتطلب منه أن يدعم التشريع الذى سيتقدم به الرئيس على مستوى الكونجرس. اقترح دين أن تلغى الإدارة قرارها بأخذ التصويت على الموضوع برمته" حتى يتسنى لأعضاء الكونجرس أن يفهموا أولاً ما هم مقدمون عليه، وبنى دين حجته الرئيسية بأنه قبل أن يبدأ البيت فى تغيير سياسته الخارجية يجب على الرئيس أن تكون له سياسة خارجية واضحة المعالم .

ترك دين مكتب هوارد بيكر دون أن يحقق من أهدافه إلا أن يمنح مزيداً من الوقت لدعم موقفه المعارض داخل الكونجرس، وكانت إيباك قد قررت أن لا تمارس ضغوطاتها بشكل مكثف حتى لا تكون مصدر إزعاج للمجلس لأنها لا تريد لقضية بيع الأسلحة إلى السعودية أن تبدو قضية حزبية. لقد كان من مصلحة إيباك - فى المدى القريب والبعيد - أن يُنظر إلى تسليح السعودية من زاوية أنه يمثل تهديداً لإسرائيل، ففى حالة خسارتها التى كان يعلم دين أنها محتملة - لأنه لم يسبق لرئيس أن خسر التصويت على أى عملية بيع للأسلحة - ستعود عليها الدعاية التى ستصاحب تسليح السعودية بأسلحة ثقيلة بالكثير .

أزاحت وزارة الخارجية الستار يوم ٨ أبريل عن محاولة لم تنجح لإقناع الحكومة السعودية بالاكتفاء بطلب تزويد الطائرات إف / ١٥ بالتقنيات الحديثة وإلغاء صفقة

طائرات الأواكس، ولكنها أصرت على رفض قبول أى تنازلات من شأنها طمأنة المخاوف الإسرائيلية، وفى يوم ٢١ من الشهر نفسه أعلنت إدارة الرئيس ريجان رسمياً أنها قررت اتخاذ الخطوات الضرورية لإتمام صفقة بيع الأسلحة إلى المملكة العربية السعودية(٢٢) .

عاد بيكر إلى واشنطن بعد إجازة عيد الفصح ونصح وزير الخارجية هيج بأن يؤجل طلب التصويت فى الكونجرس على مبيعات الأسلحة إلى السعودية إلى ما بعد الانتخابات الإسرائيلية المقرر لها يوم ٣٠ من شهر يونية. كان بيكر يرى أن إصرار الرئيس على الانتهاء من عملية التصويت قبل هذا التاريخ سيكون لغير صالحه. دأب بيجين على مهاجمة بيع أمريكا أسلحة للسعودية فى كل مناسبة تتاح له (استمع بيكر إلى تقارير تؤكد أن بيجين حذر الإسرائيليين أن السعوديين سيكون فى مقدورهم استخدام طائرات الأواكس وغيرها من المعدات الحديثة للتلصص عليهم عبر نوافذ بيوتهم(٢٣). عرف بيكر وهو فى إسرائيل أن استطلاعات الرأى العام كانت تمنح حزب العمل المعارض لبيجين تقدمًا ملحوظًا على التحالف الذى يمثله ، مما جعله يأمل أن تأتى الانتخابات القادمة برئيس وزراء إسرائيلى أكثر مرونة فيما يتعلق برغبة الرئيس الأمريكى فى بناء أوثق مع السعوديين. وربما يكون رئيس الوزراء الجديد هذا قادراً على المساعدة فى خفض حدة الحماس لدى أصدقاء إسرائيل فى الكونجرس المصرّين على تلقين الرئيس درسًا عند التصويت على مبيعات الأسلحة إلى السعودية (صرح أبا إيبان وزير خارجية إسرائيل السابق أنه إذا عاد حزب العمل، الذى هو عضو بارز فيه، إلى الحكم فسيعارض بيع طائرات الأواكس إلى السعودية بنفس درجة العنف التى عارضتها بها حكومة بيجين) .

كان بيكر يحاول مثل توماس دين كسب بعض الوقت؛ فهو من ناحية يؤمن أن صفقة السلاح مع السعودية ضرورية وتحقق مصالح أمريكا فى الشرق الأوسط، ومن ناحية ثانية لم يكن واثقًا من قدرته على اجتذاب عدد كاف من الشيوخ الذين وقعوا كمعارضين على قائمة باك وود و كرانستون (التى تتبناها إيباك) إلى صفه .

لم يعمل البيت الأبيض أو وزارة الخارجية على أن يقوم بيكر بمهمته فى مجلس

الشيوخ بشكل ميسر، فالأمر "من وجهة نظره من صميم استراتيجية التصويت بالكونجرس لكى تكسبها الإدارة، كان كل همه فقط أن تتم خطواتها فى الوقت الذى يتطلب ذلك دون أن ينظر إلى الظروف والملابسات التى ستحيط بها "كما قال أحد مساعديه بعد ذلك بثلاث سنوات(٢٤). وزاد من صعوبة الموقف الخلافات الداخلية بين وزير الخارجية هيج ومندوبة أمريكا فى الأمم المتحدة جين كيركباتريك من ناحية ومستودع ثقة ريجان القاضى وليم كلارك الحديث العهد بالشئون الخارجية من ناحية ثانية، إلى جانب التضاد فى وجهات النظر بين هيج و وينبيرجر مما أبعد الاهتمام عن أهمية بيع طائرات الأواكس إلى السعودية إلى أمور أقل شأنا. كان لدى الإدارة أولويات أخرى كثيرة خاصة فيما يتعلق بالجبهة الداخلية، حيث كان ريجان على استعداد لفرض تدابير اقتصادية لخفض الموازنة الفيدرالية ومؤشر التضخم، وبالرغم من ذلك كانت الصفقة السعودية تشكل أهم مبادرات الرئيس الخارجية إلى الدرجة التى توقع عندها البعض أن ينتهى الأمر بإحراج بالغ له .

يقول مساعد بيكر "فى البداية لم تكن مسئولية ملف صفقة الأواكس ملقاة على شخص بعينه، وكان هيج يثير السخرية عندما يقول أنا مسئول عنه (خاصة بعد محاولة الاغتيال التى تعرض لها ريجان). لم يكن واضحاً النقطة المركزية التى انطلقت منها استراتيجية هذه الصفقة ، كان الأمر تقليدياً: هناك الكثير من رؤساء القبائل ولكن ليس هناك عدد كاف من الهنود". لذلك عندما أصبح الهندى الطيب هوارد بيكر مسئولا عن الملف قال لفريق العمل الذى سيتولى المسئولية معه "أنا لا أقبل أن أُكلف بمهمة ثم أفشل فيها، أمامنا مصاعب وعلينا أن نجتازها"، وحث البيت الأبيض على منحه صلاحيات كاملة تساعده على تحقيق النجاح. فى الوقت نفسه تولى جيمس بيكر كبير مستشارى ريجان للشئون السياسية ومستشاره التشريعى مسئولية التنسيق اليومى لخطوات صفقة بيع طائرات الأواكس بالتعاون مع هوارد بيكر من جهة ومع السعوديين من جهة أخرى.. ووصلت الإشارة إلى أعضاء الكونجرس: الرئيس يضغط بنفسه لإتمام هذه الصفقة ولن يقبل الهزيمة فيها .

لم يصدر عن حكومة بيجين رد فعل سريع على الإعلان الذى صدر عن الإدارة الأمريكية حتى لا تورط نفسها بدون رويّة فيما بعد، لأنه على قدر ما كانت إسرائيل

تدعى قدرتها على الاعتماد على نفسها وعلى قدر ما كان بيجين يروج خاصة أمام أعضاء حكومته "الأمريكيون يحتاجون إلينا أكثر مما نحتاج نحن إليهم" إلا أن الحقيقة المؤلمة هى أن الفوضى الشاملة لا بد أن تعم إسرائيل فى اليوم التالى لتوقف المعونات الأمريكية العسكرية والاقتصادية[٢٥] .

كل الدلائل تشير إلى حاجة بيجين لريجان، وبرغم ذلك أبدى رئيس الوزراء الإسرائيلى تصلبًا لا يتفق مع سعة صدر أمريكا مع صديقتها الصغيرة فى الشرق الأوسط، ربما لأنه كان يعرف أنه سيفلت من العقاب. سبق لبيجين أن استغل حسن نية جيمى كارتر خلال مباحثات كامب ديفيد وفيما بعد عندما اعترض على مفاوضات الحكم الذاتى للفلسطينيين ، فلِمَ لا يجرب حظه هذه المرة مع ريجان ليريه صعوبة ما يمكن أن تقدم عليه إسرائيل !!

وجاءت رسالة بيجين فى شكل هجوم على المفاعل الذرى العراقى الفرنسى الصنع قامت به الطائرات المقاتلة الإسرائيلية من طراز إف / ١٦ يوم ٧ يوينة عام ١٩٨١ دون أن يخطر واشنطن بخطته قبل تنفيذها. فى مواجهة الاستنكار العالمى ادعت إسرائيل أن الهجوم جاء دفاعًا عن النفس، وتحججت أن المفاعل كانت لديه القدرة على إنتاج مواد نووية يمكن استخدامها ضدها. وحذر رئيس الوزراء الإسرائيلى أن بلاده "لن تسمح لأى دولة عربية أو غير عربية بإنتاج أسلحة دمار شامل، ولن نتعرض أبدا لعملية إبادة ثانية"[٢٦] .

احتجت الولايات المتحدة فورًا على الغارة الإسرائيلية التى لم يسبق لها مثيل ووصفتها بأنها ستزيد من مخاطر الحرب فى الشرق الأوسط، وأشارت وزارة الخارجية الأمريكية إلى وجود دليل بأن إسرائيل انتهكت شروط اتفاقية بيع الطائرات التى أمدتها بها واشنطن، لأنها تنص على أن تستخدم فقط فى أغراض دفاعية. لم تكن إسرائيل من بين الدول الموقعة على اتفاقية منع انتشار الأسلحة الذرية، فى حين كانت العراق من بين هذه الدول، ربما لهذا السبب أعلنت الخارجية الأمريكية أنها لا تملك أدلة على أن العراق كان يستعد لإنتاج أسلحة ذرية[٢٧]. عبر الكثير من أعضاء الكونجرس عن قلقهم بأن الغارة الإسرائيلية على العراق قد تعرقل الجهود الأمريكية الرامية إلى

تشجيع السلام فى المنطقة، كما ظهرت بين الجماعة اليهودية الأمريكية اتجاهات مختلطة تستهجن براعة بيجين فى تعريض العلاقة الخاصة بين إسرائيل وأمريكا للخطر .

لقيت الغارة تأييدًا شعبيًا داخل إسرائيل واعترض عليها خصوم بيجين السياسيون الذين رأوا أنه اختار توقيتها لكى يدعم من حظوظه فى استطلاعات الرأى العام التى تمهد للانتخابات القادمة. أيدت أمريكا قرار تسوية تبنته دول العالم الثالث فى الأمم المتحدة صدر بتاريخ ١٩ يونية "يدين بشدة الفعل الإسرائيلى" دون أن يفرض عليها عقوبات، وأجلت الإدارة فى الوقت نفسه بيع تل أبيب دفعة طائرات إف / ١٦ المتفق عليها، وهكذا أفلت بيجين من عقاب متشدد بلطمة فوق يده !! .

فى خضم الضجيج الذى أثارته الغارة الإسرائيلية وقعت حادثة لم يلتفت إليها أحد، فقد حلقت الطائرات الإسرائيلية فى طريقها إلى العراق فوق أجواء الأردن والسعودية دون أن تتمكن طائرات الأواكس الأمريكية من رصدها بالرغم من أنها كانت تقوم فى ذلك الوقت بدورياتها فى شمال شرق السعودية !!

بعد شهر واحد من حادثة الهجوم على المفاعل الذرى العراقى قام بيجين بوضع العلاقات الأمريكية الإسرائيلية موضع الاختبار مرة ثانية، وذلك حين قامت طائرات فى يوم ١٧ يولية بضرب أهداف لمنظمة التحرير الفلسطينية إلى الغرب من بيروت، وأصرت إسرائيل هذه المرة أيضًا على أنها كانت فى حالة دفاع عن النفس، ولكنها أبدت أسفها على المدنيين الذين راحوا ضحية لغارتها على بيروت. اتهمت السلطات اللبنانية إسرائيل بأنها استخدمت فى هجومها طائرات الفانتوم إف/ ٤ الأمريكية الصنع، مما اضطر الإدارة الأمريكية التى كانت تدرس إمكانية وقف قرار حظر شحن طائرات إف/ ١٦ إلى إسرائيل الذى اتخذته منذ شهر مضى إلى وقف تصدير شحنة كانت فى الطريق إليها وأخرى كان يُعد لتصديرها .

أخطرت إدارة الرئيس ريجان مجلس الشيوخ رسميًا يوم ٢٤ أغسطس أنها قررت بيع أسلحة إلى العربية السعودية بما قيمته ٨ر٥ بليون دولار، وتشمل الصفقة خمس طائرات أواكس ومنصات أرضية لمساندتها.. وفيما يخص الطائرات المقاتلة إف/ ١٥ : ١١٧٧ صاروخ جو / جو من طراز سايد ويندر وخزانات وقود إضافية بالإضافة إلى ست طائرات خزانات للوقود من طراز كيه سى ٧٠٧ .

مـرة أخرى لم يصدر عن بيـجين ، الذى كـان قـد ألحق هزيمة بخـصـمـه الشـهـيـر الزعيم العمـالى شيمون بيريز فى الانتخابات الساخنة التى شـهدتها إسرائيل، رد فعل متسرع لأنه كان مشغولا بعقد قمة لمدة يومين مع الرئيس المصرى أنور السادات بدأت فى اليـوم نفسـه الذى أعلنت فيـه الإدارة الأمريكيـة قرار بيع الأسلحـة إلى السـعودية، واتفقا فى نهايتـها على استئناف المحادثات بين الطرفين حول الحكم الذاتى الفلسطينى فى شهر سبتمبر التالى. كان بيجين مشغولا أيضًا وكما هى العادة بالخلافات الداخلية بين أعـضـاء حكومـتـه وبالخـلافـات الموجـودة بين صـفـوف الكنيسـت خـاصـة من جـانب المعارضة حول الخطوة التالية التى ستقوم بها حكومته لإظهار حجم اعتراضها على صفقة طائرات الأواكس التى تعتزم الإدارة بيعها إلى السعودية .

رأى البعض فى إسرائيل أنها معركة "اللا رابح" فإذا نجحت جماعات الضغط وأصدقاء إسرائيل داخل الكونجرس فى إفشال عملية البيع فستجنى حكومة بيجين من وراء ذلك معاداة الإدارة الأمريكية لها، وإذا فشلت هـذه القوى فى معركتها فسيصبح تسليح أعداء إسرائيل سابقة خطيرة. هذا فى الوقت الذى قال فيه بعض الإسرائيليين إن طائرات الأواكس لا تشكل تـهديداً لأمن إسرائيل، ووصف جنرال إسرائيلى طائرات المراقبة العملاقة غير المسلحة هذه بأنها "أتوبيسات كبيرة" يمكن لإسرائيل أن تدمرها فى السماء بأقل جهد ممكن. واستقر الأمر فى النهاية على الاعتراض بشدة على أية أسلحة تباع لأى دولة عربية، باعتبار ذلك قضية مبادئ لا يمكن التفريط فيها .

كان فى استطاعة إسرائيل أن تبقى صامتة فى انتظار ما ستسفر عنه المعركة التى ستدور فى الكونجرس لأن منظمة إيباك وأصدقاءها فى المجلس كانوا داخل الحلبة وكانت المقدمات تشير إلى توقعات جيدة. أحصى السيناتور باكوود يوم ١٧ سبتمبر أسماء خمسين عضواً أى ما يوازى نصف أعضاء المجلس كمعارضين لصفقة بيع أسلحة للسعودية، مما دفع الإدارة إلى تكليف هوارد بيكر وجيمس بيكر بالتفرغ تماماً لحصر الأعضاء الذين يمكن أن يحققوا لها الفوز وهؤلاء الواقفين مع الجانب الآخر. بقى ديتون الذى يقود حملة الضغط لصالح البيع بعيداً عن مجلس الشيوخ لأنه لم يكن قد سجل نفسه كضاغط سياسى معتمد، وركز مهمته فى إبلاغ هوارد بيكر وجيمس

بيكر بتطور مفاوضات السعودية مع أمريكا من ناحية وإبلاغهم بمَن من الشيوخ يقف على الحياد ومَن منهم يؤيد الرئيس من ناحية ثانية. أما الفريق السعودى بقيادة الأمير بندر ، السياسى الشاب المحنك الطيار المقاتل ابن وزير الدفاع السعودى، فعمد إلى تدشين حملة دعائية واسعة لإقناع الشركات الأمريكية العملاقة بأن إتمام الصفقة ليس فقط فى مصلحة الولايات المتحدة وإنما فى مصلحتها هى أيضا[٢٨] .

قام رؤساء مجالس إدارات شركتى بوينج ويونيتد تكنولوجيس بالإيحاء إلى العديد من الشركات التى على صلة بهما فى كل أنحاء البلاد بإرسال آلاف الرسائل والبرقيات إلى أعضاء مجلس الشيوخ، كما قامت شركة موبيل أويل، كما يقول أحد التقارير، بإنفاق أكثر من نصف مليون دولار لإنتاج حملة إعلانية خاطفة شغلت صفحات كاملة فى ست وعشرين صحيفة جادة. وبالرغم من الضجة التى أثارها منتقدو السعودية من الضغوط التى مارستها الشركات العملاقة - من أمثال ستيفن إيمرسون الذى نشر مجموعة من المقالات فى صحيفة نيو ريببليك ثم جمعها بعد ذلك فى كتاب[٢٩] - إلا أن حوافز الشركات لتشجيع صفقة البيع للسعودية كانت أقل ارتباطًا بدعم التوجه العربى وأكثر التزاماً بمصالحها المالية فى المنطقة. ربما تكون الشركات الأمريكية الضاغطة قد ألقت بنفسها فى ناحية تأييد عملية البيع، إلا أنها فى حقيقة الأمر لم تكن فى حاجة إلى شكر يقدمه لها السعوديون: شركة بيونج المتعاقد الأساسى فى صفقة طائرت الأواكس كانت تسعى لتحقيق أرباح تبلغ بلايين الدولارات. أما شركة يونيتد تكنولوجيس فكانت تتوقع ربحًا قدره ١٠٠ مليون دولار فى حالة نجاح تمرير الصفقة. وقال واحد من الإعلانات الصحفية التى نشرتها شركة موبيل أويل "السعودية تعنى بالنسبة لنا أكثر من النفط؛ إنها تعنى التجارة مع أمريكا وفرص العمل للأمريكيين والدعم للدولار"، وقدّر الإعلان أن الصداقة مع السعودية تساوى ٣٥ بليون دولار لصالح ميزان التجارة الأمريكى[٣٠]. قال واحد من القريبين من مخططات الضغط لصالح السعودية : لم يكن مطلوباً من شركة موبيل أويل أن تشارك بالمساعدة فى حملة التأييد "لقد اتخذوا هذه الخطوة بمحض إرادتهم أملاً فى الحصول على مزيد من الأشغال عن طريق الرياض"[٣١] .

في هذا الوقت ظهرت جهود الرابطة الوطنية للعرب الأمريكيين التي تكونت عام ١٩٧٢، وسجلت كأداة ضغط عربية بعد ذلك بست سنوات لمحاصرة القوى المؤيدة لإسرائيل، وبالرغم من قلة خبرة هذه الرابطة وغيرها من الجماعات الصغيرة مقارنة بهيمنة إيباك وقدرتها التنظيمية إلا أنها استطاعت بمساعدة مؤيدى إتمام الصفقة إحداث ثغرات في كشوف الحسابات التى أعدتها إيباك. يقول رون كاثيل المتحدث باسم الرابطة" قمنا بدورنا فى هذه الحملة فاتصلنا بالأشخاص الذين تعهدوا بمعارضة عملية البيع، وتكشَّف لنا أن بعضهم لم يحسم أمره بعد، وأن البعض الآخر فى انتظار اللحظة المناسبة لإبداء تعاطفهم مع الجماعة اليهودية المعارضة للبيع. "ويضيف" أصابنا الأمر بكثير من الدهشة لأننا كنا نثق فى البيانات التى تنشرها إيباك حتى وضعنا أيدينا على نقاط ضعفها أو ما يمكن وصفه بأنه مبالغة زائدة عن الحد أو حقائق مشوهة" .

خلال فترة الصراع حول صفقة الأواكس كانت الرابطة العربية للعرب الأمريكيين تتكون من جماعة ضغط واحدة مجموع العاملين بها ٨ موظفين، بينما العاملون فى إيباك كانوا ٣٥، أما متطوعوها فينتشرون بالآلاف فى جميع أنحاء البلاد مستعدين لتلبية أوامرها فى التو واللحظة .

بدأت الأمور فى منتصف سبتمبر تتحول لصالح توجهات الإدارة الأمريكية، فقد وصل بيجين إلى الولايات المتحدة ليحسن من صورته على وجه الخصوص لدى الرأى العام بالتأكيد على أن إسرائيل كانت تقف إلى جانب الرئيس ووزير خارجيته فى الحملة التى قامت بها أمريكا ضد السوفيت. دخلت وزارتا الدفاع والخارجية أثناء الزيارة فى جدل حول تلبية طلب رئيس الوزراء الإسرائيلى بعقد لقاء مع الرئيس ريجان ، وكان ويرنبيرج لا يزال يذكر الغارة الإسرائيلية على العراق وقيامها بقذف بيروت بالصواريخ ، وبعد إجراء بعض المشاورات تم اللقاء الذى وافق فيه بيجين على أن لا يحفز أعضاء مجلس الشيوخ للاعتراض على صفقة الأواكس .

لم يلتزم بيجين بما وافق عليه ؛ فعندما سئل عنها فى اجتماع ضمه مع ٣٦ من أعضاء مجلس الشيوخ من بينهم تشارلز بيرسى عضو المجلس عن ولاية إلينوى وجون تاور عن تكساس، وكلاهما من مؤيدى إتمام صفقة الأواكس، رد أنه يعارضها. وكرر رئيس

الوزراء الإسرائيلى معارضته أمام مائتين من قادة اليهود الأمريكيين فى نيويورك، ولكنه أضاف أن بلاده لن تتدخل فى المناقشات التى ستجرى فى الكونجرس، مما جعل البيت الأبيض يصفه فى الخفاء بأنه لم يف بوعده أن يبعد نفسه عن هذا الخلاف .

أجالت إيباك النظر فيما حولها، ووجدت أن المعركة حامية الوطيس دون حاجة لمزيد من الكراهية يبذرها بيجين فى البيت الأبيض، وأكد استنتاجها هذا ما ادعاه توماس دين من أن بعض الشيوخ اشتكوا له مما تنشره محاولات الضغط التى تمارَس لإتمام صفقة الأواكس من دعايات مبطنة مناهضة للسامية وما يخلفه وراءه شعار "ريجان أم بيجين" من انعكاسات خبيثة، وقال السيناتور مارك هات فيلد لأحد الصحفيين "لقد تلقيت بالبريد المزيد من الرسائل المعادية للسامية" .

ظهر فى الأفق شعور معادٍ لإيباك التى كانت تمارس ضغوطها لوقف عملية البيع منذ عشرة أشهر، وبالرغم من أن توماس دين حافظ على تعهداته مع إيد ميز وهوارد بيكر إلا أن بعض المشاهير من قادة اليهود عبروا عن قلقهم من أن تكون المنظمة قد أنضجت الطبخة أكثر مما ينبغى، حتى إن بعضهم قال "لقد فعلنا ما فى وسعنا، إذا خسرنا فهذا حالنا وإذا كسبنا سنعد من الخاسرين"(٣٢). وعلق توماس دين على ذلك بقوله: لقد سقطنا فى مصيدة "ريجان أم بيجين" بالرغم من أنه كان لا يزال متمسكا بخططه الاستراتيجية التى تعتمد على أن معركة صفقة الأواكس خلاف تقليدى بين الكونجرس واللجنة التنفيذية حول توجهات الساسة الخارجية .

كان فريق من قادة اليهود الأمريكيين لا يزالون يشاركون توماس دين هيامه بأساليب الضغط غير المرئية، وكانوا على استعداد لدعم إسرائيل والجماعة اليهودية الأمريكية لأنهم يرون أن فوز منظمة إيباك فى معركتها داخل مجلس الشيوخ سيعيد الإدارة الأمريكية إلى جادة الصواب. فى الوقت نفسه تعرض دين لهجوم داخل إسرائيل لأنه زين لبيجين أن يدعم منظمته علنا فى حربها مع الإدارة الأمريكية، وأبدى بعض قادة القوات الجوية الإسرائيلية قلقهم مما قد يصيب علاقاتهم بنظرائهم الأمريكيين من فتور، وتزامَن ذلك مع تخوف أبداه كبار مسئولى وزارة الخارجية من أن تصفق الخارجية الأمريكية بابها فى وجوههم .

كان لدى دين من ضغوط مجلس الشيوخ ما يكفيه، فقد طلب ميز و ألن مستشار الأمن القومى من الجمهوريين أعضاء الكونجرس أن يؤيدوا الرئيس ريجان، من ناحية أخرى أكّد هيج أن قائمة المعارضين لصفقة الأواكس "مليئة بالثغرات التى يمكن التعامل معها" وزعم أن فى مقدوره أن يقنع اثنى عشر منهم " بإعادة النظر فى موقفهم الذى سبق أن اتخذوه"(٣٣) .

أصدرت الإدارة الأمريكية فى يوم ٢٢ سبتمبر بيانًا صحفيًا لإزالة سوء الفهم الذى صاحب صفقة بيع طائرات الأواكس وما أشيع حول تهديدها لأمن إسرائيل. وأكد ريتشارد ألن مستشار الأمن القومى أن الطائرات ليست مجهزة لالتقاط صور استخبارية، وليس فى مقدورها تحديد أهداف أرضية، كما أنه ليس فى مقدور السعوديين أن ينسقوا مع الدول العربية للقيام بهجوم جوى على إسرائيل لأنهم لا يملكون أجهزة القيادة الفائقة التطور التى لا تتوافر إلا للطائرات المشابهة التى فى حوزة أمريكا وحلف الناتو. ويتضح مما قاله ألن أن الطائرات التى ستباع إلى السعودية خالية من الأجهزة التى تمكن طاقمها من القيام بإجراء مضاد، وأن معدات إسرائيل يمكن أن تشوش على رادارها، والأهم من ذلك أن السلطات السعودية وافقت على أن لا تحلق هذه الطائرات فى أجواء الأردن وسوريا(٣٤) .

عمد ألن إلى التأكيد على محدودية إمكانيات طائرات الأواكس التى ستباع إلى السعودية مما دفع الصحفيين إلى التساؤل ساخرين: إذا كانت الطائرات متجردة من إمكانياتها إلى هذه الدرجة فلماذا يصمم السعوديون على شرائها ؟ كان الإسرائيليون على معرفة كاملة بطائرات الأواكس، فقد منحت الإدارة فريقًا من خبرائهم فرصة التجول بداخلها لمدة تسع ساعات للتأكد من انخفاض إمكاناتها الهجومية، وبالرغم من ذلك كانوا قلقين جداً حيال قدرة الطائرة على إعاقة وسائل إسرائيل الهجومية. وترجع مخاوف الإسرائيليين إلى سبب جوهرى هو أن أفضل وسائلهم الدفاعية منذ عام ٦٧ أصبح هو التهديد بشن هجوم جوى مفاجئ تطير خلاله طائراتها على ارتفاع منخفض لا تكشفه رادارات العدو، وكان مبعث تخوفهم أن يتمكن رادار الأواكس من شل حركة كفاءتهم التكتيكية التى سهلت لهم غارتهم التى قاموا بها ضد المفاعل الذرى العراقى .

اشترك رجال الإدارة مع قيادات الحزب الجمهوري في محاولة التوصل مع السعوديين إلى حل وسط، وحاز إعجابهم في هذه المرحلة الاستعداد اللامتناهي الذي أبداه الأمير بندر للمساهمة في تحقيق هذا الهدف .

طار ريتشارد ميرفي، السفير الأمريكي الجديد لدى السعودية، إلى الرياض يوم ٢٨ سبتمبر محاولا إقناع قيادتها بالموافقة على اقتراح بأن تتم عمليات تشغيل طائرات الأواكس بقيادة مشتركة من الجانبين السعودي والأمريكي. لم يبد السعوديون أي ترحيب حتى بالإشارة إلى نوع من السيطرة المشتركة على الطائرات، ولكنهم كانوا أكثر ميلا، كما جاء في بيان ألقاه هيج وزير الخارجية أمام لجنة العلاقات الخارجية، للقبول بمشاركة أمريكية في الطلعات التي تقوم بها حتى نهاية فترة التسعينيات. وأكد ويرينبرج وزير الدفاع أمام اللجنة نفسها أن الصفقة لا تمثل أي تهديد لإسرائيل، وتعجب "ليس لدي فكرة محددة حول أسباب اعتراضهم (الإسرائيليين) على عملية البيع ! في مقدورهم إسقاط هذه الطائرة في فترة لا تزيد عن دقيقة ونصف لأنها لا تحمل على متنها أي نوع من أنواع القذائف"(٣٥) .

بدا للمتورطين في معركة طائرات الأواكس وللكثيرين ممن يراقبون تطوراتها من بعيد كما لو أن كافة القضايا التي تهم الإدارة في واشنطن قد استقرت أمورها، ولم يبق إلا المواجهة القائمة بين البيت الأبيض ومجلس الشيوخ حول صفقة بيع خمس طائرات أواكس للسعودية. كانت الرؤية صحيحة إلى حد كبير كما قال أحد معاوني عضو من أعضاء مجلس الشيوخ فيما بعد "إذا لم تتم الصفقة، بمعنى آخر إن لم يحصل الرئيس على التأييد الكافي في أول عملية سياسية خارجية تقوم بها إدارته، فليس هناك أدنى شك أن هذه الإدارة ما كان لها أن تقف على قدميها لإنجاز أي عملية أخرى طوال فترة رئاسة ريجان"(٣٦) كانت صفقة الأواكس تستحق أن تجذب الانتباه إليها دون غيرها .

قرر ريجان في الأول من أكتوبر أن يختبر قدراته الرئاسية عندما أعلنت إدارته رسمياً التقدم كتابة إلى مجلس الشيوخ باقتراح بيع صفقة أسلحة إلى السعودية، وكان من حق الكونجرس أن يعترض على هذا الاقتراح خلال ثلاثين يوماً . في الوقت نفسه

رتّب البيت الأبيض أوراقه بحيث يستغل هذه الفترة لكسب تأييد الغالبية من أعضاء المجلس خاصة وأن الإدارة حققت بعض النجاح الدبلوماسى مع الجانب السعودى وحصلت منه على تنازلات ذات قيمة، إلى جانب ذلك طالب الرئيس بالعمل على تعزيز المواقف التى تعتمد عليها إدارته .

قبل هذا التاريخ بعدة أسابيع كان أحد أعضاء الحزب الجمهورى يتناول عشاءً دُعى إليه عندما تلقى مكالمة من البيت الأبيض، كان على الطرف الآخر الرئيس الأسبق فورد يتحدث بالنيابة عن الرئيس الحالى ريجان. سأل فورد عضو الكونجرس بشعور متبلد"إلى متى سنترك هؤلاء اليهود الأوغاد يديرون دفة الشئون الخارجية الأمريكية ؟" لم يرد الرجل من تأثير الصدمة وعاد إلى مائدته ليكمل العشاء الذى كان يحضره بعض زعماء الجماعة اليهودية. من المحتمل أن مسئولى التليفون فى البيت الأبيض استدرجا عضو الكونجرس إلى حتفه دون أن يبلغا فورد أنه كان يحضر عشاءً مع بعض القادة اليهود[٣٧]، ربما لهذا السبب واصل إشاعة قلقه وعدم مبالاته فى أنحاء البيت الأبيض .

ألقى الرئيس ريجان بياناً عبر التليفزيون أعلن من خلاله رغبة إدارته فى إتمام الصفقة وانتهز الفرصة ليرسل الرسالة نفسها إلى إسرائيل، ولكن بكلمات أقل إثارة، ولكنها تضمنت هجوماً على الاعتراضات الإسرائيلية وعلى ضغوط اليهود الأمريكيين، وقال دون مواربة "ليس من شئون الدول الأخرى أن تصنع السياسة الخارجية الأمريكية" وأضاف أنه مصمم على الدفاع عن حقول البترول السعودية ضد "أى جهة" تهددها. بعد هذا البيان بثلاثة أيام هاجم الرئيس الأسبق نيكسون "المعارضة الكثيفة التى أبدتها حكومة بيجين وبعض قيادات الجماعة اليهودية الأمريكية" بسبب تدخلها فى الأهداف التى وضعها البيت الأبيض لخدمة أهداف الأمة. وقال نيكسون إن عدم الموافقة على صفقة بيع الأواكس ربما يكون انتصاراً للبعض، ولكن ذلك سيمثل بالنسبة للرئيس ريجان سلسلة من الإخفاقات فى الداخل وفى الخارج. بعد ذلك بأسبوع دعا الرئيس السابق كارتر إلى مؤازرة خصمه السابق الرئيس ريجان محذراً من أن البديل سيكون" هزة ثالثة خطيرة فى أسواق النفط على مستوى العالم كله" .

صوّت مجلس النواب الأمريكي يوم ١٤ أكتوبر كما كان متوقعًا ضد بيع صفقة أسلحة إلى السعودية بأغلبية كاسحة ٣٠١ صوت، ولم يوافق عليها سوى ١١١ نائبًا ، وفي اليوم التالي اتخذت لجنة العلاقات الخارجية بالمجلس قرارًا بعدم الموافقه عليها بأغلبية ٩ أصوات ضد ٨ أصوات. دلت التحليلات على أن السيناتور رودى بوشويتز العضو الجمهورى عن منيسوتا والصديق المخلص لإسرائيل انضم إلى أعضاء لجنة الشئون الخارجية الثمانية من الحزب الديمقراطي الذين عارضوا البيع، أما العضوان الجمهوريان تشارلز ماثياس عن ميرلاند و إس.اى. هاياكاوا عن كاليفورنيا واللذان لم يكونا قد حددا موقفهما بعد فقد أيّدا الرئيس. أيّد الرئيس عضو جمهورى ثالث هو لارى بليسلر عن داكوتا الجنوبية، والذى كان قد وقع يوم ١٧ سبتمبر مع المعارضين لعملية البيع ، ولكنه غيّر موقفه على أثر مكالمة تلقاها من الرئيس أثناء المناقشة التى كانت دائرة داخل المجلس حول الموضوع .

أعلن هوارد بيكر أن القوة الدافعة تحولت إلى جانب الرئيس، وأكد أنه لن يكون بإمكان مجلس الشيوخ أن يصوت بكامل أعضائه إلا عند نهاية الشهر بسبب ارتباط ريجان بالمشاركة فى مؤتمر حول الدول النامية فى الأسبوع التالى. وافق الكونجرس على أنه ليس من اللائق أن يتم التصويت بينما الرئيس بعيد عن المدينة خاصة وأن عدداً منهم رأى أن تأجيل الموعد يناسب ارتباطاتهم، كان الوقت فى صالح التحركات التى اعتزمها بيكر .

كثف بيكر خلال شهرى سبتمبر وأكتوبر من جهوده الضاغطة لاجتذاب أكبر عدد من المؤيدين لإتمام صفقة الأسلحة السعودية حتى إنه كان يقوم بنفسه بملاحقة أعضاء مجلس الشيوخ الذين كان يعتقد أنه فى الإمكان إقناعهم، أما أخوه جيمس بيكر فكان يطوف بمكاتب الأعضاء داخل مبنى الكونجرس لكسب تأييد المزيد منهم. فى كثير من الأحيان كان هوارد يدعو الشيوخ إلى مكتبه حيث يقوم هو وأخوه بممارسة أساليب الضغط عليهم، وفى أحيان أخرى كانا يختاران من تتم دعوته للقاء مع الرئيس بعد أن يطلق هوارد، كما يقول أحد المراقبين، عبارته التى اشتهر بها فى هذه الفترة "اصطحبوه إلى البيت الأبيض". يقول أحد مساعدى بيكر "يمكن القول إن نصف أو ثلثى أعضاء مجلس الشيوخ ذهبوا إلى البيت الأبيض لمناقشة مقترح بيع طائرات

الأواكس إلى السعودية إما في مجموعات صغيرة من اثنين أو ثلاثة، وإما بشكل فردي" .

أعرب ريجان بشكل علني عن مخاوفه أن تؤثر انعكاسات رفض الكونجرس للصفقة على مكانته كرئيس لأمريكا، وأن تفقد الولايات المتحدة "كل مصداقيتها"، وبينما نفى أنه يقوم بإجراء مساومات أكد أنه واثق من نتيجة التصويت النهائية. أما أعضاء المجلس الذين زاروا البيت الأبيض فكانت لهم روايات مختلفة مع زملائهم ومع جماعات الضغط ومع الصحفيين، كانوا يقولون إن الرئيس كان يخاطب فيهم وطنيتهم ومدى احترامهم لمكانة منصب الرئيس في نفوسهم لأن منطق الرئيس في مناقشاته الخاصة كان يدور حول فكرة بسطية للغاية: لا بد من هزيمة الشعار الذى يقول "ريجان أم المصاعب" والذى كان فى يوم من الأيام "ريجان أم بيجين" .

قال أحد معاوني هوارد بيكر: "لقد استخدموا كل الأدوات المتاحة تحت أيديهم لإدارة هذه الحملة، وأكد السيناتور الديمقراطي دنيس ديكونسيني عن أريزونا أن أحد المستشارين المقربين من الرئيس وعده بأن الرئيس لن يعرقل حملته الانتخابية عندما يعيد ترشيح نفسه عام ١٩٨٢ إن هو صوّت إلى جانب إتمام عملية بيع الأسلحة إلى السعودية (من المعروف أن هذا السيناتور صوت ضد رغبة الإدارة في نهاية الأمر) . أما السيناتور تشارلز جراسلي عن ولاية أيوا فقد ادعى أنهم وعدوه بالإسراع في تعيينه نائبًا عامًا للولاية إن هو صوّت "بالطريقة الصحيحة"، وصوت فعلا لصالح إتمام صفقة البيع. هاجم السيناتور جون جلين هذه الأساليب ووصفها بأنها "رشوة سياسية" و"مناورات بغيضة"، وبالطبع كان تصويته وفق رغبة إيباك[٣٨] .

احتدم الصراع حول الأصوات. كانت إيباك تحاول الاحتفاظ بتأييد العدد الأكبر من الشيوخ الذين وعدوها بذلك، فقامت بإرسال نسخ من رواية "الإبادة الجماعية" إلى كل أعضاء المجلس. ويقول أحد العاملين في إيباك إنه كان مسافرًا إلى خارج واشنطن عندما لاحظ أن الراكب الذى بجانبه، وهو عضو جمهورى بالكونجرس، يطالع الرواية بنهم شديد. كانت إيباك مطمئنة لما تخطط له لأنها لم تكن المرة الأولى التى تمارس فيها الضغط السياسي، ولكنها لم تكن مشوشة التفكير حيال النتائج إذا ما غير أحد الشيوخ موقفه من المعارضة إلى التأييد مثل الرئيس ريجان. هذا فى الوقت الذى كان

بعض الشيوخ ما زالوا يعانون من جراء موقفهم المؤيد لبيع طائرات إف/ ١٥ للسعودية عام ١٩٧٨، مما عزز من قناعة السيناتور باكوود وغيره من الطامحين إلى مساهمات اليهود المالية لحملاتهم الانتخابية من أن إيباك في استطاعتها أن تفتح صنابير الهبات المالية وأن تغلقها .

قرر السيناتور اليهودي الديمقراطي إدوارد زورينسكي عن نبراسكا عندما انضم إلى زملائه أعضاء لجنة الشئون الخارجية أن يغير رأيه ويصوت لصالحها بعد أن شرح لتوماس دين في اليوم نفسه بينما هما واقفان في الممر الذي يربط بين الطابقين الثاني والثالث داخل مبنى الكونجرس دوافعه لذلك. قال زورينسكي "سوف أصوت لصالح إتمام بيع الصفقة" ورد عليه دين الذي استضافه على العشاء عدة مرات في منزله خلال أيام الشهر "لا أستطيع أن أمنعك، وإن كنت أتمنى أن لا تقدم على هذه الخطوة حتى تكون لك علاقة طيبة مع التيار المؤيد لإسرائيل، ولو نفذت ما في رأيك لن يغفروا لك هذا الموقف. كان زورينسكي يستعد لخوض معركة إعادة انتخابه بالكونجرس مرة أخرى لذلك قال لتوماس دين" لقد اكتشفت مؤخراً أن أعمدة الكهرباء التي تستوردها السعودية لإنارة الشوارع مصنعة في نبراسكا[٣٩]، لذلك استنبط أحد العاملين في إيباك أن يكون الرئيس قد تعهد للعضو الديمقراطي بعدم التدخل لإفساد حملته الانتخابية إذا هو صوّت وفق رغبة الإدارة .

بقيت صفقة أسلحة الأواكس في دائرة تأثير منظمة إيباك أحد عشر شهراً ثم استحوذ عليها الرئيس في شهر أكتوبر، قال السيناتور إدوارد كيندي للصحفيين في يوم التصويت تعليقا على ذلك: "شغلت مقعدي في هذا المجلس لفترة ١٩ عامًا لم أشهد تغيراً في المواقف بنسبة ١٨٠ درجة كما شاهدت من بعض أعضاء المجلس هذه الأيام" [٤٠]. ظل البيت الأبيض يبحث بدأب بعض الوقت عن قطب ديمقراطي يقود تحركه داخل المجلس يوم التصويت، وبعد عدة محاولات لم يصبها النجاح وجد ضالته في الحاكم السابق السيناتور ديفيد بورن عن أوكلاهوما ، الذي همس في أذن توماس دين إنه يجب على المسئول التنفيذي الحالي أن يفي بالوعود التي قطعها على نفسه من كان يحتل الكرسي من قبله .

كل هذا كان جهداً مشكوراً ، لكن الضربة القاصمة تمثلت فى قدرة الإدارة على كسب السيناتور الجمهورى روجر جيبسون عن أيوا إلى صفها قبل جلسة التصويت بثمان وأربعين ساعة فقط. كان جيبسون عضواً بالكونجرس لأول مرة ، ولن يحل دوره فى التجديد إلا عام ١٩٨٤، ويعد من المؤيدين لإسرائيل ومن أول المعارضين علناً لبيع صفقة الأسلحة للسعودية حتى إنه عندما ألقى الخطاب السنوى لمنظمة إيباك فى شهر مايو ركز عليها وأعلن بوضوح "أن بيع هذه الأسلحة إلى دولة غير مستقرة يعرض أمن تكنولوجيا أمريكا الفائقة التقنية للخطر علاوة على أنه يؤثر على أمن إسرائيل، لذلك أطالب بوقف هذه الصفقة، وأتعهد بأن أضع جهودى وصوتى لمنعها"، أما قبل التصويت بيوم فأعلن من بين دموعه أنه قرر أن يصوّت لصالح إتمامها .

ماذا حدث لكى يغير الرجل موقفه بهذه الكيفية ؟ يشرح أحد المساعدين العاملين فى البيت الأبيض ما جرى فى مقال من صفحتين حول معركة الأواكس وجيبسون نشرته له مجلة "دى مونيه ريجيستر" قال فيه "لقد لعبنا فى دماغه !! أوقفناه عند حافة قبر فارغ وقلنا له إنه يمكنه القفز إلى داخله إن أراد"، فى اليوم نفسه انضم أربعة أعضاء ديمقراطيين ومثلهم جمهوريين ممن لم يحددوا موقفهم بعد إلى قائمة المؤيدين .

أدار بيكر جلسة التصويت بثقة يشوبها القلق، فلأول مرة كزعيم للأغلبية احتفظ بقائمة المصوتين مكتوبة أمامه ليتأكد أن العملية ستسير وفق ما تم التخطيط له، قال أحد معاونيه المسئولين عن المتابعة اليومية لقضية بيع الأواكس بعد ذلك بعدة سنوات "كنا نقترب من خط النهاية ولكننا لم نكن متأكدين من أننا سنعبره فائزين. صدقنى، كانت المعركة شرسة"[٤١]. كان توماس دين يقف خارج القاعة ضمن مجموعة تضم السيناتور جون ورينير عن فرجينيا الذى بذل جهداً كبيراً لمساندة الرئيس، وقبل أن يتوجهوا للتصويت سمع الآخرون دين وهو يقول لورينير "جون.. أليس هناك ما يمكن أن أقنعك به لكى تغير رأيك؟ "فرد عليه قائلا" دين.. لقد قمت بعمل رائع وأديت واجبك على خير وجه، ولكن اليوم ليس يومك". فى هذا اليوم صوت أعضاء المجلس لصالح اقتراح الإدارة بإتمام بيع صفقة الأواكس إلى السعودية بـ ٥٢ صوتاً ضد ٤٨ صوتاً .

دعا توماس دين العاملين معه بالمنظمة وزوجاتهم وبعض الأصدقاء إلى عشاء فى الليلة نفسها، كان من بين الحضور السيناتور الجمهورى رودى بوشويتز عن مينيستا

الذى وقف فى وجه رئيس أمريكى من الحزب الجمهورى وصوت ضد إتمام صفقة بيع الأواكس. هل كان من المناسب أن تحتفل إيباك بالمناسبة بالرغم من خسارتها لهذه المعركة المهمة ومعركة أخرى قبلها؟ فى الحقيقة كان لدى منظمة الضغط السياسى الموالية لإسرائيل ما تحتفى به: لقد استطاعت ، وكما قال رونالد ريجان بنفسه، أن تحرج الرئيس الأمريكى أمام العالم كله (فما هو حجم هذا الرئيس الذى لا يستطيع أن يبيع خمس طائرات لدولة عربية صغيرة تملك عمليًا نفطًا خامًا تصل قيمته إلى بلايين الدولارات وتضعه فى خدمة الازدهار الأمريكى). من هنا لم يكن مستغربًا أن يمارس ريجان ضغوطًا سياسية على معظم أعضاء الكونجرس حتى يضمن فوز إدارته بنتيجية التصويت، وتحولت قضية الأواكس من مجرد استفسار حول كونها ذات أهمية خاصة لمصالح أمريكا فى الشرق الأوسط أم أنها تمثل تهديداً لمصالح إسرائيل فى المنطقة إلى أنها ستسبب إحراجًا بالغًا للرئيس لو تم التصويت ضدها. يقول توماس دين معلقًا على ذلك "دخلنا سباق مارثون لمدة عشرة أشهر وأنهيناه ونحن أقوياء واقفين على أقدامنا، وكان يجب علينا لكى نحقق الفوز أن نضمن أربعة أصوات فى جيبنا – اثنين من المحايدين من بين أعضاء كل من مجلسى النواب والكونجرس – ولكننا خسرنا الصوت الرابع. لقد أدينا واجبنا، وإذا كنا قد خسرنا التصويت فقد كسبنا القضية" .

إذا كانت هذه حقائق لا مبرر للجدال حولها فالأمر الذى لا خلاف عليه أن إيباك دفعت الرئيس إلى ما لايطيق؛ فقد أجبرته على أن يبذل من الجهد أكثر مما كان يتوقع، ودفعت إدارته فى عامها الأول إلى التدقيق فيما بين السطور بأكثر مما تتحمله كلماتها وأظهرت البيت الأبيض – على الأقل بين أفراد الجماعة اليهودية الأمريكية – بصورة المؤسسة التى تريد أن تكسب بأى طريقة حتى ولو لم تدقق فيما تطلقه من عبارات مناهضة للسامية . لذلك كان مطلوبًا من البيت الأبيض أن يراعى المزيد من الحذر فى المستقبل .

توالت القصص فى الصحف حول منظمات الضغط اليهودية التى تضعف ونظيرتها العربية التى تقوى، وخطورة نزول الشركات الاحتكارية إلى حلبة الضغط السياسى وعدم قانونية ممارساتها، أما الحقيقة فكانت تتلخص فى أن معركة بيع الأسلحة إلى السعودية لم تكن سوى "صراع مصالح عادى داخل أروقة الكونجرس" فقد كان النظام

الأمريكى يعمل فى إطاره المتعارَف عليه، وكانت النظم الفيدرالية فى حالة تفاعل والتحالفات الدستورية تعقد وتنفصم على طول الخط. أما قضية ما إذا كان النظام كله يعمل بكفاءة أم لا فلم تكن بهذه الدرجة من الوضوح خصوصًا فيما يتصل بقضية الصراع العربى الإسرائيلى، فقد تحول صنع القرار الأمريكى إلى معركة بين محاربين؛ حيث كل مجموعة من مجموعات المصالح الخاصة القوية تسحق الأخرى للفوز بقلب الكونجرس. ويمكن حصر ثلاثة جماعات كانت تمارس ضغطها إبّان معركة بيع طائرات الأواكس للعربية السعودية: الجماعة المناصرة لإسرائيل، الجماعة المناصرة للسعودية، والجماعة الأكبر والأقوى، ونعنى بها البيت الأبيض .

لكن ما مصير أساليب المناقشات ومراجعة التحليلات اللازمة لتحديد سياسة واضحة تجاه الشرق الأوسط؟ المؤشرات تدل على أنها تلاشت وأفسحت الطريق للشعارات وأساليب العلاقات العامة والدعاية واتهامات مناهضة السامية. وبقيت الأسئلة القديمة مثل : هل هناك تطابق بين المصالح الأمريكية والمصالح الإسرائيلية فى الشرق الأوسط؟ لماذا تختلف الجماعة اليهودية الأمريكية إلى هذه الدرجة القوية مع السياسة الأمريكية؟ هل الرئيس الأمريكى الحالى والرؤساء الثلاثة الذين سبقوه معادون للسامية ؟ تراوح مكانها دون إجابة شافية، لأنه لم يكن هناك من لديه القدرة على الجهر بها !! وبدا واضحًا أن أساليب ممارسة الضغط والضغط المضاد هى التى ستكون لها الغلبة .

صباح اليوم التالى للتصويت اتصل توماس دين تليفونيًا بمكتب هوارد بيكر طالبًا تحديد موعد لمقابلته، وتمت الاستجابة له وعندما قابله أكد له أنه لا يحمل له ضغينة فى قلبه، وهنأه بالفوز الذى تحقق بضمه بعض الزملاء إلى قائمته. كان فى إمكان هوارد أن يحييه بمثل تحيته وأن يشير إلى النوعية نفسها من الزملاء ولكنه لم يفعل، لأن توماس دين كان يعرف أعضاء الكونجرس جيدا ويعرف أنهم معرضون للإحراج فى كل ما يتعلق بالقضايا التى تتصل بإسرائيل، فقد سبق له أن قال للسيناتور زيرونيسكى يوم التصويت "اليهود الأمريكيون لن ينسوا هذا اليوم أبداً. بعد ذلك بثلاث سنوات شرح توماس دين فى مقابلة صحفية أبعاد لقائه هذا مع هوارد وقال "ابتدرته قائلاً: إذا كانت أساليب ممارسة الضغط تتطلب اللجوء إلى تكتيكات المحاور، فما حدث هو تطبيق عملى لهذه السياسة" .

الهوامش

1. Interview with Leonard Davis, Jerusalem, November 4, 1984.
2. Interview with Fred Dutton, Washington, March 1984.
3. Confidential interviews with a Senate aide and former AIPAC staff member.
4. From AIPAC official biography of Thomas A. Dine.
5. Confidential interview.
6. *Facts on File*, June 16, 1980, p. 450.
7. Interview with Thomas A. Dine, January 1985.
8. *Facts on File*, February 22, 1981, p. 121.
9. Ibid., February 19, 1981, p. 122.
10. Interview with Dine.
11. Confidential interview.
12. Carl Bernstein, "Is He All There?" *New Republic*, February 4, 1985.
13. Interviews with Fred Dutton, Washington, March 1984 and January 1985.
14. Ibid.; see also *Wall Street Journal*, March 29, 1982.
15. Steven Emerson, "Dutton of Arabia," *New Republic*, June 16, 1982.
16. Interview with Dutton, Washington, January 1985.
17. *Facts on File*, March 18–19, 1981, p. 169; see also "Middle East Regional Security," Washington, D.C.: Bureau of Public Affairs, Department of State, March 23, 1981.
18. Ronald Reagan, "Recognizing the Israeli Asset," Washington *Post*, August 15, 1979.
19. Thomas A Dine, "A Primer for Capitol Hill," *New York Times*, April 4, 1975.
20. *Facts on File*, April 10, 1981, p. 229.
21. Interview with Dine, January 1985.
22. *Facts on File*, April 24, 1981, p. 265.
23. Confidential interview with member of Baker entourage.
24. Confidential interview.
25. Confidential interview with former aide to Begin.
26. Cited in the Washington *Post*, June 10, 1981.
27. *Department of State Bulletin*, August 1981; *New York Times*, June 10, 1981.
28. See Steven Emerson, "The Petrodollar Connection," *New Republic*, February 17, 1982.
29. *The American House of Saud* (New York: Franklin Watts, 1985).

30. Emerson, *New Republic*, February 17, 1982.

31. Confidential interview.

32. Confidential interview with former AIPAC staffer.

33. Facts on File, September 20, 1981, p. 705.

34. Ibid.

35. Ibid., October 1, 1981, p. 706.

36. Confidential interview.

37. Confidential interview.

38. *Facts on File*, October 16, 1981, p. 743.

39. Interview with Dine.

40. Washington *Post*, October 30, 1981.

41. Confidential interview.

الفصل السادس

إيباك : الحرب من أجل السيطرة على واشنطن

بعد ثلاثة أيام من انتهاء معركة طائرات الأواكس أرسل هايمان بوكبيندر . الذى يقوم بعمليات الضغط السياسى على مستوى واشنطن لحساب الجماعة اليهودية الأمريكية ، خطابات إلى أعضاء الكونجرس الذين صوتوا إلى جانب قرار الإدراة أعرب فيه عن خيبة أمله الكبيرة التى سببها تصويتهم بهذه الكيفية، ولكنه أضاف "إننا نعتزم التعاون معكم فيما يتعلق بمستقبل قضايا الشرق الأوسط"، وقال فى مقابلة صحفية أجريت معه بعد ذلك بأربع سنوات ، إنه قصد بذلك أن لا يدعهم يظنون أن التصويت فى معركة الأواكس "كان عبارة عن اختبار لقوة صداقاتنا معهم"[١] .

عبّر هذا الخطاب عن شعور نبيل يهدف إلى بعث الطمأنينة فى قلوب هؤلاء الذين صوّتوا ضد رغبة منظمة إيباك خاصة من كان منهم يستعد لخوض معركة تجديد انتخابه فى الكونجرس عام ١٩٨٤، إلا أن كاتب الرسالة سقط من حساباته الأمر الذى ربما لم يتبينه غالبية ممارسى الضغط السياسى من أمثاله فى حين أدركه المخضرمون من أعضاء الكونجرس ، وهو أنه إذا كانت الجماعة اليهودية الأمريكية لم تعتبر التصويت على طائرات الأواكس اختباراً لمدى قوة الصداقة فإن إيباك "اعتبرته كذلك" .

يلاحظ المتتبع لنشاط اليهود السياسى خلال عقد الثمانينيات أن التوصيات التى كانت تتبناها إيباك فيما يتعلق بالقضايا التى تخص إسرائيل كانت لا بد أن يؤخذ بها ، لذلك خططت فى ضوء معركة الأواكس للخلاص من عدد من أعضاء الكونجرس. وفق هذه الرؤية أبدى بوكبيندر استعداداً للتسامح والتنسيق للمعارك القادمة داخل حلبة

الضغط السياسى من أجل إسرائيل ، فى حين كان توماس دين يؤكد لفريق من اليهود: "إننا مثل الفيل الهندى لا ننسى السيئة أبدا"(٢) .

ظلت إيباك لمدة ربع قرن تمثل منظمة الضغط السياسى الرسمية الوحيدة المسجلة فى واشنطن لممارسة عملها باسم الجماعة اليهودية الأمريكية نيابة عن إسرائيل، وكانت تقوم فى الوقت نفسه بدور الوسيط المخلص بين الجماعات اليهودية الممثلة فى مؤتمر الرؤساء وبين أعضاء الكونجرس، وحددت منذ البداية أن هدفها الأساسى هو فتح طريق التدفق المتواصل للمساعدات الأمريكية إلى إسرائيل. الآن وبعد أن أضحى الاقتصاد الإسرائيلى يعتمد كلية على ما يقدمه الكونجرس من إحسان للدولة اليهودية، أصبح فى مقدور أى سيناتور متزمت أن يدمر إسرائيل أسرع من الجيوش العربية. فهل ترضى إيباك التى كانت تظن نفسها سيدة الكونجرس بذلك؟ .

توافرت لإيباك مقومات الهيمنة على الجماعة اليهودية الأمريكية باسم إسرائيل التى تحولت إلى القضية الأساسية فى وجدان اليهود الأمريكيين، فبعد "خسارة" معركة الأواكس كان لابد لهذه المنظمة الدعائية الصغيرة المحدودة الموارد ، الموالية لإسرائيل أن تتحول ، كما قال توماس دين ، إلى "حركة جماهيرية" لتسييس اليهود الأمريكيين الذين كانوا أعضاء فى أكثر التجمعات تنظيمًا على مستوى الأمة الأمريكية. استغل دين أن اليهود كانوا يعيشون بحكم التقاليد فى مجموعات صغيرة تحكمها اتصالات جيدة يديرها زعماء محليون، ودعاهم إلى القيام بدور إيجابى ، وإلى تسديد اشتراكات عضويتهم فى منظماتهم. بنفس القدر من الاهتمام حرصت إيباك على إمداد لجان العمل السياسى المحلية لهذه المنظمات ببيان حول مواقف النواب وأعضاء الكونجرس الذين يمثلونهم فيما يتعلق بالقضايا التى تهم إسرائيل .

قال توماس دين فى مقابلة صحفية "شكلت معركة الأواكس علامة فاصلة فى برنامج عمل إيباك(٣) فالبرغم من أننا خسرنا التصويت إلا أننا كسبنا القضية نفسها"، ربما يكون هذا الكلام صحيحًا، لكن الأمر اليقينى أن الذى كسبته جماعة الضغط اليهودية فعلا هو المعركة الدعائية. من ناحيتهم اعتبر اليهود الأمريكيون قرار الكونجرس بالموافقة على بيع أسلحة إلى السعودية دليلا قويًا على تنامى قوة التيار "الضاغط لصالح العرب" وعلى أن "أعداء إسرائيل" فى تزايد، أما إيباك فكانت على ثقة

تامة من أن رونالد ريجان وليس رابطة الأمريكيين العرب أو فريد ديتون والأمير بندر بن عبد العزيز اللذان يمثلان قوة الضغط السعودية هو الذى منح الفاعلية لقرار البيع لكى يمر عبر الكونجرس. لم يتوقف دين أمام هذه النقطة التى خدمت أهدافه على طول الخط لأن اليهود كانوا يسارعون لتسجيل أسمائهم فى قوائم عضوية منظمته ، وبالتالى يوفرون الدعم المالى لها .

يقول يهودى أمريكى من النشطاء ومطلع فى الوقت نفسه على تاريخ إيباك وعلى إستراتيجيتها الحالية: "صفقة بيع طائرات الأواكس إلى السعودية كانت أكبر هزيمة منيت بها إيباك، والدليل على ذلك أن عواقبها لم تأت مماثلة لصفقة بيع الطائرات إف/ ١٥، فلم يدع أحد أن دين ابن الساقطة مارس ضغطا عليه بالرغم من أن الجميع يعرفون أن ضغوطًا كبيرة وكثيرة مورست"(٤). أفصح دين فى مقابلة صحفية أنه جرح كبرياء الرئيس الأمريكى(٥) مما جعل مساعدى ريجان يفكرون فى وسيلة لإصلاح ذات البين. اتصل هيج تليفونيًا بدين طالبًا منه العون لتمرير قرار المساعدات المالية للدول الأجنبية الذى أعدته الإدارة على مستوى الكونجرس، من هنا وجد توماس دين - السياسى المحترف الذى لم يعمل من قبل فى خدمة أى منظمة يهودية - نفسه فى الطريق لأن يكون أكثر زعماء الجماعة اليهودية الأمريكية تأثيرًا فى الحياة السياسية الأمريكية .

كان الوقت مناسبًا لأن يحتل دين هذا الموقع، يقول عضو بارز من أعضاء الجماعة اليهودية الأمريكية "لم يوجد بين قادة الجماعة من يستطيع أن ينهض بمهمتها، كان فى إمكان آرثر جولدبيرج (العضو السابق بمحكمة العدل الدولية) أن يقوم بهذا الدور منذ ثمانية عشر عامًا ولكنه لم يفعل..إن ما نعانى منه الآن أزمة قيادة". يقول دين بابتسامة يدارى بها قلقه ويؤكد بها معرفته لحقيقة ذاته: "عندما أتحول فجأة إلى أكثر قادة اليهود الذين تنقل عنهم الصحف آراءهم أدرك أن الجماعة فى حاجة ماسة إلى زعيم وقائد"(٦) .

كان للجماعة اليهودية الأمريكية دائمًا قيادة متمكنة وقادرة . كان هناك برانديز والحاخام وايز والحاخام سيلفر، وجولدمان الذى بزغ نجمه خلال فترة الخمسينيات يعد نموذجًا لهذه القيادات، فقد كان فى مقدمة الصهيونيين المتحمسين ومن تلاميذ وايزمان ،

خاصم بن جوريون وتحالف مع شاريت . هذه الرموز القيادية كانوا أصدقاء للرؤساء الأمريكيين في حينهم وكانوا أعضاء فى الكونجرس وكانوا يشاغبون كثيراً مع وزارة الخارجية، ولكنهم كانوا فى الوقت نفسه على مقربة من الجماعة اليهودية يشاركونهم الحياة والتعبد. كانوا متدينين وكانوا رموزا سياسية فى الوقت نفسه و على معرفة وثيقة بالتاريخ اليهودى (فيما عدا براندايز الذى تعرف فى وقت متأخر على مشكلات اليهود)، أما اليوم فإن غالبية الأمريكيين ومعظم اليهود لا يعرفون أسماء قادة المنظمات اليهودية الأمريكية. يقول أحد قادة اليهود المحترفين الذين هم على اتصال يومى برؤساء الجماعات اليهودية بحكم التنسيق والتشاور "قادة اليهود الحاليون ليسوا سوى أقزام ، فلم يتبق من السياسات اليهودية سوى مظهرها الخارجي وهو التقاط الصور مع المشهورين ، حيث يتحدد مستوى قوتك بناء على ظهورك فى صورة حديثة مع أحد المشاهير البارزين. أى طراز من القادة هذا الذى لا يستطيع أن يقرأ اسم شارع فى تل أبيب ؟ "[٧] .

بنفس هذا المنطق خاطب آرثر هيرتزبيرج الحضور، فى ندوة نظمها معهد إنتربرايز الأمريكى بواشنطن حول "اليهود الأمريكيون وإسرائيل"، متسائلا "كيف يمكن لطبيب أسنان فى تلال شاكير أن يتحول إلى شخصية سياسية مرموقة ؟" وأجاب على السؤال قائلا : بأن يصبح رئيساً لمكتب إيباك فى كليفلاند، وأن تتاح له الفرصة ليحاور عضو الكونجرس عن ولاية أوهايو أو رئيس لجنة العلاقات الخارجية بالمجلس.. هذه المجادلات السياسية ربما تفتح له الطريق إذا كان من الناجحين لكى يصبح رئيساً لمنظمة إيباك أو أى منظمة يهودية كبرى أخرى، وبذلك يجد نفسه بطريقة تلقائية على قائمة المدعوين إلى البيت الأبيض. يؤكد هيرتزبيرج خلاصة تجربته قائلا "أنا شخصياً لم أدع إلى البيت الأبيض أكثر من اثنى عشرة مرة خلال ست سنوات بسبب وسامتى أو عبقريتى أو حلاوة حديثى وإنما لأننى كنت خلال هذه المدة رئيساً للكونجرس الأمريكى اليهودى"[٨] .

من بين تناقضات التاريخ اليهودى أن الجماعة اليهودية الأمريكية التى رفضت المضامين الصهيونية وجدت لنفسها ملجأ من خلال "تطبيع" علاقاتها مع الدولة اليهودية. وفيما بعد منحهم الدعم الذى وفّروه لإسرائيل قوة سياسية لم يسبق أن حصل عليها

اليهود على امتداد فترة الشتات. قال هيرتزبيرج للحاضرين فى ندوة معهد إنتربرايز الأمريكى "أقولها بلا مواربة: عن طريق الصهاينة من اليهود الأمريكيين يمكن لأصوات اليهود أن تصبح عالية داخل الساحة السياسية الأمريكية" .

يعد توماس دين نموذجًا مثاليًا لهذه الإفرازات، يقول أحد المراقبين فى المقر الرئاسى لمنظمة بئناى بئرت بواشنطن "إنه أمر لا يصدق ولكنك تجد من الناس من يقول لك مثلا بانبهار لقد تحدث دين فى معبدنا، وأحس من لهجتهم كما لو أنهم يتحدثون عن حاخام عظيم مثل ستيفن وايز"(٩) .

غالبًا ما كان دين يتحدث فى خطبه عن "اليهودى الجديد" السياسى النشط الذى يطوع النظام السياسى الأمريكى لأجل حماية مصالح اليهود، وكان من السهل عليه استحضار الصور التى يروج لها لأنه هو نفسه نموذج لهذا "اليهودى الجديد": فهو من مواليد أمريكا ، لم يحصل على القدر الكافى من التعليم الدينى، ليس متدينًا ولا يعرف اللغة العبرية، غير مؤمن بالمبادئ الصهيونية، زوجته ليست يهودية، ولكنه حيوان سياسى بنسبة ١٠٠٪. كانت الفروق واضحة جداً بين دين ومعظم الزعامات التقليدية اليهودية الأوروبية ؛ فهيرتزبيرج مثلا مولود فى بولندا من أسرة خرّجت ستة أجيال من الحاخامات، وهو نفسه صار حاخامًا من الهاسيديين المحافظين، كان يتقن اللغتين اليديشية والعبرية، آمن بالمبادئ الصهيونية طوال حياته ، وكان عضواً سابقًا فى المجلس التنفيذى الصهيونى ، ورئيسا سابقا للمؤتمر اليهودى الأمريكى ، ويشغل حاليًا منصب رئيس المؤتمر اليهودى العالمى ويعمل أستاذًا للدين والتاريخ اليهودى الحديث بجامعتى كولمبيا ودراتموث ويعد من أشهر مَن ألّف عن الصهيونية باللغة الإنجليزية، انتقد صراحة سياسة إسرائيل مما جعل له مكانة مرموقة على مستوى الجماعة اليهودية الأمريكية. هذا الصنف من القادة يكرههم توماس دين حتى الموت .

يقول هيرتزبيرج بابتسامة مريرة "أنا رجل عجوز جدا بالنسبة لليهود الجدد، إننى لا أرى صلة بين العاملين فى منظمة إيباك واليهودية، إنهم بالتأكيد لا يعرفون شيئًا عنها ولا عن الصهيونية، إننى أتساءل : ما نوع التعليم الدينى الذى حصلوا عليه؟ يقال إنهم يمارسون الضغط ! من قال إنه فى إمكان مجموعة من الأشخاص ممارسة

ضغطهم من أجل لا شيء اللهم ضد العرب، عندما يتهدم كل شيء بفضل نشاطات إيباك فسيعود الأمر مرة أخرى إلى سيرته التقليدية ويكلف الدبلوماسيون المتزنون بترميم ما بقى. إننى أؤكد لكم: لن يبقى توماس دين فى موقعه هذا لفترة طويلة" .

طالب هيرتزبيرج الجماعة اليهودية علانية بإغلاق منظمات الضغط السياسى لأنها فى رأيه" تساعد على خلق أجواء مناهضة للسامية أكثر مما تخفف منها" ومما كان يقوله فى هذا الخصوص "كون الإنسان يهودياً لا يعطيه الحق فى دعم إسرائيل بلا تفكير أو أن يكون معادياً لكل من يناهض السامية"(١٠) .

لا أحد ينكر أن جزءاً من عداء هيرتزبيرج لمنظمة إيباك أنها أهملت شأنه هو وأمثاله من جيل القادة الرواد على الأقل فى الوقت الراهن، لذلك تحول إلى ديناصور أو "آخر الديناصورات من فصيلة ماهيكان" كما جاء عنه فى ملحق أصدرته صحيفة يهودية أسبوعية (تصدر كل يوم أحد) خصصياً باسمه حيث قالت عنه إنه آخر ذلك الطراز من قادة اليهود الأمريكيين الذين جمعوا بنجاح بين مقومات الحاخام والمفكر والسياسى. وبالرغم من كل ذلك لا يمكن إنكار أن توماس دين أو اليهودى الجديد هو الذى تحدى الرئيس الأمريكى حول صفقة بيع طائرات الأواكس ودفع منظمة إيباك التى يرأسها إلى مقدمة المنظمات اليهودية القائدة على مستوى اليهود الأمريكيين، بحيث أصبح لها محاور مباشرة مع البيت الأبيض وأيضاً مع وزارة الخارجية: العش التقليدى "لمؤيدى العرب" .

على أنه كانت هناك مشكلة واحدة ، ونعنى بذلك مناحيم بيجين الذى كانت تصرفاته تجعل من الصعب على جماعة الضغط السياسى التى تعمل لصالح إسرائيل أن توفر أدلة قاطعة على وجود تطابق بين المصالح الأمريكية والمصالح الإسرائيلية فى الشرق الأوسط. لم يشأ البيت الأبيض والكونجرس وفق أفكار ريجان أن يقع التصادم مع السياسات الإسرائيلية إلا أن تصرفات بيجين أثبتت أن هذا التطابق بين المصلحتين لا وجود له، فلم يكن هناك إلا معنى واحد لسياسات التصريح ببناء المستوطنات فى الأراضى المحتله لخلق إسرائيل الكبرى ، ألا وهو تآكل الأرض التى يمكن مبادلتها بالسلام وفق القواعد التى اقترحتها الأمم المتحدة وأمريكا. تغاضى بيجين كلية بعد

كامب ديفيد عن حقوق الفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة، ودفع سياساته الاستيطانية إلى الأمام بغرض ضم هذه الأراضى إلى الدولة اليهودية، وكان قد سبق لإدارة الرئيس السابق كارتر أن أدانت هذه السياسة ووصفت البناء بأنه "غير قانونى" وأنه يعرقل أى مفاوضات على أساس قرارىْ الأمم المتحدة رقمى ٢٤٢ و ٣٣٨ .

ما المصالح الأمريكية فى المنطقة؟ من الملفت للنظر أن هناك إجماعًا مدهشًا حول هذا الموضوع بين خبراء الشرق الأوسط سواء كانوا يقفون مع إسرائيل أم ضدها ، يحدد هذا الإجماع المصالح منذ قيام دولة إسرائيل كما يلى (ليس فى الترتيب ما يدل على الأهمية): (١) تأمين الوصول إلى النفط العربى (٢) محاصرة التوسع والنفوذ السوفيتى والحد من أى مواجهة بين القوتين العظميين فى الإقليم (٣) التقليل من حدة الصراعات المحلية، والحيلولة دون قيام أنظمة حكم متطرفة معادية للغرب (٤) زيادة التأثير الأمريكى الاقتصادى والسياسى فى العالم العربى (٥) دعم استقلال وأمن إسرائيل[١١] .

يمكن القول إن النصف الأول من فترة ريجان الرئاسية لم يشهد أى دليل على أن إدارته حولت مصالح الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط لتتوافق مع رؤيته لسياسات أمريكا فى الإقليم، فبينما بدا كارتر منذ أيامه الأولى فى البيت الأبيض عاقدًا الآمال على فرض السلام فى الشرق الأوسط تمركزت رؤية ريجان السياسية الخارجية بالكامل حول الاتحاد السوفيتى كما لو أنه هو وحده مصدر المشاكل لأمريكا فى كل مكان من العالم بما فى ذلك الصراع فى الشرق الأوسط. كان يقول "نحن فى مواجهتهم" وكان يعتقد أن لإسرائيل أهمية كبرى مع أمريكا "ضدهم"، وشرح ذلك قائلا "زاد سقوط إيران من أهمية إسرائيل ، لأنها أضحت المرتكز الإستراتيجى الوحيد الذى يمكن أن تعتمد عليه أمريكا بشكل عملى فى الإقليم"[١٢] .

كان ريجان ووزير خارجيته بريان إسرائيل كعقبة فى طريق مخططات السوفيت للاستحواذ على نفط الخليج، وهناك احتمال كبير أنهما لم يكلفا نفسيهما مشقة سؤال هنرى كيسينجر الناصح الأمين لهيج عن تقييمه للدور الذى تقوم به إسرائيل فى سياسة أمريكا الخارجية. قال كيسينجر عام ١٩٧٥ عندما كان وزيرًا للخارجية فى إدارة جيرارد فورد أمام مجموعة من القادة اليهود دون مراعاة للشعور أو لقواعد

الدبلوماسية "العمل على تقوية إسرائيل يخدم بقاءها على قيد الحياة، وليس له صلة بمنع انتشار الشيوعية فى العالم العربى، وبالتالى ليس من الضرورى أن تساعد هذه التقوية المصالح الأمريكية الكونية ومن بينها اهتماماتها بالشرق الأوسط. أما بقاء إسرائيل بالنسبة لأمريكا فهو أمر ذو أهمية عاطفية بحتة..."(١٣). كان كيسينجر يرى أن أفضل وسيلة لإحباط مخططات الاتحاد السوفيتى فى الشرق الأوسط أن تتم تقوية الدول العربية المعتدلة، وهذا بالذات ما كانت إسرائيل ومنظمة إيباك تخشيان أن يتحقق منذ المحاولات التى قامت بها إدارة الرئيس أيزنهاور .

كان هيج يريد أن يحقق إستراتيجية ريجان بكل السبل، ففى عام ١٩٨١ كان على استعداد، وسط استغراب ودهشة القادة العرب، لإقامة إستراتيجة توَافُق تجمع بين مصر والأردن والسعودية وإسرائيل لمواجهة تسلل الاتحاد السوفيتى الخفى إلى دول الإقليم. ولكن كيف يمكن أن يتم ذلك ومعالم السلام بين العرب وإسرائيل لم تتضح بعد خاصة وأن الدول العربية المعتدلة لم تكن راغبة فى أن يكون لها نصيب فى "وفاق هيج الإستراتيجى"، أما رئيس الوزراء الإسرائيلى بيجين فظل على عهده مخلصاً لفليسوفه الأثير جابوتنيسكى فلم ير فى "الأصدقاء الأمريكيين ولا فى قادة الدول العربية المعتدلة" إلا ألدّ أعدائه .

أكدت تصرفات بيجين بعد إعادة انتخابه فى عام ١٩٨١ أنه ينوى المضى فى طريقه الخاص الذى اختاره لحكومته ، أما ما يربك خطط أمريكا أو يهدد مصالحها فلا شأن له به، فقام فى شهر يونية من العام نفسه بتدمير المفاعل الذرى العراقى ، الأمر الذى أدانته واشنطن ، ثم قام بالإغارة بعد ذلك بشهر واحد على مواقع لمنظمة التحرير الفلسطينية فى ضواحى بيروت، مما دفع ريجان إلى أن يبعث برسائل استنكار، تلا ذلك رفضه الكامل لمقترحات مفاوضات السلام التى تضمنتها خطة فهد التى تقدمت بها السعودية فى شهر أغسطس من العام نفسه وقبلتها الإدارة الأمريكية .

من ناحية أخرى أصرَّ أريل شارون وزير الدفاع الإسرائيلى فى شتاء عام ١٩٨١ أيضا على تطبيق أسلوب جديد فى إدارة الأراضى المحتلة فى الضفة الغربية، بدا ظاهره تحررياً وكشفت حقيقته عن مشروع أكثر قسوة وتشدداً من السياسات التى

كان موشى دايان يخطط لفرضها قبل ذلك بعشرة أعوام. نتج عن محاولة تطبيق هذه السياسة الجديدة تزايد موجات العنف العربية فى الضفة، ووقوع إضراب عام ردت عليه إسرائيل بأعمال إرهابية ضد عُمَد الأراضى العربية العرب. أوضحت هذه السياسات أن إسرائيل تسعى عامدة إلى زعزعة الاستقرار فى هذه الأراضى ، وبالتالى ضرب المصالح الأمريكية فى كل مكان من الإقليم. اتسمت العلاقات الإسرائيلية الأمريكية بالفتور خلال شهر أكتوبر، أو خلال ما سمى بمعركة طائرات الأواكس ، وما بقى من طموحات لدى الإدارة الأمريكية لإقرار السلام فى الشرق الأوسط تبخر بسبب حادث اغتيال السادات فى الشهر نفسه .

أثبتت نهاية العام عدم مصداقية الأقوال التى كانت تتحدث عن إمكانية تطابق المصالح الأمريكية والمصالح الإسرائيلية فى الشرق الأوسط، ففى نوفمبر انحصر مشروع التوافق الإستراتجيى الشرق أوسطى فى نقطة واحدة ، وذلك حين وقع آريل شارون وزير دفاع إسرائيل مع نظيره الأمريكى كاسبر وينبيرجر "اتفاقية" تعاون إستراتيجى "للوقوف فى وجه كل التهديدات التى يمكن أن يقوم بها الاتحاد السوفيتى فى المنطقة"(١٤). أشاد بيجين بالاتفاق، ووصفه بأنه إنجاز سياسى شخصى يحسب له ودليل دامغ على خصوصية علاقة إسرائيل بأمريكا، أما زعيم حزب العمال المعارض فندد به وقال إنه يضع إسرائيل فى قلب المواجهة الساخنة بين أمريكا والاتحاد السوفيتى. وتساءل: هل حكومة بيجين على استعداد لأن تجر إلى حرب أمريكية مع روسيا برغم ما لديها من مشاكل داخلية متفاقمة؟ استمرت أجواء هذا الاتفاق الإستراتيجى لمدة اسبوعين فقط، ثم اختفت بهجتها فجأة عندما أعلن بيجين يوم ٤ ديسمبر عبر إستراتيجيته الخاصة ضم مرتفعات الجولان إلى أراضى إسرائيل .

شجبت الإدارة الأمريكية القرار الإسرائيلى، واعتبرته خرقًا لقرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢، وأيدت فى الوقت نفسه قرار مجلس الأمن الذى وصف قانون الضم الإسرائيلى للجولان بأنه "باطل وغير شرعى وليس له أى صفة رسمية دولية". قرر الرئيس ريجان أيضًا تأجيل بدء العمل باتفاق التعاون الإستراتيجى بين البلدين مما جعل بيجين الذى اشتهر بانفعالاته غير المحسوبة يتخبط فى ردوده العلنية على هذا القرار ، وكان مما قاله: بعد انتهاء حرب فيتنام أمريكا لا تملك الحق الأخلاقى الذى

يسمح لها بإصلاح حال إسرائيل أو معاقبتها وخاصة بعد "حملة معاداة السامية القذرة" التى بانت ملامحها خلال عملية تسويق طائرات الأواكس. وتساءل رئيس الوزراء الإسرائيلى" هل نحن دولة تابعة ؟ هل نحن جمهورية من جمهوريات أمريكا اللاتينية المنتجة للموز ؟ ألم نبلغ الرشد بعد حتى إذا ما أخطأنا نُضرب بالعصى على أكفنا ؟"(١٥)، ارتعدت أوصال حزب العمل الإسرائيلى، ولكن بيجين انتشى بما يقول فقد أثبت أنه قادر بكل تأكيد على الوقوف بنديّة أمام الأمريكيين .

أعلنت إسرائيل أن ضم الجولان لا علاقة له باتفاق التعاون الإستراتيجى، وتساءلت واشنطن: ما القيمة الإستراتيجية الحقيقية لهذا الاتفاق إذا تجاهلت تل أبيب مصالح الولايات المتحدة الأمريكية فى الإقليم ؟ كان البيت الأبيض فى عهد ريجان يرى كما كان يرى فى عهد من سبقوه منذ عام ٦٧ أن قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ هو الأساس العملى لأى مفاوضات سلام فى الشرق الأوسط، وها هى إسرائيل تمد سيطرتها القانونية على الأراضى السورية التى من المفترض أن تكون جزءًا من مفاوضات التسوية المتعلقة بالأراضى التى احتلت عام ٦٧ . لماذا أقدمت إسرائيل على هذه الخطوة ؟ أجاب إسحاق شامير وزير خارجية إسرائيل على هذا السؤال بصراحته المطلقة "إننا نحاول دائمًا أن ننسق نشاطاتنا مع أمريكا إلا أن مصالح الدولتين ليست متطابقة، لذلك يتطلب منا الأمر من وقت لآخر أن نراعى مصالحنا الخاصة"(١٦) .

لم تكتف حكومة بيجين بذلك، وأصرت أن تركز على مصالح إسرائيل فقط فقامت قواتها بغزو لبنان فى العام التالى، ويصر ألكسندر هيج فى مذكراته الخاصة حول الأحداث التى أدت إلى هذه العملية على أنه أحيط علمًا فى وقت مبكر يرجع إلى شهر أكتوبر عام ١٩٨١ ، ثم مرة أخرى فى شهر فبراير عام ١٩٨٢ بمخططات بيجين لدفع قواته "لاقتحام الضواحى الجنوبية لبيروت للقضاء على البنية التحتية لمنظمة التحرير الفلسطينية". طبقا لما قاله هيج. صدم وزير الدفاع الإسرائيلى آريل شارون أفكار مجموعة كبيرة من كبار موظفى وزارة الخارجية الأمريكية فى شهر مايو عام ١٩٨٢ عندما عرض عليهم مجموعة من الخرائط قائلا "هذه الخرائط تبين لكم كيف يمكن إعادة كتابة خريطة بيروت السياسية" بإقامة حكومة مسيحية فى لبنان سرعان ما تتحالف مع

إسرائيل، ومن المعروف أن هيج تعرّض للنقد العنيف من كتّاب أمريكيين وإسرائيليين لأنه أعطى موافقته على القيام بغزو لبنان الذى تحول إلى شؤم، وأحدث انقساماً كبيراً داخل إسرائيل[١٧]. يصر وزير الخارجية الأمريكية السابق فى مذكراته بالرغم من ذلك على أنه عرف بخطة شارون الكبرى من بيجين أثناء مشاركتهما فى جنازة السادات مؤكداً أنه أبلغ رئيس الوزراء الإسرائيلى أن مثل هذا التحرك "سيكون له تأثير مدمر على أمريكا"[١٨] .

جاء رد فعل شارون على كلام هيج الذى قاله لشارون فظا مفتقداً للكياسة ، حيث أرسل إليه رسالة قال فيها "لا يملك أحد كائنا من كان الحق أن يقول لإسرائيل ما هو القرار الذى تتخذه للدفاع عن شعبها". كتب هيج رسالة إلى بيجين يحذره فيها من أن عواقب الغزو المرتقب "قد لا يكون فى مقدور أى أحد أن يحسب حسابها" فرد عليه رئيس الوزراء الإسرائيلى مباشرة قائلاً:" السيد الوزير، صديقى العزيز.. لم يولد بعد الرجل الذى يمكن أن ينتزع مني موافقة بقبول قتل اليهود على يد عدو متعطش لدمائهم وأن أترك المسئولين عن إراقة هذه الدماء ينعمون بالأمان"، يدعى هيج فى مذكراته أنه أدرك بعد مطالعته لرسالة بيجين "أن أمريكا لن يكون فى مقدورها أن تمنع إسرائيل من القيام بهجومها على لبنان". يمكن القول أن بيجين والولايات المتحدة الأمريكية أعطيا الضوء الأخضر لشارون للقيام بغزو لبنان، وبذلك دفعا إسرائيل الى الحرب التى سببت لها أكبر انقسام عرفته فى تاريخها، بالرغم من أن قلة فقط من قادة اليهود الأمريكيين انتقدوا عملية الغزو عندما وقعت .

يبدو واضحًا الآن أن شارون منذ بداية التخطيط لغزو لبنان عمد إلى تضليل بيجين الذى قام بدوره بإخفاء بعض المعلومات عن أمريكا، وذلك حين أكد لهيج أن قواته لن تعمل على استدراج سوريا إلى الدخول معها فى حرب، إضافة إلى ذلك جاء فى كتاب ألفه اثنان من أبرز المراسلين الحربيين الإسرائيليين أن حكومة بيجين أبلغت الكنيست أنها لن تهاجم سوريا إلا إذا بدأت هى بذلك[١٩]. أبلغت أمريكا دمشق هذه الرسالة، إلا أن القوات الإسرائيلية قامت فيما بعد بتدمير القوات الجوية السورية وواحدة من قواعد صواريخها .

كان من المحتم أن تُستدرج سوريا إلى الحرب. هكذا تؤكد دراسة قام بإعدادها ضباط هيئة الأركان الإسرائيلية، ويقول آرى ناور ، السكرتير السابق لحكومة بيجين إن القرار الأصلى بدفع القوات إلى داخل الأراضى اللبنانية مسافة خمسة وعشرين ميلا كان مبنيًا على معلومات خاطئة. وعندما أثار بعض الوزراء أثناء اجتماع الوزارة الإسرائيلية استحالة تجنب تعريض القوات لهجوم سورى أشاح بيجين بيده، فى الوقت نفسه لم يشر شارون ولا رافائيل إيتان رئيس الأركان إلى الخلاف الحاد بين قادة القوات حول هذه العملية برمتها. يؤكد ناور أن شارون لم يحط مجلس الوزراء علمًا بأن رئيس الأركان ونائبه وقائد القوات الجوية كانت لهم تحفظاتهم الجادة حيال ما إذا كان من مصلحة إسرائيل مهاجمة الصواريخ السورية[٢٠] .

اتضح لكل المهتمين بعد انتهاء الهجوم أسباب الخلاف ومبرر التحفظات، حيث قام السوفيت بإعادة تسليح سوريا بأحدث ما لدى ترسانتهم من أسلحة تعويضًا عن معداتهم وكرامتهم التى دمرت. ولضمان توفير أقصى درجات الأمن للمعدات الحديثة أرسلت موسكو سبعة آلاف جندى لحمايتها، وهكذا أدى استعراض شارون لعضلاته إلى إضعاف مفعول واحد من أهم مرتكزات المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط، فبدلاً من أن يتم إبعاد الروس عن المنطقة زادت كثافة وجودهم .

بدأت إسرائيل فى ضرب بيروت بالطائرات فى شهر أغسطس، وأصدر مجلس الأمن قرارًا بالإجماع يطالب بوقف إطلاق النار ويوصى بإرسال مراقبين من الهيئة الدولية إلى منطقة الاشتباك، رفضت إسرائيل السماح للمراقبين الدوليين بالتواجد، وواصلت عملياتها العسكرية وتقدمت قواتها نحو بيروت الغربية. وصف الرئيس ريجان القصف الإسرائيلى لبيروت بأنه " لا يتناسب واحتياجاتها" وتساءل فى رسالة إلى بيجين : هل الأسلحة الأمريكية المباعة إلى إسرائيل تستخدم فى الدفاع عن النفس كما ينص على ذلك قانون بيع الأسلحة إلى الدول الأخرى "أن يقتصر استخدامها على شرعية الدفاع عن النفس فقط" !! .

مرة أخرى دفعت الظروف بيجين لأن يتصرف وفق رؤيته الخاصة للأمور، فقد انتهز فرصة زيارة بعض قادة اليهود الأمريكيين إلى القدس، ولخص لهم ما يجرى فى

لبنان ثم أضاف: "لا يمكن لأحد مهما كان أن يجبر إسرائيل على الركوع، لابد أنكم نسيتم أن اليهود لا يركعون لغير الله"(٢١). وإذا كانت واشنطن لا زالت تعتقد فى إمكانية أن توقف إسرائيل قصفها لبيروت استجابة لقرار مجلس الأمن، فقد نشرت مجلة نيوزويك على لسان أحد كبار المسئولين الإسرائيليين - الاسم الحركى الذى تطلقه الصحافه على الوزراء من صناع السياسة - يحذر فيه من أن أى ضغط أمريكى على إسرائيل سوف يتولد عنه رد فعل "لا يمكن التنبؤ بعواقبه"(٢٢) .

حملّت هذه التصرفات "التعاون الإستراتيجى" بين أمريكا وإسرائيل بالكثير من الدعاوى الخادعة ، حيث أظهرت أن تل أبيب على استعداد للتعاون فقط إذا كان من مصلحتها أن تقوم بذلك. كانت إسرائيل تقيس رؤيتها للأمور من زاوية الأمن باعتبار أنه الأهم فى حياتها، فى الوقت نفسه كانت إدارة الرئيس ريجان لا تزال ترى إسرائيل بقيادة بيجين - بالرغم من العوامل المضادة لهذه الرؤية - دولة موالية لأمريكا فى الشرق الأوسط، وهذا فى حد ذاته واحد من أهم الأسباب التى توفر القوة للإستراتيجية .

بالرغم من ذلك ظهرت بعض التحفظات بين عدد من قادة اليهود الأمريكيين، فمثلا لم يُبد فيليب كلوتزنيك أى نوع من الإعجاب تجاه بيجين أو ريجان وانتقد علانية الإدارة الأمريكية، وحثها على "مواجهة الواقع فى الشرق الأوسط كما فعلت إدارة الرئيس كارتر"(٢٣). شدد كلوتزنيك على ضرورة وقف الاشتباك الدائر فى لبنان والضغط على إسرائيل لسحب قواتها من هناك، وطالب بتوسيع دائرة السلام فى الشرق الأوسط بحيث تلتف كل الأطراف حول مائدة المفاوضات بما فى ذلك "الطرف الفلسطينى". جلبت هذه الآراء على صاحبها المشاكل، وجعلت منه هدفًا للّعنات مما اضطر أحدهم إلى التوسل لدى واحد من محررى نشرة تقرير الشرق الأوسط بأن لا يصف كلوتزنيك، الرئيس السابق لمنظمة بنئاى بئرت العالمية والرئيس الشرفى السابق للمؤتمر اليهودى الدولى والمؤسس المشارك مع ناحوم جولدمان لإقامة مؤتمر الرؤساء، "بالنازى"(٢٤).

اختار ريجان فى شهر سبتمبر عام ١٩٨٢ جورج شولتز وزيرًا جديدًا للخارجية، سرعان ما أبدى استعدادًا لبدء مرحلة نشطة فى الشرق الأوسط نظر إليها بيجين على أنها قصة قديمة. تحولت تحركات شولتز بسرعة إلى ما عُرف فيما بعد "بخطة ريجان"

التى لم تكن سوى طلاء جديد لقرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ الذى يطالب إسرائيل بالتفاوض على قضايا يرى بيجين عقائديًا أنها غير قابلة للنقاش. كانت خطة ريجان تعارض إقامة دولة فلسطينية مستقلة، وكان هذا أمرًا إيجابيًا بالنسبة لإسرائيل. فى الوقت نفسه كانت تعارض ضم الأراضى المحتلة إلى إسرائيل أو بقاء سيطرتها عليها، وهذا أمر سلبى من وجهة نظرها، طالب الرئيس أيضا بتجميد بناء المستوطنات اليهودية التى وصفها بأنها" غير ضرورية بالمرة لأمن إسرائيل". كانت الخطة فى مجملها تعتمد على برنامج العمل الذى تمخض عن اتفاقية كامب ديفيد، وتسعى فى نهاية المطاف إلى إقامة كيان للحكم الذاتى الفلسطينى مرتبط بالأردن ، ولكنها لم تلق بالاً إلى دور الفلسطينيين فى تحديد مستقبلهم[٢٥].

أيّد بعض قادة اليهود الأمريكيين بشكل فورى خطة ريجان بما فيهم توماس دين مدير منظمة إيباك الذى أشاد بالخطة علانية ووصف مبادرة الرئيس بأنها تتضمن "العديد من الأفكار القيمة" خاصة ما يتعلق بجذب الملك حسين ملك الأدرن إلى مائدة السلام لمناقشة إطار العمل الذى نتج عن اتفاقية كامب ديفيد. وقال توماس دين فى مقابلة مع مجلة نيويورك تايمز "روعة الخطة أن نهايتها مفتوحة على كل التوقعات"[٢٦]، وفيما بعد قال أحد العاملين معه إن شولتز أبلغ المنظمة أن الملك حسين أعلن موافقته على الانضمام إلى مباحثات السلام قبل ٧٢ ساعة من إذاعة الرئيس لخطته .

لم يجد مناحيم بيجين فى خطة ريجان أى شىء إيجابى وانتقدها بشدة على الفور جملة وتفصيلا، وكان ذلك متوافقا مع شخصيته، أما مَن توقع منه غير ذلك فكان على خطأ ؛ لأنه استقال من حكومة الوحدة الوطنية برئاسة جولدا مائير عندما قبلت قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢، ولأنه أفرغ محاولات موشى دايان تفعيل المرحلة الثانية من اتفاق كامب ديفيد التى كانت تهدف إلى إقامة "حكم ذاتى" فلسطينى فى الضفة الغربية من محتواها. ليس من المستغرب إذن أن يرى رئيس الوزراء الإسرائيلى خطة ريجان سيئة كغيرها، وأنها تقف عقبة فى طريق تحقيق أحلامه فى الضفة الغربية، لذلك سرعان ما ادعى أن الأمريكيين "باعوا أنفسهم للعرب" .

رحب العرب بشىء من الحذر بالخطوة التى قام بها الرئيس الأمريكى لأنها على وجه التحديد لم تشر إلى دور للفلسطينيين أو لمنظمة تحريرهم فى المفاوضات المرتقبة،

ومع هذا وصف السعوديون الخطة بأنها "اختراق للجمود" وقال عنها المصريون إنها "إيجابية وبنّاءة"(٢٧) ومنحها عمدة بيت لحم الفلسطينى فى الضفة الغربية تأييده، وبعد أسبوع واحد من إعلانها قال عنها الملك حسين "إنه الموقف الأكثر شجاعة الذى اتخذته الإدارة الأمريكية منذ عام ١٩٥٦"(٢٨). دلت المؤشرات على أن الإدارة الأمريكية لم تكسب الملك الأردنى إلى جانبها كما أكدت منظمة إيباك من قبل، فلم يكن فى مقدوره أن يربط نفسه بخطة رفضتها إسرائيل على طول الخط ، كما لم يظهر فى الأفق – كما طلب هو من أمريكا – التأييد العربى والفلسطينى الكاملين اللذين يوفران له الدعم اللازم. وبدأ توماس دين يسحب تأييده العلنى للخطة فى الوقت الذى حقق فيه هذا التأييد بعض المكاسب على مستوى العلاقات العامة، فقد رأت فيه الإدارة الأمريكية شخصية مستقلة عن حكومة بيجين حتى ولو كان ذلك لبضعة أيام فقط .

واصل بيجين ازدراءه وهجومه ضد خطة ريجان، وبعد أربعة أيام من إعلان معارضة الرئيس لضم الأراضى المحتلة إلى إسرائيل ومطالبته بتجميد بناء المستوطنات، وافقت حكومة بيجين على توفير ١٨٫٥ مليون دولار لتشييد ثلاث مستوطنات جديدة فى الضفة الغربية وأقرت خطة لإقامة سبع مستوطنات أخرى فى المستقبل. أدانت الولايات المتحدة القرار ووصفته بأنه غير مقبول ، وأصرت بأسلوب دبلوماسى رفيع أنها ستبذل جهدها لإقناع إسرائيل بمدى ما تسببه "المستوطنات من تدمير للسلام". وقالت الإدارة إن إصرار إسرائيل على مواصلة بناء المستوطنات "لا بد أن يثير سؤالاً حول مدى استعدادها للالتزام بما جاء فى قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ الذى ينص على مبادلة الأرض مقابل السلام"(٢٩). الجدير بالملاحظة أن جيمى كارتر أفضى قبل ذلك بخمس سنوات إلى مذكراته بمخاوفه حيال بيجين الذى بدا له " راغبًا فى إلقاء القرار رقم ٢٤٢ من النافذة" .

هل كان الجميع فى غيبوبة أم أن الدبلوماسية وضعت غشاوة على ذاكرة كل من له اتصال بالقضية؟ لقد عارض بيجين مبدأ مبادلة الأرض بالسلام بكل قواه منذ اعتبر أن هذه الأراضى "حررتها قوات إسرائيل" كما جاء على لسانه عام ١٩٦٧ . بالرغم من موقف بيجين العدائى المعارض للخطة التى طرحتها أمريكا، الذى سبب ضجرًا للرئيس الأمريكى على المستوى الشخصى والعام، فشلت واشنطن فى ممارسة ضغوطها على

إسرائيل ، والأسوأ من ذلك أنه لم يتمكن لا الرئيس ولا وزير خارجيته من إحداث تقدم ملموس على المستوى الشخصى فى اتجاه تنفيذ خطتهما . يمكن القول إن تأييد حزب العمل الإسرائيلى المعارض لخطة ريجان أشاع بعض الاطمئنان لدى الإدارة الأمريكية، ولكن واقع الأمر يقول إن تجمع الليكود هو الذى يحكم وإن قواته المسلحة تحاصر بيروت .

أفزعت نتائج الحصار الإسرائيلى للعاصمة اللبنانية العالم حين كشفت الأخبار يوم ١٨ سبتمبر عن مذبحة النساء والأطفال المروعة التى تعرض لها سكان مخيمى صابرا وشاتيلا الفلسطينيين جنوب بيروت. كما كان متوقعاً أبدت قلة من قادة اليهود الأمريكيين استعداداً لتصديق أن حكومة بيجين يمكن أن تتحمل ولو "مسئولية غير مباشرة" عن المأساة، كما أوضحت أبعادها لجنة إسرائيلية مستقلة فى بداية عام ١٩٨٣ . وأخيراً أدى التوافق بين صور القصف الشارونى لبيروت إلى جانب صور المذبحة كما عرضتها المحطات التلفزيونية إلى كسر جدار الصمت الذى لف قادة اليهود الأمريكيين .

كان آرثر هيرتزبيرج أول من استهل الهجوم على حكومة بيجين، حيث نشرت له مجلة نيويورك تايمز فى الأسبوع التالى للكشف عن مذبحة صبرا وشاتيلا مقالاً لاذعاً بصفحة المحرر ضد سياسات بيجين وشارون تحت عنوان "بيجين يجب أن يرحل"(٣٠). بعده طالب كل من هوارد سكوادروم المحامى الشهير بنيويورك، والحاخام ألكسندر شيندلر، وكلاهما ترأس مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الكبرى، بتأليف لجنة مستقلة للبحث فى الأسباب التى قادت إلى وقوع هذه المذبحة، وفى إسرائيل قامت مظاهرة من ٤٠٠ ألف شخص (حوالى ١٠٪ من تعداد السكان) مطالبة بإجراء التحقيق اللازم .

تحول آرثر هيرتزبيرج الذى كان نائباً لرئيس المؤتمر اليهودى العالمى بسرعة شديدة ليصبح أشد منتقدى بيجين نشاطا ودأباً بين الأمريكيين، وكان يقول لمستمعيه خلال الخطب التى يلقيها وعبر مقالاته التى ينشرها فى المطبوعات اليهودية "أنا لست فرداً ضمن أقلية منشقة، بل هو بيجين الذى يعيش ضمن أقلية هنا وفى إسرائيل". كتب أيضا فى مجلة فورين أفيرز ومجلة نيويورك للكتب مطالباً بالعودة إلى قرار الأمم المتحده الخاص بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود كحل للصراع العربى الإسرائيلى،

واتهم شارون بأنه قام بغزو لبنان كجزء من مخططه لإهارب فلسطيني الضفة الغربية لكي يسهل على حكومة إسرائيل القيام بضمها إليها، وأكد أيضًا أن استمرارها في احتلال الأراضي العربية سيجعل حل القضية الفلسطينية مستحيلا[٣١] .

انضم الحاخام شيندلر الذي كان في يوم من الأيام من أكثر قادة اليهود الأمريكيين ولاءً لبيجين إلى قائمة مهاجميه، فعندما سافر إلى تل أبيب في شهر أكتوبر عام ٨٣ طالبه بالتخلص من شارون وزير الدفاع، ولم يكتف بذلك بل كرر مقولته مرة أخرى عبر شاشة التليفزيون الإسرائيلي. نقل عن بيجين أنه قال للحاخام "إنه يعتبره أمريكيًا أكثر مما هو يهودي" ووصفه أحد معاونيه بأنه "خائن للعهد"، لذلك حرص شيندلر بعد عودته إلى نيويورك أن يعلن بوضوح أن أيام انصياعه الأعمى للسياسة الإسرائيلية مضت إلى غير رجعة[٣٢]. لم يكتف شيندلر بذلك، بل ردد في مقابلة مع مجلة نيويورك انتقادًا سمعه من موشي شاريت رئيس وزراء إسرائيل الأسبق أن اليهود الأمريكيين كانوا يعامَلون معاملة الأبقار التي لا نفع من ورائها إلا أن تدر الألبان، وأضاف "لقد استخدمونا كأبقار، كانوا يحلبون ألباننا للحصول على الدعم المادي والأخلاقي، ومن أجل التأثير الذي يمكن أن نحدثه في واشنطن. وعندما انتهت مهمتنا سرّحونا في المراعي. من الإنصاف القول إننا عوملنا باحتقار، وإننا سرنا الطريق كله طواعية. أما وقد عبرنا المستنقع فتتواصل انتقاداتنا بلا وجل، وستزداد"[٣٣] .

تحول شيندلر الذي أحال سنوات حكم جيمي كارتر جحيمًا إلى مناوئ لبيجين، وانضم، بعد أن انتهت فترة رئاسته لمؤتمر الرؤساء، إلى هيرتزبيرج في هجومه العلني ضد رئيس الوزراء الإسرائيلي. هاجم شيندلر أثناء خطاب عام له في دينفر أمام جمع من أعضاء اتحاد الطوائف العبرية الأمريكية غزو إسرائيل للبنان باعتبارها "المرة الأولى التي تخوض فيها حربًا دون أن تكون معرضة للعدوان المباشر". وأعلن في الوقت نفسه معارضته الشديدة لضم أراضي الضفة الغربية مؤكدًا أن ذلك سيؤدي إلى "تآكل الشخصية اليهودية للدولة العبرية" وبالتالي إلى تمزيق أوصال يهود العالم. تطرق شيندلر قبل نهاية خطابه إلى قضية طالما أرقت الجماعة اليهودية الأمريكية "هل من الأمور الطبيعية في أحوال محددة أن نختلف مع زعيم بعينه أو مع سياسة حكومة

معينة؟ "وأجاب هو نفسه بنعم مضيفًا أن النقد الذى يوجه إلى سياسة معينة تنتهجها دولة إسرائيل لا يعنى بالضرورة أنه يقلل من حجم التأييد الذى تحظى به .

يعترف الزعيم الإصلاحى الآن أن المهمات الخاصة التى كثيراً ما قام بها بصفته رئيسًا لمؤتمر الرؤساء كانت "غير جديرة بالاحترام" ، ويقرر فى الوقت نفسه أن النقد العلنى لإسرائيل مطلوب، ويلخص وجهة نظره قائلا "لا بد أن تعثر الجماعة اليهودية الأمريكية باعتبارها أكبر طائفة يهودية فى العالم على وسيلة اتصال مع إسرائيل تكون أكثر انفتاحاً وأكثر صدقا لأننا لا نخدم سبب وجودها عندما نضطر إلى مراقبة آرائنا أو نكبتها أو نضفى عليها مظهراً غير سوى". لم يكتف شيندلر بذلك ، بل اقترح تأسيس برلمان يجمع اليهود الذين يمكن أن يجبروا إسرائيل على الالتفات إلى ما يطرحه يهود الشتات من آراء وانتقادات، وطرح أيضا فكرة أن يلتقى اليهود من أعضاء مجلسى النواب والشيوخ بشكل دورى مع ساسة إسرائيل لمناقشة حقائق السياسة الأمريكية [٣٤]. وحذر شيندلر الرأى العام اليهودى قائلاً "أتنبأ أنه إذا حاول قادة إسرائيل أو المؤسسات اليهودية الأمريكية أن يقمعوا النقد النزيه، وأن يلطخوا سمعة المنتقدين أن يؤدى ذلك إلى سلب الشعب اليهودى قوته الروحية وإلى إصابة قضية وجود إسرائيل نفسها بأضرار لا طاقة لها بها"، وأكّد من ناحية ثانية أنه حتى إذا تحقق هذا الأمر "فلن تعود العلاقة بين إسرائيل والعالم اليهودى أبدًا إلى ما كانت عليه قبل غزو لبنان" .

برغم كل ما أقدم عليه شيندلر وغيره إلا أنهم لم يدركوا سوى نصف الحقيقة فقط، فالبرغم من تزايد أعداد اليهود الأمريكيين الذين أبدوا استعداداً لنقد سياسات بيجين إلا أنهم ظلوا يفضلون أن يتم ذلك فيما بينهم ، وكانوا يصرون على معارضة من يتحدث عن هذه الأمور على الملأ ، وعلى مهاجمة أى سياسى يجرؤ على ترديد الانتقادات المتعارف عليها التى توجه إلى بيجين سواء فى أمريكا أو فى إسرائيل.. كان هذا يجرى فى أمريكا بينما بيجين مصمم على السير فى خطه السياسى مما جعل اليهود الأمريكيين بما فيهم منظمة إيباك يتابعون تصرفاته بشىء من القلق .

يقول أحد المطلعين بعمق على مخططات ممارسة الضغط لصالح إسرائيل "كان بيجين كارثة كبرى بالنسبة لإسرائيل ومشكلة حقيقية لمنظمة إيباك"(٣٥) من ناحيته لم ينس لقادة اليهود الأمريكيين تأييدهم لحزب العمل وأنهم تجاهلوه لعدة عقود باعتباره رمز الجناح اليمينى الذى يمثل تهديدا لحلم بن جوريون بإقامة الدولة اليهودية ، ولكنه كان بحاجة ماسة إليهم، ومن ناحيتهم كان هو رئيس وزراء إسرائيل الذى يجب التعامل معه. كان على الطرفين أن يقبلا بالتعامل فيما بينهما على كره منهما، يقول توماس دين "بيجين يرانا نحن يهود أمريكا جبناء، وكنت أقضى معظم الوقت معه أجادله حول هذه الفكرة"(٣٦) .

كان توماس دين يعلم أنه لن يخرج رابحًا من مجادلاته مع بيجين، ويعرف أيضًا أنه لا يستطيع علانية أن يفك علاقته مع حكومة إسرائيل ويبقى فى ذروة نشاطه (وبالتالى فى منصبه مديراً لمنظمة إيباك) لفترة طويلة. الكل يعرف أن قادة اليهود الأمريكيين ما هم إلا وسطاء نافعون ونشطاء فى ممارسة ضغوط سياسية لحساب حكومة إسرائيل (ولحساب أمريكا) ما داموا ينعمون بتأييد حكومة الدولة اليهودية، كما يعرفون أن المواقف الرسمية التى تتخذها منظمة إيباك تحت إدارة دين ومن قبله أميتاى لا تمثل رأيًا فى السياسات الإسرائيلية لأنها "منظمة أمريكية" لا يحق لها إلا تأييد "الحكومة المنتخبة فى إسرائيل" .

كان هذا الموقف من منظمة إيباك مفهوما لأنها المنظمة الوحيدة المسجلة رسميًا لممارسة الضغط السياسى لحساب إسرائيل، ولكن العواقب التى نجمت عنه أحدثت اضطرابات كثيرة لليهود الأمريكيين وللسياسة الخارجية الأمريكية على حد سواء. فبسبب تأييدها لسياسات بيجين أبعدت نفسها عن أهم قضية إسرائيلية تهم يهود الشتات، ونعني بذلك مناقشة حق إسرائيل فى أن تغامر بنظامها الديمقراطى والملامح الخاصة للدولة العبرية وتقوم بضم الضفة الغربية وقطاع غزة إليها أم لا. الأكثر من ذلك أن وصمها لكل من ينتقد سياسات بيجين سواء كان مطلعا أو عضواً بمجلس الشيوخ بأنه "عدو لإسرائيل" جعلها تبدو فى صورة من يخنق النقاشات التى من المفترض أنها تدعم الديمقراطية الأمريكية وسياستها الخارجية .

قال بيجين لآرثر هيرتزبيرج عام ١٩٧٧ إن التفويض الذى جاء به إلى الحكم يقوم على "إصلاح ما افسده تسعة وعشرون عاماً من التعليم الذى أفرزته الصهيونية الفاسدة"، وقد نجح فى ذلك لدرجة أنه جعل من منظمة إيباك أنشط مدرسيه الأمريكيين. فى الوقت الذى كان بعض قادة اليهود الأمريكيين يتمنون فيما بينهم أن يتحول رئيس الوزراء الإسرائيلى إلى الشخصية المعتدلة أو أن يختفى من فوق المسرح السياسى كما كانوا يأملون، كانوا يعلنون تأييدهم التام لإسرائيل، وبالتالى لسياسات مثل ضم الأراضى العربية ورفض المفاوضات التى لم يكونوا مرتاحين إليها أبداً. عندما تولى بيجين المسئولية للمرة الثانية كان يسعى إلى تحويل اليهود الأمريكيين إلى صهيونيين إصلاحيين ، وهو الحلم الذى لم يخطر على بال مرشده الروحى جابوتنيسكى أن يحققه، المهم فى الأمر أن الأمريكيين لم يكونوا على علم بما يجرى حيالهم. جاءت الصدمة عندما اكتشفوا أنهم بتأييدهم سياسات حكومة بيجين لم يكونوا يدعمون إسرائيل، فقط، وإنما يدعمون أيضا رؤية مستقبلية محملة بأفكار أيديولوجية يعارضها مئات الآلاف من الإسرائيليين، وسياسيّو حزب العمل الذين أيدهم غالبية اليهود الأمريكيين منذ إعلان قيام الدولة اليهودية .

كان من بين العاملين فى منظمة إيباك ومن بينهم توماس دين نفسه، من يشعر بالقلق - مثل العديد من الإسرائيليين - حيال إمكانية أن تتحول إسرائيل إلى دولة علمانية لليهود والعرب ، أو دولة متعددة الأعراق فى الشرق الأوسط على نظام جنوب أفريقيا. كانت المفاضلة بين الأمرين تضع إيباك فى موقف شديد الصعوبة، فإذا أقدمت على معارضة بيجين فإنها بذلك تخاطر بفقدان وظيفتها كمدافع بولاء عن إسرائيل، أما إذا اختارت تأييد إسرائيل فإنها تأمل أن لا يلاحظ أحد ما يجرى، وربما تولى حزب العمل الحكم وأمر بتجميد بناء المستوطنات وأسرع بإجراء المفاوضات مع العرب .

قررت إيباك أن تساند إسرائيل سواء كانت على خطأ أم على صواب ما بقى بيجين فى الحكم، وأن تخطط فى الوقت نفسه لبناء إستراتيجية تدفع اليهود الأمريكيين واعضاء الكونجرس إلى قبول ما تقوم به حكومة بيجين. بدأت إيباك خطواتها من قبل أن يبدأ إستراتيجيو إسرائيل السياسيون والعسكريون فى إعداد خرائطهم لاستيعاب الضفة الغربية وما سينتج عن صراع عربى إسرائيلى محتمل بسببها من نتائج، وهو

ما أطلق عليه توماس دين "الحرب من أجل السيطرة على واشنطن". كانت هذه الخطة تتطلب من إيباك أن تقوم بتجنيد آلاف المتطوعين الذين كان عليها أن تبحث عنهم بين التجمعات اليهودية فى طول البلاد وعرضها ، هذه التجمعات التى سبق أن تحولت إلى الصهيونية، والآن جاء دورهم كأمريكيين لأن يتسيسوا دفاعًا عن قضية إسرائيل بقيادة إيباك .

منحت الأحداث التى شهدها الشرق الأوسط "أعداء إسرائيل" الذخيرة الكافية التى لم يحصلوا عليها من قبل فى معركتهم الدعائية ضد الدولة اليهودية لكى يبرهنوا لصناع السياسة الأمريكية أنها (إسرائيل) هى التى ترفض السلام وليس العرب. هنا ظهر دور إيباك : أن تحافظ على الدعم الأمريكى لإسرائيل، وأن تزيد من حجمه برغم الجفوة التى بين الطرفين بسبب بيجين، فلجأت إلى أكبر كذبة حبكتها خلال عام ١٩٨٣/٨٢ حين أشاعت على مستوى الولايات الأمريكية كلها أن ريجان وبيجين يمكن أن يتفقا - بالرغم من الخلافات التى جرت بينهما فى الشرق الأوسط خلال العامين الماضيين - حول أهمية إسرائيل كركيزة إستراتيجية لأمريكا فى المنطقة. ومن ثم عمدت إلى تقوية هذه الفرية بالحقائق والأرقام والتحليلات الأكاديمية التى يمكن أن تحولها إلى دراسات ونظريات تصلح للحصول على درجات الدكتوراه العلمية أكثر من كونها رؤية فى السياسة الخارجية .

رسمت إيباك خطتها ليس بهدف هزيمة العرب فقط، وإنما أيضًا لدحر فئة المستعربين ، كما كان أعضاء جماعات الضغط الموالية لإسرائيل يطلقون على خبراء الشرق الأوسط فى وزارة الخارجية وحلفائهم المنتشرين فى عدد من الجامعات والمؤسسات ومراكز البحوث المستقلة فى أنحاء أمريكا. أما ما يطلق عليهم "جماعات الضغط العربية" التى تكونت على نسق الجماعات اليهودية المماثلة بقيادة الرابطة القومية للعرب الأمريكيين ، والعصبة العربية الأمريكية لمناهضة التمييز ، والسفارة السعودية ، فلم يكن لها شأن كبير لأنها لم تكن ذات جذور قوية، كما لم يكن لها لجان عمل سياسى تتبعها. بالرغم من ذلك كان يبدو أن لدى المستعربين هؤلاء نوع من القوة على الأقل من وجهة نظر منظمة إيباك، والدليل على ذلك الاستعدادات الهائلة التى جيشتها للدخول معهم فى معركة .

صممت الحرب لتكون فى الشوارع.. حرب دعاية ، وكان الشعار الازدرائى الذى رفعته إيباك يقول: نحن ننطق الصدق أما أعداؤنا فينثرون الدعاية"، الملاحظ أن الكلمة اللاتينية التى تعنى "دعاية" فى هذه الجملة مرتبطة بالدين إلى حد ما. فى الأزمنة القديمة عندما أرادت مؤسسة الكنيسة أن تحمل كلمة الرب إلى العالم أجمع كوّنت لجنة أطلقت عليها "لجنة الدعاية من أجل الإيمان"، الشعار يوحى إذن بأن الأمر الذى كانت تستعد إيباك لمحاربته هو الإيمان !! .

كان توماس دين بحكم خلفيته كطالب جامعى وباحث فى كلية كيندى بجامعة هارفارد ومركز بروكينز يعرف قيمة البرهان الموثق، من هنا كان على ثقة تامة من سيطرة مؤلفى الكتب ومعدى الأوراق البحثية وكتّاب المذكرات والدارسات على أفكار صانعى السياسة الذين يقرأون مؤلفاتهم بعناية شديدة.. صناع السياسة إذن فى حاجة ماسة إلى الحجج والبراهين، من هنا جاء تقديرهم البالغ لمعدى هذه الوثائق. لذلك حرص بعد توليه مسئولية إدارة إيباك أن يستفيد من خبرات اثنين من المتخصصين فى شئون الشرق الأوسط المتعاطفين مع النشاطات الضاغطة التى تقوم بها منظمته: الأول هو ستيفن جيه. روسن الحاصل على درجة الدكتوراه، والذى سبق له العمل بمؤسسة راند، والثانى هو الأسترالى الجامعى الشاب مارتن إنديك الذى كتب باستفاضة حول الصراع العربى الإسرائيلى .

شرح مارتن إنديك المخطط فى مقابلة صحفية قائلا "كانت الإستراتيجية التى وضعها توماس دين تتطلب من المنظمة اليهودية الأمريكية الأولى التى تدعم إسرائيل أن تقوم بابتكار أيديولوجية دعائية، وأن تعمل على تطويرها بالأبحاث التى تساندها، لأن المستعربين يحاولون أن يسلبونا شرعيتنا تمامًا، كما يحاولون سلب الدولة اليهودية شرعية وجودها بالادعاء أنها عبء على مصالح أمريكا. إنهم يحررون الدراسات، ولكن الرأى العام لا يلقى لهم بالاً، وعلينا أن نصرعهم بالأفكار والحجج"[٣٧] .

كانت إسرائيل تمثل من وجهة نظر تقليدية بحتة بالنسبة لسياسيىٍّ أمريكا "حالة من حالات الإحسان الخيرية" التى يقدمَ فيها الدعم وفق التزامات أخلاقية وإنسانية تجاه مجموعة من الرواد الديمقراطيين الذين يحاولون تأسيس حياة جديدة متحررة من

المعاداة للسامية فوق أرضهم. كان شعور الأمريكيين بالإثم بسبب ما تعرض له هؤلاء الرواد من مذابح جماعية حاضراً دائماً، ولكن بعد عام ١٩٦٧ زاد الحديث حول إمكانية تعرضهم لمذابح جديدة على يد العرب حتى أصبح الأمر يعشش في مخيلة الغالبية. عزز من هذه النظرة الواسعة الجهل المؤسف بأحوال العالم العربي بين بعض أعضاء مجلس الشيوخ ، وما إذا كانت إسرائيل تستطيع التعامل معه أم لا تستطيع، وكانت النتيجة المباشرة لهذه الحالة المركبة سياسة أمريكية يؤثر فيها: الشعور بالذنب، والمشاركة الوجدانية، والعاطفة، وبعض الحقائق الأخرى، والجدل المفتوح .

قامت الحملة الدعائية على دعوة لمناقشة أن أمريكا تحتاج لإسرائيل أكثر مما تحتاج إسرائيل إليها، المقولة فى حد ذاتها جدلية ولكنها قابلة للنقاش. الوجه الإستراتيجى لإسرائيل لا يراه كل رؤساء أمريكا من الزاوية نفسها ، لكنه بالنسبة لرونالد ريجان الكاره للسوفيت كان أمراً حيوياً. قال ريجان مرة أثناء حملته الانتخابية التى أتت به إلى البيت الأبيض "إسرائيل هى الديموقراطية الوحيدة المستقرة فى هذه البقعة من الأرض التى يمكن أن تدور فوقها معركة بين الخير والشر، إننا نحتاج إلى حليف فى هذه المنطقة، ويجب علينا أن نمنع السوفيت من النفاذ إلى داخل الشرق الأوسط. لقد نجحت إدارة نيكسون فى إبعادهم عن المنطقة ، وإن لم تكن إسرائيل هناك كان لابد أن نكون نحن هناك"(٣٨) .

كان المستعربون يحاولون أن يصوروا إسرائيل على أنها عبء على المصالح الأمريكية فى المنطقة، لذلك أدارت إيباك النقاش لإثبات أنها "عامل إستراتيجى هام" وأنها تستحق المساعدات التى تحصل عليها من الإدارة الأمريكية ليس كمعونة خيرية، وإنما كجزء من تكاليف استقرارها (أمريكا) السياسى وما توفره لها من قدرات حربية واستخباراتية. تدفع أمريكا لإسرائيل مقابل هذه الخدمات أكثر قليلاً من بليونى دولار سنوياً الجانب الأكبر منها قروض غير قابلة للاسترجاع، وبالرغم من ذلك يعد الأمر فى شكله النهائى، كما حاولت إيباك أن تؤكد، صفقة رابحة لأمريكا. أتى اعتراض بعض الإسرائيليين على هذه المنهجية ليس من ناحية قيمة المعلومات التى تريد إيباك تسريبها إلى أصدقائها فى مجلسى الشيوخ والنواب، بل لأن حزب العمل الذى يعارض " اتفاق التعاون الإستراتيجى "يقلقه أن تنظر أمريكا إلى إسرائيل كقوة انتشار سريع فى المنطقة

مما يجعلها قابلة للتورط فى السياسة الخارجية الأمريكية أكثر مما ينبغى خصوصا فى ضوء التشجيع الذى يوفره بيجين لمثل هذه الخطوة. فى الوقت الذى عملت فيه إيباك على أن يستخلص صناع السياسة الأمريكية بأنفسهم أن بعض ساسة إسرائيل ومن بينهم أعضاء فى تحالف الليكود الحاكم يعتقدون أنه من الأفضل لإسرائيل أن تتوقف على المدى الطويل عن الاعتماد على المعونة الأمريكية (من أى مصادر أخرى يمكن أن تبنى إسرائيل اقتصاداً مستقلا؟)، كانت تواصل ضغطها من أجل استمرار تدفق المعونات إلى إسرائيل .

وفَّر التزام بيجين بدعم الفكرة القائمة على أن إسرائيل ركيزة إستراتيجية الفرصة لأى جماعة موالية لإسرائيل تعمل بشكل يومى بالقرب من مناحيم بيجين على مستوى قمة الهرم فى تل أبيب، أن تحد بعض الشىء من نزواته غير المتوقعة ، لأن الأمر الوحيد الذى يمكن أن يسهل على إيباك أداء مهمتها على خير وجه هو أن تصبح إسرائيل حليفا حقيقياً لأمريكا بموجب وثيقة موقعة. ألم يقل رونالد ريجان فى واحدة من خطبه الانتخابية "إننا نريد أن يكون لنا حليف فى هذه المنطقة". لقد أوشك حلم منظمة إيباك أن يصبح ممكنا، فليس هناك وسيلة أفضل من إجبار العرب على الاعتراف بحقيقة إسرئيل إلا أن تظهر فى الصورة كحليف إستراتيجى لأمريكا المانح الأكبر للمعونات الخارجية لكلا الطرفين وليس كعدو لهم .

يقول توماس دين "هناك نظريتان لإقناع العرب بالجلوس إلى مائدة المفاوضات: الأولى أن تبتعد أمريكا عن إسرائيل وتتعامل مع العرب . والثانية أن تتوثق الصلة بين أمريكا وإسرائيل بحيث يقتنع العرب أنه ليس فى مقدورهم التغاضى عن علاقة الصداقة بين الطرفين بحيث إذا أرادوا أن يكونوا قريبين من أمريكا فلا بد لهم أن يتعاملوا مع إسرائيل، لذلك فإن الهدف الأساسى لنا هو أن تتوثق الصلة بين أمريكا وإسرائيل على مستوى الشرق الأوسط"(٣٩) .

بالطبع كانت النظرية الثانية هى الأفضل من وجهة نظر إيباك، لذلك عملت على تعزيزها ولكنها أتت بنتائج عكسية، فبدلاً من إجبار العرب على القبول بالاشتراطات الإسرائيلية أبعدهم الاتفاق الإستراتيجى الحميم بينها وبين إدارة ريجان مسافة عن

أمريكا مما عرض دورها كوسيط محتمل فى عملية السلام الشرق أوسطية للخطر. كان الاتفاق الإستراتيجى يعنى ، من وجهة نظر إيباك ، وضع كل أوراق المفاوضات الإسرائيلية فيكفة أمريكا فهل تغير المنظمة من تكتيكها لأن العرب لم يهرولوا للتباحث مع إسرائيل؟ . يقول توماس دين "عندما يجىء وقت جلوس إسرائيل مع العرب حول مائدة التفاوض سيكون الكثير من العوامل فى كفة ميزانها، فإذا اضطرت إلى التنازل عن بعض اشتراطاتها عندئذ لن يكون الأمر صعباً عليها"(٤٠) .

دأبت إيباك منذ عام ١٩٨٢ على نشر مجموعة من دراسات الموقف التقديرية التى يقوم بتحريرها روسن، وتركز على القيمة الإستراتيجية لإسرائيل بالنسبة لمصالح أمريكا فى الشرق الأوسط، وكانت كل نشرة مذيلة بعدد هائل من المراجع القيمة للتدليل على أهميتها. حملت كل دراسة عنواناً ملفتاً مثل: إسرائيل وسلاح الجو الأمريكى. إسرائيل والقوات البحرية الأمريكية.. إلخ، وكانت كل منها تتضمن براهين قاطعة على امتلاك إسرائيل لعناصر الإستراتيجية التى يمكن أن تقدمها لأمريكا فى هذه المنطقة (٤١). الملفت للنظر أنه عندما أثيرت أهمية إسرائيل الإستراتيجية لم يناقش أحد ما أقدمت عليه من أفعال أضرت بالمصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط خلال عامى ٨١ و٨٢ ، كما لم يفكر أحد فى الحقيقية التى تقول إنه مادامت إسرائيل تشعر بالتهديد ومادام السلام لم يتحقق فى الشرق الأوسط.. فلن تعمل إسرائيل إلا من أجل مصالحها الخاصه فقط .

تؤكد واحدة من الدراسات التى أصدرها روسن لحساب إيباك بعنوان "القيمة الإستراتيجية لإسرائيل" أنها توفر لأمريكا أربع مميزات ضد أى عدوان يقوم به الاتحاد السوفيتى هى:

١ - موقعها الجيوستراتيجى فى منتصف الطريق بين أوروبا والخليج الفارسى يوفر لها القدرة للتحرك على ثلاث مسارح للعمليات هى منطقة الخليج، ومنطقة البحر المتوسط، والجبهات الجنوبية والوسطى لحلف الناتو .

٢ - الاستقرار السياسى لنظام ديمقراطى غير معرض للانقلابات أوالثورات مثل الدول العربية المجاورة .

٣ - ثقة سياسية يمكن الاعتماد عليها حيث المصالح الإستراتيجية الإسرائيلية والقيم التى يحافظ عليها شعبها تتحالف على طول الخط مع العالم الحر، على عكس الأصدقاء العرب الذين يمكن أن يصبحوا غداً حكاماً سابقين .

٤ - إسرائيل هى الدولة الوحيدة التى تتمتع بنظام سياسى وتكنولوجى متقدم فى المنطقة كلها[٤٢] .

شكلت هذه الدراسات قفزة نوعية فى مجال الجهود المعلوماتية التى تقوم بها منظمة إيباك لخدمة إسرائيل، خاصة وأنها لم تكن توزعها على أعضائها، بل توفرها لعدد محدود من صانعي القرار فى البيت الأبيض ووزارتى الخارجية والدفاع. تحدث هذه الدراسات الخبراء أو المستعربين فى عقر دارهم ؛ حيث وفَّرت معلومات كثيفة حول أمور يبدو من الصعب تغطيتها بالرغم من أن الأخصائيين فى حاجة ماسة إليها. تقول إحدى الإحصائيات: يوجد فى مستشفيات إسرائيل ٦ر٤ سرير لكل ألف من سكانها، أما فى مصر فيوجد ٦٤ر٠ سرير لنفس العدد من السكان[٤٣]. تقول إحدى الدراسات أيضًا" باختصار توفر أعداد الدبابات التى تمتلكها إسرائيل للقوات الجوية الأمريكية إمكانية ارتداد مأمونة من مسرح عمليات الخليج، وقدرة على التعامل مع كافة الاحتمالات التى يمثلها مسرح عمليات البحر المتوسط[٤٤] .

فوق كل ذلك وسع مفهوم الأهمية الإستراتيجية لإسرائيل من الادعاءات الصارخة المناهضة للاتحاد السوفيتى على مستوى العلاقات العامة، فبينما كانت إيباك تلون حججها المتعلقة بتقييم إسرائيل وأهميتها لدى المتشددين من صنّاع القرار بمسحة رومانسية، كانت تسعى فى الوقت نفسه لإقامة جبهة موالية لها مع جناح أقصى اليمين الأمريكى الذى كانت ارتباطاته المحدودة معها لا تؤثر فى حجم الدعم التقليدى الحكومى الذى تحظى به الدولة اليهودية. يشرح أحد المتعاونين السريين مع إيباك هذه السياسة قائلا: .

" تشير الدلائل إلى أن إسرائيل تنوى الاحتفاظ بالضفة الغربية لفترة طويلة آتية، هذا الأمر لا يشغل بال توماس دين كثيراً، أما ستيف روسن فيرى له أهمية لأن تنامى فكرة ضم الضفة أضرّ بسمعة إسرائيل الأخلاقية التى يجلها الأمريكيون ويعجبون بها.

الفريق المضاد لإيباك يلعب بورقة الحقوق الإنسانية للفلسطينيين التى تلامس وترًا حساسًا لدى الأمريكيين ، فإذا أضفنا إلى ذلك ما يشاع من أن اليسار اليهودى قد أهمل جانب إسرائيل بعد غزوها للبنان واحتلالها للضفة الغربية، وجدنا أننا لا بد أن نتجه إلى المحافظين الجدد. إننا نريد أن نوسع دائرة الدعم الذى تلقاه إسرائيل ناحية اليمين مع هؤلاء الذين لا يعنيهم فى كثير أو قليل ما يجرى فى الضفة الغربية لأن جل اهتمامهم منصب ناحية ما يحدث داخل الاتحاد السوفيتى"[٤٥] .

من بين اليمين هذا ملايين الأمريكيين البروتستانت المتشددين الذين يدعمون إسرائيل من منطلق أنها مفتاح نجاة الولايات المتحدة الأمريكية سياسيًا وروحيًا !! خاصة وأن الغالبية منهم تؤمن بدولة اليهود على اعتبار أنهم "شعب الله المختار"، وتنبع التزاماتهم تجاهها من اعتقادهم المتين أن إعادة تأسيسها ما هى إلا تحقيق لنبوءة توراتية صادقة. أما شديدو الإيمان من بينهم فيؤيدون ضم إسرائيل للضفة الغربية لاعتقادهم الراسخ أن إعادة بناء أرض إسرائيل كما أشارت إليها التوراة يوفر إشارة مؤكدة على عودة السيد المسيح الثانية.. وهو أمر يحظى بشجن إيمانى بينهم .

تبنى بيجين هذا التيار البروتستانتى الذى أطلق أفراده على أنفسهم "المسيحيون الصهاينة" ونجح فى تقوية العلاقة بينهم وبين إسرائيل عندما منح جيرى فالويل، أبرز قادتهم وزعيم الأغلبية الأخلاقية، جائزة جابوتينسكى التى لا تُمنح إلا لمن أدوا خدمات جليلة لدولة إسرائيل. كان قد سبق لبيجين أن وصف هذا الزعيم بأنه "الرجل الذى يمثل ٢٠ مليون مسيحى" فى أرض يعيش فيها ٦ ملايين يهودى، ذلك برغم أنه من الصعب العثور على إحصاء يبين بدقة عدد أتباع جيرى فالويل أو مناصريه من الإنجيليكيين . تقول بعض التقديرات إن تعداد الإنجيليكيين يبلغ حوالى ٣٠ مليونًا، ولو أضفنا إليهم ٢٠ مليون بروتستانتى متشدد لأصبح أتباع هذا الرجل أكثر من ٥٠ مليون أمريكى، وربما يكون أدق التقديرات هو عدد المشاهدين الذين يتابعون بشغف فالويل وغيره من مقدمى البرامج التليفزيونية التى أطلقت عليها مجلة تايم "برامج الصلاة". تدل دراسة مسحية قام بها معهد نيلسون عام ١٩٨٥ لتحليل هذه البرامج التى يقدمها نخبة من الإعلاميين الأمريكيين من أمثال جيمى سواجرت و جيم بيكر وأورال روبرتس وبات

روبرتسون على أن عشرة برامج فقط من بين ٦٢ برنامجًا دينيًا هى التى تصل إلى ٦١ مليون أسرة، أما شبكة إذاعة بروتسون المسيحية فتصل إلى ٢٨ مليون بيت. وتفيد إحصائية أخرى أن عائد أرباح مغامرات فالويل المسيحية العام الماضى بلغ ١٠٠ مليون دولار فى الوقت الذى حصل فيه سواجرت على إعانة قدرها ١٤٠ مليون دولار، مشاهدو هذه البرامج غالبًا ما يُدلون بأصواتهم فى الانتخابات وفق النصيحة التى يرددها عليهم مقدموها(٤٦) .

كان بيجين توّاقًا لأن يحتضن أكبر عدد من الداعمين الأمريكيين، وبالذات إذا كانوا من غير اليهود، وحبذت إيباك الفكرة، وسارعت بتعيين موظف دائم بين صفوفها سبق أن كان مسئولاً عن المساعدات القانونية وعلى صلة وثيقة بالأصوليين البروتستانت. بعد فترة وجيزة أصبحت الجماعة الضاغطة داخل مجلسى النواب والشيوخ تهتم برعاية "إفطار الصلاة" الذى يشارك فيه متشددون مثل سواجرت وروبرتسون بتقاسم الخبز مع حاخامات واشنطن المحليين والسفير الإسرائيلى ، ومعهم بالطبع خريج رابطة السلام و"كلية كيندى المتحررة" توماس دين .

عادت هذه العلاقة الجديدة على عشرات الملايين من المسيحيين الصهاينة بالفائدة ، لكن بقيت أمامهم مشكلة كبيرة تتعلق بالجانب الصهيونى وهى أن إسرائيل الكبرى (بعد ضم الضفة الغربية) تعنى بالنسبة لهم وسيلة لعودة السيد المسيح الثانية، ولكى تتحقق هذه العودة لا بد أن يعتنق اليهود المسيحية. فضّلت القوى الموالية لإسرائيل وتحالف الليكود إهمال هذه النقطة اللاهوتية وعدم التركيز عليها، مما جعل موشى دايان الذى تربى فى أمريكا يتساءل يومًا "ماذا يُتوقع منا أن نقول لهذه الملايين من الأمريكيين البروتستانت الذين يدعمون إسرائيل بقوة؟"(٤٧) .

قال ناثان برلموتر مدير منظمة بنَاى بنْرت ردًا على هذا السؤال وعلى غيره من الاستفسارات التى كانت تطرح حول طبيعة التقارب مع موالين جدد لإسرائيل من الأمريكيين الذين لم يكونوا تقليدًا من المتفاهمين مع اليهود حول مسائل مدنية مثل الحقوق المدنية، والمعترضين على الصلاة فى المدارس والمؤيدين لعمليات الإجهاض "احمد الرب ثم اسع لتحقيق مصلحتك"(٤٨) .

ارتكزت نظرة إسرائيل الذرائعية إلى المنطقة المشتركة بينها وبين المسيحية الصهيونية على مواطن الشك.. مثال على ذلك أن ما كان يقوله لينى ديفيذ الرئيس السابق للبحوث بمنظمة إيباك، والذى يدير حاليا مركزًا للاستشارات السياسية فى القدس توصيفًا للتحالف بين اليهود والبروتستانت كان صدى لما يقول به المتشددون من الصهاينة. كان يقول "بكل تأكيد ما أسمعه من هؤلاء الموالين الجدد هراء فى هراء، ولكن فى سبيل رؤية المسيح وهو يعبر التل أمامى أنا على استعداد لاكتساب أكبر عدد من الأصدقاء لإسرائيل، وسأترك الاختلاف حول قضايا مدنية مثل صلوات المدارس والإجهاض ومناهضة السامية لمنظمات مثل إيباك وبئناى بئرت". رغم هذه الكلمات المتشددة لم يتطرق ديفيذ إلى نقطة جوهرية متضمنة بين طيات العقيدة الصهيونية، وهى أنه إذا بلغت الأمور بالنسبة لليهود الأمريكيين درجة السوء الأخيرة فربما تحولوا إلى صهاينة أتقياء ونقلوا متاعهم إلى إسرائيل .

ظلت دائرة اهتمام منظمة إيباك محصورة فى الجماعة اليهودية الأمريكية، خاصة وأن معركة التصويت على بيع طائرات الأواكس أمدتها بأفضل دعاية للتطوع إلى جانبها فى "الحرب من أجل واشنطن" ومن أجل "مكافحة أعداء إسرائيل" الذين يزدادون قوة يومًا بعد يوم. يقول توماس دين فى مقدمة نشرة إيباك الثالثة فى سلسلة كتيبات الحملة من أجل التعريف بإسرائيل التى صدرت فى عام ١٩٨٣ والتى شارك فى تحريرها روسن : إن الهدف من هذه المطبوعة هو تعريف أعضاء المنظمة بأحدث نشاطات التجمعات والأفراد المعادين لإسرائيل "وتحليل نقاط الضعف والقوة الفكرية والسياسية فى مواقفهم السياسية"[٤٩] .

دأبت إيباك منذ عام ١٩٧٧ على إرسال صور منسوخة من قوائم "Who's Who" السنوية التى تتضمن أسماء المنظمات والأفراد المناهضين لإسرائيل إلى حكومات تل أبيب، أما فى العام الأخير فأرسلت لها النسخة الحديثة على هيئة كتاب مشيرة إلى إنها "أكمل وأوثق تحليل للنشاطات المعادية لإسرائيل". أما سلسلة كتيبات "حملة التعريف بإسرائيل" فلم تكن سوى قوائم بأسماء الذين يقومون بانتقاد السياسة الأمريكية الإسرائيلية يستدل منها قادة اليهود الأمريكيين المحليون على المواقف السياسية لهؤلاء القادمين إلى واشنطن لمناقشة قضايا الشرق الأوسط .

مثال على ذلك : إذا دُعى جورج بول للحديث عن الصراع فى الشرق الأوسط فما على عضو منظمة إيباك إلا أن يفتح الصفحتين رقم ٩٨ و ٩٩ من النشرة ليعرف أن الضيف كان وكيلاً سابقا لوزارة الخارجية ومندوبًا لأمريكا فى الأمم المتحدة وله عدة مؤلفات ونشر بعض الدراسات التى من أشهرها تلك التى نشرت فى مجلة فورين أفيرز عدد أبريل عام ١٩٧٧ تحت عنوان "كيف يمكن إنقاذ إسرائيل من نفسها". أما القارئ النهم فسيعرف أن لبول آراء وضعتها النشرة فى السياق التالى "من الواجب التعاطف مع اليهود الذين لا وطن لهم" ولكنه يعتقد بضرورة (كما تقول كلماته) "وضع قيود مشددة على إسرائيل" وهو يرى ضرورة فرض السلام فى منطقة الشرق الأوسط. كل هذا صحيح خاصة وأن بول لا ينكر الحقائق، ولكن هل انتقاد سياسة حكومة بيجين يضع المرء فى قائمة "أعداء إسرائيل" ؟ لماذا لا يتمتع كبار الساسة الأمريكيون السابقون بنفس الحقوق التى يتمتع بها نظراؤهم الإسرائيليون عند انتقادهم لسياسات بلدهم؟.

بعض المطلعين على نشرة إيباك سمح لنفسه أن يختلف مع ما جاء فيها !! فقد ناقش أنتونى لويس كاتب الزاوية فى صحيفة ذى نيويورك تايمز الحقائق التى أوردتها النشرة عن الباحث الفلسطينى وليد الخالدى الذى يقوم بالتدريس فى جامعة هارفارد. فقد لاحظ لويس أن إيباك نقلت مقتطفات انتقائية من موضوع كان الخالدى قد نشره عام ١٩٧٨ فى مجلة فورين أفيرز أيد فيه قيام دولة فلسطينية مستقلة، بحيث أظهرته كمحرض على تدمير إسرائيل. ما أثار حفيظة الكاتب الأمريكى أن الخالدى معروف كفلسطينى بمواقفه المعتدلة، وأنه عانى كثيرًا بسبب غضبة العرب المتطرفين عليه عندما طرح عمليًا إمكانية "التعايش السلمى بين إسرائيل ودولة فلسطينية"(٥٠) .

زاد من تفجر هذه المسألة شكوك واحد من العاملين فى إيباك فيما ذكره لويس، ولما وجد المعلومات صحيحة طلب منه أن ينشر فوق صفحات صحيفته خطابا موجهًا منه إلى توماس دين يطالبه بالاعتذار للخالدى باسم المنظمة. أصر دين على موقفه المتعنت واتهم الخالدى عبر رده على الصحيفة بأنه "يريد إعادة مدينة القدس إلى عرفات ويريد أن يجعل موسكو طرفًا فى التسويات التى ستجرى بالمنطقة"، ورد لويس اليهودى الديانة أن جو مكارثى المشهور بتشويهه للأمور لا يمكن أن يقوم بتشويه

لكتابات الخالدى بمثل هذه الكيفية. أوضح لويس من ناحية ثانية أن مؤيدى إسرائيل يجب أن يرحبوا بواحد من النخبة الفلسطينية المتنورة الذى ينادى بالتفاوض بدلا من أن تعمل على تشويه صورته. الملفت للنظر أن منظمة بئناى بئرت نشرت فى الوقت نفسه تقريبًا قائمة مماثلة لقوائم إيباك بعنوان "أعداء إسرائيل" وصفت الخالدى بأنه " داعية موالٍ لفلسطين"، يقول لويس : هذه حقيقة ولكن صياغتها مبتذلة. ويتساءل ألا يعتبر كل من دين وروسن دعاةً موالين لإسرائيل كذلك؟[٥١] .

قررت إيباك فى عام ١٩٨٣ أن تكثف حملتها لمناهضة السامية فى الكليات الجامعية عن طريق استفتاء الرأى حول الأنشطة المعادية لإسرائيل التى تشهدها ساحاتها، وجعلت من الإجابات التى حصلت عليها مادة لكتيب نشرته فى العام التالى بعنوان "دليل إيباك الجامعى: كشف أسرار الحملات المعادية لإسرائيل فى الحرم الجامعى". يقول السطر الأول من الكتيب "يتعرض طلبة الجامعات الأمريكية لحملة مطردة من الهجوم اللاذع ضد إسرائيل"[٥٢]، وبرغم ذلك اعترف مؤلفوه أن الحملة لم تحظ بالتأييد الواسع فى كل مكان. يشير تقرير حول استفتاء للرأى أجراه معهد جالوب فى العام نفسه أن طلبة الجامعة يتعاطفون مع إسرائيل أكثر من تعاطفهم مع الدول العربية بنسبة ٥ : ١ وهذا يدل على زيادة فعلية خلال السنوات الأخيرة ، ويضيف التقرير أن التيار الموالى للعرب نجح فى جذب الانتباه إلى الجانب العربى "وفى تحديد المؤشرات التى من خلالها يتم النقاش حول الصراع العربى الإسرائيلى". إلا أن أكثر ما يقلق إيباك بشكل خاص فيما يتعلق بالمناقشات السياسية التى تشهدها الساحات الجامعية هو الجهود التى تبذل "لاستقدام خبراء دعائيين يستطيعون أن يلبسوا رسائلهم المتطرفه ثوبًا من المثالية، وفى بعض الأحيان يصبغون عليها رداءً من الشعرية والبلاغة"[٥٣] .

قبل ذلك بخمس سنوات قامت إيباك بتدشين برنامجها لتنمية القدرات السياسية الذى يهتم بتدريب الدارسين على فن زيادة جرعات السلوكيات المؤيدة لإسرائيل بين طلبة الجامعات على مستوى الولايات الأمريكية!!. اختارت إيباك الشاب جوناثان كيسلر البالغ من العمر تسعة وعشرين عامًا ، طويل القامة ، حسن الطلعة ، لبق الحديث ، ليكون ضابط الاتصال بينها وبين الطلاب، زعم كيسلر فى أول تقرير له أن

خمسة آلاف دارس من ٣٥٠ كلية على مستوى الخمسين ولاية انضموا للبرنامج. يساعد إيباك على تنفيذ برنامجها هذا أنها تعمل بالتنسيق مع مؤسسة هلل التابعة لمنظمة بنئاى بثرت المسجلة فى معظم جامعات أمريكا كمراكز يهودية لا تدر عائدًا ماديًا، ويرأس كل منها فى معظم الأحوال حاخام، باعتبار أن هلل مؤسسة معفاة من الضرائب أما إيباك فليست كذلك. هذا الاتصال الدائم بالجامعات جعل إيباك على علم بكل ما يتعلق بالنشاطات الموالية للفلسطينيين والمعادية لإسرائيل سواء على شكل خطب أو سلوكيات الأساتذة، كما أتاح الفرصة لكيسلر لكى يقدم للطلاب النصيحة حول كيفية التعامل مع الخطباء من واقع الملفات التى تعدها إيباك لهذا الغرض .

قامت منهجية إيباك فى الجامعات كما جربتها فى مجلسى النواب والشيوخ على الحد ، كلما أمكن ، من الاسترسال فى المناقشة ، ويوفر "دليلها الجامعى" نماذج للحملات المناهضة لإسرائيل التى تشهدها الساحات الجامعية ، كما يوضح أساليب الالتفاف على الحيل "الدعائية" مثل "إسرائيل مستبدة" أو "إسرائيل جالوتية" أو "إسرائيل ليس لها الحق فى الوجود"، وإن لم تنجح إيباك أحيانا فى وضع حد للمناقشة تقوم بإخماد أصواتها. هذه المنهجية جعلت من حملة إيباك داخل الساحات الجامعية نموذجًا موسعًا لإستراتيجيتها فى واشنطن التى تصنف أى متحدث يميل عن وجهة نظرها حيال العلاقات الأمريكية/ الإسرائيلية فورًا بأنه "مناهض لإسرائيل". من ناحية أخرى يقوم المتعاونون مع المنظمة خلال ورش العمل التى يقيمها برنامج تنمية القدرات السياسية، بتوعية الدارسين بكيفية مقاطعة المحاولات التى يقوم بها أى متحدث يختلف مع الخط الذى تتبناه إيباك .

قال كيسلر للدراسين فى واحدة من ورش العمل التى عقدت عام ١٩٨٤ تحت شعار قيادة المؤتمر "عليكم أن تعملوا من أجل خلق يهودى ذى عضلات وليس يهوديًا مسالمًا على نمط منظمة النداء اليهودى المتحد ، ولا تخافوا من إظهار ميولكم اليهودية ودعمكم اللامتناهى لإسرائيل". استنبط كيسلر إلى جانب ذلك أسلوبًا لتفعيل العمل على نسق تبشيرى كالذى يستخدمه الإعلامى جيمى سواجرت، وشرح فكرته قائلا "يُطلق علينا جماعة الضغط ذات الجاذبية الجنسية ، ويجب على اليهود أن يعملوا على نشر

الإنجيل ككلمة بشرط أن تكون مؤيدة لإسرائيل"[٥٤]، هذا الإنجيل الذى تتمسح به إيباك مثله مثل الأناجيل الأخرى به هامش محدود للخلاف .

كان يقال للمتدربين فى واحدة من الورش التى تعقد لقادة العمل الجامعى كمثال لكيفية التحرك لدعم النشاطات المؤيدة لإسرائيل: افترض أنك حصلت على البرنامج الانتخابى غير المعلن لواحد من المرشحين ، كيف تستفيد به علماً بأن إيباك غيرمسموح لها بحكم القانون بأن تؤيد مرشحًا دون آخر؟ ما عليك إلا أن تدعو إلى حفل انتخابى وتجرى حواراً حول البرنامج الانتخابى المعلن للمرشح أو تقوم بإعداد قائمة بأسماء الذين يؤيدونه ، ثم تتصل بمكتب دعاية الإعلامية وتعرفهم بنفسك "كجامعى صديق لإسرائيل" وتبدى الاستعداد للعمل التطوعى إلى جانبه. يتطلب الأمر منهم فى كل الأحوال عدم الإشارة إلى إيباك لا من قريب ولا من بعيد، لأنها فى الظاهر لا تملك حق تأييد مرشح ضد مرشح آخر .

كان المدربون ينصحون الدارسين أن يعقدوا لقاءات نقاشية لزملائهم ويشددون عليهم باتباع التعليمات قائلين "لا تدعو إلى هذه اللقاءات أى أستاذ ربما يؤله أوضاع الفلسطينيين، ويجب أن تعرف مقدماً الحديث الذى سيلقيه الضيف، وإذا لم تتأكد من ذلك قل له مباشرة : لا أريد مفاجآت" .

رفع أحد المتدربين يده فى واحدة من ورش العمل وقال بارتباك "ماذا أفعل عندما يكون شخصية مثل الأستاذ إدوارد سعيد (أستاذ شهير للأدب الإنجليزى بجامعة كولومبيا، وعلى صلة قوية بمنظمة التحرير الفلسطينية) هو المتحدث فى الساحة الجامعية أو فى داخل الكلية؟"، وجاءته الإجابة قاطعة "لا تفكر حتى فى تقويض مصداقيته". يقول أحد العاملين بمجلس الشيوخ : إن إدوارد سعيد كان يخطب فى جمع من حوالى ثلاثمائة مشارك وقام أحدهم وقال ما يعتبر تحديًا له ، فما كان من الأستاذ "إلا أن مزَّقه إربًا إربًا"، لذلك بنت إيباك إستراتيجيتها تجاه هذا الرجل "لا تتحدوه، وإن كان فى الإمكان العثور على متحدث آخر يكون ذلك من الأفضل" .

هذه هى الخطوط الرئيسية لحملات الدعاية الجامعية حيث تقوم "جماعة الضغط ذات الجاذبية الجنسية " بتجنيد آلاف الدارسين للعمل نيابة عنها أو بالعمل التطوعى

فى الحملات الانتخابية المحلية. وبالرغم مـن ذلك يمـكن القـول بكـل تأكـيد إن إيبـاك لا تستطيع أن تكسب أصدقاء أو تؤثر فى الناس لصالح إسرائيل خاصة داخل الكليات التى يخيفها ما تقوم به هذه المنظمة من أنشطة تؤدى إلى سحق حرية البحث العلمى، وأيضًا نوعية المناقشات التى تدعو إليها والتى تتعارض مع ما يجب أن تحتضنه هذه الكليات من انفتاح على كل الآراء .

الحقيقة التى يجب أن نشير إليـها هى أن أعضاء مجلس الشيوخ وقادة لجان العمل السياسى المحلى التابعين لهم هم الأكثر إلمامًا من غيرهم بمخاطر الاختلاف والاتفاق وأصول الجدل حول أى موضوعات ذات صلة بالصراع العربى الإسرائيلى. من هنا تحتفظ إيباك بالعديد من التجارب الهائلة التى اختزنتها من واقع تعاملها مع هذه النوعية من السياسيين، والتى تستخدمها دائمًا لتذكير الآخرين أن دعم إسرائيل "هو بكل المقاييس مؤشر اختبار للنوايا" يفتح الباب لصداقة عميقة مع هذه المنظمة، وأيضًا لصداقة أكثر عمقًا مع أصدقائها.

الهوامش

1. From copy of the letter to a senator kindly supplied by Bookbinder which he discussed in an interview in Washington, January 14, 1985.

2. Thomas A Dine, Speech to the Council of Jewish Federations in Toronto, November 1984.

3. Interview with Tom Dine in Washington, March 23, 1984.

4. Confidential interview.

5. Interview with Dine in Washington, March 23, 1984.

6. Confidential interview.

7. Confidential interview.

8. Arthur Hertzberg, "American Jews and Israel," speech at the American Enterprise Institute, Washington, D.C., June 12, 1985.

9. Confidential interview.

10. Interview with Arthur Hertzberg.

11. See Steven L. Spiegel, "U.S. National Interests in the Middle East," and Les Janka, "U.S. National Interests in the Middle East: A New Approach for the '80s," collected in *The National Interests of the United States in Foreign Policy*, edited by Prosser Gifford, Woodrow Wilson Center for Scholars, 1981. Though Spiegel, a historian at the University of California at Berkeley, is a staunch advocate of Israel as a major strategic plus for U.S. policy (see his "Israel as a Strategic Asset," *Commentary*, June 1983, pp. 51–55), and Janka, a former assistant secretary of defense and academic specialist in the Middle East, contends that as long as there is no peace in the region Israel is bound to be a destabilizing influence, both seem to agree on this list of interests. See also Seth P. Tillman, *The United States in the Middle East* (Bloomington: University of Indiana Press, 1982), Chapter 2. Expanding the notion of "national interest" to include moral concerns, Tillman adds to the list "the inadmissibility of the acquisition of territory by force, and the right of peoples to self-determination."

12. Washington *Post*, August 15, 1979.

13. Cited in Tillman, *United States in Middle East*, p. 52; from Department of State Memorandum of Conversation, Meeting with Jewish leaders, Hotel Pierre, New York, June 15, 1975, p. A9.

14. Text cited in *New York Times*, December 1, 1981.

15. *New York Times*, December 21, 1981.

16. "Israel Moves to Smooth Ties with the United States After Golan Action," Washington *Post*, December 15, 1981.

17. See Ze'ev Schiff and Ehud Ya'ari, *Israel's Lebanon War* (New York: Simon and Schuster, 1984), for a detailed account of Sharon's grand plan. The authors are considered two of Israel's best military correspondents.

18. Alexander M. Haig, Jr., *Caveat: Realism, Reagan, and Foreign Policy* (New York: Macmillan, 1984), p. 323ff.

19. See Schiff and Ya'ari, *Israel's Lebanon War*.

20. Arye Naor, "Begin 'misinformed on war,'" Jerusalem *Post*, June 29, 1985.

21. Cited in George Ball, *Error and Betrayal in Lebanon* (Washington, DC: Foundation for Middle East Peace, 1984), p. 45.

22. *Newsweek*, February 20, 1984.

23. Philip Klutznick, Los Angeles *Times*, June 10, 1982.

24. Confidential interview with former *Near East Report* staffer.

25. Reagan Plan can be found in Department of State, Current Policy No. 417, Sept 1, 1982.

26. Cited in *New York Times*, September 2, 1982.

27. Foreign Broadcast and Information Service (FBIS), September 7, 1982.

28. See *New York Times*, September 15, 1982.

29. *New York Times*, September 6, 1982.

30. Arthur Hertzberg, "Begin Must Go," *New York Times*, September 26, 1982.

31. See Arthur Hertzberg, "The Tragedy and The Hope," *New York Review of Books*, October 21, 1982, pp.22–27; "Israel and the West Bank," *Foreign Affairs*, Summer, 1983, pp. 1064–1077; "The Present Position of Jews in America," *Christianity and Crisis*, March 7, 1983, pp. 53–60.

32. Cited in Michael Kramer, "American Jews and Israel: The Schism," *New York*, October 18, 1982.

33. Ibid.

34. Report of Rabbi Alexander Schindler, President of the Union of American Hebrew Congregations, to the Board of Trustees, December 3, 1982, Denver, Colorado.

35. Confidential interview.

36. Interview with Dine, March 23, 1984.

37. Interview with Martin Indyk in Washington, August 20, 1984.

38. Cited by William Safire, *New York Times*, March 24, 1980.

39. Interview with Dine, March 23, 1984.

40. Ibid.

41. See AIPAC Papers on U.S.–Israel Relations monograph series 1, 2, 4, 5: Steven J. Rosen, *The Strategic Value of Israel*; Martin Indyk, Charles Kupchan, Steven J. Rosen, *Israel and the U.S. Air Force*; W. Seth Carus, *Israel and the U.S. Navy*; Stephen P. Glick, *Israeli Medical Support for the U.S. Armed Forces* (Washington, D.C., 1982 and 1983).

42. Rosen, *The Strategic Value of Israel* (AIPAC Papers on U.S.–Israel Relations: 1, 1982).

43. Glick, *Israeli Medical Support for the U.S. Armed Forces* (AIPAC Papers on U.S.–Israel Relations: 5, 1983), p. 8.

44. Carus, *Israel and the U.S. Navy* (AIPAC Papers on U.S.–Israel Relations: 4, 1983), p. 20.

45. Confidential interview.

46. "Power, Glory—Politics," *Time* cover on TV preachers, February 17, 1986.

47. Interview with Minister Without Portfolio Moshe Arens in Jerusalem, October 23, 1984.

48. Nathan and Ruth Ann Perlmutter, *The Real Anti-Semitism in America* (New York: Arbor House, 1982), p. 145.

49. Amy Kaufman Goott and Steven J. Rosen, *The Campaign to Discredit Israel*, AIPAC Papers on U.S.–Israel Relations, ed. Steven J. Rosen (Washington, D.C., 1983).

50. Anthony Lewis, "Protocols of Palestine," *New York Times*, January 15, 1984.

51. "Pro-Arab Propaganda in America: Vehicles and Voices," Anti-Defamation League of B'nai B'rith (New York, 1983).

52. *The AIPAC College Guide: Exposing the Anti-Israel Campaign on Campus*, ed. by Jonathan S. Kessler and Jeff Schwaber, AIPAC Papers on U.S.–Israel Relations: 7 (Washington, D.C., 1984), p. v.

53. Ibid., p. vi.

54. Notes taken by a participant in the AIPAC National Leadership Conference in Washington, D.C., July 28, 1984.

الفصل السابع

هيمنة لجان العمل السياسى الموالية لإسرائيل

بدت جماعات الضغط المؤيدة لإسرائيل بعد مرور عامين على واقعة بيع طائرات الأواكس إلى السعودية وكأنها قد أحكمت قبضتها على مجلسى النواب والشيوخ ، وهذا يدل على أن توماس دين كان يعى مسئولية العمل الذى يقوم به ، حتى إن بعض الشيوخ والعاملين معهم كانوا يحبونه بقدر ما يخشونه . كان عضو مجلس الشيوخ لورانس إيجلبيرجر ، الذى تولى فيما بعد منصب كبير السياسيين بوزارة الخارجية ، يلقى كلمة عام ١٩٨٣ فى مؤتمر منظمة إيباك عندما طوق كتف دين بحميمية وقال للحاضرين " هذا شخص يمكن أن يسبب لكم أذى " . يود كل من مارس الضغط السياسى أن يكتب مثل هذا المديح على شاهد قبره بعد وفاته .

برهن توماس دين عبر الانتخابات العامة التى شهدتها البلاد عام ١٩٨٤ على صدق مقولة إيجلبيرجر ، حيث أثبتت تكتيكات منظمة إيباك أن مواقف المرشحين من قضية بيع طائرات الاواكس كانت هى المحك لاختبار مدى صداقتهم لليهود ، فقد تمكنت عن طريق أذرعها القوية أن تقضى على الحياة السياسية لبعض الشيوخ .

منظمة إيباك لا تصنَّف من بين لجان العمل السياسى وتعد معتدية على القانون لو قامت بمثل ما تقوم به من نشاط ، لذلك سارع دين بعد انتهاء الانتخابات إلى التأكيد على أن منظمته ما هى إلا " مجموعة عمل لجمع المعلومات " . وكان غالبًا ما يقول علانية " المنظمة لا صلة لها بالمال السياسى " [١] وهذا صحيح ، ولكن الصحيح أيضًا أنها تتصرف فى حصيلة أموال لجان العمل السياسى وكأنها حسناء تستعرض مفاتنها فى واحدة من علب الليل (البلاى بوى) ، لا تقترب منها ولكنها توجهها حيث

تشاء . إيباك بوصفها أفضل وأنشط " مجموعة عمل لجمع المعلومات " على مستوى مجلسى النواب والشيوخ تعرف الشخصيات المفضلة لدى لجان العمل السياسى ، والأهم من ذلك أنها كجامع للمعلومات من كل صنف ولون تستطيع أن توجه نظر أعضائها وبالتالى أنظار لجان العمل السياسى مَن من السياسيين يستحق تأييدهم . وتشجع المنظمة أعضاءها أن يمدوها بإجمالى أموال لجان العمل السياسى التى وضعت لحساب كل مرشح ، حتى إذا ما حانت لحظة التصويت داخل مجلس الشيوخ على قضية ذات ثقل عمدت إيباك ، كما يفعل الفيل اليقظ ، إلى تذكير الأعضاء المترددين فى حسم أمرهم إلى جانب إسرائيل بفضل المال اليهودى عليهم . لذلك لا نندهش إذا عرفنا أن منظمة إيباك تفاخر بنفسها فى كل سنة انتخابية عندما تشير إلى مئات الأسماء من المرشحين الذين استجدوا دعمها لهم لكى يفوزوا بثقة الناخبين ، وكان شعارها المفضل الذى ترفعه فى مؤتمراتها " إذا تكلمت الفلوس فمن حق ما يقدم منها فى البدايات أن يصرخ " .

بالفعل صرخت أموال لجان العمل السياسى بأعلى اصواتها خلال حملة عام ١٩٨٤ الانتخابية ، يقول أحد جامعى الأموال للحزب الديموقراطى " لا يمكن لأحد أن يترشح لشغل منصب بالانتخاب دون أن يحصل على دعم اليهود " [٢] . هذه القاعدة معترف بها منذ الستينيات ، ولكن بعد بزوغ نجم لجان العمل السياسى وتضاعف كلفة الدعاية التلفزيونية للفوز بالمناصب زادت مصداقيتها وأصبحت غير قابلة للجدل . تفيد الأرقام التى نشرتها لجنة الانتخاب الفيدرالية حول انتخابات عام ١٩٨٤ أن المرشح يحتاج فى المتوسط إلى حوالى ٣ مليون دولار للفوز بمقعد فى مجلس الشيوخ [٣] ، وهناك من تجاوز هذه الأرقام بكثير . أنفق جيمس هنت حاكم كارولينا الشمالية ٧ ملايين دولار للفوز بمقعد مجلس الشيوخ ولكنه خسر لصالح جيس هيلمز الذى أنفق أكثر من ١٦ مليون دولار للاحتفاظ بمقعده [٤] . وتفيد الأرقام نفسها أن الفوز بمقعد فى مجلس النواب يعد صفقة فى حدود ٣٢٥ ألف دولار .

لا عجب إذن أن ينظر فى واشنطن بإكبار لمن يتبرع بالأموال لدعم الحملات الانتخابية لإخوانه المعوزين ، ولا عجب أيضًا أن يصبح اليهود الأمريكيون أكبر الجماعات التى يُعتمد عليها لبذل الأموال عند الحاجة رغم قلة عددهم . يقول أحد

جامعي الأموال الذي حاول بقوة وفي بعض الأحيان أن يحصل على تبرعات للمال السياسي من الأثرياء العرب الأمريكيين إن من بين المشاكل التي تقف عقبة في طريق هذا المال " أنك دائمًا ما تسمع الصوت الاحتجاجي الذي يقول : ولكنني لا أعرف هذا المرشح ، أما الناخبون اليهود فلا يعنيهم هذا الأمر ماداموا يعرفون أن المرشح بعد الفوز سيدعم خطهم السياسي " (٥) . ويفسر استعداد اليهود غير المشروط لمنح الأموال لأي مرشح في أي ولاية مقبول لديهم ، لماذا لا يقبل المرشحون الذين لا يوجد في دوائرهم الانتخابية إلا عدد صغير من أصوات اليهود القيام بأي مغامرة خشية أن تؤدي إلى سد الطريق أمام الأموال المتدفقة من خارج الولاية . يقول أحد سماسرة جمع المال الديمقراطيين المعروفين " لا بد لكل حملة سياسية في عموم البلاد أن تناقش فيما بينها الدور الذي يمكن أن يلعبه اليهود وجماعات الضغط لإنجاحها " ، ويؤكد ذلك بقوله " ما من حملة شاركت فيها إلا وتطلبت اجتماعين حاسمين : الأول مع إيباك ، والثاني بعد الاجتماع معها " (٦) .

ساهمت لجان العمل السياسي المؤيدة لإسرائيل في الانتخابات التشريعية لعام ١٩٨٤ طبقًا للأرقام التي نشرتها لجنة الانتخاب الفيدرالية ، بحوالي ٦ر٣ مليون دولار لكل مرشح في انتخابات مجلسي النوب والشيوخ ورئاسة الجمهورية ، وهو ما يوازي ضعف ما أنفقته عام ١٩٨٢ . في الوقت نفسه تضاعف عدد اللجان اليهودية ليصل إلى حوالي ٧٠ لجنة قدمت مساهمات بلغت حوالي ٥ر١ مليون دولار لمرشحي مجلس النواب ذهب أكثر من ثلثها إلى أعضاء لجنة الشئون الخارجية واللجنة الفرعية للمخصصات الخارجية بالمجلس ، أما مرشحي مجلس الشيوخ فحصلوا على ٨ر١ مليون دولار . كان أكبر الفائزين في انتخابات الشيوخ لعام ١٩٨٤ عن الجمهوريين من أصحاب المناصب الرفيعة رودي بوشويتز عن ولاية مينوستا الذي اشتهر بأنه " حاخام إيباك بالمجلس " والذي تولى رئاسة اللجنة الفرعية لشئون الشرق الأوسط التابعة للجنة الشئون الخارجية بالكونجرس . الجدير بالملاحظه هنا أن ٤٤ ٪ من أموال لجان العمل السياسي المساندة لإسرائيل التي خصصت لمجلس الشيوخ استخدمت لتزكية خمسة من مرشحي الحزب الجمهوري الذين صوّتوا لصالح بيع طائرات الأواكس للسعودية ، وحصل بول سيمون عضو المجلس عن ولاية إلينوي وحده على مبلغ ٢٧٠ ألف دولار

زيادة عما حصل عليه أى مرشح آخر [٧] والسر فى ذلك أنه كان ينافس تشارلز بريسى الذى تمقته إيباك مقتاً لامزيد عليه .

كان بريسى رئيساً للجنة الشئون الخارجية فى الكونجرس عندما صوّت إلى جانب الرئيس جون كيندى لصالح بيع صفقة طائرات إف / ١٥ للسعودية ، ولما أحس بالحرج أمضى وقتاً طويلاً ليبرر ما فعله أمام اليهود من أبناء ولاية إلينوى . ربما نسى بريسى هذه الفعلة وظن أن الآخرين نسوها هم أيضاً ، ولكن عندما لعب الدور نفسه فى صفقة بيع طائرات الأواكس لم يكن هناك مجال لدى اليهود للنسيان .

كان بريسى من الشخصيات السياسية الواعدة ، وعندما ظهر فى الأفق فى أواخر الستينيات كان رجلاً قومياً ذا طموحات رئاسية مشروعة ، ومن المفارقات أنه عندما بدأ حياته السياسية فى مجلس الشيوخ عام ١٩٦٧ كان فائق الشهرة بين الناخبين اليهود من أبناء إلينوى خاصة لكونه بروتستانتياً من الجمهوريين ، وسرعان ما عرف باعتداله وبمواقفه التحررية تجاه العديد من القضايا . كان من بين أشد المؤيدين له عدد كبير من الشخصيات اليهودية البارزة والمؤثرة على رأسهم فيليب كلوتزنيك ، ويعزى سبب إعادة انتخابه عام ٧٢ إلى التأييد الذى حصل عليه من جميع أنحاء الولاية وأيضاً إلى أصوات ٧٠٪ من اليهود القاطنين بها والذين يمثلون أكبر رابع تجمع سكانى يهودى على مستوى الولايات الأمريكية .

بدأت مشكلة بريسى اليهودية عام ١٩٧٥ بعد عودته من رحلة إلى الشرق الأوسط حيث اتهم إسرائيل بأنها أضاعت فرصاً كثيرة للتفاوض بسبب تعنتها ، ونصح قادتها ببدء حوار مع منظمة التحرير الفلسطينية إذا اعترفت بحقها (إسرائيل) فى الوجود داخل حدود آمنة . وزاد على ذلك بأن وصف رئيس منظمة التحرير الفلسطينية بأنه نسبياً " أكثر اعتدالاً لو قارنّاه بغيره من القادة الفلسطينيين المتطرفين من أمثال جورج حبش " [٨] . وسرعان ما جاءه الرد على ما أدلى به من ملاحظات ، ففى خلال أسبوع واحد تلقى ٢٢٠ برقية و٤٠٠٠ رسالة ٩٥ ٪ منها معادٍ لما طرحه من تصورات للسلام فى الشرق الأوسط ، وهدده مرسلو هذه الاعتراضات بحرمانه من الدعم والتصويت إلى جانبه إن لم يعد النظر فى آرائه [٩] .

الملاحظ أن اسم بريسى لم يُدرج ضمن قائمة " خطاب عام ٧٦ " الشهيرة التى وقعها بعض أعضاء مجلس الشيوخ اعتراضاً على الدعوة التى أطلقها فورد وكيسينجر عام ٧٥ " لإعادة تقييم " علاقات أمريكا بإسرائيل . ربما لهذا السبب حظى بتأييد اليهود عندما ترشح لإعادة انتخابه فى الوقت نفسه الذى ظلت فيه الخطابات والرسائل تتدفق عليه ، فعندما طلب من ٧٠ شخصية يهودية شهيرة أن توقع إعلانًا دعائيًا تأييداً له وافق منهم ٦٥ فقط . وهذا يفسر كيف حصل بريسى على ٣٥ ٪ فقط من أصوات الناخبين على مستوى الولاية بينما أيده حوالى ٦١ ٪ من سكانها اليهود .

دفع موقف بريسى المؤيد لبيع صفقة طائرات الأواكس منظمة إيباك إلى اعتباره شخصاً بالغ الخطورة بحكم رئاسته للجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس ، وبناء على ذلك بدأ اليهود ينظمون أنفسهم داخل دوائرهم الانتخابية خلف توم كوركوران مرشح الجهوريين المنافس له على مستوى الانتخابات الأولية . وتدفقت الرسائل بين الولايات الأمريكية يزين أغلفتها الخارجية سؤال يقول " هل تستطيع أن تسمى أسوأ عدو لإسرائيل فى الكونجرس ؟ " أما محتواها الداخلى فتضمّن دعوة صريحة لتأييد كوركوران تحت شعار أن بريسى " عمد أكثر من أى سياسى آخر فى واشنطن إلى تحطيم العلاقة الخاصة بين أمريكا وإسرائيل " (١٠) .

تضمنت " قائمة اتهامات بريسى بمناهضة إسرائيل " أنه صوّت مرتين لصالح بيع طائرات للسعودية ، وأيد قيام دولة إرهابية تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية فى الضفة الغربية ، ووصف ياسر عرفات بأنه " معتدل " ، أما قائمة مساندة كوركوران لإسرائيل فقد تضمنت تأييداً لكل قضاياها بنسبة ١٠٠ ٪ . احتوت الرسائل أيضاً على ملخص لمقابلة صحفية أجراها موريس أميتاى الرئيس السابق لإيباك مع كوركوران ودارت كلها حول تأييده ومناصرته لإسرائيل . لم يكتف مؤيدو كوركوران بهذه الرسائل ، بل قاموا بنشر صورة لعرفات بحجم صفحة كاملة من صفحات الصحف اليومية وكتبوا فوقها " بريسى يصف هذا الرجل بأنه معتدل " . استغل خصوم بريسى دفاعه هو ومعاونوه عما قاله فى حق عرفات بأنه جاء فى سياق " المقارنة بينه وبين غيره من القادة الفلسطينيين الأكثر تشدداً " وأنه لم يطالب بقيام دولة فلسطينية مستقلة لضمان

السلام فى الشرق الأوسط وإنما أشار إلى كيان فلسطينى محدود ، ووصفوا ما جاء على لسانه بأنه من قبيل السفسطة .

بهذا الشكل تم تجهيز القوات للهجوم على بريسى ، وزيدت الأموال المرصودة للحرب المعلنة عليه بـ ٢٨٥ ألف دولار تبرعت بها ٥٥ لجنة عمل سياسية موالية لإسرائيل ، كل ذلك ولا يزال بريسى يعتبر ما وقع منه ما هو إلا اختلاف فى وجهات النظر ، أما إيباك ، وكما جاء على لسان توماس دين فيما بعد ، فكانت تعتبره " انحراف إلى جانب العرب " [١١] . قال توماس دين فى نشرة إخبارية لتقييم المرشحين لخوض سباق انتخابات الكونجرس لعام ١٩٨٤ قبل أن يحصلوا على تبرعات لجنة واشنطن للعمل السياسى المؤيدة لإسرائيل ، بالرغم من أن بريسى قد أظهر دعمًا لإسرائيل عندما صوّت مؤيداً حقها فى الحصول على معونة من أمريكا " إلا أنه تعامل مع مصالحنا بشعور متبلد وبعداء فى بعض الأحيان " [١٢] . مع كل هذا هزم بريسى منافسه كوركوران وفاز بالانتخابات الأولية ، مما جعل لجان العمل السياسية المؤيدة لإسرائيل والبالغ عددها ٧٠ لجنة تسارع إلى تحرير شيكات الدعم وترسل بها إلى ممثل الحزب الديمقراطى بول سيمون الذى سيصارعه فى المرحلة التالية .

أشارت التقارير إلى رجل أعمال يدعى ميشيل آر . جولاند قام بإنفاق أكثر من مليون دولار لدعم حملة مضادة لبريسى على مستوى الملصقات والتلفزيون والإذاعة والإعلانات الصحفية . نُقل عن هذا الرجل قوله إنه يعادى بريسى بشكل شخصى وإنه يعمل بوحى من نفسه ، وهذا يعطيه الحق أن يتجاوز سقف الإنفاق الذى حدده القانون . فى وقت مبكر من زمن الحملة الانتخابية شكى مؤيدو بريسى أمام لجنة الانتخاب الفيدرالية أن جولاند هذا يقوم بدوره نيابة عن موريس أميتاى المؤيد لكوركوران . قال أميتاى ردا على هذه الشكوى إن جولاند كان لفترة من الوقت ، ضمن المجلس الاستشارى للمنظمة التى يديرها ، وإنه فى يوم من الأيام أشار عليه بفتوى قانونية ثم أحاله إلى شركة اتصالات متخصصة ترعى المتبرعين اليهود .

مستمرًا فى حملته الدعائية سعى بريسى إلى التذكير بمواقفه التقليدية كمدافع عن اليهود فى ولاية إلينوى ضد الهجمات التى كانوا يتعرضون إليها من الخارج ،

لم تسفر هذه الجهود سوى عن ظهور عضو مجلس الشيوخ بوشويتز و جاكوب جافيتز عضو المجلس السابق عن نيويورك ، الذى يعد من أنقى السياسيين اليهود مناصرة لإسرائيل فى أمريكا كلها ، فى مؤتمر بولاية شيكاغو تأييداً لبريسى . فى الوقت نفسه قام مائة من مشاهير اليهود فى ولاية إلينوى بنشر إعلان يغطى صفحة كاملة فى واحدة من الصحف يؤكدون فيه أن بريسى " عمل ما فى وسعه من أجل سكان الولاية ، ومن أجل أمريكا وأيضًا من أجل إسرائيل " . قام آلاف اليهود فى جميع الولايات الأمريكية بجمع نحو ٣ ملايين دولار تبرعات لدعم حملة سيمون الانتخابية ، وكان هذا المبلغ يمثل نحو ٤٠ ٪ من إجمالى المساهمات التى تلقاها .

طالبت جماعة أطلقت على نفسها " مواطنون من أجل بريسى " فى شتاء عام ١٩٨٤ بتقديم لجنة الانتخاب الفيدرالية إلى المحاكمة بدعوى أنها فشلت فى التحرى بجدية حول أساليب الإنفاق الدعائى الذى كان يتبعه جولاند . وجدت محكمة المقاطعة التى نظرت الدعوى أن هناك " سببًا يجعلها تعتقد " أن المبالغ المالية التى أنفقها جولاند فى إلينوى تمثل انتهاكًا للقانون الفيدرالى . انتقد القاضى أيضا تصرفات اللجنة " الروتينية " و " السطحية " و " البطيئة " عندما تناولت بالتحقيق الشكوى الرسمية التى تقدم بها بريسى باعتباره " شخصًا غير مقبول " و " مخالفًا للقانون " (١٣) . لم يعلم بريسى بهذا الحكم إلا بعد انتهاء الانتخابات وإعلان خسارته أمام سيمون بفارق حوالى ٨٩ ألف صوت ، ورفض قبل أن يترك رئاسة لجنة الشئون الخارجية لمجلس الشيوخ أن يعتذر عن الآراء التى عبَّر بها عن رؤيته لأزمة الشرق الأوسط ، وأصرَّ على حقه فى انتقاد سياسات إسرائيل . فيما بعد صرح بريسى لصحيفة ذى وول ستريت جورنال " من حق عضو مجلس الشيوخ الأمريكى أن يتمتع بنفس الحقوق التى يحظى بها عضو الكنيست الإسرائيلى أو عضو مجلس تحرير صحيفة إسرائيلية بأن يختلف مع أى حكومة عندما تقدم بتصرفات ضد مصلحة أمريكا " (١٤) .

ادعت إيباك بتفاخر أن فضل هزيمة بريسى يرجع إليها ، واتخذت من الواقعة نموذجًا لما يمكن أن يقع لأى عضو فى الكونجرس تسوّل له نفسه أن ينتقد إسرائيل . قال توماس دين لتجمهر من اليهود فى تورنتو " احتشد يهود أمريكا من

الساحل إلى الساحل لإخراج بريسى ، وأزعم أن كل سياسى فى أمريكا يحتل موقعًا بالخدمة العامة وأيضًا لهؤلاء الطامحين فى مثل هذا المنصب مستقبلاً قد وصلته الرسالة " (١٥) .

كان السيناتور روجر جيبسون عن ولاية أيوا على النقيض من بريسى ، فقد كان معروفًا عنه أنه صديق مخلص لإسرائيل ، لذلك أشار أميتاى فى نشرة حملته الانتخابية أنه ومن خلال عضويته بلجنة الكونجرس للخدمات الحربية " كان مؤيدًا للعديد من القضايا المؤثرة فى العلاقات الأمريكية الإسرائيلية . أفسحت هذه الصداقة لجيبسون أن يكون الضيف الرئيسى لمؤتمر إيباك السنوى فى مايو عام ١٩٨١ حيث هاجم صفقة بيع طائرات الأواكس بلا هوادة ، ولكنه بعد خمسة أشهر أذعن لتوسلات البيت الأبيض وصوّت من بين دموعه إلى جانب قرار البيع .

قام جارى روبين فى بداية السباق الانتخابى لعام ١٩٨٤ بتوزيع دعوة بريدية على مستوى الولايات الأمريكية كلها لجمع التبرعات تأييدًا للسيناتور توماس هاركين الذى ينافس جيبسون فى ولاية أيوا . تناولت الصفحة الأولى من الرسالة التهديد بالهلاك الذى تمثله صفقة بيع الطائرات للسعودية لقدرة إسرائيل على البقاء ، ثم أشارت بافتخار إلى موقف السيناتور جيبسون الذى " لم يوافق فقط على الوقوف إلى جانبنا ، وإنما على قيادة المعركة داخل مجلس الشيوخ لمنع إتمام بيع هذه الأسلحة الخطرة إلى أعداء إسرائيل ، وبالفعل قادها حتى حانت اللحظة الحاسمة " (١٦) .

نوّه روبين فى بقية الرسالة إلى تراجع جيبسون وطالب أصدقاء إسرائيل بوضع كل ثقلهم خلف هاركين الذى وصفه أميتاى فى سجلات المنظمة قائلا " إنه أسوأ إلى حد ما فيما يتعلق بالقضايا التى تخصنا من المرشح الديمقراطى الآخر السيناتور السابق ديك كلارك ، فقد وقّع إلى جانب أخبث خصوم إسرائيل على مستوى أمريكا كلها فى عام ١٩٨٠ إعلانًا صحفيًا يدين سياسات تل أبيب " . قصد أميتاى بأخبث خصوم إسرائيل جيمس زُغبى الناشط الأمريكى العربى الشهير واليهودى ناعوم كوميسكى الأستاذ بمعهد ماساشوستس للتكنولوجيا الذى يجاهر علنًا بانتقاداته لسياسات إسرائيل والسيناتور السابق بول فيندلى الذى تعرض فى عام ١٩٨٢ لنفس

الغضبة العاصفة التى تعرض لها بريسى بعد ذلك بعامين ، ومن المعروف أن فيندلى عانى أشد المعاناة من حنق الجماعة اليهودية الذى صبته فوق رأسه لتعاطفه الشخصى مع الفلسطينيين مما أفقده مقعده في الكونجرس ، وفيما بعد نشر كتاباً عام ١٩٨٥ مؤكداً على عدم استعداد الجماعة اليهودية قبول الاختلافات في الرأى .

ركزت النشرة الصحفية المعادية لجيبسون على نقطتين مهمتين : الأولى عندما وصفت هاركين بأنه " مؤيد قوى لإسرائيل " والثانية عندما أشارت إلى أنه صوّت ضد إتمام صفقة بيع طائرات الأواكس إلى السعودية .

اندهش موشى أرنيز وزير الدولة الإسرائيلى الذى كان يومًا ما سفيراً لبلاده فى واشنطن ثم وزيراً للدفاع فى حكومة بيجين ، عندما أحيط علمًا فى شهر أكتوبر ١٩٨٤ بالمعركة الدائرة بين جيبسون والجماعة اليهودية للاحتفاظ بمقعده فى مجلس الشيوخ . قال أرنيز معلقًا على ما وصله من أخبار " إنه صديق عزيز علىّ ، وإذا كانت الجماعة اليهودية تهاجم شخصًا مثله فذلك لأنه لم يستطع أن يصوت ضد رغبة ريجان فى إتمام بيع طائرات الأواكس إلى السعودية ، وهذا الموقف ليس فى صالح اليهود الأمريكيين على المدى الطويل " (١٧) . من المؤكد أن جيبسون كان سيحقق نجاحات دعائية لو استخدم تعليق الوزير الإسرائيلى ، ولكن ذلك لم يتحقق لأن منافسه توم هاركين الذى وقّع يومًا " إعلانا معاديًا لإسرائيل " حصل كما يؤكد أميتاى على دعم مالى أكثر من ١٠٨ ألف دولار من لجان العمل السياسى الموالية لإسرائيل ، وفاز فى نهاية المطاف بمقعد مجلس الشيوخ عن ولاية أيوا وكان من أصغر أعضائه .

أثارت القوة المتنامية للجان العمل السياسى مناقشات فى أوائل الثمانينيات حول فرص استشراء الفساد السياسى الناجم عن قيام " المصالح الخاصة " بشراء الأصوات ، وأدى ذلك إلى ظهور جماعة القضية المشتركة و جماعة المواطنين للضغط السياسى ، وغيرها من الجماعات التى سعت إلى تنظيم جهودها لإلغاء هذه اللجان . أدان مارك جرين – الناشط السياسى والمدافع عن حقوق المستهلكين – لجان العمل السياسى باعتبارها محرضة على " الرشوة القانونية " وقام بإنشاء " لجنة عمل سياسى لإلغاء جميع لجان العمل السياسى " أطلق عليها " اللجنة القومية للجان العمل

السياسى" . يعد مارك جرين واحداً من بين العديد من اليهود الذين انتقدوا لجان العمل السياسى والذين أبدوا قلقا حيال بروز وتنامى قوة لجان العمل السياسى اليهودية .

قال مارك جرين فى المؤتمر الذى عُقد للتباحث حول سلبيات وإيجابيات لجان العمل السياسى بدعم من الكونجرس اليهودى عام ١٩٨٣ محذراً " ينبغى على معظم الجماعات اليهودية أن تدرك أننا إذا دخلنا فى سباق مع لجان العمل السياسى وتحولنا إلى جماعة مالية أخرى ذات مصالح ضاغطة خاصة فسنبدد مصدراً ثميناً لا يتوافر إلا لقلة من الجماعات الأخرى ، وأعنى بذلك سلطتنا الأخلاقية فى الشرق الأوسط وفى هذا البلد . يضاف إلى ذلك أنه فى مقدور متعهدى بيع الأسلحة وأصحاب المصالح النفطية المعادين لإسرائيل أن ينافسونا دائمًا فى جمع التبرعات التى تذهب إلى لجان العمل السياسى . وأخيراً ، فمن المؤسف أن الكثير من المعادين للسامية سوف يهاجمون لجان العمل السياسى كمثال آخر لليهود الذين يحاولون السيطرة على الأمور عن طريق المال . وهذه حقيقة " (١٨) .

أوضح موريس أميتاى المدير السابق لإيباك عندما وقف متحدثًا إلى المؤتمر نفسه " أن السلطة الأخلاقية لها تأثير محدود على السياسة " وأضاف أنه لم يحاول قط "أثناء توليه المسئولية أن يقنع رجال الكونجرس أن يصوّتوا إلى جانب مشروع قانون فيه مصلحة لإسرائيل وفق مفهوم " السلطة الأخلاقية " ، وأكد أنه بدلاً من ذلك كان يبرز إسرائيل " كقيمة " . عندما وصل أميتاى إلى صلب الموضوع الذى له صلة مباشرة بالمؤتمر المنعقد حول لجان العمل السياسى قال " أود من جهة أخرى أن أذكّر أعضاء الكونجرس بالمساعدات والدعم الذى قدمه يهود أمريكا إلى المرشحين خلال سنوات طويلة لا لشىء إلا لأنهم يشعرون أن إسرائيل مهمة بالنسبة لهم ولأمريكا " .

أميتاى الذى يقول هذا الكلام هو نفسه الذى حذّر قبل ثلاث سنوات أن هيمنة لجان العمل السياسى سوف تخرج موجات معاداة السامية من عقالها ، أما الآن وفى عدم وجود أدلة على تنامى هذه المعاداة بسبب سطوة لجان العمل السياسى اعتبر أن هذه اللجان الموالية لإسرائيل " تمثل تطوراً إيجابياً جداً فى حياة اليهود " (١٩) .

وبينما كان كثير من اليهود يحتجون دائمًا أن جهودهم فى ممارسة الضغط لصالح إسرائيل تأتى بنتائج محدودة بالقياس إلى قوى الضغط النابعة من شركات النفط التى تعمل بالنيابة عن المصالح العربية نبذ أميتاى ، على عكس جرين ، فكرة ممارسات الضغط المرتبطة بشركات النفط كلية . أكد أميتاى أنه " عندما تقوم المصالح النفطية والمصالح الأخرى بممارسة الضغط فإنها تصرف ٩٩ ٪ من وقتها فيما تراه عائدًا بالنفع عليها هى شخصيًا ، وغالبا ما يكون ذلك من أجل الضرائب " .

شرح أميتاى ما يعنيه قائلاً " لم نرهم – إلا فى حالات نادرة – يمارسون الضغط لأجل قضايا ذات صلة بالسياسة الخارجية " ، ثم عمد هذا المتشكك السابق فى جدوى لجان العمل السياسى إلى البرهنة على قوة إيمانه بها إلى التأكيد " يمكن القول بشكل أو بآخر أن الميدان أصبح خاليًا أمامنا ، وأظن أننا يجب أن نستغل الفرصة المتاحة أمامنا " (٢٠) .

الهوامش

1. See John Fialka, "Pro-Israel Lobby: Jewish PACs Emerge As a Powerful Force in U.S. Election Races," *Wall Street Journal*, February 26, 1985.

2. Confidential interview.

3. "'84 PACs Gave More to Senate Winners," *New York Times*, January 6, 1985.

4. Ibid.

5. Confidential interview.

6. Confidential interview.

7. Fialka, *Wall Street Journal*, February 26, 1985; see also Fialka, *Wall Street Journal*, August 3, 1983.

8. Washington *Post*, June 28, 1975.

9. Interview with Percy aide Scott Cohen, October 1983; see also Paul Findley, *They Dare to Speak Out* (Westport, Conn.: Lawrence Hill & Co., 1985), pp. 109-113.

10. From a mailing by Corcoran's campaign committee.

11. Speech by Tom Dine to the Council of Jewish Federations in Toronto, November 1984.

12. Newsletter Washington Political Action Committee, February 1983.

13. "Jewish PACs Emerge As a Powerful Force in U.S. Election Races," *Wall Street Journal*, February 26, 1985; see also Washington *Post*, December 7, 1984; *Citizens for Percy* vs. *Federal Election Commission*, U.S. District Court for the District of Columbia, No. 84-2653, November 19, 1984.

14. *Wall Street Journal*, February 26, 1985.

15. Speech to the Council of Jewish Federations in Toronto, November 1984.

16. Mailing sent out by Harkin supporter in Iowa, Gary Rubin; cf. Amitay's criticism of Harkin, Newsletter Washington Political Action Committee, February 1983.

17. Interview in Jerusalem, October 22, 1984.

18. Mark Green, "Using PACs to Reform PACs," *Congress Monthly*, published by the American Jewish Congress, June 1983.

19. Morris Amitay, "A Field Day for Jewish PACs," *Congress Monthly*, June 1983.

20. Amitay, "Report from Washington," Jewish Press, October 15, 1982.

الفصل الثامن

برنامج عمل للمواطن الذى يمارس الضغط السياسى

عقدت منظمة النداء اليهودى الموحد مؤتمراً بواشنطن عام ١٩٨٤ لقياداتها الشابة خطب فيه توماس دين محدداً بدقة ما أطلق عليه " برنامج عمل للمواطن الذى يمارس الضغط السياسى " لصالح إسرائيل . قال مدير منظمة إيباك " يجب أن يكون فى مقدمة أولوياتنا المهمة خلال العام الحالى أن نحوِّل المساعدات الأمريكية لإسرائيل العسكرية منها والاقتصادية إلى هبات بدلاً من أن يظل بعضها قروضاً والآخر هبات ، وأن نضغط ثانيًا ، من أجل استصدار عدد من القوانين عبر مجلسى النواب والشيوخ تحض على نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس ، وثالثًا ، أن نشجع على قيام تعاون إستراتيجى بين العسكريين فى الولايات المتحدة ونظرائهم فى إسرائيل . ورابعًا ، أن تتحول إسرائيل إلى منطقة تجارة حرة وذلك بإلغاء كافة الرسوم الجمركية التى تُفرَض على التجارة بينها وبين أمريكا . وخامساً ، أن نوقف بيع الأسلحة إلى الأردن حتى يبدى الملك حسين استعداداً للدخول فى مفاوضات السلام وفق قرارىْ مجلس الأمن رقمىْ ٢٤٢ و ٣٣٨ . وسادسًا ، أن نعمل على إحياء عملية السلام عبر خطوات يتم فى ضوئها استبعاد منظمة التحرير الفلسطينية ، وإحلال الملك حسين محلها للتفاوض مع رئيس الحكومة الإسرائيلية بدون شروط مسبقة " (١) .

أُثقلت إيباك بالعمل خلال عام ١٩٨٤ كما ذاقت طعم النجاح ؛ ففى شهر مارس صوتت لجنة العلاقات الخارجية بمجلس النواب بحماس شديد لصالح منح إسرائيل مساعدة عسكرية واقتصادية قدرها ٢٫٥ بليون دولار ضمن ميزانية العام التالى ، وبعد ذلك بعدة أسابيع صوّت ١٦ من أعضاء لجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس ضد

عضوين فقط بالموافقة على المساعدة وزيادتها إلى حجم ٦ر٢ بليون دولار . ولأول مرة فى تاريخ العلاقات الأمريكية الإسرائيلية يوافق المجلسان على اعتبار هذه المساعدة " هبة لا ترد " بما فى ذلك مبلغ الـ ٤٠٠ مليون دولار التى حصلت عليها إسرائيل عن طريق الطائرة لافى المتعددة الأغراض التى تطمع إسرائيل أن يكون فى مقدورها تسويقها فى أسواق السلاح الدولية بحلول عام ١٩٩٠ ، وتعد هذه الخطوة مكملة لبدايات المشروع الذى وافقت عليه الإدارة الأمريكية عام ١٩٨٣ وسار فى طريقه المرسوم دون اعتراضات عملية من جانب الكونجرس .

برغم كثرة المشاريع المشتركة بين أمريكا وإسرائيل يعد مشروع الطائرة لافى أكثرها دلالة على مدى حرص الساسة الأمريكيين على إرضاء إسرائيل ومنظمة إيباك *التى ادعت أنه سوف يحقق الاستقرار فى الشرق الأوسط* [٢] . كان أعضاء الكونجرس من جانبهم حريصون على زيادة المعونات السنوية لمشروع الطائرة برغم معارضة وزارة الدفاع وبرغم الاعتراضات التى أبدتها جماعات ضغط اتحادات عمال التقنية العالية التى حذرت من مؤشرات البطالة التى قد تنجم عن هذا المشروع . أما وزير الدفاع كاسبر وينبيرجر فحذّر من مخاطر نقل التقنية الفائقة التميز خارج الولايات المتحدة الأمريكية ، وأشارت شركات صنع الطائرات إلى إمكانية منافسة الطائرة لافى للمقاتلتين الأمريكيتين إف / ١٦ وإف / ٢٠ فى الأسواق المفتوحة .

عارض عدد من السياسيين والمحللين العسكريين فى إسرائيل تصنيع الطائرة لافى مؤكدين أنه من الأوفر ماديًا لإسرائيل أن تشترى طائرات إف / ١٦ بدلاً من الإنفاق على هذا المشروع . عارضه أيضًا اثنان من قادة سلاح الطيران الإسرائيلى السابقين عيزرا وايزمان وماتى هود باعتباره فائق التكلفة ويعد الاستمرار فيه من نوع المخاطرة بالقياس إلى اقتصاد البلاد المترنح . تضاعفت التقديرات الأصلية لميزانية بحوث وتطوير المشروع عام ١٩٨٣ ، حيث بلغت ٥ر١ بليون دولار ، وتوقع البعض أن ترتفع إلى ٩ بلايين دولار بحلول عام ١٩٨٥ ، لذلك حرصت إيباك دائمًا على تحويل الأنظار عن خبايا اقتصاد إسرائيل المتدهور الذى يتسبب فى تضاعف التكاليف باستمرار ، وحرصت على اعتبار المشروع اختبارًا للنوايا الحسنة تجاه حكومة

تل أبيب ؛ وهكذا ظهرت براعة المنظمة تحت إدارة توماس دين فى إلباس الأمور المشكوك فى صحتها والمسائل الجدلية ثوب قضايا ذات ركائز ثابتة .

منح ربيع عام ١٩٨٤ إيباك فرصة كبيرة لممارسة تطبيقاتها العملية ؛ فقبل أن ينظر مجلسا النواب والشيوخ خلال شهر مارس فى مشاريع القوانين التى تحض على نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب العاصمة الرسمية لإسرائيل منذ عام ١٩٤٩(*) إلى القدس أصبح الموضوع أسخن القضايا التى تتعرض لها ساحة السباق الديموقراطى نحو الرئاسة . أبدى المتنافسان الديموقراطيان والتر مونديل و جارى هارت صراعًا محمومًا سعيًا وراء حصول أحدهما على لقب " السياسى الأكثر تأييدًا لتحقيق هذه الخطوة " والأكثر ميلا لإسرائيل .

هذا بينما حرصت الإدارات الأمريكية المتعاقبة منذ تأسيس الدولة اليهودية على تحاشى الخوض فى قضية القدس فى ضوء أن الأمم المتحدة تنظر إلى المدينة باعتبارها إقليمًا دوليًا ، وأن " وضعها النهائى " متروك للمفاوضات . أكدت إدارة جونسون بعد حرب عام ١٩٦٧ أن القدس ما زالت تتمتع بـ " وضعيتها الخاصة " وأن احتلال إسرائيل للجزء الشرقى منها لم يغير من الأمر شيئًا . وبرغم الاحتجاجات اليهودية بأن إسرائيل هى الدولة الوحيدة التى ليس لأمريكا سفارة فى عاصمتها الإدارية ، تمسكت إدارات كل من نيكسون وفورد وكارتر بهذه السياسة وأصر عليها ريجان عندما عرض خطته لإقرار السلام فى الشرق الأوسط مؤكدًا أن بلاده مازالت تعتقد بشدة أن قضية القدس يمكن بحثها عبر مائدة المفاوضات .

الملاحظ أن الحكومة الإسرائيلية لم تمارس ضغطها خلال ذلك العام لنقل السفارة الأمريكية إلى القدس ، كما لم تشجع إيباك استصدار قرارات تشريعية لتقنين هذه الخطوة . انفجر الأمر برمته عندما تقدم توم لا نتوس عضو النواب عن كاليفورنيا ، الناجى الوحيد من مذابح الإبادة ذو الطموح القوى للفوز بعضوية مجلس الشيوخ ،

(*) ظل الجزء الشرقى من المدينة القديمة تحت السيطرة الأردنية حتى قامت إسرائيل باحتلاله أثناء حرب عام ١٩٦٧ ، وقام مناحيم بيجين بضمها إلى إسرائيل عام ١٩٨٠ .

بمشروع قرار فى هذا الخصوص . فى الوقت نفسه تقدم السيناتور دانيل باتريك موينهان عن مدينة نيويورك بمشروع مماثل إلى الكونجرس ، استاءت إيباك فى الخفاء من هذه الخطوة لأن السيناتور موينهان لم يناقش الموضوع مع جماعات الضغط قبل أن يتقدم بمشروعه .

تشير الدلائل أن موضوع نقل السفارة الأمريكية إلى القدس لم يكن فى هذه الآونة بالذات ضمن أولويات منظمة إيباك ، ولا ضمن أولويات إسرائيل التى ما زالت قواتها تحتل المدينة وليس لديها أى نية للتخلى عنها ، وأيضا لم تكن حكومة شامير على استعداد لتعريض قضية مساعدات أمريكا لها لأى مخاطر بسبب إثارة هذه المسألة . ولكن مادام أن السيناتور موينهان والنائب لانتوس أثارا القضية بهذه السخونة فلا بد أن تدلى إيباك بدلوها ، وعلّق توماس دين على ذلك قائلاً " وهل كان فى استطاعتنا أن نقوم بغير ذلك ؟ " [٣] .

كان لهذه المواقف ما يبررها ؛ ولكن ما الدوافع وراء التسابق المحموم بين موندال وهارت ؟ بالطبع أصوات الناخبين اليهود التى كانا يطمحان إليها بشكل مقزز دفع اللجنة الأمريكية اليهودية إلى عقد مؤتمر صحفى فى نهاية شهر مارس انتقدت خلاله الوسيلة التى يستجدى بها المرشحون أصوات اليهود . وقال رئيس اللجنة إن اليهود الأمريكيين لديهم العديد من القضايا التى تشغلهم ولا يرغبون " فى أن يتفضل عليهم أحد بالحديث عن إسرائيل " [٤] . ظهر فى يوم انعقاد المؤتمر بصحيفة نيويورك تايمز مقال بعنوان " الإغراء الخاطئ لأصوات اليهود " [٥] وقّعه هيمان بوكبيندر ، ضاغط واشنطن السياسى المعروف ، قال فيه : إن قضية نقل السفارة مسألة سياسية شرعية " ولكنها ليست القضية المركزية فى الوقت الراهن ، ولا يجب أن تكون القضية الأساسية فى حملة الانتخابات التشريعية لعام ١٩٨٤ " . وقال أيضًا : إنه برغم التزام يهود أمريكا بأمن إسرائيل إلا أن هناك قضايا أخرى تهمهم أيضًا مثل الحقوق المدنية ، والفرص المتساوية ومعاداة السامية ، وإقامة الصلوات فى المدارس ، وغيرها من المسائل المحلية والدولية .

برهنت الانتقادات العلنية التى وجّهتها اللجنة الأمريكية اليهودية إلى مرشحى الحزب الديمقراطي للرئاسة بسبب حرص كل منهما على أن يظهر بمظهر الأكثر تأييداً لإسرائيل ، على حجم القلق الذى ينتاب بعض قادة اليهود حيال سيطرة إسرائيل الكاملة على حياة اليهود الأمريكيين . عبر عدد من هؤلاء القادة فى مناسبة خاصة عن مخاوفهم أن يؤدى الاستخدام " الداعر " لأصوات اليهود فى موضوع نقل السفارة إلى تنشيط تيار معاداة السامية .

من الصعب القول إن مرشحَىْ الرئاسة هارت و موندال كانا على غير علم بخبايا اللعبة الانتخابية ، لقد كانا يعتقدان جازمين أن مثل هذا الاستجداء ضرورى ، لذلك نزلا بثقلهما وراء هذا الموضوع دون حساب لما يمكن أن ينجم عنه من عواقب غير متوقعة . تشهد الوقائع أن لهارت سجل طويل فى مجال تأييد سياسات أمريكا فى كل ما يتصل بقضية القدس التى عرضت خلال شهر فبراير ، ولكنه يبدو الآن وكأنه قلب مواقفه رأساً على عقب لينافس موندال الذى مهدت له مواقفه المؤيدة لإسرائيل الطريق لأن يصبح نائبًا للرئيس جيمى كارتر (عمل موريس أميتاى المدير السابق لإيباك كواحد من مستشاريه غير الرسميين فى قضايا الشرق الأوسط أثناء حملته الانتخابية) . هذا الموقف المتغير جعل بعض أنصار هارت يجفلون عندما بدأت الصحافة تسخر من الدور الذى ادعاه لنفسه كمرشح يحمل " أفكارًا جديدة " ، وأشاع البعض منهم بعد خسارته أن موضوع نقل السفارة كان بداية الطريق نحو الهزيمة التى مُنى بها .

بغض النظر عمن كسب ومن خسر ، دلت المعركة الانتخابية أن كلا المرشحين وضع يده على القضية الصحيحة وهى أن اعتراضات اللجنة اليهودية لا وزن لها مادام تأييد إسرائيل تحول لدى جماعات الضغط إلى مؤشر يتم من خلاله تحويل أصوات الناخبين اليهود إلى حيث يريد المشرفون عليها .

احتضنت إيباك موضوع نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس بمجرد أن نفضت يدها من الانتخابات ، وأوعزت إلى أعضائها بالضغط على ممثليهم فى مجلسى النواب والشيوخ " لمواجهة الحقيقة المخزية " التى تؤكد أن إسرائيل هى البلد

الوحيد الذى لا تتواجد فيه سفارة لأمريكا فى عاصمته الوطنية . بالطبع فشلت إيباك فى التذكير بالنصف الآخر من الحقيقة وهو أن الغالبية العظمى من السفارات الأجنبية فى إسرائيل تتواجد فى تل أبيب ، وأن لأمريكا قنصلية فى القدس الشرقية . رفضت إدارة ريجان القبول بهذا المنطق واحتج شولتز وزير الخارجية بأن الأمر من اختصاص الرئيس ، وأضاف أن نقل السفارة ربما يؤدى إلى قيام موجة من الكراهية لأمريكا وانتشار للعنف فى الشرق الأوسط (٦) . لم تمنع هذه الحجج أعضاء الكونجرس من تبنى مشاريع القوانين التى قُدمت فيما بعد لوضع عملية النقل فى إطارها القانونى .

حملت الرياح لجماعة الضغط الموالية لإسرائيل مناسبة أحسنت استغلالها فحفظت ماء وجه جميع الأطراف فيما يتعلق بهذه القضية ، وأضافت بنداً جديداً إلى بنود جدول أعمال إيباك لعام ١٩٨٤ التى أعلنها توماس دين ، فماذا حدث ؟

أعلن البيت الأبيض فى وقت مبكر من عام ١٩٨٤ أنه سيبيع للسعودية والأردن ما قيمته ١٤٠ مليون دولار صواريخ ستينجر المضادة للطائرات ، الأمر الذى اعترضت عليه إسرائيل وإيباك بشدة . تفاخر توماس دين أثناء إلقاء خطاب له يوم ٢١ مارس أمام جمع من منظمة النداء اليهودى بأن منظمته شجعت اللجنة الفرعية لشئون الشرق الأوسط التابعة لمجلس النواب بأن تضيف تعديلاً على قرار البيع يمنع الأردن من استخدام المساعدات الأمريكية فى شراء أسلحة "إلا اذا حصل البيت الأبيض على تأكيد بأن المملكة ستلتزم الاعتراف بإسرائيل علناً ، وأن تتعهد بالمشاركة فى مفاوضات السلام وفق ما ينص عليه قرارا الأمم المتحدة رقمىْ ٢٤٢ و ٣٣٨ " . أثناء قيام الرئيس الأمريكى بإلقاء خطابه فى اليوم التالى أمام جمع آخر من أبناء المنظمة نفسها طلب ريجان من يهود أمريكا أن يؤيدوا صفقة بيع صواريخ ستينجر إلى الأردن والسعودية . بعد يوم واحد من حديث الرئيس هاجم الملك حسين فى مقابلة صحفية انفردت بها صحيفة ذى نيويورك تايمز السياسة الأمريكية ، وأبدى قلقاً بالغا أن يطلب الرئيس الإذن - على حد كلماته - من اليهود الأمريكيين لتقوم إدارته ببيع أسلحة إلى الأردن . وأضاف الملك " الولايات المتحدة لديها هامش محدود من الحرية لكى تخرج عن الإطار الذى رسمته لها إيباك والصهيونية وإسرائيل " (٧) .

دفعت الأقدار فى طريق إيباك ، على حد قول واحد من العاملين بها ، بداعم آخر للائحة معارضة بيع صفقة صواريخ ستينجر وهو الملك حسين الذى مهَّد هجومه على إدراة ريجان الطريق أمام إيباك للفوز بصفقة مع البيت الأبيض لم تكن تخطط لها ، فبعد سلسلة من المباحثات المباشرة مع لورانس إيجلبيرجر وكيل وزارة الخارجية وافقت إيباك على أن يصدر الكونجرس " قراراً تشريعياً " بأن تنقل السفارة فى نهاية الأمر إلى القدس . بذلك تم إنقاذ جميع الأطراف من خوض معركة بغيضة داخل أروقة مجلس الشيوخ ، وألزم ريجان دون أن يقيد يديه بتنفيذ القرار ، ووافقت الإدارة الأمريكية فى المقابل على أن تسقط من جدول أعمالها صفقة بيع صواريخ ستينجر إلى الأردن والسعودية حتى لا تخوض مغامرة من نوع صفقة طائرات الأواكس. وكان هذا نصراً جديدا مؤزراً لمنظمة إيباك .

رددت أروقة وزارة الخارجية وجنبات مجلسى النواب والشيوخ بشكل هامس صدى ما قاله الملك حسين ، وتساءل القوم : هل أوكل إلى إيباك تخطيط السياسة الخارجية لأمريكا ؟ واتفقت التعليقات على أن محصلة مباحثات دين / إيجلبيرجر وضعت نهاية لأى محاولة حقيقية لوضع سياسة غير منحازة فى الشرق الأوسط . انتقد مهاجمو وزارة الخارجية بشدة قيام البيت الأبيض بإبلاغ توماس دين إلغاء صفقة صواريخ ستينجر قبل أن يقوم مسئولوه بإبلاغ ذلك إلى ريتشارد مورفى ، وكيل الوزارة المساعد لشئون الشرق الأقصى والذى كان مسئولا فى هذه الفترة عن الشرق الأوسط أيضاً ، باثنتى عشرة ساعة كاملة [٨] . ابتهج توماس دين إلى درجة النشوة ، فها هو ملك الأردن يقوم بدور هام فى مجال علاقات منظمة إيباك العامة ، ولمن لديه أدنى شك فى صحة هذه المقولة أن يراجع البند رقم ٥ من جدول الأعمال الذى أعلنه هذا الرجل أمام تجمع لليهود فى واشنطن عام ٨٤ والذى أشرنا إليه فى مقدمة هذا الفصل : وقف مبيعات السلاح إلى الدول العربية !! .

وشهد عام ١٩٨٤ أيضاً تقوية للعلاقات العسكرية الرسمية بين أمريكا وإسرائيل ، فبعد أكثر قليلاً من عام على التوتر الذى وقع بينهما على أثر قيام حكومة تل أبيب بضم أراضى هضبة الجولان السورية وما ترتب عليه من قرار أمريكا تأجيل بدء العمل باتفاق التعاون الإستراتيجى الذى وقَّعه شارون و ويرينر بيرجر ، وقع وزير الخارجية

الإسرائيلى إسحاق شامير مع الرئيس ريجان اتفاقاً ينص على تشكيل فريق مشترك من الجانبين يقوم بوضع جدول أعمال لتبادل الخدمات بين البلدين . اعتبر هذا الاتفاق إحياءً لعدد من الأفكار الإستراتيجية التى كانت تطالب بها مثل : تعاون جوى وبحرى فى المنطقة بين الجانبين ، الاشتراك فى تبادل المعلومات الاستخبارية ، تخزين المعدات العسكرية الأمريكية فوق الأراضى الإسرائيلية ، تسهيلات لتخزين الذخيرة الأمريكية ، استيعاب الإمدادات الطبية اللازمة للمستقبل ، والاستفادة من إمكانيات المستشفيات الإسرائيلية . أعاد هذا الاتفاق إلى إسرائيل مكانتها كركيزة إستراتيجية لأمريكا فى الشرق الأوسط . تلك المكانة التى كانت قد تأثرت بعض الشىء فى أعقاب غزوها للبنان ، أما إيباك فرأت فيه تحالفا رسمياً بين البلدين .

كانت جماعات الضغط مستعدة أيضاً للعمل من أجل تقوية العلاقات التجارية بين واشنطنَ وتل أبيب خلال العام نفسه ، لذلك بدأت تمارس مع أسابيعه الأولى تحركاتها لحض الإدارة الأمريكية ومجلس الشيوخ على إصدار القرارات التى تعتبر إسرائيل منطقة تجارة حرة . بعد شهور من الاجتماعات المكثفة بين الممثلين التجاريين للجانبين ، كللت هذه الجهود بالنجاح حين وافق البيت الأبيض فى شهر مارس عام ١٩٨٥ على إزالة كل أنواع التعريفة الجمركية بين البلدين خلال عشر سنوات (٩) .

انصب العائد الأكبر لهذا الاتفاق على واردات إسرائيل من أمريكا ، ولكنه كان ذا آثار إيجابية أيضاً على صادرات إسرائيل إليها ، لأن ٩٠٪ منها كانت معفاة من الضرائب فى ظل القوانين التى تحدد " أفضلية الاستيراد من الدول النامية " . ولما كانت قواعد الإعفاء المعمول بها فى ظل هذه الأفضلية محدودة ، وكانت مدة العمل بها على وشك الانتهاء . جاء هذا الاتفاق الجديد ليوفر للطرفين الفرصة لتخطيط أفضل لسبل التجارة بينهما ، تلك الفرصة التى كانت إسرائيل تأمل أن تحصل صادراتها الصناعية إلى أمريكا من ورائها على دفعة هائلة . مثَّل هذا الاتفاق بالنسبة لمنظمة إيباك قيمة رمزية لم تكن تحلم بها لأنه كان أول اتفاق تبرمه أمريكا على مستوى دول العالم كله لإقامة منطقة تجارة حرة خارجية ، وقدم دليلاً آخر لأعداء إسرائيل والمستعربين من موظفى الإدارة الأمريكية على متانة التحالف بين الأصدقاء القدامى .

كان الاتفاق التجارى نصراً كبيراً لمنظمة إيباك أضيف إلى العديد من المكاسب التى حققتها طوال عامى ٨٤ و ٨٥ التى لم يلطخها سوى فضيحة كان لها علاقة مباشرة بسرية المباحثات المتعلقة بهذا الاتفاق على وجه التحديد !! . لقد تسربت نسخة من الوثائق المسجلة تتضمن الإستراتيجية التى سيعتمدها الجانب الأمريكى طوال مفاوضاته مع الجانب الإسرائيلى ، إلى أيدى مسئولى إيباك !! قبل نهاية فصل الصيف الذى شهد استعدادات الجانبين لخوض هذه المحادثات . ادعت المنظمة أنها لم " تتوسل بطريقة ما " للحصول على هذه الوثيقة ، وأن توماس دين نفسه لم يكن يدرى عن الموضوع أى شىء إلا عندما اتصل به تليفونيًا فى شأنه وليام بروك الممثل التجارى للجانب الأمريكى فى المباحثات ، من هذه النقطة بدأ مكتب التحقيقات الفيدرالية تحرياته لتحديد المصدر الذى سرّبها (١٠) .

حظيت اتفاقية منطقة التجارة الحرة فى كل مراحلها بتأييد الرئيس الأمريكى ، ولكنها لقيت معارضة قوية ، احتج عليها أولاً ، اتحاد العمال الفيدرالى ومنظمة الصناعات الأمريكية وكل منهما يعد مؤيداً مواليًا لإسرائيل فى أمريكا ومن كبار حملة سنداتها بأن ذلك سيهدد سوق العمالة فى البلاد . واحتج عليها ثانيًا ، أصحاب الصناعات التى تتمتع بحماية ضد واردات إسرائيل مثل منتجى الفواكه وصُنَّاع الأحجار الكريمة وعمال المنسوجات والملبوسات .

كانت حظوظ نجاح إيباك فيما يتعلق بتحريك عجلة السلام فى الشرق الأوسط سلبية ، لأنها عمدت إلى محاصرة الجهود التى يحاول الرئيس أن يبذلها للقيام بدور الوساطة فيه ، ففى الوقت الذى كان توماس دين من أوائل من أيدوا خطة ريجان للسلام كان العاملون فى منظمته يشيعون فى جلساتهم الخاصة أن وزارة الخارجية " استدرجت " إيباك إلى هذا الموقف بعد وعد منها أن الملك حسين فى طريقه لأن يكون نسخة أخرى من السادات . تضمنت هذه الحجة نوعًا من المخادعة لأن إيباك كانت على ثقة تامة أن الملك حسين أبعد نفسه كلية عن اتفاقية كامب ديفيد لأن السادات سار إليها منفرداً ، وأدار مفاوضاته حول تخليص سيناء من الاحتلال وترك قضية الفلسطينيين والضفة الغربية المحتلة لتصبح محور اهتمام الأردن الرئيسى .

معروف عن التعاملات الدبلوماسية التى تتعلق بالصراع فى الشرق الأوسط أنها ضعيفة الذاكرة وانتقائية !! لقد كانت مركزية رؤية اتفاقيات كامب ديفيد وخطة ريجان للسلام تدور حول إجراء مفاوضات بين إسرائيل والأردن والفلسطينيين حول مستقبل الضفة الغربية وغزة ، ولكن يبدو أن تركيز إيباك الهائل على دور إسرائيل الإستراتيجى كركيزة أمريكية فى الشرق الأوسط أنساها نصوص اتفاقية كامب ديفيد التى وقع عليها بيجين . لقد نصَت الاتفاقية بوضوح على أن تحديد الشكل النهائى للسيادة فوق أراضى الضفة الغربية وقطاع غزة ليس بيد إسرائيل وإنما بيد كل من مصر والأردن والفلسطينيين الذين من حقهم عمليًا أن يعترضوا على أى اتفاق يتم التوصل إليه فى هذا الخصوص . لهذا السبب فضَّل معظم قادة إسرائيل التعامل مع قضية الضفة الغربية وقطاع غزة وفق مقترحات خطة ريجان وليس فى ضوء نصوص اتفاقية كامب ديفيد لأن الخطة على عكس الاتفاقية أحاطت الدور الفلسطينى بضبابية ، من هنا جاء الاستغراب للموقف الفلسطينى المعارض بشدة لوثيقة مؤيدة على طول الخط لقضاياه والاندهاش حيال موافقة بيجين على التوقيع عليها !! .

على الرغم من حديث توماس دين عن التزامات إسرائيل وإيباك تجاه الخطوات التى تضمنتها اتفاقية كامب ديفيد ، كانت تصدر منه أحاديث أخرى تدل على نكوصه عن هذه الأقوال عندما يتصدى لتفسير ملامح السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط . عمد دين فى خطابه السنوى الذى ألقاه فى شهر مارس أمام منظمة النداء اليهودى الموحد إلى ازدراء الجهود التى يبذلها صناع السياسة الأمريكية الذين يصممون على حد تعبيره على " أن الطريقة الوحيدة لكسب ود الأصدقاء العرب هى أن يقوموا بالإساءة إلى إسرائيل " . كانت لغة دين قديمة قدم الجهود التى كانت تبذلها الإدارة الأمريكية فى عهد الرئيس أيزنهاور حتى لا يتحول العرب إلى توابع فى الفضاء السوفيتى ، وكانت تتعمد نسيان " قضية اللاجئين الفلسطينيين " تلك القضية التى تضمنتها خطة جون كيندى وجونسون وخطة روجرز ونصوص قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ ووضعت لها صياغات للحل .

كانت قضية الفلسطينيين تحتل صدارة خطوات السلام فى الشرق الأوسط فى عام ١٩٨٤ ، كما كانت تحتل المكانة نفسها قبل ذلك ، والقول بأن الجهود التى كان

يبذلها ريجان كانت تهدف إلى الإساءة إلى إسرائيل لم يتوافر عليها أدلة قوية . أما الأدلة القاطعة على موالاة الإدارة الأمريكية لإسرائيل فمتعددة ، منها : سجل المساعدات التى قُدمت لإسرائيل واتفاقية التعاون الإستراتيجى ، وإلغاء صفقة صواريخ ستينجر ، والدعم الذى قدم لتصنيع الطائرة لافى بالرغم من الاعتراض الذى أبدته وزارة الدفاع وكبريات شركات صناعة الطائرات ، وما أبدته اتحادات الصناعات الفضائية من تخوف تجاه انكماش سوق العمال فى الداخل والمنافسة فى الأسواق الخارجية ، الملفت للانتباه أن إيباك كانت تفتخر بالحديث عن هذه المسائل على اعتبار أنها إنجازات تمكنت هى من تحقيقها .

إلى جانب ذلك عانت منظمة ايباك من مشكلة عويصة ؛ فالكثير من خبراء الصراع العربى الإسرائيلى بما فيهم الإسرائيليون منهم يؤمنون أن السلام لن يكون ممكنًا بدون مشاركة الفلسطينيين بشكل أو بآخر . حتى بيجين وموشى دايان كانا على استعداد للترحيب بفلسطينيين ضمن الوفد الأردنى للمشاركة فى فاعليات مؤتمر جنيف للسلام ما لم يكونوا على صلة بمنظمة التحرير الفلسطينية التى يرأسها عرفات . أما اليوم ونحن فى عام ١٩٨٤، فقد شدد الإسرائيليون موقفهم تجاه مشاركة فلسطينية بهذا الشكل . اليوم حزب العمل الحاكم أكثر رفضًا من حزب الليكود لتبادل الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية ، وكانت إيباك على عهدها دائمًا متطابقة فى الرأى مع رئيس الوزراء الإسرائيلى . قال دين لمستمعى خطاب كان يلقيه " أرجو منكم أن تبلغوا المسئولين عن الإدارة الأمريكية وأعضاء مجلس الشيوخ أن منظمة التحرير الفلسطينية تريد أن تدمر إسرائيل ، وهذه المنظمة ليس فى مقدورها وفق تركيبتها وكما هو ظاهر للعيان من عجزها المحزن أن تتبع سياسة معتدلة غير زائفة تفرض عليها ببساطة أن تقول إننا نعترف بإسرائيل " .

هاجم دين فى الخطاب نفسه المقابلات السرية التى تتم بين عرفات وجامعيين أمريكيين بمعرفة ومباركة وزارة الخارجية والبيت الأبيض ، خاصة وأنه فى كل مرة كان الإعلام يطلع فيها على جزء مما يدور فى هذه الاجتماعات يسارع البيت الأبيض إلى الاعتذار عمليًا عما قد يسببه ذلك من مخالفة للاتفاق الضمنى بين أمريكا وإسرائيل ،

فى الوقت نفسه لم توفق إيباك فى استصدار قرار تشريعى يضمن وقف مثل هذه الاجتماعات نهائيا .

كانت هذه الاجتماعات تجرى فى سرية تامة بين ممثلين عن منظمة التحرير الفلسطينية وممثلين أمريكيين غير حكوميين عبر وسيط ثالث لسبب جوهرى ، هو مذكرة التفاهم التى تعهد هنرى كيسينجر فيها لإسرائيل بأن لا تجرى واشنطن أية اتصالات رسمية مع هذه المنظمة ما دام عرفات لم ينبذ الإرهاب ، ولم يعترف بحق إسرائيل فى الوجود ، ولم يوافق على التفاوض ضمن وفد عربى وفق ما تنص عليه بنود قرارى الأمم المتحدة ٢٤٢ و ٣٣٨ . من هنا جاء التساؤل الأمريكى : كيف يتسنى لنا أن نقنع عرفات بكل المطالب السابقة دون أن نجرى اتصالات مع منظمته ؟

كانت هذه المحادثات مع " أعداء إسرائيل " وما أثارته من أخطار تمثلها " منظمة التحرير الفلسطينية " السبب المباشر الذى دفع الكثيرين من " المواطنين الممارسين للعمل السياسى " للانضمام إلى منظمة إيباك فى حربها من أجل إحكام قبضتها على واشنطن . عبّر توماس دين عن هذه الحقيقة فى مقابلة أجريت معه فى مارس عام ١٩٨٤ عندما قال " السياسة هى الرياضة المفضلة لدى أعضاء جماعتنا لأننا فى حاجة إلى تقوية القوة الشعبية وتقوية تواجدنا فى المناطق الانتخابية الـ ٤٣٥ التى تختار أعضاء مجلس الشيوخ ، لقد منحتنا فاعليات صفقة بيع طائرات الأواكس وضوح الرؤية مما دفعنى إلى الطواف بأرجاء البلاد سعياً لتجنيد الأنصار " (١١) .

يذكر أنه عندما تولى توماس دين مسئولية إدارة إيباك فى شهر أكتوبر عام ١٩٨٠ كان عدد أعضاء المنظمة المسددون للرسوم أحد عشر ألف عضو ، فى نهاية عام ١٩٨٤ بلغ عددهم أكثر من خمسين ألفًا . يقال إن عدد العضوية تضاعف ثلاث مرات بعد عملية التصويت التى تمت لبيع طائرات الأواكس إلى السعودية . لهذا تفاخر توماس دين قائلا " إننا حركة جماهيرية " متحدثا عن منظمة تأسست عام ١٩٥١ ، وكان عدد العاملين بها لا يتجاوز خمسة أشخاص ، ودفتر شيكاتها كان يمكن أن يبقى مدينًا طوال العشرين عامًا التالية .

انتُخب رجل أعمال شيكاغو بوب آشر رئيسًا لإيباك فى شهر مارس ١٩٨٤ ، وعندما حل موعد انعقاد مؤتمر المنظمة السنوى الخامس والعشرين ، خطب فى الحضور قائلاً إن حلمه الأكبر أن يصل أعضاء جماعة الضغط الوحيدة المسجلة فى واشنطن كجماعة سياسية موالية لإسرائيل إلى ٢٢٥ ألف عضو من اليهود وغير اليهود .

صار لمنظمة إيباك التى كان يتطلع كل من بوب آشر وتوماس دين إلى جعلها أبرز منظمة يهودية ، والتى بلغت ميزانيتها ٣ مليون دولار عام ١٩٨٥ ، بعد هذه السنوات النفوذ الذى أقلق الملك حسين ، وحذر منه عبر سطور المقابلة التى نشرتها له صحيفة نيويورك تايمز . فها هى معارضة مجلس الشيوخ لمحاولات بيع أسلحة أمريكية للمملكة التى تستند على ما يوصف بعجز الملك عن " المشاركة فى خطوات السلام " تتواصل لعدة سنوات وتصبح من الأقوال التى يرددها دين فى كل خطبه العامة . هذا بالرغم من أن الملك حسين يعد الأكثر بين قلة من قادة الشرق الأوسط الذى مارس ضغوطه من أجل السلام بشكل دائم ومثابر . لم يجتمع أحد من الزعماء العرب مع هذا العدد الكبير من الإسرائيليين بشكل سرى كما اجتمع معهم الملك الأردنى ، لدرجة أن الاجتماع السرى مع هذا الزعيم تحول إلى وسام يدل على رفعة المكانة بين ساسة إسرائيل . وبالرغم من الصعوبات التى كان يواجهها الملك من الإسرائيليين والفلسطينيين الذين يشكلون غالبية سكان الدولة التى يحكمها والمشاكل التى يسببها له الإسلاميون المتشددون والعقبات التى يضعها فى طريقه السعوديون والسوريون والمصريون ، أيَّد ملك الأردن منذ عام ١٩٦٧ كل تحرك قامت به أمريكا من أجل إقرار السلام فى المنطقة ما عدا اتفاقية كامب ديفيد بين مصر وإسرائيل . لخص الدكتور أكرم بركات مدير المكتب الإعلامى الأردنى فى واشنطن مساهمات الملك فى التحرك نحو السلام وما لحق به من خيبة أمل نتيجة لذلك فى الجمل التالية :

" أشار القرار ٢٤٢ لأول مرة عندما صدر بمبدأ الأرض مقابل السلام مما دفع الملك إلى إقناع ناصر به ، قاوم الجانب الإسرائيلى القرار حتى إن بيجين استقال من الحكومة بسبب قبولها له مما عطل محاولات العمل به . قبل الملك التعاون مع يارنج مبعوث سكرتير عام الأمم المتحدة ولم يحدث تقدم ، كما قَبِل بعد ذلك خطة روجرز

بالرغم من القلاقل السياسة التى شهدها الأردن فى تلك الفترة والضغوط الداخلية التى طالبت بعدم تأييدها ، وانتهى الأمر بأن نُسفت هذه الخطة . قبل الملك القرار ٣٣٨ ولعب دورًا نشيطا على مستوى خطوات السلام حتى بعد انتهاء مفاضاوت فض الاشتباك بين القوات السورية والقوات الإسرائيلية برعاية كيسينجر ، بالرغم من أن عدم مشاركتنا فى حرب يوم كيبور / أكتوبر ٧٣ حرمتنا من القيام بدور فى موضوع فك الارتباط بين القوات . حتى دور الأمم المتحدة فى هذا الشأن انكمش ، ولكن الملك ما زال يأمل أن تمارس أمريكا ضغوطها على إسرائيل فيما يتعلق بالانسحاب من الأراضى المحتلة . أصبح دور الأردن ثانويًا منذ تم قبول منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، واستمر هذا الوضع حتى تم التوقيع على اتفاقيات كامب ديفيد . وافق الملك أيضًا على البيان الأمريكى الروسى المشترك الذى دعا إلى عقد مباحثات سلام فى جنيف ، لكن الفكرة طواها النسيان بعد أن أعلن السادات خطة لزيارة إسرائيل " (١٢) .

رفض الأردن أن يشارك في مباحثات كامب ديفيد حتى لا يتورط فى نتائجها ، لأن الملك رأى بشكل مباشر أن السادات يسعى إلى سلام منفرد مع إسرائيل دون أن يضغط بما فيه الكفاية لأجل إقرار حقوق الفلسطينيين فى الضفة الغربية . أيد الملك خطة ريجان للسلام ولكن حماسته لها كانت أقل بكثير من حماسة طاقم الإدارة الأمريكية الذى تبناها يوم الإعلان عنها ، وبرر ذلك قائلاً إن عدم قدرة أطراف مثل سوريا والسعودية ومعارضى منظمة التحرير الفلسطينية وريجان على إجبار إسرائيل على الانسحاب من لبنان جعل من المستحيل عليه أن يتحمس بقوة لخطة السلام . وأضاف الملك أن الاتفاق الإستراتيجى بين إسرائيل وأمريكا قرَّب بين البلدين إلى حد كبير أكثر من أى وقت مضى مما أثر سلبًا على قدرة واشنطن أن تقوم بدور وسيط السلام غير المنحاز .

كانت لدى الملك حسين مشاكله الخاصة الداخلية والخارجية مثله فى ذلك مثل الإسرائيليين وبقية اللاعبين على الساحة السياسية فى الشرق الأوسط ، فى الداخل أوقعته غالبية سكان مملكته من الفلسطينيين بين مطرقة رفض حزب هيروت بزعامة بيجين أية تسوية تتعلق بأراضى إسرائيل التاريخية التى أصبحت من تجليات تجمع

الليكود ، وسندان ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية الذى ينادى بتدمير إسرائيل .
وأجهد الملك نفسه أن يقنع عرفات بالانضمام إلى خطوات السلام ، تقول مجموعة من التحقيقات الصحفية التى نشرتها عنه صحيفة ذى وول ستريت خلال عام ١٩٨٣ إنه كان على وشك أن يقنع عرفات بالتوقيع على وثيقة يعترف من خلالها " بكل الجهود الدولية التى تبذل فى هذا الشأن بما فى ذلك خطة ريجان للسلام " . يقال إن عرفات وافق على الفكرة من حيث المبدأ ، ولكن عندما قُدِّمت إليه مسودة الوثيقة لكى يوافق عليها تراجع عن الموضوع كلية . تقول كارين إليوت هوس مراسلة الصحيفة فى ذلك الوقت (اليوم محررة الشئون الخارجية) إن أحد المسئولين الأمريكيين الذين تابعوا جزءًا من هذه الخطوات وصف ما قام به الملك قائلاً " بذل جلالته جهدًا خارقًا مع عرفات وتمكن أن يجذب هذه السمكة المراوغة ناحية القارب ولكنها انزلقت مرة أخرى إلى المياه قبل أن يغرس الخطاف فى جنبها " (١٣) .

تعتبر هذه المحاولة التى كاد يوافق فيها رئيس منظمة التحرير الفلسطينية كتابة على الشروط التى تحددها إسرائيل كشروط مسبقة حتى تسمح له بالمشاركة فى المفاوضات ، هى الأكثر إحراجًا لإسرائيل . وبالرغم من تراجعه ظل عرفات يكرر أنه كان على استعداد للاعتراف بحقيقة الوجود الإسرائيلى وأن يواجه مشاكله السياسية الناجمة عن ذلك ، وأن يتبنى الحل السياسى للمشكلة الفلسطينية ، وأن يسقط من حسابه الحل العسكرى . عندما سأل جون أواكس أحد كبار محررى صحيفة ذى نيويورك تايمز السابقين عرفات وهو يجرى معه مقابلة فى شهر مارس عام ١٩٨٤ عن مدى التزامه تدمير إسرائيل ، رد قائلا : " هل أنت تمزح ، كيف يتسنى لنا أن ندمر دولة تملك ٣٠ قنبلة نووية ؟ " . يدل الرد دلالة قاطعة على قدرة على التملص من الإجابة ، ولكنه يحمل فى طياته دليلا على أن هذه القدرة النووية هى التى ربما تكون قد دفعته إلى تفضيل الحل السياسى . وعندما ضغط أواكس عليه للإجابة على سؤال لماذا لم تعترف منظمة التحرير الفلسطينية بحق إسرائيل فى الوجود، بدا عرفات أبعد صراحة من ذى قبل حين رد قائلا " علىَّ أن أكون حريصًا ؛ فأنا لست السادات الذى قرر أن ينتحر ، ورقة الاعتراف هى الوحيدة التى أملكها وأنا لست من الغباء بحيث أتنازل عنها بلا مقابل مجدٍ يضع بين يدىَّ صفقة متكاملة " (١٤) . وأضاف عرفات

لقـد " أرسلت إشـاراتى من أجل فـتح حـوار ولكنى لم أتلق أى رد " وأكـد أن رئيس الوزراء الإسرائيلى إسحاق شامير يرفض بشدة الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية حتى ولو اعترفت المنظمة بإسرائيل .

أرسل عرفات المزيد من الإشارات خلال الأشهر التالية ، ففى مقابلة أجرتها معه مجلة لونوفيل أوبزيرفاتير فى شهر مايو قال " إننى أقترح إجراء مفاوضات مباشرة بيننا وبين الإسرائيليين برعاية الأمم المتحدة " وقال أيضًا فى المقابلة نفسها " أنا أؤيد الاعتراف المتبادل بين دولتين : دولة إسرائيل والدولة الفلسطينية المزمع إنشاؤها " (١٥) .

كان هذا القول بمثابة تنازل علنى غير مسبوق من جانب رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، فمن حيث المبدأ تضمنت كلا الملاحظتين اعترافًا ضمنيًا بإسرائيل إذ لا يمكن لطرف أن يتفاوض مع طرف آخر غير موجود ، كما احتوت على اعتراف ضمنى آخر بقبول قرارىْ مجلس الأمن رقمى ٢٤٢ و٣٣٨ .. وبالرغم من ذلك لم تهتم الصحف الأمريكية بالإشارة إلى الملاحظات التى وردت على لسان عرفات . من المؤكد أيضًا أن إيباك لم تعرف بها ، ففى شهر أكتوبر ١٩٨٤ حثت المنظمة أصدقاءها فى مجلس الشيوخ على إضافة قيد آخر إلى القرار رقم ٥٣٥ الذى يتضمن القيود التى وضعها كيسينجر على الاتصال بمنظمة التحرير الفلسطينية ، بينما المجلس كله غير قادر على إبداء موافقته على المخصصات الجديدة للسنة المالية التالية التى تحتفظ بحجم الإنفاق الفيدرالى بنفس مستوى العام الحالى . تقول الفقرة المقترحة :

" لايحق لأى موظف أو شخص يعمل فى خدمة حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أن يعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية أو أن يتفاوض معها أو مع ممثليها ما لم تعترف هذه المنظمة بحق إسرائيل فى الوجود ولم تقبل قرارى مجلس الأمن رقمى ٢٤٢ و ٣٣٨ ولم تنبذ اللجوء إلى الإرهاب " (١٦) .

استمر الملك حسين فى محاولاته خاصة وأن الانتخابات الإسرائيلية التى كان من المقرر أن يشهدها صيف عام ١٩٨٤ كانت توحى بأن فرصة هزيمة تجمع الليكود ممكنة ، وبالتالى يمكن أن تتشكل حكومة عمالية برئاسة شيمون بيريز الذى يبدو أنه

كان أكثر استعداداً لإعادة إسرائيل إلى أسلوبها السياسى القديم المتمثل فى إعادة الأرض مقابل السلام . لم يحظ بيريز بالأغلبية التى تتيح لحزب العمل أن يشكل حكومة بمفرده ، لذلك تكونت فى شهر أكتوبر بعد مداولات مكثفة حكومة وحدة وطنية من العمل والليكود يتولى فيها بيريز الرئاسة لمدة سنتين يليها فترة مماثلة يتولى فيها شامير المسئولية .بعد تشكيل الحكومة كثف الملك حسين من محاولاته مع عرفات لعله يتوصل معه إلى اتفاق يرضى أمريكا وإسرائيل ويفتح له باب المشاركة فى المفاوضات التى لم يكن فى مقدوره (الملك) أن يدخلها دون أن يكون (عرفات) إلى جانبه .

أبدت قلة من الذين تابعوا الأحداث التى شهدها الشرق الأوسط منذ عام ١٩٦٧ تفاؤلا تجاه ما يمكن أن تتمخض عنه خطوات السلام فى ظل حكومة الوحدة الوطنية الإسرائيلية الجديدة . المشكلة الحقيقية فى هذه الحكومة أنها كانت تتكون من نصفين : الليكود بزعامة بيجين رئيس حزب هيروت والعمل بزعامة بيريز ، يحتقر كل منهما رؤية الآخر لإسرائيل منذ ما قبل قيام الدولة . قال سايروس فانس وزير خارجية أمريكا السابق بعد تشكيل هذه الحكومة بوقت قصير " هناك احتمال محدود أن تقوم هذه الحكومة بخطوات مهمة فى اتجاه إقرار السلام خاصة وأن التوفيق بين جناحيها فيما يتعلق بالسياسة الخارجية أمر بالغ الصعوبة " ، لهذا السبب لم يتوقع إلا تقدمًا محدوداً على مسار السلام خلال تولى هذه الحكومة للمسئولية (١٧) .

أربك السكوت الذى حل على جماعات اليهود الأمريكيين إزاء تصلب الليكود الكثير من سياسيىّ إسرائيل الذين يقفون على يسار بيجين وشامير وشارون ، خاصة وأن أكثر من نصف سكان إسرائيل كانوا يعارضون ضم الضفة الغربية إليها . وبينما كان الرأى العام الإسرائيلى ينتقد مغامرة بيجين / شارون فى لبنان ، ظلت الجماعات اليهودية الأمريكية تدافع عن السياسة الإسرائيلية هناك بالرغم من أن حوالى نصف هذه الجماعات وغالبية كبيرة من قياداتها ظلت تؤيد حزب العمل الإسرائيلى . وبالرغم من أن هذه الجماعات ناصرت حكومتى بيجين وشامير علانية إلا أنها فى مناقشاتهم الخاصة كانوا يعبرون عن عدم رضاهم وقلقهم حيال رؤية الليكود لسياسات إسرائيل خاصة فيما يتعلق بالضفة الغربية . وبدا اهتمامهم للقيام بعمل ما واضحًا ، ففى استفتاء أجرته مؤسسة جالوب يومى ٢٣ و٢٤ سبتمبر عام ١٩٨٢ أوصى أكثر من ثلث

المشاركين بضرورة أن يلعب اليهود الأمريكيون دوراً نشطًا للتأثير على السياسات الإسرائيلية ، الأمر الذى لم يكن يرحب به السياسيون الإسرائيليون لا من قريب ولا من بعيد .

أجرت اللجنة اليهودية الأمريكية استفتاءً فى عام ١٩٨٣ عبّر خلاله اليهود الأمريكيون بوضوح عن الأمور التى يعترضون عليها فى السياسات التى تمارسها حكومة إسرائيل برئاسة الليكود فى ذاك الوقت . توضح بيانات الاستبيان أن ٤٢ ٪ من اليهود العاديين و ٧٤ ٪ من قادتهم يختلفون مع سياسات بيجين وشارون ويعتقدون أنه " على إسرائيل أن تعيد الأراضى العربية بالضفة الغربية وغزة فى مقابل ضمانات موثوق بها " .. أما فيما يتعلق بالمستوطنات فى الأراضى المحتلة كان اليهود الأمريكيون أكثر معارضة لسياسات الليكود ، حيث قال ٥١ ٪ " يجب على إسرائيل أن تلغى مخططات التوسع فى إقامة المستوطنات فى الضفة الغربية وأن تشجع على مفاوضات السلام " .

أبدى اليهود الأمريكيون فى ضوء هذا الاستفتاء مساندة لسياسات واشنطن التى تنادى باستعادة الأرض مقابل السلام وتعارض إقامة المستوطنات اليهودية فى الأراضى المحتلة ، وبرهن نصفهم على أنهم يختلفون مع منظمة إيباك حول نظرتها إلى التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية " المخيفة " ومع احتمال قيام دولة فلسطينية إلى جوار الدولة اليهودية . وأوضح بيان هذا الاستفتاء (الذى دائمًا ما أرجع إليه لأن الآراء التى طُرحت فيه عبر عنها أصحابها بعد خمس سنوات ونصف من قيام حكومة مناحيم بيجين) أن ٧٠ ٪ من اليهود العاديين و٧٣ ٪ من قادتهم يؤيدون أن " تبدأ إسرائيل مفاوضاتها مع منظمة التحرير الفلسطينية إذا اعترفت بحقها فى الوجود ونبذت الإرهاب " .. وبينما كانت إيباك تسعى لمواصلة الضغط على الإدارة الأمريكية لكى تستمر فى استبعاد منظمة التحرير الفلسطينية عن ما يجرى من ترتيبات للسلام أيًا كان نوعها ، قال ٤٨ ٪ من اليهود العاديين و ٥١ ٪ من قادتهم إنه " من حق الفلسطينيين أن يكون لهم وطن فى الضفة الغربية وغزة ماداموا لا يشكلون مصدر تهديد لإسرائيل " (١٨) .

طرح هذا الاستفتاء وجهات نظر قوية بل قوية جداً ، لكن بعض اليهود يرون أن إطلاقها علانية يلقى الضوء على انشقاق داخلى قد يضع بين يدى السياسيين الموالين للعرب والمناهضين للسامية أوراقًا ربما تساعدهم على طلب وقف الدعم الذى تقدمه أمريكا لإسرائيل . يؤكد قوة الرابطة بين الجماعة اليهودية الأمريكية وحكومات إسرائيل أن المعتدلين من ساستها لم يكونوا قادرين على إقناع قادة هذه الجماعة أن فض عرى ارتباطها بتجمع الليكود هو فى صالح المصالح الإسرائيلية القومية .

قرر محامى تل أبيب الشهير موردخاى فيرشونيسكى بعد فوزه فى انتخابات الكنيست أوائل عام ١٩٨٤ عن حزب شينوى ، أن يطوف بالولايات الأمريكية شارحًا للتجمعات اليهودية وجهة نظر حزبه الذى يمثل يسار الوسط ، والمعروف بأنه من الحمائم . ركز فيرشونيسكى على هدفين أساسيين أشار إليهما فى مقابلة صحفية أجراها بالمقر الرئيسى للحزب في تل أبيب فى شهر نوفمبر من العام نفسه بعد عودته من أمريكا " أولاً ، لإيضاح أبعاد الرأى العام العربى والإسرائيلى لليهود الأمريكيين وللتأكيد ، ثانيًا ، على أن النتائج التى تتمخض عنها سياسات الاستيطان فى الضفة الغربية لا تساعد على تقوية إسرائيل " كما تزعم الدعايات المساندة لسياسات الليكود . يقول فيرشونيسكى إنه انزعج عندما تعرف على السلوكيات الأمريكية تجاه المجتمع الإسرائيلى وسياساته " ليس لديهم فهم عميق لما تعانى منه إسرائيل ، كما أننا نحن الإسرائيليين لا نقوم بالجهد الكافى لكى نفسح الطريق أمام الآخرين للاهتمام بإسرائيل الحقيقية التى بالرغم من مشاكلها وأيضاً بسببها تعتبر مكانًا خلابًا ومن أكبر التجارب الاجتماعية فى التاريخ " (١٩) .

زاد حنق فيرشونيسكى عندما تقابل مع ستيفن روسن رئيس قسم البحوث فى إيباك والمحرك الأول لمخطط سياسات تسويق المنظمة لإسرائيل داخل الكونجرس كركيزة استراتيجية . يُعرف عن ستيفن روسن بين العاملين فى إيباك الذين يتدرجون فى تعبيرهم عن الآراء السياسية حيال السياسة الأمريكية والإسرائيلية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، أنه متعصب فيما يتعلق بأحقية إسرائيل فى ضم الضفة الغربية . بالرغم من أن رئيسه المباشر توماس دين يعارض على المستوى الشخصى هذا الضم ، إلا أن ستيفن روسن كان يحظى بتأييد الأعضاء الأكثر قوة فى مجلس

إدارة إيباك خاصة لأنه كان مسئولاً عن إمداد صانعي السياسة الأمريكية بما يحتاجونه من معلومات تؤيد موالاتهم لإسرائيل .

لم يسعد فيرشونيسكي بلقائه مع ستيفن روسن بسبب موقفه من إسرائيل ، وعلق على ذلك قائلاً " تصرفه معي دل على أنه حزم أمره تجاهي ، ودلت تصرفاته على أنه قرر عدم إمدادي بالحقائق ، وهذا موقف يتسم بالبغضاء لدرجة أنني شعرت أنه لا يتمنى ابتعادي عن أمريكا فقط وإنما عن الدنيا كلها كما لو أنني أعمد إلى الاستيلاء على أعماله المقدسة أو إلى تلطيخها " . وأضاف فيرشونيسكي الذي يحمل مقومات صراحة السياسيين الإسرائيليين وغضبة المحامي الذي أُهملت حججه القانونية " أنا من حزب الوسط وقد انتخبتني قواعد جماهيرية إسرائيلية ، وما أقوله لا يعد معارضة لسياسات الحكومة لأنه جزء من تفكيرها وعلينا أن نعبر عنه ، وإذا كان ستيفن روسن مؤيدا لضم الضفة الغربية فما عليه إلا أن يعترف بأن هذا رأيه وأن يناقشه " .

سافر مع فيرشونيسكي إلى أمريكا السياسية الشهيرة وعضو الكنيست السيدة هايكا جروسمان ، بطلة انتفاضة الجيتو اليهودي في وارسو وإحدى الناجيات من محرقة أوسشجيتز ، التي استأذنت أثناء اجتماعها هي وفيرشونيسكي مع ستيفن روسن مدعية أن لديها ارتباطًا مسبقًا لا بد من اللحاق به . بعد عودتها إلى إسرائيل اعترفت لزميلها أنها لم تكن مرتبطة بشيء في ذلك اليوم ، ولكنها ببساطة لم تستطع أن تهضم الكلام الذي كان يقوله قطب منظمة إيباك .

يقول فيرشونيسكي " ستيفن روسن ليس يهوديًا عاديًا بين اليهود الأمريكيين . إنه رجل على درجة كبيرة من الأهمية ، ويرأس وحدة قسم البحوث في منظمة إيباك الموالية لإسرائيل ، ولكنه لا يملك القدرة على مواصلة النقاش مع اثنين من أعضاء الكنيست الإسرائيلي أحدهما رمز كبير في التاريخ اليهودي ، نجت من المحرقة وخلقت لنفسها حياة جديدة قوامها الإنسانية اليهودية ، إنني أجد ذلك أمرًا خطيرًا لأن مثل هذه التصرفات ليست في صالح إسرائيل " .

تدّعي إيباك أن موقفها الرسمي لايقوم على لعب دور في السياسة الإسرائيلية ، ويفاخر كل من أميتاي ودين أن المنظمة تعمل فقط على تأييد الحكومات الإسرائيلية ،

وهنا مربط الفرس ؛ فهذا التأييد عندما يحظى به بيجين وشامير إلى جانب حث المنظمة لأعضاء الكونجرس واليهود الأمريكيين على القيام بنفس الدور إنما هو فى حقيقة الأمر دعم لفلسفة حكم معينة على حساب إهمال وجهات نظر قطاع كبير من أعضاء الكنيست وقواعدهم الجماهيرية . وعندما تصادر إيباك الحق فى معارضة مسألة بناء المستوطنات فى الضفة الغربية وغزة ، فإنها ، كما يقول فيرشونيسكى ، تتبنى رأى نصف أعضاء حكومة إسرائيل الحالية . تدل التطورات على أن بيجين منح الضوء الأخضر لظهور الميول المحافظة لدى اليهود الأمريكيين ، فها هى إيباك تبذل جهدها لتحويل أكثر الجماعات الأمريكية التى تمثل الأقليات ليبرالية إلى جماعة محافظة جديدة معادية للروس على الأقل فى رؤيتهم لخطوات السلام فى الشرق الأوسط .

وبينما تحولت سياسة حكومة إسرائيل تجاه الضفة الغربية إلى عقبة أمام تحقيق حتى نوعية المباحثات التى كان اليهود الأمريكيون يدّعون أنهم يناصرونها ، أدرك أهالى هذه المناطق والسياسيون الإسرائيليون أن استمرار الوضع بهذه الصورة سيؤدى إلى تآكل ما يمكن أن يكون أساساً للتفاوض . توصل ميرون بنفنيستى نائب عمدة مدينة القدس السابق فى عام ١٩٨٤، بعد تحليل قام بإعداده حول السياسة الإسرائيلية تجاه المدينة ، إلى أن" الخطوات التى تتخذ لضم الضفة الغربية وقطاع غزة بالكامل أقوى بكثير مما يتخذ لمنع ذلك " [٢٠] . يقول بنفنيستى إن الهدف الأساسى لهذه السياسة الاستيطانية هو خلق " جماعات مدنية ضاغطة قوية " داخل إسرائيل من المستوطنين الذين لديهم مصالح اقتصادية تمنعهم من التفريط فى هذه الأرض ، والنتيجة الحتمية لهذه السياسة كما يراها هى " إقامة سد منيع أمام أى بديل سياسى يعتنق فى المستقبل أى نوع من السياسات التوفيقية " .

يمكن القول إن خيبة الأمل التى شعر بها فيرشونيسكى تجاه سلوكيات جماعات الضغط اليهودية الأمريكية وبخاصة منظمة إيباك الرافضة لمفاوضات السلام ، لا تختلف كثيراً عن خيبة الأمل التى كان يشعر بها الملك حسين .

وقّع الملك حسين مع عرفات في شهر فبراير عام ١٩٨٥ فى عمان اتفاقًا يحدد بإيجاز رؤيتهما للسلام ويتضمن بعض التنازلات التى أقرتها منظمة التحرير الفلسطينية ، طالب الاتفاق بالانسحاب الكامل من الأراضى المحتلة ، ولم يكن ذلك مستغربًا ، لكن الجديد أنه اقترح " إقامة تسوية سلمية شاملة مؤسسة على قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن " . قالت المصادر الأردنية إن عمان تقصد بذلك القرارين رقمى ٢٤٢ و ٣٣٨ . الأهم من ذلك أن الاتفاق أشار بوضوح ليس فيه غموض إلى حق الفلسطينيين فى تقرير مصيرهم عن طريق " الدخول فى اتحاد كونفيدرالى مقترح بين الأردن وفلسطين " [٢١] .. وكانت هذه هى المرة الأولى التى لا يصر فيها عرفات على قيام دولة فلسطينية مستقلة . وافقت منظمة التحرير الفلسطينية إلى جانب ذلك على أن تشارك فى مفاوضات السلام ضمن " وفد أردنى / فلسطينى مشترك " ، وكان ذلك دليلا آخر على قبول الجانب الفلسطينى القيام ببعض التنازلات . وقد دل ذلك على أن عرفات يحاول بذل بعض الجهود بالرغم من معارضة المتعصبين من جماعته .

على الجانب الآخر كانت هناك مؤشرات تدل على تزايد أعداد الإسرائيليين المطلعين والمؤثرين الذين يفكرون بنفس طريقة عرفات . فقد تزامن مع بواكير ربيع عام ١٩٨٥ انتشار عدد كبير من المناقشات المهمة التى تتحدث عن أهمية الحاجة للاعتراف بمنظمة عرفات وضرورة التحدث إلى العدو الذى تمثله لأنها تملك وحدها القدرة على التفاوض حول السلام . نُشر خلال شهر أبريل عام ١٩٨٥ ست مقالات على الأقل فى الصحف العبرية بأقلام رؤساء تحرير ومحررين تحث إسرائيل على الاستجابة بجدية إلى دعوات السلام التى يطرحها كل من مصر والأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية . قال بنشاس إنبارى فى صحيفة هاميشمار " تأكد لنا اليوم أن شركاءنا الفلسطينيين فى خطوات السلام هم قادة منظمة التحرير الفلسطينية وليسوا القادة الفلسطينيين المحليين فى الضفة الغربية " . علل إنبارى ذلك بقوله إن عرفات بعد إخراجه من لبنان أصبح مستعداً للقبول بحل سياسى لأنه بدأ ينظر إلى منظمته على أنها " وسيلة تقترب من نهاية عمرها الافتراضى " ، وأكد أن عرفات كلما " اقترب من حل للمشكلة الفلسطينية أدرك عدم أهمية الارتباط بمنظمة كهذه " [٢٢] .

حلل كاتبان آخران موقف حكومة الوحدة الوطنية بشقيها الليكودى والعمالى المتناقض ، فبينما يصر أقطابها على عدم التحدث إلى أى فلسطينى كانوا يرسلون فى الوقت نفسه إشارات لا حصر لها تدل على تمسكهم بخطوات السلام التى يحددها اتفاق كامب ديفيد . ولاحظ الكاتبان أيضاً أنهم كانوا يتناسون فى الوقت نفسه أن اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل تقرر بوضوح " أن تشترك مصر والأردن وممثلون عن الشعب الفلسطينى فى التفاوض لإيجاد حل للمشكلة الفلسطينية بجميع جوانبها " . كما لفت نظريهما أن إسرائيل تتجاهل أن الاتفاقية تنص بوضوح على أن " من الممكن أن تضم الوفود المصرية والأردنية للمفاوضات فلسطينيين من الضفة الغربية ومن قطاع غزة ، أو فلسطينيين آخرين يتم الاتفاق حولهم " (٢٣) .

كان كل من بيجين ودايان يعرفان تمام المعرفة أن هؤلاء الفلسطينيين حتماً سيكونون أعضاءً فى منظمة التحرير الفلسطينية ، وكان هذا الاعتقاد فى عام ١٩٨٥ يعكس " إصرار غالبية الإسرائيليين " على عدم مشاركة ممثلى هذه المنظمة فى أى مفاوضات للسلام . انتقد مئير مرهاف ، المحرر بصحيفة جيروزليم بوست فى مقال له نشرت مقتطفات منه صحيفة ذى نيويورك تايمز ، السخرية الواضحة الرافضة لأى حديث مع الفلسطينيين أو ممثليهم ، والتى تتناقلها الدوائر السياسية فى إسرائيل . هاجم مئير مرهاف هذا الرفض باعتباره " إجماعاً على تفاهات " (٢٤) وبيِّن بوضوح ، مثل غيره من الصحفيين والكتاب والسياسيين والمثقفين ، مخاطر ولامعقولية " التفاوض مع فلسطينيين لا يمثلون إلا أنفسهم " .

لخص مرهاف رؤيته فى الموضوع قائلاً " لا أحد ينكر أن منظمة التحرير الفلسطينية هى عدو إسرائيل اللدود ، ولكن إذا إرادت إسرائيل أن تصنع سلاماً فعليها أن تصنعه مع عدوها هذا قبل أن تصنعه مع الآخرين . أما إذا أرادت أن تحاول ذلك مع مفاوضين بالوكالة فلن تحصد من وارء ذلك إلا قبض الريح ، ناهيك عما يتضمنه ذلك من مخاطر . يجب على إسرائيل أن تتمسك بالتفاوض مباشرة مع من هم قادرون على صنع السلام معها ، كم سيمر من وقت ؟ وكم سنخوض من حروب جديدة ؟ وكم سنفقد من أوراح ؟ وكم سننفق من أموال ميزانية الدولة قبل أن نعترف بأن

منظمة التحرير الفلسطينية هى ممثل الشعب الفلسطينى ؟ وبأنها مفتاح أى حل للصراع العربى الإسرائيلى ؟ " (٢٥) .

قلة من صناع السياسة الأمريكية مَن هم مستعدون للإجابة على أسئلة مرهاف التى طرحها ، وهذا ما دفع ماتى شتاينبرج ، المتخصص فى الصراع العربى الإسرائيلى وعضو معهد ترومان الشهير بالجامعة العبرية ، إلى القول فى صحيفة هآرتس اليومية إن استمرار رفض إسرائيل للتعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية يجلعها تقوى مواقف جبهة الرافضين العرب . وقال شاتينبرج " الخروج من هذا النفق المسدود بالصورة التى يتصورها العرب يتطلب إقناع الولايات المتحدة الأمريكية بأن تمارس ضغطها على إسرائيل لإقناعها بتغيير سلوكياتها تجاه هذه المنظمة " .

وأكد ناقد إسرائيلى لسياسات حكومة بلاده المعارضة لأى حديث مع أعداء البلاد " أن أمريكا هى القوة الكبرى الوحيدة التى يمكن أن تساعد بيريز على وضع طموحاته موضع التنفيذ ، ففى مقدورها كصديق معروف لإسرائيل أن تمارس ضغوطاً حكيمة على قادتها وأن تمد العرب فى الوقت نفسه ببواعث أمل لا نهاية لها .. وبالرغم من ذلك تتمسك واشنطن برفض الأخذ بمثل هذه الآراء " (٢٦) . لماذا هذا الإصرار من جانب الإدارة الأمريكية ؟ لا تجد إجابة شافية ، إن عدم قدرة الكتاب الإسرائيليين على تقديم إجابة تمثل تصورهم هو دليل قوى على محدودية ما يعرفه السفسطائيون الإسرائيليون عن النظام السياسى الأمريكى ، وعن الدور الذى تقوم به جماعات الضغط الموالية لبلدهم . الشكر واجب فى هذا الشأن لمنظمة إيباك و" لأصدقاء إسرائيل " فى مجلس الشيوخ ، إذ بسبب جهودهم أصبح ممنوعاً بقوة القانون على أى سياسى أمريكى أو من ينوب عنه أن يتحدث إلى أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية بشكل رسمى أو غير رسمى .

جرّب الملك حسين ، الذى كان فى زيارة روتينية للبيت الأبيض فى الأسبوع الأخير من شهر مايو عام ١٩٨٥، حجم القوة التى تتمتع بها منظمة إيباك ، فقد امتثل جلالته لصفقة وُضعت على المنضدة أثناء مناقشة إمكانيات بيع أسلحة للمملكة بما قيمته ٧٥٠ مليون دولار ، إلى جانب تقديم مساعدات اقتصادية لها قدرها ٢٥٠ مليون دولار.

اشترطت هذه الصفقة لكى يتواصل التفاوض حول احتياجات الأردن العسكرية والاقتصادية أن يوافق جلالته على المطالب التى تقترحها أمريكا وإسرائيل ومنظمة إيباك أيضاً ، إن لم يكن هذا قد وقع بحذافيره فهو على الأقل ما استنتجه المراقبون . أعلن الملك من واشنطن أن منظمة التحرير الفلسطينية وافقت فى نهاية الأمر على المشاركة فى مفاوضات السلام وفق قرارىْ الأمم المتحدة ٢٤٢ و ٣٣٨ ، ووصف هذا القرار بأنه " موقف تاريخى " (٢٧) .

بعد أربعة أيام أنهى الملك زيارته إلى واشنطن ، وقال فى مؤتمر صحفى " من ناحيتنا ، وأنا اتكلم هنا نيابة عن شعبى وأيضًا عن ممثلى الشعب الفلسطينى ، فإننا نريد السلام " (٢٨) ، وقال إن الخطوة التالية تستلزم من أمريكا أن تتقابل مع وفد مشترك من المفاوضين الأردنيين والفلسطينيين لإفساح الطريق أمام التفاوض مع إسرائيل . عبّر جورج شولتز عن اعتقاده أن الملك قد دفع " بطريقة ذات مغزى " مسار السلام عدة خطوات إلى الأمام " (٢٩) . فى هذا الوقت لم يكن عرفات قد أعلن عن أى استعدادات من جانب منظمته ، حتى اجتماعه مع الملك حسين بعد عودته من واشنطن لم يحقق أى نتيجة . ظل الوضع على حاله حتى شهر فبراير التالى عندما اجتمع الطرفان الأردنى والفلسطينى فى عمان وتوصلا إلى الاتفاقية التى تحدد تغيراً ملحوظا فى سياسات منظمة التحرير الفلسطينية . لاحظ المراقبون أن الزعيم الفلسطينى لم يتعرض بالنقاش لما صرح به الملك من قبل فى واشنطن ، بل قيل لهم إنه كان فى عمان فى ذاك الوقت ينتظر عودة جلالته .

أثار الملك مشكلة معقدة ؛ فهو يريد أن تبدأ المفاوضات تحت مظلة الأمم المتحدة وهذا يعنى أن يشارك فيها الاتحاد السوفيتى ، الأمر الذى كانت تتجنبه إسرائيل وأمريكا بالرغم من أن فكرة بدء المفاوضات بهذا الشكل فى حد ذاتها كانت غير عادية وبعيدة عن كافة التوقعات .

بُنيت اعتراضات الكونجرس على طلب الأردن مده بالأسلحة على " عدم المرونة التى يبديها الملك حسين للمشاركة فى مفاوضات السلام " ، وها هو الملك يقفز إلى الساحة باعتباره " العربى المحتمل المستعد لأن يكون الشريك المفاوض " . حتى هذا لم

يُرضِ إسرائيل التى بادرت برفض العرض الذى تقدم به ، رفض نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية إسحاق شامير أن يأخذها مأخذ الجد . أما مقترحات بيع أسلحة إلى الأردن فهاجمها إسحاق رابين رئيس الوزراء السابق ووزير الدفاع الحالى أثناء زيارة له إلى واشنطن ، واستقبل رئيس الوزراء شيمون بيريز الدعوة ببرود ، وقرر على عكس نائبه ووزير خارجيته شامير ووزير دفاعه أن يترك الباب نصف مغلق .

أغلق مجلس الشيوخ الأمريكى الباب فى وجه صفقة بيع أسلحة للأردن ، وفى اليوم نفسه الذى كان الملك يغادر فيه واشنطن قدَّم ٦٩ من الشيوخ اقتراحًا بقرار لوقف المساعدات الاقتصادية ومبيعات الأسلحة إلى المملكة الهاشمية حتى يبدأ الحسين مباحثات فعلية مع إسرائيل . وصف البيت الأبيض هذا التحرك بأنه " خطأ فادح " وقال إنه ليس الطريق الأفضل لتشجيع السلام فى المنطقة ، كما وافق كل من السناتور روبرت دول رئيس الأغلبية فى الكونجرس ، والسيناتور ريتشارد لوجار رئيس لجنة شئونه الخارجية ، على أن الضغط لتمرير قانون بهذه الكيفية " ليس فكرة صائبة " وفق الكلمات التى جاءت على لسان لوجار . أظهر شولتز الكثير من الانزعاج حيث قال " لقد قام الحسين بخطوة عظيمة فى اتجاه عقد المفاوضات المباشرة كافأه الكونجرس عليها بأن " وضع أصابعه فى عينيه " (٣٠) ، وكان وزير الخارجية محقًا فى انزعاجه إذ ما لبثت جماعة الكونجرس المعارضة لتسليح الأردن أن زادت قوتها بانضمام ثلاثة آخرين من الأعضاء إليها .

أعلنت الإدارة الأمريكية بعد أيام قليلة من هذا الانضمام أنها أسقطت من حساباتها صفقة تسليح الأردن ، ولكنها تريد فى الوقت نفسه أن تشجع الملك على المضى قدمًا فى خطواته نحو السلام بأن تقدم للمملكة مساعدات اقتصادية فى حدود ٢٥٠ مليون دولار . نقلت مجلة نيوز ويك عن موظف كبير بوزارة الدفاع ، لم تذكر اسمه ، قوله تعليقا على ما أعلنه البيت الأبيض ، إنه " فشل مدوٍ " ومن ناحيتها قالت المجلة " سيرى المعتدلون العرب فى هذا القرار انتصارًا دون جهد يذكر للقوى المؤيدة لإسرائيل الرابضة فى واشنطن على الإدارة الأمريكية " (٣١) .

اكتفت المجلة بهذا القول ولم تغص فى أسباب الانتصار والتى تتمثل فى استيعاب أعضاء الكونجرس لما حدث لكل من العضوين السابقين بيرسى وجيبسون اللذين عصيا أوامر إيباك عندما طُرحت صفقة بيع الأسلحة للسعودية للتصويت . قال أحد المطلعين على مخططات إيباك بتفاخر فى مقابلة سرية " الأمر فى غاية البساطة : لقد نظر البيت الأبيض حوله واكتشف أنه لا يستطيع بكل ما أوتى من نفوذ أن يضمن عشرين صوتًا إلى جانبه " (٣٢) . لم يكن البيت الأبيض على استعداد لأن يواجه بمعركة سياسية عنيفة داخل الكونجرس ، خاصة أنه يعلم حقيقة العلم أن منظمة إيباك أصبحت على استعداد لخوض أعنف المعارك السياسية لمنع وقوع أمرين : الأول ، تسليح أى دولة عربية . والثانى ، أن يتم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية . ولكن ما العمل وقد أبدى رئيس الوزراء الإسرائيلى رغبة فى أن يسلى نفسه بالاقتراب من كلا الموضوعين ؟ لو أن العرض الذى تقدم به الحسين أُخذ مأخذ الجد وعملت حكومة إسرائيل على تشجيعه لوضعت إيباك نفسها فى موقف لا تُحسد عليه ؛ حيث ستبدو أمام الرأى العام لأول مرة معارضة لسياسات حكومة الدولة اليهودية .

كان شيمون بيريز - عمليًا - أكثر المستفيدين من التحرك الذى أقدم عليه الملك حسين ، فقد تضمنت التقارير الصحفية التى نشرتها الصحف الإسرائيلية لعدة أسابيع أنه يمارس اختصاصاته وفق المسئولية التى تمليها عليه مشاركته فى حكومة إسرائيل الوطنية ، ويتحين الفرصة فى الوقت نفسه لفض تحالفه معها بالدعوة إلى انتخابات مبكرة يتنافس فيها على اعتبار أنه داعية سلام يهدف إلى تهدئة أمة استنفدت قواها الحرب اللبنانية . كان من المنتظر أن يتولى بيريز رئاسة الوزارة الإسرائيلية فى أكتوبر عام ١٩٨٦ بناء على جدول التناوب الذى تشكلت بموجبه حكومة الوحدة الوطنية ، وحتى هذا التاريخ لم يكن فى مقدوره وفق توجهات الليكود أن يعارض سياسات التمسك بالضفة الغربية ، معنى هذا أن الوقت لم يكن فى صالحه ولا فى صالح الملك الأردنى .

يقول مصدر قريب من المفاوضات التى جرت بين الحسين وريجان أن اتفاقًا تم بينه وبين شولتز وبيريز قبل أن يبدأ الملك زيارته لواشنطن يقضى بأن تسقط إسرائيل اعتراضها على تسليح الأردن إذا تمكن الملك من إقناع منظمة التحرير الفلسطينية

بالمشاركة فى المفاوضات ، وأعلن أنه سيتبع من الآن فصاعداً سياسة عدم الاعتداء عليها . كان هذا الموقف استثنائيًا من جانب بيريز لأن إسرائيل تتخذ موقفًا تقليديًا يقوم على معارضة أى صفقات بيع أسلحة إلى العرب الأعداء حتى يقبلوا بإجراء مفاوضات مباشرة معها .

لم يشر البيان الذى ألقى بعد انتهاء زيارة الملك لواشنطن أنه سيتفاوض مع إسرائيل وفق أسس عدم الاعتداء عليها ، وبدلاً من ذلك نوّه با ستعداده لإجراء مفاوضات " فى مناخ متحرر من الأعمال الحربية والعدوانية " [٣٣] . تحجرت إسرائيل أمام كلمة " مناخ متحرر " وتمسكت بأنها ليست بديلا عن مصطلح " سياسة عدم الاعتداء " وهكذا ، كما هو معروف عن دبلوماسية الشرق الأوسط ، تحطم ما تم الاتفاق عليه بسبب جملة . خدمت الظروف مخططات إيباك ، فقد أظهر وزير الدفاع الإسرائيلى إسحاق رابين معارضة قوية لفكرة تسليح الأردن وأثار من حولها العواصف ، وبذلك حكم بالموت على الاتفاق الذى تم إبرامه .. يقول المصدر الذى كان قريبًا من المفاوضات "حتى جملة " اتباع سياسة عدم الاعتداء على إسرائيل " لم تعد كافية وحدها لإقناع تل أبيب بالموافقة على تسيلح الأردن " .

أساء خبر قيام جماعة إرهابية شيعية من لبنان باختطاف طائرة تابعة لشركة تى. دبليو. أيه . الأمريكية فى شهر يونية عام ١٩٨٥ إلى قضية السلام فى الشرق الأوسط إساءة بالغة ؛ حيث أهملتها الصحف كلية وتفرغت تمامًا لمتابعة خبر الاختطاف . أشاع رفض إسرائيل المساعدة فى إنهاء المشكلة بالإفراج عن سبعمائة شيعى مرتهنين فى سجونها استجابة لطلب الخاطفين جوًا من البرودة على مستوى العلاقات الإسرئيلية / الأمريكية . بينما كان البيت الأبيض يتوقع من " ركيزة أمريكا الإستراتيجية " فى المنطقة أن تسارع إلى حل مشكلة اختطاف الطائرة ، تعامل معها كل من بيريز وشامير ورابين ، حسب كلمات هذا الأخير ، على أنها " مشكلة أمريكية خالصة " [٣٤] . وهكذا انعكس اهتمام إسرئيل بمشاكلها السياسية الداخلية مرة أخرى على علاقاتها بأمريكا ، فقد لاحظ المراقبون أن أكبر ثلاثة رؤوس سياسية فى إسرائيل يحومون حول مشكلة اختطاف الطائرة دون اتخاذ موقف إيجابى منها حتى لا يعرضوا مستقبلهم السياسى للخطر .

فازت سوريا بجائزة التفوق فى مجال العلاقات العامة عندما وُفِّقت فى حل هذه المشكلة على عكس كافة التوقعات ، لأنها كانت موضوعة على رأس قائمة أعداء كل من رئيس وزراء إسرائيل والرئيس الأمريكى رونالد ريجان ، المهم أن سوريا نجحت بالرغم عن ذلك فى الإفراج عن الرهائن بمساعدة واضحة من جانب آية الله خمينى الذى يتمتع بمنزلة رفيعة لدى الشيعة .

برغم حادث اختطاف الطائرة ظل كل من بيريز وشولتز يأملان فى اجتذاب الملك الأردنى إلى مائدة المفاوضات ، وكان كل منهما على يقين أن الوسيلة إلى ذلك هى إمداد مملكته بالأسلحة . أما منظمة إيباك فكانت على العكس من ذلك تماماً ، بل يمكن القول إنها كانت على استعداد تام للمخاطرة بصداقتها مع وزير الخارجية الأمريكى لإفساح الطريق أمام تنفيذ جدول أعمالها . الأكثر مدعاة للاندهاش أنها كانت تعتزم معارضة توجهات رئيس الوزراء الإسرائيلى أيضاً .

تشير الدلائل أن إيباك أصبح لها جبهتها السياسية التى تحرص على حمايتها ، يقول أحد القريبين من العمل الداخلى للمنظمة " الأمر الذى لا يدركه غالبية الناس أن لإيباك جدول أعمالها الخاص بها والمختلف عن جدول أعمال إسرائيل " (٣٥) . لو أن بيريز مال يوماً ناحية السلام وظل شامير مصراً على سد الطريق أمام أى انسحاب من الضفة الغربية ، سيظل الاهتمام المبدئى لإيباك أن تقوم على حماية " العلاقات الخاصة " بين إسرائيل وأمريكا حتى من عبث الحكومة الإسرائيلية إذا لزم الأمر .

يقول مصدران مطلعان على أهداف إستراتيجية إيباك ، لا تملك هذه المنظمة مقومات " المرونة " التى يتمتع بها بيريز (٣٦) ، فهى ترى أن مهمتها تنحصر فى تحديد دور السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط . هذا يعنى أن تتأكد دائماً من أن البيت الأبيض ملتزم بالضغط من أجل إجراء مفاوضات مباشرة بين الإسرائيليين والعرب بدلاً من فرض اشتراطات قد تؤذى إسرائيل بشكل أو بآخر . وتعنى أيضاً عدم السماح مطلقاً لأمريكا بالتحدث إلى منظمة التحرير الفلسطينية . يقول واحد من المطلعين على مخططات إيباك " إذا تحول عرفات إلى لاعب ذى صفة شرعية فى وقت كانت فيه العلاقات الإسرائيلية الأمريكية باردة – وكثيراً ما تمر العلاقة بين الطرفين بمثل هذه

الفترات - فمن المحتمل أن تميل سياسة واشنطن إلى الجانب الفلسطيني على حساب الجانب الإسرائيلي ، المنظمة ببساطة لا تتوافق مع هذا الاحتمال . وأخيراً تعمل إيباك على إقناع الكونجرس دائمًا بمعارضة أي اقتراحات لبيع أسلحة من أى نوع إلى الدول العربية .

يقول مصدر آخر مطلع على خبايا إيباك " المنظمة لا تريد من الكونجرس أن يكون ذا سياسة متوازنة لأنها تريده أن يكون قوة معارضة لسياسات التوازان التى تتبناها السياسة الأمريكية " [٣٧] . العمل الأساسى الذى ترى إيباك أنه يقع فى مركزية اهتمامها هو أن تتأكد أن لإسرائيل دائمًا اليد العليا على العرب خاصة فيما يتعلق بأى حالة تفاوضية قادمة .

اعتبر منتقدو إيباك جدول أعمالها هذا " عقبة فى طريق السلام " وقال عنه البعض إن القصد من ورائه هو حماية وظيفتها ، وتنبأ آرثر هيرتزبيرج بأنها " ستصحو يومًا وتكتشف أن السلام يشمل الشرق الأوسط ، ساعتها ستدرك أنها أصبحت بلا عمل تؤديه " . حقيقة الأمر أن الدور الذى أصبحت إيباك تقوم به على مستوى العلاقات الأمريكية الإسرائيلية يشبه إلى حد كبير الدور الذى تقوم به منظمة التحرير الفلسطينية فيما يتعلق بالهوية القومية لأبنائها [٣٨] . ربما لهذا السبب طالب هيرتزبيرج بحل إيباك لأنها فى رأيه " تشعل نيران مناهضة السامية ، لأنها تحولت مع الأيام إلى مشعوذ عديم الخبرة " ، لكن الأيام أثبتت أن المنظمة ليست مشعوذاً ولا هى عديمة الخبرة ، وظلت تقوم بمسئوليتها خير قيام .

هناك سبب جوهرى لهذا العداء من جانب قادة اليهود أمثال هيرتزبيرج ، الذى لم يكن يقف فى صف المنتقدين وحده وإن كان أكثرهم حدة ، وهو أن جماعة الضغط التى تتخذ من واشنطن مقرًا لها استبعدتهم تمامًا من المشاركة فى أى عمل . أصبح البيت الأبيض لا يرى أمامه إلا إيباك ممثلة لقادة الجماعة اليهودية الأمريكية عندما يتعلق الأمر بإسرائيل . وتربعت هذه المنظمة من ناحية أخرى على قمة زعامة الجماعة اليهودية الأمريكية منذ أصبح الهاجس الأول لليهود الأمريكيين هو أمن إسرائيل ، لأن الدفاع عن هذه القضية كان محور اهتمامها منذ البداية . عزز من هذه المكانة أيضًا

انكماش تأثير جماعات الضغط اليهودية الأخرى العاملة فى واشنطن منذ عام ١٩٧٧ التى لم تعد تملك سوى الحسرة والحسد .

أغضبت مظاهر اعتزام إيباك الهيمنة على مقدرات الصراع العربى الإسرائيلى قيادات الجماعة اليهودية الأمريكية مثل بئناى بئرت ومؤتمر الرؤساء الذى يضم فى عضويته ٣٠ منظمة يهودية . زاد من حساسيتهم أيضًا تجاه هذه المنظمة إصرار العاملين فيها على أن يطلقوا على أنفسهم " جماعة الضغط ذات الجاذبية الجنسية " خشية أن يؤثر ذلك بالسلب على شباب اليهود الذين منحوا فى الماضى وقتهم وخبرتهم لخدمة الحياة اليهودية . يشكو أحد المديرين التنفيذيين فى الجماعة اليهودية الأمريكية من أن " إيباك تستحوذ على الأفضل من بين خيرة الشباب الناشطين " على مستوى الجماعة كلها [٣٩] .

كان هذا المستوى من التوجس والحسد يقلق توماس دين ، كما كان يقلقه الاجتماعات السرية التى تُعقد بين الأطراف المختلفه لتحديد أبعاد العلاقة المستقبلية بين إيباك والمنظمات اليهودية الأخرى ذات البرامج . الملاحظ أن إيباك بعد أن كانت تقوم بخدمة المنظمات اليهودية لدى الكونجرس أصبحت اليوم هى " رأس رمح هذه الجماعة لدى صناع القرار الأمريكى بكل مستوياته " على حد قول دين ، الذى يقول أيضًا " كنت أتمنى أن لا يكون ذلك هو شعور الآخرين . من جانبى أقول لهؤلاء الحاسدين : دعوهم يعملون فلديهم عمل يجب إنجازه " [٤٠] .

بالرغم من هذه الشهرة الواسعة رأى العديد من منتقدى إيباك ومحبيها على حد سواء أنها بدأت تنحرف عن العمل الأساسى الذى كان السبب فيما بلغته من أمجاد والذى جعلها ذات فائدة للكونجرس . يقول ديفيد سيلفربيرج ، المحرر المسئول عن سياسة إسرائيل بصحيفة واشنطن جويش الأسبوعية والذى كان من العاملين السابقين بالمنظمة ، " لقد ابتعدت المنظمة عن الخط الذى يخدم أهدافها ، فمنذ أن وضعت أبحاثها فى خدمة آفاق عالمية ضئيلة القيمة أهملت كلية التركيز على نوعية المعلومات الفورية التى تعزز موقف الكونجرس والجماعة اليهودية " [٤١] . يوافق فريد ديتون الذى يملك عدداً أقل من مصادر الضغط السياسى لحساب السعودية على هذا

الاستنتاج ، ويضيف " يقول لى إحساسى إن دين حصر نفسه فى ثوب رجل العلاقات العامة أكثر من تعزيز المهمة التشريعية للقضية . إن إيباك تبنى لنفسها مكانة على حساب إسرائيل ، مع أن القاعدة العملية تتطلب من ممارس الضغط السياسى أن لا يتعالى على القضية التى يعمل من أجلها " (٤٢) .

مدافعًا عن نفسه يشير توماس دين إلى النتائج الباهرة التى لا تقبل الجدل التى حققتها سياسة " استعراض العضلات اليهودية " فالبرغم من تدمير إسرائيل للمفاعل الذرى العراقى ، وضمها لمرتفعات الجولان ، ورفضها لخطة السلام التى اقترحها ريجان ، وغزوها للبنان ، ودلائل الإرهاب اليهودى فى الضفة الغربية ، وتصلبها تجاه أزمة رهائن الطائرة الأمريكية ، ازدهرت " علاقات إسرائيل الخاصة " مع إدارة ريجان وتدفقت مساعدات أمريكا إليها بشكل غير مسبوق . ولا يوجد فى رأيه منظمة ضغط سياسى أخرى فى واشنطن حققت مثل هذا النجاح الذى بلغته إيباك ، حيث حافظت على استمرار توالى المساعدات العسكرية والمعونات الاقتصادية وبلوغهما مستويات قياسية . تمكنت إيباك لأول مرة عام ١٩٨٥ أن توفر لإسرائيل مِنَحًا غير مستحقة السداد قدرها ٦ر٢ بليون دولار ، وكانت تسعى فى الوقت نفسه لوضع مساعدة إضافية " للطوارئ " قدرها ٥ر١ بليون دولار لمدة عامين للمساهمة فى إصلاح أحوال اقتصادها الذى يترنح تحت وطأة النفقات الحربية البالغة الارتفاع ، وتكاليف احتلالها للأراضى اللبنانية ، وإقامتها للمستوطنات فى الضفة الغربية .

لا أحد ينكر أن إيباك قادرة على إقناع الكونجرس بمبررات رفع حجم هذه المساعدات باستمرار ، ولكنها كانت مقتنعة أيضًا أنه يجب على إسرائيل أن تصنع شيئا ذا فائدة لإصلاح اقتصادها . قال أحد العاملين بها " من الأوفق أن يتعاون طرفا حكومة الوحدة الوطنية لتحسين أوضاع البلاد الاقتصادية إذا أرادت أن تزيد الإدارة الأمريكية من حجم معوناتها لإسرائيل " . بالطبع كان هناك من السياسيين والاقتصاديين الإسرائيليين من يرى بشكل محدد أن المعونات الأمريكية تسهم فى تحطيم اقتصاد الدولة اليهودية ، أو فى تهميش قدرتها على تأسيس اقتصاد قوى .

مثل هذه المعلومات الخطيرة كانت إيباك تتنساها بسرعة ، مثلها فى ذلك مثل الفيل الهندى ، لكن الأمر يحتاج إلى وقفة . فإذا كانت المساعدات الأمريكية تسهم فى تدمير الاقتصاد الإسرائيلى ، وإذا كانت إيباك مسئولة عن الملايين من هذه المساعدات سنوياً ، فهل هناك شك فى أن هذه المنظمة تساعد إسرائيل على الإضرار بنفسها ؟ .

الهوامش

1. Thomas A Dine, "An Agenda for a Citizen Lobbyist," a speech to the UJA Young Leadership Biennial Conference in Washington, March 12, 1984.

2. American Israel Public Affairs Committee, "The Israel Airforce New Aircraft 'Lavi'," 1984 press release; also see Duncan L. Clarke and Alan S. Cohen, "The Lavi Fighter," *The Middle East Journal*, vol. 40, No. 1, Winter 1986, pp. 16–32.

3. Interview with Tom Dine, March 24, 1984.

4. *New York Times*, March 30, 1984.

5. Ibid.

6. *New York Times*, March 11, 1984.

7. "Hussein Rules Out Talks with Israel and Bars U.S. Role," *New York Times*, March 15, 1984.

8. Cited in *New York Times*, March 20, 1984.

9. "U.S. and Israel Set Pact to End Tariffs by 1995," *New York Times*, March 5, 1985.

10. "FBI Investigates Leak on Trade to Israel Lobby," Washington *Post*, August 3, 1984.

11. Dine interview, March 24, 1984.

12. Interview with Dr. Akram Barakat, Washington, July 18, 1984.

13. Karen Elliot House, "King Had U.S. Pledges on Peace Talks but Met a Maze of Arab Foes," *Wall Street Journal*, April 15, 1983.

14. John B. Oakes, "Arafat's Card," *New York Times*, March 18, 1984.

15. *Le Nouvel Observateur*, May 4, 1984.

16. Cited in Philip Geyelin, "'Presidential Flexibility' and the PLO," Washington *Post*, May 8, 1985.

17. Interview with Cyrus Vance in New York, September 26, 1984.

18. See Steven M. Cohen, *Attitudes of American Jews Toward Israel and the Israelis*, The 1983 National Survey of American Jews and Jewish Communal Leaders, Institute of American Jewish–Israeli Relations, American Jewish Committee, October 1983; see also similar poll done in Israel by the Israeli pollster Hanoch Smith, *Attitudes of Israelis Toward America and American Jews*. Institute of American Jewish–Israeli Relations, American Jewish Committee, October 1983. Similar results had already been found in Cohen's poll for the American Jewish Committee, *The 1982 National Survey of American Jews*; Cohen summarizes it in "What American Jews Believe," *Moment*, July/August 1982. See also "Attitudes toward Israel since June 1982," American Jewish Committee Information and Research Services,

November 1982, AJC Blaustein Library file "Israel-Arab Conflict Reaction/Public Opinion"; also see the Gallup poll on American attitudes toward Menachem Begin, September 22, 1982.

19. Interview with Mordechai Virshubski in Tel Aviv, November 2, 1984.

20. Meron Benvenisti, *The West Bank Data Project* (Washington and London: American Enterprise Institute for Policy Research, 1984), p. 64.

21. *New York Times*, February 24, 1985.

22. Pinchas Inbari, "Arafat's Disengagement from the PLO," *Al Hamishmar*, March 14, 1985, translated by the Center for International Peace in the Middle East in Tel Aviv; see also "The Peace Initiative Is Still Alive," *Ma'ariv*, March 26, 1985; see also Matti Steinberg, "The PLO: the Natural Alternative," *Ha'aretz*, March 8, 1985; see also David Richardson, "Name Dropping," Jerusalem *Post*, International Edition, week ending June 8, 1985.

23. See Cyrus Vance and Jimmy Carter memoirs for text of Camp David peace accord; also see *Peace-making in the Middle East* (Facts on File: Washington, D.C. 1980).

24. Meir Merhav, *New York Times*, March 31, 1985; see also Merhav, "A Consensus of Nonsense," Jerusalem *Post*, March 10, 1985; also collected in *Facing the PLO Question* (Washington, D.C.: 1985), Foundation for Middle East Peace.

25. Ibid.

26. Matti Steinberg, "The PLO: The Natural Alternative," *Ha'aretz*, March 8, 1985; see also David Shaham, "Discreet American Pressure Would Help Peres," *New York Times*, April 7, 1985; reprinted in the Jerusalem *Post*, April 8, 1985.

27. "Hussein Says PLO Agrees on Parley with the Israelis," *New York Times*, May 30, 1985.

28. "Are the Palestinians Ready to Seek Peace?" *New York Times*, June 2, 1985.

29. Ibid.

30. "Jordan Arms Curbs Called Dangerous," *New York Times*, June 5, 1985.

31. "A Retreat on Arms for Jordan," *Newsweek*, June 24, 1985.

32. Confidential interview.

33. See Secretary Shultz's testimony before the Committee of Foreign Affairs House of Representatives in "Arms Sales to Jordan and the Middle East Peace Process," First Session on H.J. Resolution 428 and S.J. Resolution 228, October 17, 1985.

34. See "Terror Aboard Flight 847," *Time*, June 24, 1985; see also "Israel and U.S. Apparently Resolve Some Differences on Hostage Crisis," *New York Times*, June 23, 1985; "Pressure Is on Israel for a Swap," Jerusalem *Post*, International Edition, week ending June 29, 1985; "The Quandary for Israel," *New York Times*, June 22, 1985.

35. Confidential interview.

36. Confidential interviews.

37. Confidential interview.

38. Interview with Arthur Hertzberg, June 20, 1985.

39. Confidential interview.

40. Interview with Tom Dine.

41. David Silverberg, "AIPAC at the Crossroads: Elite Team or Mass Movement," *Washington Jewish Week*, April 4, 1984.

42. Interview with Fred Dutton, Washington, January 14, 1985.

الفصل التاسع

المساعدات الأمريكية تساعد إسرائيل على الإضرار بنفسها !!

حرصت منظمة إيباك طوال ثلاثة عقود على القيام بدور أساسى يتمحور حول ضمان تدفق المساعدات المالية إلى إسرائيل سنوياً وزيادتها ، والقول بأن المنظمة قامت بدور بالغ الأهمية فى هذا الخصوص فقط سيكون بعيداً عن الحقيقة . يكاد يكون من المستحيل أن يفهم المراقب العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل ودور إيباك الخاص فى تشكيلها دون الكشف عن حجم المساعدات الأمريكية إلى إسرائيل وتأثيرها على سياسات واشنطن وأيضاً على اقتصاد الدولة اليهودية .

ليس هناك أدنى شك فى أن القوة التى حركت الاقتصاد الإسرائيلى لعدة عقود كانت هى المساعدات الأمريكية ، حتى إن بعضهم يظن أن أمريكا تملك إسرائيل . يكذِّب هذا القول عدم وجود صك ملكية بل صك رهنية !! يؤكد ذلك حجم مديونية الدولة اليهودية الثقيلة لدى الخزانة الأمريكية ولدى البنوك التجارية ولدى اليهود والمواطنين الأمريكيين ومنظماتهم الذين اشتروا بما قيمته ملايين الدولارات سندات من الخزانة الإسرائيلية أو تبرعوا بملايين الدولارات دعماً للقضايا اليهودية .

العلاقة الخاصة بين أمريكا وإسرائيل أثمرت مساعدات مالية ذات أرقام خاصة أيضاً ، فمنذ عام ١٩٤٨ حتى عام ٨٥ / ١٩٨٦ حصلت الدولة اليهودية على ٨٢ بليون دولار فى شكل مساعدات عسكرية واقتصادية أكثر من نصفها أو ما يوازى ٤١٫٦ بليون دولار عبارة عن هبات لا ترد [١] . تفيد دراسة جامعية أن ما قيمته ١٫٤ بليون دولار سنوياً يذهب من مصادر أمريكية غير حكومية إلى إسرائيل لدعم اقتصادها ، منها ٥٠٠ مليون عبارة عن تبرعات معفاة من الضرائب تجمعها الجماعات اليهودية

مضافًا إليها قيمة شراء السندات الإسرائيلية ، مما يعتبر فى النهاية خسارة للخزانة الأمريكية على كلا المستويين [٢] . إذا أضفنا أرقام المساعدات الحكومية إلى التبرعات غير الحكومية سنجد أن المجموع النهائى للأموال الأمريكية التى صبت فى خانة الاقتصاد الإسرائيلى منذ عام ١٩٨٤ حتى عام ١٩٨٥ يصل إلى حوالى ٤٠ بليون دولار [٣] .

وضعت إدارة الرئيس ريجان فى مشروع ميزانيتها لعام ٨٥ / ١٩٨٦ ما قيمته ٥ر٤ بليون دولار كمساعدات عسكرية واقتصادية لإسرائيل ، أو ما يوازى ١٥٠٠ دولار لكل رجل وامرأة وطفل من سكانها ، أى أن الأسرة المكونة من أربعة أفراد تحصل على ٦٠٠٠ دولار مساعدة سنوية من أمريكا . لن تتضح ضخامة هذه الأرقام إلا إذا أشرنا إلى أن وزير مالية إسرائيل آنذاك إسحاق موداى كان يحصل فى العام نفسه (١٩٨٥) على راتب شهرى قدره ٥٨٠ دولار ، وأن راتب رجل البريد أو الكاتب فى أحد المكاتب حوالى ٢٠٠ دولار فى الشهر ، وأن المصور الصحفى المتميز الذى يعمل لحساب وكالة صحفية عالمية يحصل على ٥٠٠ دولار فى الشهر !! [٤] .

فى عام ١٩٧٠ كان دَيْن إسرائيل الخارجى لا يتعدى ٦ر٢ بليون دولار ، أما فى عام ١٩٨٤ فبلغ ٢٣بليون دولار ، وما زال فى ارتفاع متواصل ، ثلث هذه الديون تقريبًا ديون أمريكية . يتوقع الخبراء أن يصل حجم هذا الدَّيْن إلى مستوى ٤١ بليون دولار بحلول عام ١٩٨٨ [٥] . فوائد هذا الدين السنوية لا تتعدى مبلغ بليون دولار ؛ مما يدل على أن الجهات الأمريكية أقرضت إسرائيل بأفضل الشروط وبفترة سداد تتراوح بين ٣٥ إلى ٤٠ سنة . حلَّ فى عام ١٩٨٥ تاريخ تحصيل " الفوائد المستحقة " السداد لأول أكبر قرض حصلت عليه إسرائيل قبل ذلك بعشر سنوات ، أما أصوله فمن المؤكد أنها ستمثل عبئًا ثقيلاً عندما يحل موعد سدادها فيما بعد . يتوقع المراقبون أن يزداد الوضع سوءًا خاصة إذا استمر قادة إسرائيل فى إنفاق ما يصل إليهم من قروض على ما يتم استيراده من خارجها بدلاً من استخدامه فى الاستثمارات ذات العائد المرتفع . الملفت للنظر أن إسرائيل تعد أكبر الدول مديونية فى العالم إذا قارنًا حجم ديونها بعدد سكانها ، ومن المؤكد أن إسرائيل كانت ستعجز فورًا عن الوفاء بأقساط هذه الديون لولا المساعدات الأمريكية .

المساعدات الخارجية التى ترد إلى إسرائيل ، وغالبيتها من أمريكا ، هى التى تساعد اقتصادها على النمو ، وفى الوقت نفسه يتطلب تزايد حجم أقساط السداد زيادة حجم القروض السنوية بشكل مستمر حتى تحافظ الدولة اليهودية على بقائها . أما عجز حكومة إسرائيل الداخلى فتعمل على تغطيته بالاقتراض من البنوك التجارية الخارجية ومن بنوك الدولة الوطنية ومن حصيلة بيع السندات لمواطنيها ، مما يسهم فى خلق تضخم لولبى هائل .

تقوم أمريكا تقريبًا بسداد قيمة الواردات العسكرية إلى إسرائيل والتى تمثل نصف ميزانية وزارة دفاعها أو ما يوازى ٢٥ ٪ من نفقات الدولة اليهودية كلها ، علمًا بأن واردات الدولة اليهودية ظلت طوال السنوات الأخيرة أكثر من صادراتها . يمكن القول إن ما تحققه إسرائيل من وراء صادراتها يكفى بالكاد لسداد قيمة أقساط فائدة الديون وقيمة استهلاك تراكماتها (الديون) ، لذلك يرى المراقبون أنه مهما تنوعت واردات إسرائيل من سيارات أو تليفزيونات أو أجهزة تسجيل فيديو فإن المساعدات الخارجية هى التى تسدد قيمة فاتورة شرائها .

لدى إسرائيل نظام لرعاية الخدمات الاجتماعية يعد الأفضل على مستوى العالم ، تم برمجته لتلبية احتياجات الأعداد الهائلة من المهاجرين الذين يتدفقون إليها من الخارج . هذا النظام يستهلك ، طبقًا لأحد المصادر المهمة ، ثلثى الناتج الإجمالى للبلاد لأنه يغطى الخدمات التى تعهدت الدولة اليهودية الوفاء بها للمهاجرين مثل : التعليم وإجازات تربية الطفل ، والرعاية الطبية ، ورعاية المعاقين ، ورعاية الأطفال ، وغيرها من الخدمات الاجتماعية [٦] . لا يوجد " قياس علمى " للتعرف على عائد هذه الخدمات بالنسبة لطبقات المجتمع ، إلا أن واحدة من الدارسات الإسرائيلية تشير الى أن الـ ٢٠٪ من أبناء المجتمع الذين يحصلون على أعلى دخل يفوزون بضعفى ما يحصل عليه المنتمون إلى الـ ٢٠٪ التى يحتلها من يحصلون على أدنى دخل من أبناء المجتمع ، أى أن من هم فى غير حاجة للخدمات الاجتماعية يحصلون على ضعف ما يحصل عليه المحتاجون فعلا إليها .

من الصعب على الخبير أن يبالغ فى تصوير مدى التخبط الذى عانى منه الاقتصاد الإسرائيلى بلا قرينة ، ولو أخذنا أحد المؤشرات الرئيسية التى يرجع إليها لقياس أبعاد أى أزمة اقتصادية ، وهو حجم احتياطى النقد الأجنبى لدى الدولة المعنية لوجدنا أن إسرائيل وصلت إلى الحضيض فى شهر يولية عام ١٩٨٥ عندما أعلنت أن ما لديها من احتياطى نقدى أجنبى لا يتجاوز الـ ٢ بليون دولار أو أقل بمقدار ٧٠ بليون دولار عما كان عليه الوضع قبل هذا التاريخ ببضعة أشهر [٧] . حقيقة الوضع كانت أسوأ بكثير ، لأن إسرائيل لم تجد أمامها سوى الاقترض كحل سريع ، ليس لإيقاف هذه الكارثة وإنما لتوفير الحد الأدنى من الاحيتاطى الأجنبى الذى يمكن أن يبعث الطمأنينة فى نفوس أصحاب الديون القصيرة الأجل الذين يثقون فى قدرة إسرائيل على السداد مادام طريق المساعدات الأمريكية إليها مفتوحًا على مصراعيه . فى الفترة نفسها كان قطاع الأعمال الإسرائيلى مضطربًا أشد الاضطراب ، ففى صيف العام نفسه أعلنت مؤسسة دون وبراند ستريت المختصة فى الشئون التجارية والصناعية أن ٧٨٢ شركة أدرجت على القائمة السوداء للشركات التى تعانى من " ضائقة مالية " إما لأن سيولتها النقدية غير كافية ، أو أنها غير قادرة على سداد نفقاتها أو على الوفاء بالتزاماتها التعاقدية ، مما يضطرها إلى خفض عملياتها الإنتاجية ، أو التوقف تمامًا عن الإنتاج ، أو أنها تعانى من وضع أموالها تحت الحراسة . كان كل قطاع صناعى إسرائيلى ممثلا فى قائمة مؤسسة دون وبراند ستريت السوداء ، التجارة والخدمات ، التشييد والإلكترونيات ، المعادن والكهرباء [٨] باختصار كانت إسرائيل فى عام ١٩٨٥ عمليًا وبكل المقاييس مفلسة وتقف على حافة الانهيار الاقتصادى .

هذه الصورة السوداء لا تتفق مع ما كانت تعد به الدولة اليهودية ؛ ففى الفترة ما بين ١٩٧٣ و ١٩٨٣ ارتفع مستوى المعيشة بنسبة ٧٠٪ [٩] وبين عامى ١٩٨١ و ١٩٨٣ ارتفع معدل الاستهلاك بنسبة ٢٧٪ [١٠] . الحقيقة التى لا يمكن تجاهلها أن الإسرائيليين يستهلكون ما مقداره ٨٠٪ مما يستهلكه الأمريكيون ، بينما يحصلون على قشرة من متوسط الدخل الذى يحققه الفرد الأمريكى [١١] . يقول تقرير مجلة ذى إسرائيل إيكونوميست عن الاقتصاد الإسرائيلى عام ١٩٨٤ ، إن مواطن

الدولة اليهودية يقتنى أعلى معدل من أجهزة تسجيل الفيديو على مستوى العالم ، وتساءلت " هل هذا هو ما كانت تحلم به الصهيونية " .

بينما ارتفع الإنفاق فى الفترة نفسها بمقدار ٧٢٪ لم يرتفع الناتج القومى إلا بمقدرا ٥٪ تقريباً ، أما مؤشر التضخم فقد كان الأسرع ارتفاعاً ، حيث بلغ ذروة الـ ١٠٠٠٪ بعد فترة قصيرة من تشكيل حكومة الوحدة الوطنية برئاسة شيمون بيريز وإسحاق شامير . استقر منسوب هذا المؤشر فى منتصف عام ١٩٨٥ عند مستوى ٥٠٠٪ مقارنة بالمستوى شبه الثابت الذى كان عليه عام ١٩٧٧ وهو ٦٠٪ ، ربما لهذا السبب عبَّر جاد يعقوبى وزير مالية إسرائيل وأحد أقرب الأصدقاء القدامى لبيريز عن قلقه موضحاً أن قلة من النظم الديمقراطية تمكنت من النجاة من الغرق فى بحر التضخم بعد أن تعدت نسبته معدلاً أقل بكثير مما هو عليه مؤشره فى إسرائيل (١٢) .

لم يحدث أن انهار الاقتصاد الإسرائيلى !! ولم تسقط ديمقراطيتها . تُرى كيف تعايش الإسرائيليون مع اقتصاد بهذه المواصفات ؟ تطلبت حماية مستويات المعيشة من تداعيات التخريب التى يحدثها التضخم القيام بعمليات غامضة غير مرئية يطلق عليها " الفهرسة " يتم من خلالها الحفاظ على مؤشر الدخول متوائماً مع مؤشر التضخم . فكلما ارتفعت أسعار المواد الحياتية ارتفعت آليا الأجور على مدار العام ، طبعاً هذا إلى جانب المساعدات الأمريكية .

عندما كان رئيس الوزراء الإسرائيلى بيريز يقوم بواحدة من زياراته إلى واشنطن سأل أمريكى صاحب المقهى الإسرائيلى الذى يتناول فيه إفطاره عن رأيه فى الزيارة ، ورطت طلاقة الأمريكى فى التحدث بالعبرية صاحب المحل وجعلته يقول بصراحة وباختصار " جاء ليحصل على دفعة جديدة من الأموال " (١٣) . طبعاً لا يحضر رئيس وزراء إسرائيل لواشنطن لاستلام الدفعات المالية ، لأن بلاده حتى عام ١٩٨٥ كانت تحصل على جزء مما يخصص لها من مساعدات كل ثلاثة أشهر ، أما اعتباراً من هذا العام فقد وافق مجلس النواب على أن تدفع قيمة المعونة الاقتصادية مرة واحدة عن طريق تحويل نقدى . يقول روبرت بيللتريو الوكيل المساعد لوزير الخارجية " أصبح هذا

المبلغ يكلف الخزانة العامة ٥٠ مليون دولار لأنها كانت تضطر إلى اقتراضه لكى تتمكن من سداده فى موعد مبكر " [١٤] .

أصبحت إسرائيل مدمنة معونات خارجية ، يقول توماس ستاوفر أستاذ الاقتصاد بجامعة جورج تاون فى كتاب سيصدر له قريبًا : "إن الدول تدمن " الأموال التى تحصل عليها بلا جهد " سواء كانت أموال النفط السهلة أو المساعدات الأجنبية . ويشرح ذلك قائلا " طورت إسرائيل اقتصادها الذى يعانى من التضخم بنسبة ١٠٠٪ وفق ما تتوقع أن تحصل عليه من مساعدات خارجية تمامًا كما تفعل دول الشرق الأوسط النفطية ، ما عدا الكويت التى يبدو أنها استطاعت أن تتجنب هذا الإدمان عن طريق الإدارة الجيدة لشئونها " [١٥] .

بالرغم من هذا الجهد كانت ملامح الكارثة الاقتصادية واضحة لكل ذى عينين قادر على تحليل مكونات الاقتصاد الإسرائيلى ، لكن هذا الأمر لم يشغل بال إلا القلة من المتربعين على القمة السياسية فى إسرائيل وفى أمريكا . من هنا سادت النظرة التى تقول إن مشكلة إسرائيل الاقتصادية بسيطة ويمكن التغلب عليها ، فقد تعودت هى ومواطنوها على أن تكون نفقاتهم أكثر من دخولهم . دولة إسرائيل مثلنا نحن الناس العاديين تعيش فى مستوى أعلى من مستواها ، مشكلة المساعدات الأمريكية الهائلة أنها أصّلَت فيها هذه العادة وعمقتها ثم حولتها عبر السنين إلى مدمن للمساعدات الأجنبية فى سن مبكرة جداً .

كانت إسرائيل طوال العشرين سنة الأولى بعد ميلادها الأسطورى نموذجًا للاقتصاد الأكثر نجاحًا على مستوى العالم ، خلال عقدَىْ الخمسينيات والستينيات استطاعت الدولة اليهودية ببراعة أن تأوى وتطعم وتوفر التعليم لملايين من المهاجرين الوافدين إليها من جميع أنحاء العالم ودافعت أيضًا عن نفسها ضد جيران يكرهونها . وبالرغم من تلك المصاعب استطاعت أن تدير اقتصادها بشكل جيد وأن تحقق نسبة نموٍ قدرها ١٠٪ لم تقدر عليها فى ذلك الوقت سوى اليابان وتايوان وكوريا الجنوبية ، فى هـذه الفترة حافظ الدخل على نموه المستقر ولم يرتفع مؤشر التضخم عن مستوى الـ ١٠٪

تمكنت إسرائيل من تحقيق هذا المستوى فى ذلك دون مساعدة تذكر من الإدارة الأمريكية ، تشير الإحصاءات أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لم تقدم لإسرائيل خلال الفترة بين عامى ١٩٤٨ و ١٩٧٣ سوى ٢ر٧ بليون دولار فى شكل قروض وهبات اقتصادية وعسكرية ، لكن اقتصادها على الجانب الآخر استفاد أموالاً هائلة وصلت إليه عن طريق مساعدات اليهود وغيرهم من المؤيدين على مستوى العالم اشتملت على ٢ بليون دولار من الجمعيات الخيرية اليهودية ، و٢ بليون حصيلة بيع سندات الدولة اليهودية إلى جانب تعويضات من ألمانيا الغربية بلغت ٦ بليون دولار (المدهش فى الامر أن مناحيم بيجين وأنصاره عارضوا قبول التعويضات بشدة) .

وهكذا يمكن القول إن الاقتصاد الإسرائيلى ازدهر بسبب كميات المال الهائلة التى تدفقت على الدولة من ناحية وبسبب مستوى التعليم المرتفع الذى كان متفردًا على مستوى الدول النامية وعانى فى الوقت نفسه من مشاكل كثيرة . فقد غطت أموال المساعدات على العديد من العيوب التى ألمت بالاقتصاد وأهمها على الإطلاق عجز ميزان المدفوعات الإسرائيلى لأن الدولة منذ تأسيسها كانت تستورد أكثر مما تصدر ، وكانت توازن العجز عن طريق التبرعات التى تقدمها المؤسسات اليهودية الخيرية فى المنفى والتعويضات الألمانية والمساعدات الخارجية إلى جانب الاستثمارات . هيأت هذه الأموال الهائلة الفرصة أمام إسرائيل لتأسيس العديد من الاستثمارات المحلية التى لم يشارك فيها المال الإسرائيلى العام أو الخاص لا من قريب ولا من بعيد . يصف ندف هاليفى مدير معهد فالك الإسرائيلى للبحوث الاقتصادية هذه الحالة قائلا " تماثل تمامًا أن تحصل على كعكة شخص آخر وتستمتع بالتهامها " . يقول هذا الخبير فى كتاب له بعنوان الاقتصاد الإسرائيلى الأهداف والإمكانيات : " أدى استمرار العجز فى ميزان المدفوعات إلى ظهور آثاره السلبية على القطاع الاقتصادى التى منها : تزايد الاعتماد على الدعم الأجنبى وتزايد أعباء خدمة الديون الخارجية ، والأكثر رعبًا من هذا وذاك تزايد المخاوف أن الاقتصاد لن يكون قادرًا على العيش دون الاعتماد على المساعدات الخارجية حين تتطلب الأوضاع ذلك " [١٦] ، وهذا يعنى أن إسرائيل فى حاجة ماسة إلى بناء اقتصاد حقيقى لا يعتمد كلية على الأموال الخارجية .

أشاع العجز فى ميزان المدفوعات الذى بلغ فى عام ١٩٦٥ ما قيمته ٥٠٠ مليون دولار الهواجس بين صفوف حكومة إسرائيل مما اضطرها إلى خفض حجم الواردات وزيادة مؤشر الصادرات . وإذا كان هذا القرار قد أدى فعلاً إلى سد جزء من فجوة الميزان إلا أن الركود وارتفاع مؤشر البطالة حرما إسرائيل من أهم مواردها الأساسية ، ونعنى بذلك البشر ؛ حيث بدأت الهجرة العكسية ربما لأول مرة . أسرعت الحكومة إلى استعادة المبادرة بالعمل على تحقيق أهدافها فى مجالى التنمية والتشغيل بغض النظر عن العجز الذى يعانى منه الاقتصاد . ساعدت حرب الأيام الستة فى يونية ١٩٦٧ إسرائيل على إنجاز أهدافها ، فلم تحقق من وارئها حملاتها الدعائية فقط ، وإنما كسبت منها فرصًا مواتية لتحسين اقتصادها بما تدفق عليها من أموال بالغة الضخامة أغدقها عليها اليهود من كافة أنحاء العالم .

بالرغم من أن الاقتصاد الإسرائيلى بعد هذا العام بدأ ينمو بشكل سريع ، إلا أن انعكاسات الرخاء التى حققها هذا النمو لم تكن من نصيب كل أبناء إسرائيل على قدم المساواة . فبحلول عام ١٩٧٣ بدأت إسرائيل تواجه مشكلة سياسية كبرى ؛ ونعنى بذلك تنامى وجود " دولتين إسرائيليتين " تعيشان فى كيان واحد : دولة إسرائيل المزدهرة التى يهيمن عليها يهود أوروبا فى مواجهة دولة يهود أفريقيا وآسيا الفقراء ، لذلك لم يكن غريبًا أن يسيطر على تفكير القطاع الصناعى مخططات التهرب من الضرائب . يزداد حجم هذه المشاكل العويصة وتأثيرها إذا عرفنا أن تحليل أرقام إجمالى الناتج القومى لإسرائيل فى هذه الفترة يؤكد أن الدولة اليهودية كانت تملك أكبر سوق " للاقتصاد الخفى " على مستوى العالم .

وجاءت حرب يوم كيبور لتعيد مشاكل إسرائيل الاجتماعية والاقتصادية مرة أخرى إلى بؤرة الاشتعال بعد أن تصدرت متطلبات الدفاع قائمة احتياجاتها وأخذت تلتهم كل يوم قطعة أكبر ثم أكبر من إجمالى مصادر تمويلها ، ففى حين أنفقت الدولة اليهودية عام ١٩٦٠ ما يوازى ٨,٢٪ من إجمالى هذه المصادر على الدفاع اضطرت إلى إنفاق ما يزيد عن ٢٠٪ منها عام ١٩٧٥ . هذا بالرغم من أن المساعدات العسكرية الأمريكية للدولة اليهودية زادت فى الفترة نفسها إلى مستوى غير مسبوق ، حيث بلغت

٧٠٠ مليون دولار ، وهو ما اعتبره المراقبون مقداراً من المال يفوق كل التقديرات بالقياس إلى دخل إسرائيل القومى .

لم تسهم هذه المساعدات فى حل مشاكل الاقتصاد الإسرائيلى القديمة ، فقد خلق فائض الواردات ، الذى يسرت له السبل المساعدات الأجنبية وتبرعات الجماعات الخيرية اليهودية ، فرصًا للعمل أمام أناس كانت مسئوليتهم فى الحياة أن ينفقوا ما يصل إلى أيديهم . يدل على ذلك أن نصف القوى العاملة الإسرائيلية كانت فى منتصف السبعينيات مرتبطة بأعمال فى القطاع المالى والتجارى والقطاعين العام والخاص ، وكلها ميادين لا تسهم فى بناء مستقبل اقتصادى متين .

تأهب حزب العمل لخوض انتخابات عام ١٩٧٦ بشكل جدى ببرنامج يركز على مواجهة المشاكل الاقتصادية برفع شرائح الضرائب وخفض الدعم الحكومى والحد من الارتفاع المتواصل للأسعار والأجور . كانت هذه الإجراءات تعنى خفض مؤشرات الإنفاق الخاص فى الوقت الذى ظلت فيه النفقات الدفاعية تتمتع بقدسيتها التى لا تُمس . أكدت كافة القرائن أن السلام هو الطريق الوحيد للإصلاح الاقتصادى ، وبالرغم من ذلك لم يتحرك أى من السياسيين لإسراع الخطى نحو هذا الاتجاه ، وفى الوقت الذى اتخذت فيه الحكومة عدة خطوات فى طريق الإصلاح الضريبى لم يكن هناك ما يدل على أن الإسرائيليين سيتجاوبون مع هذا المخطط . ويبقى ميزان المدفوعات يعانى من العجز.

اعترفت الحكومة الإسرائيلية والشعب الإسرائيلى بأن البلاد تعانى من مشاكل اقتصادية حقيقية ، " ولكن " كما لاحظ الخبير الاقتصادى هاليفى فى حينه " لم تكن استجابة العامة للإجراءات التى اتخذتها الحكومة مشجعة . كان هناك ما يدعو إلى الإحساس بالفشل تجاه إقناع الناس بأن نجاح السياسة الاقتصادية شىء والحفاظ على مستوى المعيشة مرتفعًا شىء آخر " . ولفت نظره بشىء من الإحباط أن " كل خطوة تتخذ داخل المنظومة الاقتصادية لأجل كبح جماح مؤشرات مستوى المعيشة سرعان ما تتم إدانتها بشكل واسع لنفس الأسباب التى دفعت إلى تشجيع الأخذ بها " .

لم يكن الشعب الإسرائيلى مستعداً لشد الأحزمة على البطون ، الأسوأ من ذلك أن الحكومة لم تخطط لتوسيع دائرة تحمل المواطنين واجبات سياستها التقشفية الجديدة ، خاصة وأن فقراء اليهود الشرقيين ، الذين بعد طول انتظار وجدوا لهم مكانة داخل دائرة المنفعة الاقتصادية للدولة ، لم يكونوا على استعداد للتنازل عن نصيبهم من عوائد الرخاء الإسرائيلى مهما كانت الأسباب(١٧) .

هذا الشعور بالمرارة هو الذى استخدمه مناحيم بيجين شعاراً لحملته الانتخابية عام ٦٧ / ١٩٧٧ ، وهو الذى جعل أبناء " إسرائيل الأخرى " يختارونه مخلِّصًا لهم ويرفعونه إلى سدة الحكم بعد ربع قرن من المكوث فى صفوف المعارضة ، وكانوا يهتفون له " بيجين ملك إسرائيل " . هذا بالرغم من أن الاقتصاد الذى يرزح تحت وطأته هؤلاء الصائحون لم يكن لعبة ملكهم القادم المفضلة ، وعندما استقال عام ١٩٨٣ لم تكن حالة الاقتصاد الإسرائيلى بأفضل مما كانت عليه يوم تسلم المسئولية . وعد بيجين شعب إسرائيل بإحداث " ثورة اقتصادية " ولكنه أضعف الاقتصاد أكثر مما كان ضعيفًا ، لا ينكر أحد أن نواياه كانت حسنة ، لكن مشكلته أنه إذا تصادمت أمامه القضايا السياسية مع الحلول الاقتصادية اختار الجانب السياسى فى كل مرة .

أوضح برنامج تجمع الليكود الانتخابى أنه " سيحرص على تأسيس اقتصاد حر مرتكز على الفاعلية والمبادرة والمنافسة " بما يوحى أنه كان يهدف إلى قطع صلته بالماضى نهائيًا . ووصف البرنامج شعارات حزب العمل بأنها " خليط غير مكتمل يجمع بين الرأسمالية والاشتراكية والفوضوية صُمم من أجل الإبقاء على طبقة معينة فوق كراسى الحكم " (١٨) .

ما قاله برنامج حزب الليكود فى حق حزب العمل يمكن أن يقال فى حقه بعد أن مارس المسئولية سبعة أعوام !! إضافة إلى أن الاقتصاد كان فى حالة أسوأ مما كان عليها فى نهاية حكم حزب العمل . التضخم ارتفع إلى مستوى ٥٠٠٪ وكانت " خزينة الدولة خاوية وكذلك كانت خزائن البنوك " كما قال شيمون بيريز الذى خلف بيجين فى

رئاسة الوزارة [١٩] .. وبدلاً من بناء اقتصاد مستقل أصبحت إسرائيل تحت الرعاية الكاملة للخزانة الأمريكية .

لم يكن بيجين كثير الاهتمام بالمسائل الاقتصادية ، كانت أولوياته تتمحور حول تحقيق الأهداف السياسية لإسرائيل الكبرى وتوفير الراحة لناخبيه خاصة من اليهود الشرقيين . أما المسائل الاقتصادية فقد تركها بالكامل للوزراء الأربعة الذين تحملوا هذه المسئولية تباعًا طوال فترة حكم الليكود . لقد حاول كل وزير اختير لهذه المهمة أن يتعايش قدر استطاعته مع التناقض الذى يمثله احتياجات الميزانية والأجور والتشغيل وخفض الدعم المقرر للمواد الغذائية والواقع السياسى الحزبى الذى يتطلب إرضاء الناخبين بتوفير الخبز لهم إلى جانب أجهزة تسجيل الفيديو . كان السير وفق متطلبات هذا التناقض أمراً غير شائع ، واتضح فى نهاية الأمر أنه مستحيل التنفيذ ، خاصة لأنه لا الحكومة ولا الشعب أبدوا استعداداً لتحمل تبعات سياسة التقشف ، مكررين الموقف نفسه الذى حدث إبّان الأيام الشديدة الصعوبة التى مرت بحكومة العمل .

كان سمحا أهلرخ أول وزير اقتصاد فى حكومة بيجين ، وهو عضو ليبرالى داخل تجمع الليكود الذى يضم مجموعة من صغار رجال الأعمال وفئة من الذين يديرون أعمالهم بأنفسهم ، ومن المعروف أن الليبراليين كانوا الأعلى صوتًا بين منتقدى سياسات حزب العمل الاقتصادية ، سعى بكل قوته لبناء اقتصاد إسرائيلى مستقل لا يعتمد كلية على المساعدات الأمريكية . وضع سمحا على رأس أهدافه نقل ملكية الشركات التابعة للحكومة إلى القطاع الخاص وخفض الإنفاق الحكومى والحد من الدعم الذى يُقدم لفئات الشعب ، هذا إلى جانب السماح لآليات السوق بأن تحدد أسعار العملات الأجنبية بدلاً من التعليمات العقيمة التى كانت تتحكم فيها منذ سنوات .لم تشجع التعليمات البالية سوى على أن يخبئ المصدرون مكاسبهم خارج البلاد ، لِمَ لا وقد كانت القوانين تمنع الإسرائيلى من الاحتفاظ بالنقد الأجنبى وتحذر البنوك التِجارية من فتح حسابات لها خارج البلاد إلا فى حالات استثنائية . تقول بعض التقارير إن مسئولى حزب العمل اعترفوا فى وقت من الأوقات أن أساليب التحكم فى أسعار النقد الأجنبى يجب أن تتغير .

قرر أهلرخ تعويم الجنيه الإسرائيلى داخل أسواق المال ورفع يد الجهات المختصة عن التدخل فى تسعير العملات ، مما جعل العملات الأجنبية التى سبق دفنها فى الخارج تتسابق فى العودة إلى إسرائيل . أحدثت خطوة وزير المالية الأولى هذه نجاحًا باهرًا وأنعشت الأسواق ، لكن للأسف كانت أيضًا خطوته الأخيرة . أما ما يتعلق بخفض الميزانية وقطع الدعم فلم يلق استجابة بين شركاء وزير المالية فى الوزارة ، فقد أصر حزب هيروت على أن تواصل الدولة مسئولية تشغيل اليد العاملة وتقديم خدماتها الاجتماعية لفئات المجتمع . حتى بيجين لم يتمكن من خفض ميزانية الدفاع التى تلتهم هى والخدمات الاجتماعية التى تقدمها الحكومة نصف ميزانية الدولة ، أما النصف الثانى فكان يوجه لسداد الفوائد الثابتة النسبة المستحقة على القروض ولا يتبقى بعد ذلك من بنود الميزانية ما يمكن خفضه .

أما التفكير فى رفع شرائح الضرائب فكان أمرًا سياسيًا محرمًا ، كما لم يكن لدى القطاع الخاص السيولة الكافية لشراء الشركات التى تعرضها الحكومة للبيع . فى الوقت نفسه ارتفع مؤشر التخضم إلى أرقام فلكية . ساعد على بلوغ التضخم مستواه هذا القروض التى لجأ إليها البنك المركزى من سوق الدولار الأوروبية وأيضًا ما طبعه من أوراق نقدية لمواجهة أى عجز لا تغطية القروض الأجنبية والهبات وحصيلة بيع السندات والضرائب . كل هذا دفع الاتحادات العمالية إلى المطالبة بسرعة رفع الأجور للحد من النتائج السلبية التى يعكسها التضخم .

وجدت حكومة بيجين " المعادية للاشتراكية " نفسها أكثر انغماسًا فى القضايا الاقتصادية مما كانت تخطط لنفسها ؛ فالدولة ما زالت تمتلك شركات أكثر وما زالت مسئولة عن تشغيل عدد أكبر من اليد العاملة وما زالت تنفق على دعم بعض فئات المجتمع أكثر مما كانت تنفق الحكومات السابقة . فى الوقت الذى لم يتوافر فيه للحكومة الشخص الذى يعيد النظر فى ميزانية الدولة وفق المعطيات التى لجأ إليها رونالد ريجان وأصلح بها ميزانية أمريكا ، كشّرت الاتحادات العمالية عن أنيابها كما لم تكشر من قبل مما اضطر الحكومة إلى زيادة الأجور فزاد معها عجز ميزان المدفوعات وتصاعد مؤشر التضخم .

اختير إيجال هورويتز ، عضو حزب لاعام الصغير المتآلف مع الليكود ، عام ١٩٧٩ وزيراً للاقتصاد خلفًا لأهلرخ بصفته مقاولاً متخصصًا فى إنقاذ المشاريع المترنحة وإعادتها إلى الحياة . تعهد هورويتز بأن يدير اقتصاد إسرائيل وفق احتياجات سوق الأعمال بغض النظر عما تحدثه من مضاعفات سياسية ، ويبدو أنه نسى لسبب ما أن " الرئيس " بيجين (كما كان يطلق عليه أتباعه فى منظمة أرجون) لا يمكن أبدًا أن يتغاضى عن انعكاسات المضاعفات السياسية مهما كانت الأسباب .

بدأ هورويتز بإجراء مراجعة شاملة للميزانية على أمل أن يجد منفذًا لخفض بعض بنودها أو على الأقل وقف الإنفاق الحكومى والحد من سياسة تشغيل اليد العاملة ، وسرعان ما أطلقت عليه الصحافة " السيد اين لى " أى " لا شىء عندى " ذلك لأنه كان يرد بهذا الرد على كل طلب يتقدم به أحد زملائه الوزراء أو أصحاب المصالح لزيادة حجم المخصص من الميزانية لوزارته أو لتوفير حجم من الدعم لفئات الشعب . حث هورويتز زملاءه الوزراء على إجراء خفض فى ميزانيات وزاراتهم وبدأ يخطط لمطالبة الشعب الإسرائيلى بتقديم تضحيات لتحسين أحوال الاقتصاد الذى يحتمون من غلوائه بالدعم والإعفاءات الضريبية وبضائع الاقتصاد الخفى المعفاة من الجمارك . وافق الوزراء على تخفيضات الميزانية التى اقترحها هورويتز لكن القلة منهم قامت بالتنفيذ ، يقول إريك سيلفر راوى سيرة مناحيم بيجين " بقى بيجين الشخصية المهيمنة وكان مجلس الوزراء لا يستطيع اتخاذ أى إجراء دون مشورته ، وفى معظم الأحيان لم يكونوا قادرين على المشاركة فيما يقوم به من عمل " (٢٠) . يؤكد إريك سيلفر أن بيجين بدأ منذ عام ١٩٨٠ يعانى من نوبات من الإحباط مما جعل وزراءه يشكون من عدم وجود مرجعية لهم ، وبدأ الكثير من الشائعات - أكدها راوى سيرته - التى تقول إنه يغط فى النوم بينما كان مجتمعًا بأركان قيادة القوات المسلحة ، إنه لم يعد يتذكر أصدقاءه القدامى ، ويقال إنه فى مرة عندما دخل قاعة الكنيست اتجه فورًا إلى مقعد زعيم المعارضة الذى كان يجلس عليه حتى عام ١٩٧٧ (٢١) .

بين عامى ٨٠ / ١٩٨١ بدأت انعكاسات السياسات التقشفية التى اتخذها هورويتز تظهر بشكل جلى على سطح الحياة فى إسرائيل ، فلأول مرة فى تاريخ الدولة اليهودية يزيد عدد المهاجرين إلى خارجها عن القادمين إليها . كان هذا من بين

المؤشرات التى نبهت بيجين إلى الحالة الاقتصادية وما أفرزته من مشاكل سياسية تواجه التحالف الذى يقوده . أظهرت قياسات الرأى العام التى كانت تنشر نتائجها بين الحين والآخر استعداداً للانتخابات العامة التى يشهدها عام ١٩٨١ أنه يقف وراء بيريز بعدة خطوات ، لذلك فكر فى الاستعانة بوزير اقتصاد جديد لفترة الستة أشهر الباقية حتى موعد الاقتراع . وقع الاختيار هذه المرة على يورام أريدور رجل المالية البارع ، عضو حزب هيروت وأكثر المنتقدين الحزبيين للسياسات التى كان يتبعها هورويتز . كان أوريدور أول وزير اقتصاد فى حكومة بيجين ذا خلفية أكاديمية فى تخصصه ، وأيضًا كان ذا ولاء حزبى عميق ، وهذا دليل قوة على أن السياسة تقدمت مرة فى أهميتها على الاقتصاد . نَحَّى أريدور جانبًا وعود الليكود بتأسيس آليات الاقتصاد الحر ووضع بدلاً منها آليات اقتصاد قائم على " الليبرالية الاشتراكية التقدمية الحديثة " (٢٢) .

اختار أريدور هدفًا سياسيًا آمنًا ليحقق به الانتصار لسياسته الجديدة وهو التضخم ، وقام بإلغاء كل الإجراءات التى سبق لسلفيه اتخاذها فى هذا الخصوص وعمد أولاً إلى زيادة الدعم الحكومى الذى تستفيد منه طبقات الشعب وإلى خفض أسعار السلع الأساسية ، وثانيًا إلى خفض التعريفة الجمركية على الواردات الاستهلاكية . أدت الإجراءات الجمركية الجديدة إلى خفض أسعار أجهزة التليفزيون بنسبة أكثر من ١٥٪ وأسعار السيارات بنسبة تتراوح بين ١٠ و ١٧٪ ، كما صارت أسعار أجهزة تسجيل الفيديو والغسالات والأثاث فى متناول الجميع . وأثبتت وزارة المالية برئاسة أريدور أن نظرية تحالف الليكود الاقتصادية تسعى إلى اجتذاب أصوات الناخبين ، وذلك حين أعلنت بصراحة منقطعة النظير أنها خفضت الضريبة على أسعار النبيذ الحلو بمقدار ٥٠٪ حتى اليوم التالى ليوم الاقتراع !! . أقدم أريدور ، ثالثًا ، على خفض قيمة العملة الإسرائيلية – التى أطلق عليها بيجين اسمًا توراتيًا هو " الشيكل " – بنسبة تقل عن النسبة التى يفرضها حجم التضخم . أدت هذه الخطوة إلى تراجع مستوى الأسعار التى تتحكم فيها الحكومة وتراجع أيضًا مؤشر التضخم ، فعادت ثقة الإسرائيليين فى اقتصاد بلدهم ، وشجعتهم مستويات الأسعار على الإقبال على

الشراء الذى بلغ ذروته قبل موعد الانتخابات مباشرة . وخلال شهر من بداية هذه الإصلاحات اشترى الإسرائيليون ٨ آلاف سيارة بزيادة قدرها ٤٠٠٪ إلى جانب ٦٠ ألف جهاز تليفزيون ، ملون وكانت " جميعها مستوردة " (٢٣) .

سرعان ما آتت سياسات أريدور بثمارها عبر استطلاعات الرأى العام ثم عبر صناديق الاقتراع ، وأعيد انتخاب بيجين بأغلبية ساحقة ، حتى إن إريك سيلفر كاتب سيرته يقول " كانت عودته الثانية أكبر عودة لسياسى منذ عهد أليعازر التوراتى " (٢٤) ذلك بالرغم من أن الاقتصاد الإسرائيلى كان قد بدأ يدخل فى منحنى انهياره .

واصل الإنفاق الحكومى ارتفاعه إلي مستويات خطرة خلال سنوات ولاية بيجين الثانية ، وخلال عام ١٩٨٢ استمر معدل الاستهلاك فى صعوده بينما بقى الناتج القومى فى مكانه . يقول الاقتصادى الإسرائيلى الشهير يورام بن بوراث " إن لم تحقق الأهداف السياسية للحكومة نموًا اقتصاديًا أو استقرارًا فى الأسعار سنجد أنها تقود إلى مزيد من الاعتماد الاقتصادى على العالم الخارجي وإلى تحسن لا مبرر له في مستوى المعيشة ، وفى الوقت الذى تتجه فيه الأسعار العالمية إلى الانخفاض نجد أن ضغوط التضخم عندنا تعكس نتائجها على الواردات " (٢٥) .

زاد معدل الواردات بينما تراجع مؤشر الصادرات ، وللبرهنة على تخوفهم من انعكاسات تزايد التضخم قام العمال الإسرائيليون بسلسلة من الإضرابات المحدودة ، كان من بينها إضراب انتشرت أخباره حول العالم عندما توقف الأطباء عن العمل . باختصار لم يكن فى إسرائيل من هو مستعد للقبول بخفض ما يحصل عليه من أجر . كتب كنيث ستاميرمان ، الخبير الاقتصادى بوزارة الخارجية الأمريكية ، يقول " الاختيارات المتاحة أمام حكومة بيجين هى : إما العودة إلى السياسات التى سبق أن نادى بها هورويتز التى عمدت إلى الانضباط المالى وتخفيض قيمة العملة ، أو إعادة النظر بشكل جذرى فى نظام التسعير برمتّه " (٢٦) . قرر أريدور أن يعيد النظر فى نظام الأسعار بدلا من أن يعترف بهزيمة أسلوبه فى إدارة الاقتصاد خشية أن يثير حفيظة الناخبين عليه ، وهكذا فتحت حكومة بيجين على نفسها باب الانتحار السياسى .

أعد أريدور خطة سرية لخفض ميزانية الدولة اليهودية وكذلك خفض قيمة الشيكل وربطه بالدولار الأمريكى بدلاً من ترك تسعيره لتقلبات مؤشر الاستهلاك ، ومن الممكن فى نهاية الأمر أن يحل الدولار محل الشيكل بعد أن تحول الاقتصاد الإسرائيلى فى الشرق الأوسط إلى قاعدة أمامية للنظام الاحتياطى الفيدرالى الأمريكى . كانت الخطة تتسم بالعقلانية ، فهى تبشر من ناحية بأن يسير مؤشرا الفائدة والتضخم فى الخط نفسه مع نظيريهما فى أمريكا ، ومن ناحية ثانية إلى اعتراف بالأمر الواقع ؛ حيث دفع تصاعد التضخم الإسرائيليين إلى تقويم أسعار حاجياتهم بالدولار لمعرفة القيمة الحقيقية لما يدفعونه ثمنًا لها . نقطة الضعف الوحيدة فى خطة أريدور لـ " دولرة " الاقتصاد الإسرائيلى ، أن ترجمتها للواقع كانت تعنى فى الوقت نفسه نسيان أى ادعاء باستقلالية هذا الاقتصاد .

كانت هذه الخطة تتطلب من البنك المركزى الإسرائيلى أن يتخلى عن طاقة صلاحياته لبنك الاحتياط الفيدرالى الأمريكى وأن تسيطر أرقام ميزان المدفوعات على أحوال الاقتصاد فى البلاد : فإذا أنفقت الدولة أكثر مما هو مسموح به فسيهرب الدولار إلى الخارج مما يؤدى إلى خفض احتياطى العملات الأجنبية فى البنك وبالتالى إلى خفض اعتماداته ، أما إذا زادت الصادرات فسيؤدى ذلك إلى زيادة حجم التعامل بالدولار داخل إسرائيل ، وهذا سيساعد على تفعيل الحالة الاقتصادية بأكملها .

بدا للمراقبين أن الخطة بسيطة ويمكن تطبيقها ، لكن وزير المالية العبقرى لم تتح له الفرصة ليطبقها عمليًا !! فقد استشعر الإسرائيليون أن طبخة تعد لخفض عملة بلدهم فاندفعوا لبيع ما فى حوزتهم من أسهم فى البورصة للحصول على سيولة نقدية اشتروا بها دولارات ، وهو ما عُرف فيما بعد " بأزمة أكتوبر ٨٣ " . هزت هذه الأزمة البلاد بعنف خاصة وأنها لم تكن قد أفاقت بعد من الأزمة التى تعرضت لها قبل ذلك بشهر واحد حين أعلن بيجين استقالته المفاجئة من رئاسة الوزارة .

لم يكن الوقت مناسبًا إطلاقًا لإحداث ثورة أخرى فى الاقتصاد الإسرائيلى ، فعندما تسربت أسرار خطة أريدور العبقرية إلى الصحف هوجم الرجل المخلص بقسوة واعتبره البعض خائنًا حقيقيًا للأمانة . ووصف زعيم الهستدروت مخطط الدولرة بأنه

" لطمة شديدة لكرامة الشعب ولشرف البلاد القومى " . أما جوليا كوهين زعيمة حزب تحيا اليمينى المشترك فى تحالف الليكود فقالت بسخرية " علينا أيضًا أن نطبع صورة إبراهام لينكولن على أوراق النقد الإسرائيلية " (٢٧) . دفعت الحالة المزاجية للشارع الإسرائيلى أعضاء الحكومة إلى التهديد بالاستقالة إن لم يتم استبعاد خطة أريدور الاقتصادية ، وبالرغم من أن تفكير الرجل كان صائبًا إلا أنه أقرَّ فى الوقت نفسه بأنه هُزم فقرر الاستقالة . قرر إسحاق شامير رئيس الوزراء الجديد قبل بدأ رحلته إلى واشنطن أن يخفض قيمة الشيكل جنبًا إلى جنب مع خفض الدعم الذى تقدمه حكومته للمواد الغذائية .

تلقت الحكومة الإسرائيلية برئاسة بيجين فيما بين عامى ١٩٧٧ ، ١٩٨٣ مساعدات اقتصادية وعسكرية من أمريكا قيمتها ١٧ بليون دولار . بالرغم من السخط الذى كان يبديه جيمى كارتر حيال محاولات بيجين ضم الضفة الغربية وغزة إلى أرض إسرائيل إلا أنه وعد بألا يتسخدم المساعدات الأمريكية وسيلة للضغط على تل أبيب للاستجابة لمتطلبات المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط . أما إدارة ريجان فقد قررت فى عام ١٩٨١ منح إسرائيل ٣٠٠ مليون دولار كمساعدة عسكرية إضافية لرأب الصدع الذى حدث بين الطرفين بسبب معركة بيع طائرات الأواكس للسعودية التى شهدتها أروقة مجلس الشيوخ . اقتنع ريجان أيضًا بعدم جدوى إجبار إسرائيل على السير فى الاتجاه الذى يناسب واشنطن بالرغم من قيام بيجين بقصف المفاعل الذرى العراقى وقذف بيروت بالطائرات واتخاذ قرار بضم هضبة الجولان لأرض إسرائيل ، وأيضًا بالرغم من غزو شارون للبنان ورفض بيجين فيما بعد لخطة الرئيس الأمريكى لإقرار السلام فى الشرق الأوسط .

سافر شامير إلى واشنطن قبل نهاية شهر نوفمبر حاملاً معه قائمة مشتريات طويلة لم تستغرق مناقشة محتوياتها سوى جلسة صاخبة مع شولتز ، وجلسة غداء مع الرئيس عاد بعدها إلى إسرائيل بموافقة على كل ما تضمنته القائمة. قررت أمريكا أن تخفض حجم مساعداتها العسكرية لإسرائيل من ١٫٧ بليون دولار إلى ١٫٣ بليون ، ولكنها قررت فى الوقت نفسه أن يكون المبلغ كله " هبة لا ترد " ولا يسدد عنه فوائد . على نفس المنوال وعد ريجان بمنح إسرائيل " هبة أخرى " قدرها ٩١٠ مليون دولار فى

شكل مساعدات اقتصادية . كما وافق على إعفائها - على عكس الدول الأخرى التى تتلقى مساعدات اقتصادية أمريكية - من شرط إنفاقها كلها فى الأسواق الأمريكية ورخص لها بأن تنفق حوالى ١٥٪ منها على شراء أسلحة مصنوعة فى إسرائيل !! . ولم يعترض على اقتراح الكونجرس بمنح إسرائيل قرض قيمته ٥٥٠ مليون دولار لإنتاج الطائرة المقاتلة ليفى ، بل عبّر بامتنان عن دعمه لما صدر من تحديد أكثر دقة لـ " التعاون الإستراتيجى " معها ولتأسيس منطقة التجارة الحرة بين البلدين .

السؤال المهم هو : بماذا استفادت إدارة الرئيس ريجان فى المقابل بعد تقديم كل هذه الخدمات لإسرائيل ؟ لم تحصل على شىء البتة ، ويروى عن بيجين أنه قال للصحفيين يومًا " إننا لا نسدد قيمة كل ما نحصل عليه من أمريكا " . فلم يصدر من حكومة إسرائيل أى التزام تجاه خطة ريجان للسلام التى عارضها بيجين بشدة ، ولم يصدر منها أى قرار بتجميد بناء المستوطنات فى الضفة الغربية التى كان يعتقد ريجان أنها ستساعد فى تدعيم خطوات السلام . يضاف إلى ذلك التعارض بين الدولتين تجاه بيع أسلحة للأردن فى وقت كان ريجان يحبذ إتمام صفقة البيع ، بالرغم من ذلك لم يوجه الرئيس أى كلمات عتاب فيما يتعلق بإصلاح الاقتصاد الإسرائيلى . أشارت مجلة تايم أن المسئولين الأمريكيين سيكونون سعداء إذا لم يصب شارون " بنوبة غضب عارمة " كما كان يصاب بيجين فى كل مرة تسعى فيها الإدارة الأمريكية إلى كسب ود الدول العربية المعتدلة . تنقل المجلة عن أحد العاملين فى وزارة الدفاع - لم تذكر اسمه - وصفه لزيارة شارون لواشنطن قائلاً " لقد تعاملوا معنا كأنهم ماكينة شق طرق تكتسح أمامها كل شىء " (٢٨) .

كانت لدى ريجان أسبابه السياسية الخاصة التى تجعله يرضى بأن تتصرف إسرائيل كما لو كانت " ماكينة شق طرق " وأهمها أن الانتخابات الرئاسية ستجرى فى عام ١٩٨٤ . لذلك أظهر هو ووزير خارجيته وأصدقاء منظمة إيباك فى الكونجرس استعدادًا حماسيًا لمساعدة إسرائيل لتخطى أوقاتها الاقتصادية العصيبة . كان الأمريكيون يراقبون منزلقات وزراء ماليتها الواحد تلو الآخر : أهلرخ ومن بعده هيورويتز ثم أريدور (الذى بدأ اتصالا فى هذا التوقيت مع وزارة الخارجية طالبا للمشورة) . لا يتوافر أى دليل على أن صناع القرار الأمريكيين لاحظوا محاولات

أهلرخ للحد من اعتماد الاقتصاد الإسرائيلي على المساعدات الأمريكية ، ويبدو أنهم لم يكونوا مستعدين لسماع حججه التى ساقها للتدليل على أن مساعدات إدارتهم تضر إسرائيل أكثر مما تنفعها . على العكس تماماً من ذلك منحت الوعود الأمريكية بزيادة الإعانات لإسرائيل وتقديمها فى شكل " هبات غير قابلة للاسترجاع " بما يعنى أنها لن تشكل زيادة فى حجم مديونيتها ، الفرصة كاملة لوزير مالية الليكود الرابع لكى يطرق الحديد وهو ساخن . كان الوزير الجديد إيجال كوهين أورجاد يعرف طريقه جيداً ، فهو عضو فى حزب هيروت وسبق له أن تولى منصباً اقتصادياً فى وزارة الخزانة ، وكان مديراً لشركته المتخصصة فى الاستشارات الاقتصادية .

حالت ظروف إسرائيل دون أن تستفيد من الاستعدادات التى أبدتها الإدارة الأمريكية لأن استطلاعات الرأى العام أوضحت أن ٨٠٪ من شعبها يعتقد أن الحكومة فقدت سيطرتها على الاقتصاد . تقدم كوهين أورجاد بمشروع ميزانية يعكس الاحتياجات الحقيقية لخفض نفقات الدفاع والخدمات الاجتماعية ، واقترح خفض مبلغ الـ ٤٠٠ مليون دولار المخصصة للمستوطنات المثيرة للجدل فى الضفة الغربية . واجه وزير المالية كما حدث مع من سبقوه مقاومة من جانب الوزراء الذين كانوا يرحبون بالتخفيضات وهى على الورق أكثر مما يقبلون بها عند التطبيق العملى ، واصل الشعب من ناحية أخرى سلوكياته الإنفاقية مبرهناً أنه لا يختلف كثيراً عن وزرائه .

عندما حل عام ١٩٨٤ كان الشعب الإسرائيلى مثله مثل حكومته بعيداً عن الأهداف التى يسعى إلى تحقيقها . عاد مؤشر التضخم إلى مواصلة ارتفاعه وعادت موجات هجرة النقد الأجنبى خارج البلاد إلى سيرتها السابقة ، وأحس أفراد الشعب أنهم مقبلون على خفض جديد للعملة .

هكذا كانت أوضاع إسرائيل عندما نجح بيريز فى نهاية المطاف أن يشكل حكومة وحدة وطنية فى أوائل عام ١٩٨٤ . سياسياً وجد بيريز نفسه مقيَّد اليدين فى مواجهة اقتصاد على حافة الانهيار بصورة لا تخطئها العين لأسباب ترجع إلى سياسات التحالف الذى كان يجمع بين بيجين وشامير الذى أصبح شريكه فى الحكم . اعترف الحزبان المشكِّلان للحكومة الوطنية أن الحالة الاقتصادية فى أمسّ الحاجة إلى برامج

تقشفية قابلة للتطبيق فوراً ، السؤال هو ما مدى قدرة الشعب على تحمل هذه البرامج ؟ كان لا بد من استقطاع بليون دولار من ميزانية الدولة ، واستطاعت الحكومة خفض حوالى ٤٠٠ مليون دولار من نفقتها خلال ثلاثة أشهر لكن سرعان ما أثبتت الأيام أنه لا الحكومة ولا الشعب على استعداد لمواصلة خفض النفقات . اتجه بيريز إلى الحل المعتاد " اللجوء إلى أمريكا " بعد أن قدّر احتياجات بلاده من المساعدات الاقتصادية بحوالى ٤ر٨ بليون دولار لفترة العامين القادمين ، ولكن هل تستجيب الإدارة الأمريكية . هذا ما جعل الاقتصاد الإسرائيلى يبقى معلقًا !! .

كان المبلغ المطلوب كبيراً إلى الدرجة التى جعلت أشد مؤيدى إسرائيل فى أمريكا يستغرب هذه الجرأة غير المعهودة لدرجة أن توماس دين أكّد لبيريز أن الكونجرس لن يوافق على طلبه هذا . وقال له أيضاً إن قدرات إيباك فى ممارسة الضغط محدودة فى هذا الوقت الذى تلوح فيه فى الأفق مقدمات معركة الميزانية حامية الوطيس بين ريجان والكونجرس ، خاصة وأن السياسيين كانوا يصرون على أسنانهم بسبب العجز الهائل فى الميزانية . أبدى هيمان بوكبيندر قلقه حيال المضاعفات التى يتوقع أن تترتب على طلب هذه المساعدة فى مقابلة صحفية قائلاً " أعتقد أننا يمكن أن نقنع الكونجرس بالموافقة على حجم المساعدة المطلوبة لإسرائيل ، لكن هل الأمر يستحق المعاناة التى سيسببها لنا الرأى العام ؟ لست متأكداً من شىء !! [٢٩] . أثبتت الأيام أن الضغوط السياسية التى مارسها طويلاً دين وبوكبيندر لترويض السياسيين آتت ثمارها فلم يبدِ أعضاء الكونجرس اهتماما كبيراً بأرقام المساعدات التى طلبها بيريز .

لفت الاقتصاديون فى أمريكا وإسرائيل الأنظار إلى حقيقة مهمة : هل المساعدات الإضافية لإسرائيل هى العلاج ؟ وأجمعوا أنه بدون تغييرات أساسية فى منهجية الاقتصاد الإسرائيلى : سياسة تقشفية حقيقية + تخفيضات قاسية فى الميزانية + خفض فى مستويات المعيشة ، فسوف تلتهم إسرائيل بلايين الدولارات من المساعدات الأمريكية خلال بضعة أشهر ثم تعود للغوص فى المياه الراكدة مرة أخرى . حذر تقرير دورى للكونجرس الأمريكى يحظى بتقدير الحزبين الديموقراطى والجمهورى أعدته لجنة العلاقات الخارجية فى نوفمبر عام ١٩٨٤ من أنه " إن لم تحظ الأزمة الاقتصادية التى تأخذ بخناق إسرائيل اليوم باهتمام حكومة الوحدة الوطنية الجديدة بشكل عملى ،

فربما تشكل تهديداً لها أكثر مما يشكله أحد من جيرانها " . وأوضح التقرير أيضاً أن المساعدات الاقتصادية الأمريكية لن تحل المشكلة . ولابد لإسرائيل من أن تتبنى سياسة تقشفية جادة وعدداً من الإصلاحات الاقتصادية (٣٠) ، وبالرغم من ذلك قررت منظمة إيباك أن تبذل جهدها من أجل منح إسرائيل مزيداً من المعونات .

فى إسرائيل كان بيريز يبحث عن وسيلة يسوق بها البرامج التقشفية بعد أن استجدى من الخبراء داخل الحكومة وخارجها أن يمدوه بمختلف الخطط التى يمكن أن تؤدى عند تطبيقها إلى إصلاح اقتصاد البلاد . قدم ثلاثة خبراء اقتصاديون من جامعة تل أبيب خطة شاملة وصفها أحدهم قائلا " ترتكز على إعادة بناء البنية المالية للاقتصاد الإسرائيلى " ، كانت تتطلب خفضاً قدره ٢ بليون دولار فى حجم ميزانية البلاد أو ما يوازى ٠٦٪ من إجمالى الدعم الذى تقدمه الحكومة ، كما كانت تقترح فرض ضريبة على مصالح رجال الأعمال ، الأمر الذى لم يسمع به الشارع الإسرائيلى من قبل . شرح عساف رازين ، عميد كلية العلوم الاجتماعية بجامعة تل أبيب والمستشار الاقتصادى لرئيس الوزراء ، هذه النقطة قائلا " رجال الأعمال فى هذا البلد لا يرحبون كثيراً بسداد الضرائب " (٣١) .

فى الوقت نفسه كان رئيس الوزراء الإسرائيلى يواجه معارضة شديدة من النقابات العمالية وتحالف الليكود شريكه فى الحكم ، ولكن كان عليه أن يبدأ الخطوة الأولى . تقدم بيريز فى شهر نوفمبر " بأول صفقة من اثنتين " يهدف من ورائهما إلى خفض مؤشر التضخم عن مستواه الحالى وهو ٥٠٠٪ إلى مستوى مناسب عن طريق خفض ميزانية البلاد بمقدار بليون دولار . وصف الاقتصاديون الإسرائيليون والأمريكيون هذه الصفقة بأنها محاولة من رئيس الوزراء الإسرائيلى لربط الجرح الاقتصادى بضمادة بدلاً من توفير العلاج الطبى الذى يحتاج إليه . كان من بين هؤلاء الاقتصادى المحترف وزير خارجية أمريكا جورج شولتز الذى أرسل إلى بيريز فى نهاية شهر ديسمبر عام ١٩٨٤ ما وصفه المراقبون بأنه خطاب شديد اللهجة محذراً أن عدم قيام إسرائيل بإجراء إصلاحات جذرية فى بنيتها الاقتصادية سيضطر الإدارة الأمريكية إلى عدم الموافقة على منحها قيمة المساعدات الطارئة التى يبلغ حجمها ٨٠٠ مليون دولار لعامى ١٩٨٥ و ١٩٨٦ التى طلب توفيرها إضافة إلى مبلغ المساعدات

السنوى وهو ٦ر٢ بليـون دولار ، عندمـا وصل هذا الخطاب إلى بيـريز كـانت الـ ٨٠٠ مليون دولار المخصصة للعام ١٩٨٥ قد وصلت إلى إسرائيل فعلاً .

حث الاقتصادى الإسرائيلى عساف رازين الإدارة الأمريكية فى رسالة بعث بها إلى مجلة ذى نيويورك تايمز على عدم الاستجابة للضغوط التى تمارَس عليها لكى تمنح إسرائيل مساعدة اقتصادية فورية . كان مما قاله رازين " إن لم يتحقق لإسرائيل النجدة التى ترجوها سيضطر صانعو السياسة فيها إلى اتخاذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ برنامج اقتصادى شديد القسوة " . قصد رازين بهذا البرنامج ضرورة خفض عجز الميزان التجارى الإسرائيلى لعام ١٩٨٣ الذى بلغ ٥ر٣ بليون دولار ، وحتمية العمل على خفض الاستدانة المالية من البنوك التجارية الأجنبية . وأضاف رازين قائلا إن الوسيلة الوحيدة لتجنب " أزمة الديون " هى العمل فوراً على " خفض الإنفاق العام والخاص " . لم يكتف رازين بذلك ، بل عزز اقتراحه المعروف بوصفة لولبية مزدوجة لا يجرؤ على الجهر بها على الملأ أى زعيم أمريكى يهودى ، قال " لقد استفادت إسرائيل من المساعدات الأمريكية منذ تأسيسها دون أن تفرض عليها أمريكا أى شروط تعاقدية ، الآن حان الوقت لأن تملى واشنطن بعض شروطها المؤثرة التى ستضطر إسرائيل بموجبها لاتباع الخطوات الضرورية لاستعادة توازنها الاقتصادى وبالتالى قدرتها على تحقيق الرخاء " [٣٢] .

اقترح رازين تأسيس ما يعرف بـ " الحسابات المقارنة " تقوم حكومة إسرائيل بمقتضاه بخفض دولار من نفقاتها مقابل كل دولار تحصل عليه كمساعدات أمريكية إضافية زائدة عن مبلغ الـ ٦ر٢ بليون دولار الذى تحصل عليه سنوياً . وبذلك تستطيع أمريكا عن طريق هذا التعهد أن تفرض على اقتصاد إسرائيل نفس نوع الرقابة الواعية التى يفرضها صندوق النقد الدولى على الدول التى تعانى من عجز اقتصادى وتحصل على مساعدات منه . أصر رازين ، بسبب معرفته المسبقة أن اقتراحه هذا لن يستسيغه لا الأمريكيون ولا الإسرائيليون ، على أنه بدون " إشراف " مماثل لن تتوافر " لحكومة التآلف المتهالكة القدرة على إجراء خفض فى ميزانية البلاد أكثر من الـ ٥ر١ بليون دولار التى اقترحها وزراؤها " .

اتسمت الساحة بحجم ملفت للنظر من التأييد لأمريكا حتى بين أقوى مناصرى إسرائيل فى الصحافة الأمريكية لكى تضغط عليها حتى تصلح شئون اقتصادها ، بل إن وليم سافير كاتب العمود فى صحيفة ذى نيويورك تايمز ومحرر مجلة نيو ريببليك الموالية لإسرائيل وجَّهَا أصابع الاتهام إلى حكومة بيريز ووصماها بالتخاذل . أثناء زيارة رئيس الوزراء الاسرائيلى لواشنطن فى أكتوبر عام ١٩٨٤ قال له سافير إن هذه المدينة ليست المكان المناسب الذى يمكن أن يحصل منه على مساعدة لحل مشاكل بلاده الاقتصادية . ونصحه أن يعود إلى إسرائيل حاملاً " رسالة تبعث على الألم " خيراً من أن يعود إليها محملا بالملايين . وأكد سافير أن عدداً من الإجراءات الصارمة لشد أحزمة الإنفاق العام والخاص هى التى ستضع حداً للوصف الذى أطلقه على اقتصاد إسرائيل فى عنوان عموده الصحفى بأنه " اقتصاد ماسادا " (٣٣) يقصد اقتصاد انتحارى لا تقدم عليه سوى الدول التى تتخذ قراراً بقتل ذاتها .

كال سافير فى عموده الثانى بعد ذلك بشهرين التهم لبيريز ، وقال إنه يقود إسرائيل إلى " حافة الخراب والتبعية الاقتصادية " وطالبه قبل أن يمنى النفس بالحصول على معونة أمريكية أن يخفض حجم ميزانية بلاده بمقدار ٣ بليون دولار (يوازى ضعف ما طالب به وزير الخارجية شولتز ، ويزيد بمقدار بليون عما اقترحه الخبير الاقتصادى رازين) . ونصحه أيضًا أن تنفض إسرائيل يدها من " مؤشر تحديد الأسعار الذى يعالج مشكلات شعبها بالمسكنات " وأن تخفض الأجور وتثبت سعر الشيكل ، وتساءل بخبث هل يبتسم أريدور وزير المالية الإسرائيلى السابق للدولار الآن وهو يقرأ هذا الكلام . قال سافير فى نهاية مقاله " ما تحتاج إليه إسرائيل هو الأخذ بسياسة اقتصاد الحرب لأنها هى السبيل الوحيد لنجاتها ، وما لم يقرر قادتها أن يواجهوا الحقيقة بشجاعة فإن هناك تهديدات بأن تتحول حكومة الوحدة الوطنية إلى حكومة العار الوطنية " (٣٤) .

أقرت افتتاحية مجلة نيو ريببليك الخالية من التوقيع بتوافر أسباب إستراتيجية تقتضى منح إسرائيل ٤ بليون دولار مساعدة ، ولكنها أقرت من ناحية ثانية " أنه لا يوجد سبب واحد يحتم على الإدارة الأمريكية أن تدعم الحماقة والجبن " . وخلصت المجلة إلى القول " حتى الآن لم تبدأ حكومة الائتلاف برئاسة بيريز فى اتخاذ ما هو

ضرورى لإعادة ترتيب البيت الإسرائيلى من الداخل " ، لهذا السبب طالبت الإدارة الأمريكية بأن تدفع بيريز دفعًا لكى يؤدى ما يجب عليه أن يؤديه " لأن أمريكا ، فى رأى المجلة ، هى " الطرف الوحيد القادر على إقناع إسرائيل بتعاطى الدواء " (٣٥) .

فى هذا الوقت بالذات كانت الإدارة الأمريكية أو قل وزارة الخارجية تسعى لتقديم الدواء لإسرائيل ؛ ففى شهر مارس عام ١٩٨٥ حذر و. ألن واليس ، وكيل الخارجية الأمريكية للشئون الاقتصادية لجنة فرعية تابعة لمجلس الشيوخ أن مساعدة الطوارئ التى تطالب بها إسرائيل " ستختفى بسرعة " لأنها لم تعمل بعد على مواجهة المشاكل المالية التى تتعرض لها . أشار واليس أيضًا إلى إهمال وزراء مالية إسرائيل الواحد تلو الآخر القيام بخفض فعلى فى ميزانية الدولة بالرغم من أن كلاً منهم كان يؤيد تبنى هذا النهج ، وأشار من ناحية أخرى أن " مشكلة الإسرائيليين الأساسية تكمن فى أنهم يستهلكون أكثر بكثير جدًا مما ينتجون " . وأكد واليس فى بيانه أنه " ما لم تنجز هذه التغيرات ، وما لم تتحقق بعض الإصلاحات القانونية فى بنية الاقتصاد الإسرائيلى ستختفى بسرعة شديدة قيمة مساعدة الطوارئ التى تبلغ ٨٠٠ مليون دولار لعام ١٩٨٥ ، ولن ينصلح حال اقتصادهم بهذه الكيفية ، بل على العكس سوف يواجهون مشاكل أكبر فى المستقبل القريب وسوف يعودون إلى هنا مرة أخرى مطالبين بأموال جديدة لحل مشاكل أكثر صعوبة " (٣٦) .

كانت رسالة واليس واضحة " لا بد أن يقوم طرف ما بإقناع إسرائيل بضرورة تغيير سبل إنفاقها " وبالرغم من ذلك لم يبد أعضاء اللجنة استجابة لهذا المضمون . وإذا لم تكن الولايات المتحدة قادرة على استخدام نفوذ مساعداتها الاقتصادية لإجبار إسرائيل على مراعاة المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط ، فعليها أن تجبرها على العمل من أجل مصالحها هى الخاصة .

كتب سافير بعد أسابيع عمودًا ثالثًا استخدم فيه هذه المرة لغة تستهوى العاملين فى وزارة الخارجية الأمريكية وحذّر فى الوقت نفسه من تزايد حجم المساعدات الاقتصادية التى تحصل عليها إسرائيل والتى صار مسلّمًا بها منذ عدة عقود " إسرائيل صارت تعتمد كلية على أمريكا . وأمريكا فى الوقت نفسه لا تريد التخلص

منها بل تريد المحافظة عليها ، لذلك يجب على الإسرائيليين أن يحموا حريتهم السياسية واستقلال قرارهم الدبلوماسي بالعمل على حل مشاكل اقتصاد بلدهم المتردى بمساعدة أمريكا " (٣٧).

مما لا شك فيه أن اللهجة كانت متشددة ويزيد من تشددها بصفة خاصة أنها صادرة من أصدقاء لإسرائيل لهم وزنهم مثل الصحفي سافير ومحرر مجلة نيو ريببليك التى كان صاحبها ورئيس تحريرها مارتن برتز مقتنعاً إلى أقصى درجة بضرورة قيام أمريكا بتقديم مساعدات إلى إسرائيل . وبالرغم من ذلك يلاحظ أن كلا المحللين لم يشر إلى الحقائق بالقدر الكافي : هل مغامرات بيجين السياسية هى التى قادت الاقتصاد إلى حالة الدمار ؟ ولم يقل أى منهما لماذا لم يطالب بأن تمارس أمريكا ضغوطها من قبل ويصر عليه الآن ؟

لابد من الاعتراف أن الدوافع التى كانت تحرك الإدارة الأمريكية تجاه الاقتصاد الإسرائيلى كانت دوافع سياسية مماثلة لتلك التى تحرك رئيس وزرائها ، لهذا السبب تضاعف حجم هذه المساعدات سبع مرات من ١٥٫٥ مليون دولار فى العام إلى ٣٥٢٫١ مليون دولار فى العام . تقول الآراء التى تبرر هذه الزيادة الهائلة أنه كان لابد من مساعدتها للخروج مما أصابها فى أعقاب حرب عام ١٩٧٣ ومن عواقب أزمة الطاقة التى صاحبت هذه الحرب . وبالرغم من ذلك توالى عجز ميزان المدفوعات الإسرائيلى . عندما استمر الانهيار الاقتصادى حذر الخبراء فى إسرائيل أن الحل يكمن فى الأخذ إما بسياسة تقشفية حازمة وإما بدعوة صندوق النقد الدولى لتقديم مشورته حول كيفية إصلاح البنية الأساسية لاقتصاد البلاد . احتج ساسة إسرائيل أن الأخذ بأى برامج تقشفية سوف يفتح الباب لقلاقل سياسية عنيفة ، ووافقتهم الإدارة الأمريكية على ذلك ، أما طلب المشورة من صندوق النقد الدولى فسيسبب لحكومتها إحراجاً شديداً . واقترح الإسرائيليون أن تساعدهم واشنطن بـ ٧٠٠ مليون دولار على وجه السرعة لإعفائهم من تنفيذ سياسة تقشفية لا طاقة لهم بها وإبعاد شبح تدخل صندوق النقد الدولى فى شئونهم الاقتصادية .

كانت لدى الإدارة الأمريكية بواعث سياسية تدفعها للموافقة على الاقتراحات الإسرائيلية ، فالبرغم من أن هنرى كيسينجر تعرض عام ١٩٧٥ لنقد شديد من جانب الجماعة اليهودية الأمريكية لما بذله من جهود أثناء جولاته المكوكية لإقناع إسرائيل بالانسحاب من سيناء إلا أنه حرص على تعويضها بسخاء مكافأة لها على تعاونها لتحقيق هذا الهدف . لم يكتف الرئيس فورد بما اقُترح عليه بل عمد إلى مضاعفة المكافأة لتصل إلى ٣٩٧ مليون دولار ، وهى أكبر مساعدة حصلت عليها إسرائيل منذ قيامها . الأهم من ذلك أنها كانت تساوى حجم عجز ميزان مدفوعاتها فى ذلك الحين !! لم يعترض الكونجرس على ما طالب به الرئيس ، بل عمد إلى تجديده فى العام التالى ٧٦ / ١٩٧٧ تشجيعًا لحكومة حزب العمل على القيام بالإصلاحات الاقتصادية المطلوبة ·

عندما وصل تحالف الليكود إلى الحكم ظن البعض أن حجم المساعدات الأمريكية سينكمش ، يقول خبير اقتصادى بوزارة الخارجية على معرفة بدوافع تقديم الإدارة الأمريكية مساعدات لإسرائيل " لقد ظن بعض العاملين فى الحكومة أن وصول بيجين إلى الحكم سيؤدى إلى خفض مستوى التبرعات التى تقدمها الجالية اليهودية الأمريكية إلى إسرائيل ، وعليه يجب زيادة حجم المساعدات التى تقدمها الإدارة " . الحقيقة أن تولى الليكود للمسئولية لم يؤثر سلبًا على أى من الطرفين ؛ حيث واصلت الجماعة تقديم تبرعاتها ، كما حرصت الإدارة على الوفاء بالتزاماتها .

يقول الاقتصادى الأمريكى ، فجأة ارتفع حجم المساعدات إلى ما يزيد عن ٧٠٠ مليون دولار . ويقول خبير اقتصادى آخر فى إطار تحليله لوقائع عام ١٩٨٠ " تأكد لدى كل مراقب أن هذا الرقم لأسباب سياسية لن يتغير ، حتى الرئيس كارتر مع كل تشدده تجاه إسرائيل تعهد بأن لا يستخدم المساعدات كأداة لعقابها " . يقول الاقتصادى الأمريكى فى مقابلة سرية معه " كانت إسرائيل دائمًا تطالب بزيادة حجم المساعدات التى تُقدم لها ، فى أحد المرات طالبوا برفع قيمتها إلى بليون دولار فاقترحنا عليهم رقمًا أقل ، وبعد أخذ ورد اتفقنا على مبلغ ٧٨٦ مليون دولار ، وأزعم أن الموافقه من كلا الطرفين كانت لأسباب سياسية محضة " (٣٨) .

ظلت أرقام المساعدات الأمريكية تدور فى فلك هذه الأرقام السحرية طوال سنوات إدارتىْ كارتر وريجان : فى عام ١٩٧٧ كانت ٢٤٧ مليون دولار / عام ١٩٧٨ كانت ٩٧١,٨ مليون دولار / عام ١٩٧٩ كانت ٧٩٠ مليون دولار / عام ١٩٨٠ كانت ٧٨٦ مليون دولار / عام ١٩٨١ كانت ٧٦٤ مليون دولار / عام ١٩٨٢ كانت ٨٠٦ مليون دولار / عام ١٩٨٣ كانت ٧٨٥ مليون دولار (٣٩) .

اقترحت إدارة الرئيس ريجان فى عام ١٩٨٤ أن تظل المساعدات على مستواها لعام ١٩٨٣ وهو ٧٨٥ مليون دولار ، ولكن الكونجرس صوّت لصالح رفعها إلى مستوى ٩١٠ مليون . ليس هذا فقط وإنما أقر أن يقدم المبلغ كله فى شكل هبات بعد أن كان يقدم ثلثيه طوال السنوات الماضية فى شكل هبات وثلثًا واحداً فى شكل قروض ترد ، أصبح المبلغ كله اعتباراً من عام ١٩٨٤ هبة غير قابلة للرد !! .

مساعدات أمريكا العسكرية لإسرائيل ارتفعت أيضًا لأسباب سياسية !! فبعد معركة بيع طائرات الأواكس للسعودية وافق ريجان على رفع قيمة المساعدات التى تقدم لها لشراء أسلحة بما قيمته ٣٠٠ مليون دولار ليصل حجمها الإجمالى إلى ١ر٧ بليون دولار ، وفى العام التالى مُنحت إسرائيل المقدار نفسه من المساعدات . فى ضوء التحليل الذى عرضه عام ١٩٨٣ المكتب العام للحسابات حول المساعدات الأمريكية لإسرائيل " يؤكد مسئولون فى وزارة الخارجية أنه لم يكن ممكنا لأسباب سياسية إقناع أعضاء الكونجرس بخفض حجم المساعدات التى تقدم لإسرائيل لشراء أسلحة عما كان عليه الحال فى السنة المالية السابقة وفق مقترحات الإدارة الأمريكية " . وأشار التقرير إلى أن الكثير من موظفى وزارتى الخارجية والدفاع كان على يقين من أنه لكى تحصل الإدارة على موافقة أعضاء الكونجرس على زيادة حجم المساعدات لأى دولة ، لابد من زيادة حجم المساعدات لإسرائيل أولاً ، هذا بالرغم من قناعة وزارة الدفاع التامة أن إسرائيل ليست فى حاجة إلى مساعدات عسكرية إضافية (*) .

(*) هذه المعلومات حصلنا عليها من تقرير أعده مكتب الحسابات العام حُذفت بعض فقراته ، يدّعى البعض أن ذلك بتعليمات من جهة رقابية . تقول مصادر مطلعة أن ما بقى بعد الحذف يمثل تقريبًا مسودة تقرير المكتب الذى نشر فيما بعد . بالرغم من ذلك تدل نظرة سريعة على مضمون الأجزاء المستبعدة أن إعادة التحرير قُصد منها إخفاء كل ما له صلة بانتقاد أسلوب المساعدات الأمريكية التى تقدم لإسرائيل (٤٠) .

بينما كان كل من الرئيس الأمريكى وأعضاء الكونجرس يشنون حملاتهم لكسب المؤيدين لإقرار حجم المساعدة التى يراها كل طرف مناسبة لإسرائيل ، كان المعارضون لسياسة بيجين يقترحون خفض قيمة هذه المساعدة . كانت المعارضة الإسرائيلية تنظر إلى المساعدات على أنها عامل تشجيع لبيجين لمواصلة مغامراته فى لبنان وفى الضفة الغربية ، الأهم من ذلك أنهم كانوا يخشون أن تحرمهم المساعدات نهائيًا من العودة إلى كرسى الحكم . فى عام ١٩٨٢ أرسل زعماء المعارضة الإسرائيلية رسالتهم إلى الإدارة الأمريكية وإلى زعماء الجماعة اليهودية الأمريكية عن طريق مقال كتبه ماكس فرانكل المسئول عن تحرير صفحة المحرر بصحيفة ذى نيويورك تايمز بعد عودته من زيارة إلى إسرائيل . قال فرانكل " انحدر مستوى أداء المعارضين لبيجين إلى درجة أن يطلبوا من أمريكا أن تعمل على تحطيم قوته السياسية ، ويقترحون أن يتم ذلك عن طريق وسيلة لم يكن أحد يفكر فى استخدامها حتى عدة أسابيع مضت ، وأعنى بذلك خفض حجم المساعدات الأمريكية لبلدهم " (٤١) . ويؤكد فرانكل أن منتقدى سياسات بيجين اقترحوا إجراء خفض كبير فى قيمة المساعدات الأمريكية " وإلا تمكَّن بيجين من شراء الناخبين واستطاع عن طريقهم أن يحقق فى نهاية الأمر طموحاته فى الضفة الغربية بمساعدة دافع الضرائب الأمريكى " .

فجَّرت مقالة فرانكل الكثير من الاعتراضات بين أوساط الجماعة اليهودية الأمريكية ، وتلاحظ فجأة فى أعقاب ذلك صعوبة العثور بين معارضى بيجين على من يجرؤ على الاعتراف علانية بما أشار إليه هذا الرجل فى مقالته !! وهذا الموقف لا يدعو للعجب مقارنة بما كانوا يطالبون به . تمسك فرانكل بكل حرف جرى به قلمه ولم يكن لدى من يعرف ولو قليلا عن السياسة الإسرائيلية أدنى شك أن ما كتبه هذا الصحفى على لسان المعارضين لبيجين هو الحقيقة .

بعيداً عن التنويه عن المعارك السياسية الداخلية التى كانت تدور بين تحالف الليكود وحزب العمل ، أشارت مقالة فرانكل إلى أدلة تلقى الضوء على أمرين مهمين : الأول : أن المساعدات الأمريكية التى لم يكن من المفترض أن تنفق على أى شىء يتعلق بالأراضى المحتلة ، كانت تنفق لدعم خطط بيجين لضم الضفة الغربية وغزة إلى إسرائيل (حتى لو كان القصد من وراء ذلك هو عدم المساس بشكل مباشر بالميزانيات

التى وضعتها حكومة إسرائيل لتنفيذ المشاريع الخاصة بالمستوطنات) . أما الثانى فهو اعتقاد معارضى بيجين الجازم أن خفض قيمة المساعدات الأمريكية لن يعرّض بالضرورة الاقتصاد الإسرائيلى للخطر .

ادعت حكومة بيجين بعد قيامها بغزو لبنان أنها لن تطالب أمريكا بمنحها مساعدات إضافية لسداد فاتورة الحرب ، تعليقًا على هذا الادعاء عبّر فريق من المحللين السياسيين فى تقرير لهم إلى الإدارة الأمريكية عن شكوكهم أن مطالبة إسرائيل فى السابق برفع قيمة المساعدات التى حصلت عليها قد تضمن فاتورة تكاليف حربها مع لبنان . اعترفت إسرائيل فيما بعد بأنها ربما تكون قد استخدمت حصيلة بيع سندات الخزانة مضافًا إليها تبرعات منظمة النداء اليهودى الموحد فى جزء من تكاليف هذه الحرب التى بلغت ٣٥٠ مليون دولار (*) (٤٢) .

بحلول عام ١٩٨٥ امتد نطاق المعارضة الإسرائيلية للمساعدات الأمريكية من مستوى الصحف الاقتصادية إلى افتتاحيات الصحف السياسية ، وتحول إلى جدل على مستوى الرأى العام وهيمن الأمر على ألوان الطيف السياسى من اليمين إلى اليسار ومن تحالف الليكود إلى حزب العمل . كان الجدل يدور حول حلم يضرب فى جذور الصهيونية ألا وهو أن تمتلك الدولة اليهودية اقتصادًا حقيقيًا ومستقلاً ، حتى بلغ الحد ببعض المعلقين الصحفيين وخصوصًا مئير مرهاف المحرر الاقتصادى لصحيفة جيروزليم بوست إلى المناداة بأن يكون للبلاد اقتصادها المستقل حتى تتوقف إسرائيل عن طلب المشورة من أمريكا سواء فى المجال الاقتصادى أو غيره من الميادين ، إلى جانب ذلك تشكل حزب سياسى جديد ركز اهتماماته حول الشأن الاقتصادى أطلق

(*) كان هذا الموضوع من بين العناصر التى حذفت من تقرير مكتب الحسابات العام ، بالرغم من أنهم استأصلوا تمامًا الآراء التى تشير إلى أن طلبات زيادة المساعدات الاقتصادية والعسكرية تضمنت تكاليف غزو لبنان . وكما أوضح واضعو التقرير الذى نشر بعد الحذف " تواجه الولايات المتحدة باحتمال اتهامها بالدعم غير المباشر لعمليات إسرائيل العسكرية التى ربما لا توافق عليها فى ضوء التعزيزات المالية التى تدعم بها احتياجات ميزانيتها (٤٣) . هذا " الاحتمال " أصبح حقيقة واضحة ليس فقط على مستوى غزو لبنان وإنما أيضًا فيما يتعلق بالأعمال الإسرائيلية فى الضفة الغربية ، حيث تقول مصادرها العسكرية إنها كلفتها حتى منتصف عام ١٩٨٣ حوالى ٤ بليون دولار .

على نفسه اسم إتزموت أى الاستقلال . فى منتصف شهر مارس عام ١٩٨٥ وعندما بدا أن أمريكا مستعدة لمنح إسرائيل مبلغ الـ ٨٠٠ مليون دولار التى تمثل مساعدات طارئة بعد أن أعلنت رضاها عن الإصلاحات التى قامت بها حكومة إسرائيل الائتلافية ، قام حزب الاستقلال الاقتصادى بمظاهرة أمام السفارة الأمريكية فى تل أبيب معلنًا معارضته للمساعدات الأمريكية لإسرائيل (٤٤) .

أصرَّ منتقدو الحكومة أن الإصلاحات التى قام بها بيجين تبدو برَّاقة فقط وهى فوق الورق ، تأكيدًا لهذا الرأى نشرت صحيفة وول ستريت جورنال مقالاً جاء فيه " بناء على المعلومات المتوافرة عند دانيال دورون ، من العاملين بمركز إسرائيل للتقدم الاجتماعي والاقتصادى ، تتضمن ميزانية الدولة اليهودية بنودًا خفية وتجاوزات جوهرية محتملة " . وأشار دورون إلى أن الحديث عن رفع يد الحكومة عن قطاع الأعمال لم يخرج بعد إلى حيز التنفيذ ، وما زال البنك المركزى مُطالَبًا قانونيًا أن يغطى مديونيات الحكومة عن طريق طباعة الأوراق النقدية . نبع خوف دعاة الإصلاح الاقتصادى فى إسرائيل من أن يؤدى تنافس أعضاء مجلس الشيوخ فى مجال من يسبق منهم الآخر فى مضمار الإسراع بإقرار المساعدات للدولة اليهودية إلى تعريض كافة الجهود المخلصة الرامية إلى تنفيذ إصلاح حقيقى ورخاء مستقبلى للخطر (٤٥) .

وخلص وول ستريت جورنال إلى نتيجة مفادها أنه " لن يكون من السهل على إسرائيل أن تقلع عن عادة الحصول على المساعدات الأجنبية ولا عن اضطرارها إلى دعم احتياجات شعبها خلال حياة أجياله الأولى المتمردة " . وهذا هو السبب الأقوى الذى يجعل الكونجرس غير قابل للتنازل عن رأيه الآن " .

عندما صوتت لجنة المخصصات بمجلس النواب على قرار بتقديم المساعدات الطارئة لإسرائيل بـ ١٢ صوت مؤيد ولا صوت واحد معارض ، اعتبر النواب أن هذا التصويت يمنحهم الحق فى الانتقال بالإجراءات إلى الخطوة التالية ، بينما تمسكت إدارة الرئيس ريجان بضرورة مطالبة الدولة اليهودية باتخاذ سياسات تقشفية حازمة . أكد شولتز هذا التوجه بقوله إن إسرائيل لن تحصل على قيمة المساعدة

الطارئة ما لم تحقق خفضاً لمستويات المعيشة وتعمل على تأسيس اقتصاد حقيقى . وما لبث الموقف أن تغير مائة وثمانين درجة حين استجابت الإدارة لدعاوى عدم الضغط على إسرائيل ، فى الوقت نفسه كان الرئيس يتعرض لموجة عارمة من النقد قام بها قادة اليهود الأمريكيين عندما أشير فى برنامج زيارته لألمانيا أنه يعتزم زيارة مقبرة ضباط الفرقة النازية الخاصة فى بتبرج . ومرة أخرى يتحول الموقف لصالح إسرائيل لأسباب سياسية بحتة تدفع فى طريق دعم العلاقات المالية بينها وبين أمريكا .

برغم كل هذه التعليقات أبدى جورج شولتز استعداداً للبدء فوراً فى مساعدة إسرائيل ، فقد أشاعت وزارة الخارجية أن الخبير الاقتصادى الذى يدير علاقات البلاد الخارجية إن لم يتمكن من أن يقوم بدور رجل السلام فى الشرق الأوسط فليس أقل من أن يقوم بدور لإنقاذ الاقتصاد الإسرائيلى . تزامن ذلك مع بداية شتاء عام ١٩٨٣ عندما ظهر جليًا أن إسرائيل على وشك أن تواجه مشاكل عند استحقاق سداد الأقساط ربع السنوية لقروضها التجارية القصيرة الأجل وأنها فى حاجة إلى مساعدة عاجلة ، حيث نقل عن شولتز أنه على استعداد لتقديم معونة قدرها ٢ بليون دولار دفعة واحدة " شريطة أن تكون بعيدة كل البعد عن البنود الخاصة بالإعانات الأجنبية " على حد قول أحد المحللين العاملين فى مجلس الشيوخ . سرعان ما صرف النظر عن الفكرة بالكامل عندما اتضح أن مثل هذا العلاج سوف يضر بسمعة إسرائيل بين البنوك إلى الدرجة التى يمكن أن تصبح بعدها غير قادرة إلا على الاقتراض فقط من أمريكا وحدها .

ظن شولتز أن تشكيل مجموعة عمل سرية داخل وزارة الخارجية لدراسة أوضاع الاقتصاد الإسرائيلى سيؤتى نتائج إيجابية ، ولكنه صُدم لاكتشافه أن الأسباب القديمة ما زالت تقف عائقًا أمام إصلاحه . يؤكد ذلك قول واحد ممن تحاورت معهم بشكل سرى " عندما عرض خبراء وزارة الخارجية القائمة التى لديهم وقارنوها بالقائمة الإسرائيلية فى حضور أريدور وزير المالية الإسرائيلى قال : لا .. لا لن يحدث هذا ما دمت مسئولاً عن اقتصاد بلادى " ، كان السبب سياسيًا كما هو الحال دائمًا على حد قول المحلل الذى يعمل فى الكونجرس [٤٦] .

تناقش آخرون حول إمكانية أن تقوم أمريكا بسداد ديون إسرائيل كلها مرة واحدة !! ولكنهم اقتنعوا بالحجة التى تقول إن هذه الخطوة ستنعكس بكوارث هائلة على صورة إسرائيل كدولة سيئة السمعة فى مجال الاقتراض وتحولها إلى نبات طفيلى يعتمد على أمريكا بأكثر مما تحب حكومتها . فى خضم هذه الأفكار رأى بعض صانعى القرار فى تل أبيب ومؤيدوهم داخل منظمة إيباك أنه ليس من المصلحة " السماح بمثل هذا الجدل حول المساعدات الأمريكية لإسرائيل " . يقول دان مريدور عضو الكنيست الإسرائيلى " إنها صفقة بيننا وبين أمريكا ، ماذا تساوى الـ ٦ر٢ بليون دولار مقارنة بما تدفعه واشنطن لحلف شمال الأطلنطى ؟ إن ما تدفعه واشنطن لنا هو استثمار لصالح ركيزتنا الإستراتيجية وديمقراطيتنا واستقرار هذه الديمقراطية وفى المستقبل الذى ينتظر الشرق الأوسط " (٤٧) . وصارت هذه الأقاويل من المفردات المفضلة عند إيباك يرددها العاملون فيها باستمرار .

دعونا نتساءل بصدق : ما قيمة الـ ٦ر٢ بليون دولار التى تقدمها الإدارة الأمريكية لإسرائيل بالنسبة لمكونات ميزانيتها الفيدرالية ؟ إنها بالتأكيد أقل من المبالغ التى حددتها ميزانية عام ١٩٨٦ لدبابة من طراز إم / ١ (٤٨) وهذا فى حد ذاته جزء من المشكلة . فى المقابل يمكن لأى سيناتور أن يبرر تقديم المساعدة لإسرائيل بأنها لغرض توفير اشتراطات السلام والهدوء فى المنطقة ، ولا يهم فى هذه الحالة كم من المرات رفض أعضاء الكونجرس الإصغاء إلى مسئولى وزارة الخارجية وخبراء الاقتصاد عندما قالوا لهم إن المزيد من المساعدات لإسرائيل سيضر باقتصادها .

وافق مجلسى النواب والشيوخ فى صيف عام ١٩٨٥ على مشروع المساعدات الأمريكية الخارجية الذى خصص له مبلغ ١٢,٦ بليون دولار فى ميزانية عام ١٩٨٧/٨٦ ، وهو أول مشروع يوافق عليه الكونجرس بلا مشاكل منذ عام ١٩٨١ . أُدرج لإسرائيل فى هذا المشروع مساعدة سنوية قدرها ٣ بليون دولار مضافًا إليها ٥ر١ بليون " تذرّع " المشرّع أنها للمساهمة فى إخراجها من أزمتها المالية ، وأعاد القرار التأكيد على عدم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ما لم تعترف هى بالدولة اليهودية (٤٩) . وقف المحافظون فى صف هذا القرار لأنه منحهم السعادرة عندما قررت " إدارة ريجان رسميًا أن تدعم حركات المقاومة فى كل مكان بالعالم " على حد قول

أحد النواب ، أما الليبراليون فأيدوه لأنه خصص لإسرائيل مساعدة قدرها ٥ر٤ بليون دولار .

صوّت أعضاء مجلس النواب على مشروع ميزانية المساعدات الخارجية علانية لأن أيًا منهم لم يكن مستعدًا ليرى اسمه فى القائمة السوداء . وبالرغم من ذلك شعر البعض بالمخاوف . شرح أحد العاملين فى مجلس الشيوخ لسيناتور مرموق " مصدر القلق أنه إذا ما انزلقت أمريكا إلى حالة من حالات الركود الاقتصادى الشديد وكانت إسرائيل تحتاج فى الوقت نفسه إلى مساعدات طارئة لإعادة الروح إليها فستكون الحركة الارتدادية على إسرئيل فى غاية القوة التى لا يتصورها أحد ، ومما لا شك فيه أن أسماء الكثير من الأعضاء ستسجل فى القائمة السوداء لأنهم وافقوا على تقديم الملايين لإسرائيل لإعادة الحياة إليها " (٥٠) .

أحس مسئولو منظمة إيباك وغيرها من كبار المنظمات اليهودية فى أمريكا بنفس الإحساس عندما تقدم بيريز لأول مرة بطلب للحصول على ٨ر٤ بليون دولار مساعدات . علق هيمان بوكبيندر على ذلك قائلاً " لن يحسن الكثيرون من أهل هذا البلد الظن باليهود عندما يشاهدون بأنفسهم أن الفلاحين الإسرائيليين يحصلون على المساعدات ويشهر الفلاحون الأمريكيون إفلاسهم " (٥١) .

الحقيقة التى لا مراء فيها أن الأمريكيين كانوا مشغولين حتى آذانهم بأحوال بلدهم الاقتصادية ، ولم يعيروا اهتمامًا لهموم الاقتصاد الإسرائيلى ، بالرغم من أن صحافة الدولة اليهودية كانت تتابع بتلذذ كل حركة تقوم بها الحكومة منذ أن سعت الإدارة الأمريكية فى شتاء عام ١٩٨٤ لإقناعها بانتهاج سياسة تقشفية . أخيراً !! وبعد مشقة تجاهل رئيس الحكومة الإسرائيلية ووزراؤه الجدل الحتمى العقيم عديم الفائدة الذى شهده الكنيست فى شهر يولية ١٩٨٥ ، واستخدم موجبات حالة الطوارئ وفرض برنامجًا تقشفيًا على اقتصاد البلاد . قال بيريز " نحن نخوض معركة حياة أو موت وليس أمامنا من سبيل إلا أن نضع هذه الخطة موضع التنفيذ لمحاربة التضخم ، لقد كانت خزانة الدولة خاوية عندما تسلمت المسئولية لأن الحكومة السابقة ظلت لفترة

سبع سنوات تطبع وتقترض ما تحتاج إليه من نقود ، ولم يكن أمامى إلا أن أعمل على إنقاذ دولة إسرائيل من الانهيار " (٥٢) .

جاء رد فعل العامة والسياسيين على إجراءات الحكومة التقشفية قويًا وحادًا كما كان متوقعًا ، حتى ديفيد ليفى نائب رئيس الوزراء وأحد قادة اللكيود عارض البرنامج الذى أيّده التحالف الذى ينتمى إليه والذى زكّاه شامير رئيس الوزراء إلى الحد الذى جعله لا يشارك فى جلسة الكنيست التى ناقشته . ووقع خلاف حاد بين إسحاق موداى وزير المالية و إسرائيل كيسار سكرتير عام اتحاد العمال الإسرائيلى عندما تقابلا معًا فى برنامج أعده التلفزيون الإسرائيلى لمناقشة أبعاد ما اتخذته الحكومة من قرارات طارئة . وصفت الصحافة ما وقع بين الرجلين بأنه " مباراة صراخ حامية الوطيس " اضطر معها مقدم البرامج - المفزوع مما يشاهده أمامه - إلى الحيلولة بينهما حتى لا يتشابكا معًا بالأيدى ، بعد هذه المقابلة التلفزيونية مباشرة دعا الاتحاد العام للعمال الإسرائيليين إلى إضراب عام (٥٣) .

استمرت " معركة الحياة والموت " ويرجع الفضل فى قيام حكومة الوحدة الوطنية بإنجاز بعض الإصلاحات الاقتصادية إلى بيريز وبشكل أوسع إلى وزير ماليته إسحاق موداى . يقول المراقبون إن هذا الهدف هو الوحيد الذى حافظ على حكومة إسرائيل الازدواجية من الانهيار عند أول تصادم سياسى محدود تبادل فيه الطرفان الإهانات . تراجع مؤشر التضخم إلى مستوى معقول بعد عام واحد من تطبيق سياسة التقشف ، وبالرغم من ذلك سرت شائعات تؤكد أن إسرائيل أبلغت شولتز خلال عام ١٩٨٥ أنها لكى تخرج من ضائقتها المالية فى حاجة ماسة إلى ١٢ بليون دولار فى شكل مساعدات اقتصادية وعسكرية على أن تكون كلها قروضًا غير قابلة للسداد .

كان السؤال الذى يفرض نفسه : إلى متى سيصبر مجلس الشيوخ على مثل هذه الطلبات الإسرائيلية ؟ وإلى متى سيصبر الناخبون الأمريكيون على مجلس شيوخ متحمس دائمًا لتمويل احتياجات الدولة اليهودية الجامحة دائمًا للإنفاق ببذخ ؟ لخص خبير اقتصادى أمريكى الإجابة قائلاً " سيموت الآباء حتى لو كانوا مصنوعين من سكر ، كما تقول فتيات الكورس فى إحدى الأغنيات الاستعراضية الشهيرة " .

شنت الرابطة الوطنية للعرب الأمريكيين خلال عام ١٩٨٥ حملة دعائية بغرض مهاجمة مساعدات الولايات المتحدة لإسرائيل من منطلق أنها أموال يستحسن إنفاقها فى الداخل . وطرحت الحملة عدة تساؤلات مثل : لماذا يترك اليهود الأمريكيون أمر الاقتصاد الإسرائيلى بين يدى أعدائهم ؟ لماذا لا يهتم اليهود الأمريكيون أنفسهم بدرجة أكبر بالاقتصاد الإسرائيلى ؟ لماذا لا يفكرون فى الانعكاسات الإستراتيجية لتدهور اقتصاد الدولة اليهودية على كل من إسرائيل وأمريكا ؟ .

قامت السياسة بواجباتها مرة أخرى وأدت منظمة إيباك دورها الذى أجادته وأصبح على رأس أولوياتها منذ الخمسينيات ، ألا وهو توفير المساعدات الأمريكية لإسرائيل . وستقوم إلى جانب ذلك بمعارضة بيع الأسلحة لأى دولة عربية حتى لو كانت رغبة رئيس وزراء إسرائيل عكس ذلك ، وستقف فى طريق اعتراف واشنطن بمنظمة التحرير الفلسطينية بالرغم من تزايد عدد الإسرائيليين الذين يعتقدون أن السلام لا يمكن أن يتحقق بدون التعامل مع الأعداء ، وستواصل ممارسة ضغوطها لزيادة حجم المساعدات الأمريكية لإسرائيل حتى لو حرمتها هذه المساعدات من البواعث القومية لمعالجة اقتصادها المتدهور أو على الأصح من القدرة على إعادة بنائه .

اقترح بيريز خلال عام ١٩٨٦ أن تقوم أمريكا بتمويل " خطة مارشال " لمساعدة اقتصاديات دول الشرق الأوسط المنهكة على نسق خطة مارشال الأوروبية ، وذلك لمواجهة الجهود التى كان يبذلها الكونجرس لتلافى عجز بنود الميزانية بخفض حجم برنامج المعونات الخارجية . أبدى شولتز الذى كان لا يزال يأمل بدور سياسى ناجح فى المنطقة حماسًا للمشروع ، أما منتقدو أساليب المساعدات الأمريكية لإسرائيل هنا وهناك فقد أظهروا شوقًا شديدًا مفاجئًا للعودة إلى الأيام التى كانت تحصل فيها إسرائيل على مبلغ ٢٫٦ بليون دولار السنوى . لقد كانت التقديرات الأولية لمشروع مارشال تتراوح بين ٢٠ بليون و٣٠ بليون دولار !!

كانت الحاجة ماسة لنقاش واسع حول المساعدات الأمريكية لإسرائيل ، لكن الطرفين المهمين لم يكونا على استعداد ، فأعضاء الكونجرس لم يكونوا فى حالة نفسية تسمح لهم بالمشاركة ، أما قادة اليهود الذين يمكن أن يسهموا فكانوا قلة .

الهوامش

1. Figures compiled from Agency for International Development, *U.S. Overseas Loans and Grants from International Organizations*, Annual Reports. Prepared by Lawrence Potter, Foreign Affairs and National Defense Division Congressional Research Service, Library of Congress, for *Time* magazine, June 1984; see also Mohamed El-Khawas and Samir Abed-Rabbo, *American Aid to Israel: Nature and Impact* (Brattleboro, Vt.: Amana Books, 1984), p. 1.

2. Thomas L. Stauffer, "U.S. Aid to Israel: The Vital Link," *Middle East Problem Papers* No. 24 published for the members of the Middle East Institute, Washington, D.C., 1983.

3. El-Khawas and Abed-Rabbo, *American Aid to Israel*.

4. Mark Segal, "Public Faces" column, Jerusalem *Post*, International Edition, week ending July 20, 1985.

5. Senate Foreign Relations staff report on the Israeli economy cited in *New York Times*, November 21, 1984.

6. Confidential interview with State Department economist.

7. "Foreign currency reserves dip $73 million," Jerusalem *Post*, International Edition, week ending July 20, 1985.

8. "Dun and Bradstreet 'Blacklist,'" Jerusalem *Post*, International Edition, week ending March 30, 1985; "More firms in trouble in June," Jerusalem *Post*, International Edition, week ending July 20, 1985.

9. Cited in Assaf Razin, "U.S. Foreign Aid to Israel," *Jerusalem Quarterly*, No. 29, Fall 1983, p. 16.

10. "U.S. Says Israelis Show Little Gain in Economic Plan," *New York Times*, March 7, 1985.

11. Interview with the Georgetown economist Thomas Stauffer, who had already cited these figures in testimony before the House Appropriations Committee in 1985.

12. Cited in Amos Elon, "Letter from Jerusalem," *New Yorker*, July 29, 1985, pp. 68–69.

13. I thank Jerry Nadler, correspondent for the United Press in Jerusalem in 1984, for the anecdote.

14. Cited in "Business as Usual: Congress Increases Aid to Israel," *Voice*, March/April 1984, the magazine of the National Association of Arab Americans.

15. Stauffer interview, August 1985.

16. Nadav Halevi, "The Economy of Israel: Goals and Limitations," *Jerusalem Quarterly*, No. 1, Spring 1976.

17. This section is based on interviews with several economists in the U.S. and Israel who are experts in the history—and mysteries—of the Israeli economy. The American economists are still working in government, and asked for anonymity. I will cite Israeli sources, interviews, and articles where relevant. Useful summaries of the Likud years are found in Peter Grose, *Changing Israel*, a Council of Foreign Relations Book (New York: Vintage Books, 1985), Chapter 4; Kenneth Stammerman, "Israeli Economic Policy Under the Likud: A Guide for the Perplexed," a paper presented to the Middle East Institute symposium "Israel After Begin," January 20, 1984. Stammerman is a State Department economist with five years' experience at the U.S. Embassy in Israel. He took the trouble to preface his speech with the disclaimer that the views in the paper were his own and not necessarily the State Department's. From the Israeli side, also useful is Yoram Ben-Porath, "The Conservative Turnabout That Never Was," *Jerusalem Quarterly*, Number 29, Fall 1983, pp. 3–9.

18. Ben-Porath, "The Conservative Turnabout," pp. 3–9.

19. Jerusalem *Post*, International Edition, week ending July 13, 1985; also "Peres Orders Shock Therapy," *Newsweek*, July 15, 1985.

20. Eric Silver, *Begin: The Haunted Prophet* (New York: Random House, 1984), p. 212.

21. Ibid., p. 213.

22. Ben-Porath, "The Conservative Turnabout," p. 6.

23. Cited in Silver, *Begin: The Haunted Prophet*, p. 214.

24. Ibid., p. 215.

25. Ben-Porath, "The Conservative Turnabout," p. 7.

26. Stammerman, "Israeli Economic Policy," pp. 13–14.

27. "Israeli Resigns as Dollar Plan Sets Off Furor," *New York Times*, October 14, 1983.

28. "Steel and Muscle," *Time*, December 12, 1983.

29. Interview with Hyman Bookbinder in Washington, January 1985. See also David Silverberg, "American Jews Balk at Israeli Aid Requests," *Washington Jewish Week*, January 3, 1985.

30. "Senate Report Is Pessimistic on Israel's Plight," *New York Times*, November 21, 1984.

31. Assaf Razin, "Ways of Repairing the Israeli Economy," *New York Times*, December 28, 1984.

32. Interview with Assaf Razin in Tel Aviv, November 1, 1984.

33. William Safire, "The Masada Economy," *New York Times*, October 8, 1984.

34. William Safire, "Passing the Shekel," *New York Times*, December 27, 1984.

35. "Dr. Shekel and Uncle Sam," *New Republic*, January 28, 1985.

36. "U.S. Says Israelis Show Little Gain in Economic Plan," *New York Times*, March 7, 1985.

37. Safire, "Israel for Sale?" *New York Times*, April 11, 1985.

38. Confidential interview with U.S. government economist.

39. Figures compiled from Agency for International Development, *U.S. Overseas Loans and Grants from International Organizations*, Annual Reports. Prepared by Lawrence Potter, Foreign Affairs and National Defense Division Congressional Research Service, Library of Congress, for *Time* magazine, June 1984.

40. *American Assistance to the State of Israel*. General Accounting Office, June 1983. The Arab-American Anti-Discrimination League published a version of the GAO Report called "The Uncensored GAO Report." The same document was included in El-Khawas and Abed-Rabbo, *American Aid to Israel*, p. 123ff. The latter has printed the edited remarks in bold type, and I have referred to that text for this information.

41. Max Frankel, "Looming over the West Bank," *New York Times*, November 16, 1982.

42. See the official version of the GAO Report *U.S. Assistance to the State of Israel* under the section "Economic Impact of Lebanon." See also El-Khawas and Abed-Rabbo, *American Aid to Israel*, p. 151.

43. GAO Report, Chapter 3, "Israel's Economy and U.S. Assistance"; cf. El-Khawas and Abed Rabbo, *American Aid to Israel*, p. 141.

44. Meir Merhav, "Why U.S. economic advice won't work," Jerusalem *Post*, International Edition, week ending March 2, 1985.

45. "Israeli Independents," editorial in *The Wall Street Journal*, March 29, 1985.

46. Confidential interview.

47. See Steven L. Spiegel, "Israel's Economic Crisis: What the U.S. Can Do." *Commentary*, April 1985, pp. 22–28; Leon Hadar, "Wisely Aiding Israel," op-ed–page piece in *New York Times*, February 20, 1985; Isaac Cohen, "Aid to Israel: A bargain . . ." Chicago *Tribune*, October 24, 1984.

48. "The Butter That's Traded Off for Guns," *New York Times*, April 22, 1985.

49. "House Approves Foreign Aid Bill," *New York Times*, July 12, 1985.

50. Confidential interview.

51. Interview with Hyman Bookbinder in Washington, January 1985. See also Silverberg, "American Jews Balk."

52. "Quest for compromise on economic plan," Jerusalem *Post*, International Edition, week ending July 20, 1985.

53. "A bitter fight over economic austerity," Jerusalem *Post*, International Edition, week ending July 13, 1985.

الفصل العاشر

إعادة اكتشاف الشارع ذى الاتجاهين

ظهر جليًا للمراقبين مع بداية فصل الشتاء لعام ١٩٨٥ أن منظمة إيباك كسبت حربها من أجل السيطرة على واشنطن بعد أربع سنوات من معركة بيع طائرات الأواكس للسعودية . لقد أثبتت جماعات الضغط الموالية لإسرائيل أن ريجان لا يستطيع الاستغناء عن بيجين على الرغم من قيام إسرائيل بتفجير المفاعل الذرى العراقى ، وضرب بيروت بالصواريخ ، وضم مرتفعات الجولان إلى أرض إسرائيل ، ورفض خطة إقرار السلام فى الشرق الأوسط التى تقدم بها ريجان ، وأخيرًا برغم غزوها للبنان .

نجحت إيباك أيضًا بعد أن ترك بيجين رئاسة الوزارة الإسرائيلية عام ١٩٨٣ فى التقريب بين وجهات نظر حكومة شامير / بيريز والإدارة الأمريكية عن طريق اتفاقيات التجارة والتعاون الإستراتيجي مما جعل حكومتى مصر والأردن تهاجمان واشنطن بسبب تخليها عن دورها التقليدى كراع للسلام فى الشرق الأوسط كما هاجمت أيضًا إيباك بسبب تعطيلها لجهود السلام الأمريكية .

كان العرب ومنظمة إيباك يعلمون جيدًا أن ريجان يرأس أكثر إدارات أمريكا موالاة لإسرائيل منذ عهد إدارة الرئيس جونسون ، ليس هذا فقط ، فقد كسبت الدولة اليهودية أيضًا قلب وزير خارجيته جورج شولتز الذى آلى على نفسه ، وهو الخبير الاقتصادى الذائع الصيت ، أن يعمل على إنقاذ اقتصاد إسرائيل ، خاصة وأنه كان يفاخر بالتحالف الإستراتيجي الذى أقامه بين الدولتين .

لا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا إن ايباك حققت الأهداف التى وضعتها لنفسها ، فقد ازداد عدد أعضائها على مستوى دوائر الكونجرس الانتخابية وفى داخل الكليات الجامعية ، وتحولت إلى " حركة جماهيرية "جعلت توماس دين يسعى بدأب ليحقق وعده ببناء " برنامج المواطن الممارس للضغط السياسى " . هيمنت إيباك أيضًا على الموضوعات المتعلقة بإسرائيل على مستوى الجماعات اليهودية الأمريكية إلى الحد الذى أصبح يسبب قلقًا وغيرة لدى كل الجماعات الكبيرة فى الولايات المتحدة . بسبب هذه الجهود لم يعد لدى الإدارة الأمريكية أى نوع من المرونة فى التعامل مع القضية الفلسطينية ، وبسببها أيضًا لم يعد هناك اعتراضات كالتى انتشرت بين قادة الجماعة اليهودية طوال السنوات العشر التى تلت انتخاب بيجين لأول مرة ، وبالتالى لم تنفجر لسنوات طويلة ، الانتقادات التى كانت تسبب حرجًا لإسرائيل أو للجماعات السياسية الموالية لها . فى الوقت نفسه بدأت إيباك تروج بخطاب شيق أن الجيل الثانى من النشطاء اليهود وقادتهم سيكونون من المتدربين على الحملات الدعائية النضالية التى تنظمها الكليات ، وليس هذا بغريب على منظمة تأسست لمحاصرة ميل إدارة الرئيس أيزنهاور للعرب وأصبحت الآن جماعة ضغط سياسى مزدهرة فى كل أنحاء واشنطن التى تدير منها إدارة الرئيس ريجان الولايات المتحدة حيث لا يوجد إلا فئة من السياسيين والمسئولين تناصر الحق العربى . الملفت للنظر أن مصطلح " متوازن " فى دبلوماسية الشرق الأوسط أصبح يعنى " مناهض لإسرائيل " .

صارت منظمة إيباك بهذه الوضعية وفق اشتراطات السياسة الأمريكية المدنية نموذجًا لمسيرة اليهود حتى يتحولوا فى نهاية الأمر إلى أمريكيين ، فقد نجحوا فى مجال الأعمال والبنوك والفنون وهاهم يلجون ميدان السياسة . يمكن أن نلحظ هذا النجاح أيضًا من خلال حرص النواب والشيوخ على استرضاء جماعات الضغط اليهودية تجنبًا للأضرار التى تلحق بهم إذا ما استخدموا " عضلاتهم" ضدهم ، وأصبح من المعروف أن قلة من السياسيين ذوى الطموحات الكبيرة هم الذين يستطيعون بلوغ أحلامهم دون مساعدة المال اليهودى . وهكذا يمكن القول إن السياسات التى تتبعها منظمة إيباك أصبحت تؤثر على سياسات الإدارة الأمريكية ، لأن دورها السياسى لم يكن دورًا فعالاً فقط ، بل كان دورًا استثنائيًا .

السؤال هو : ما النتائج التى عادت على الجماعة اليهودية الأمريكية فى ضوء هذه الوضعية ؟ وما النتائج التى عادت على إسرائيل من ورائها ؟ والأكثر أهمية من ذلك ، ما النتائج التى عادت على السلام فى الشرق الأوسط ؟

لا بد أن نعترف أن الصراع العربى الإسرائيلى مسألة سياسية بحتة مثلها فى ذلك مثل السلام مع مصر بالرغم من حالات الفتور التى تصيب العلاقة بين القاهرة وتل أبيب من وقت إلى آخر ، من هذه الزاوية يمكن القول إن المنظمات اليهودية الأمريكية الكبرى تستطيع أن تلعب دوراً فى حل جوانب هذا الصراع إذا كان لديها استعداد للتخلى عن دور " حامل أختام " اعتماد السياسة الإسرئيلية أو القائم بدور " منفذها " . نقول ذلك لأن الجماعة اليهودية الأمريكية خضعت بالكامل للسياسات الإسرائيلية طوال فترة تولى بيجين رئاسة الوزارة بالرغم من أن الملايين من اليهود الأمريكيين كانوا معارضين ، ولم يكتفوا بذلك بل شجعوا أيضًا النزعة الدينية الوطنية وأيدوا تيارات الرفض اليمينية الإسرائيلية .

استفاد قادة الصهيونية منذ عهد هيرتزل إلى أيام بن جوريون من مصطلح " السياسة فن المستحيل " أبعد استفادة ومكنتهم براعتهم من نقل حلم الدولة اليهودية إلى واقع ملموس . كان هيرتزل مستعداً لإقامة دولة اليهود فى أوغندا ، ورضى بن جوريون بتقسيم أرض فلسطين ، أما تحالف الليكود الذى يسيِّر أموره بيجين وشامير وشارون معززاً بالتيار اليمينى فيسعى لتحقيق المستحيل بتوسيع أرض إسرائيل إلى حدودها التوراتية . شجعت السياسة الليكودية عنصرية الحاخام مئير كاهان ، كما دعمت المواقف الإرهابية التى تتبناها منظمة جوش إيمونيم (كتلة المؤمنين) ، وكلا التيارين المعروفين داخل إسرائيل أخافا قادة الجماعة الأمريكية اليهودية إلى حد كبير. أثبتت الأيام أن رعاية بيجين لهذين التيارين كاهان وجوش إيمونيم كان بمثابة إطلاق " جنى من محبسه " ، لذلك يعتبر تأييد الجماعة اليهودية الأمريكية لسياسات بيجين تأييداً فى الوقت نفسه " للجنىّ العنصرى المتطرف " .

ظهر جليًا خلال عام ١٩٨٦ أن أكثر الناس اطلاعاً على مجريات الشرق الأوسط هم أكثرهم تشاؤمًا حيال توقعات السلام فى المنطقة . فى إسرئيل مثلاً انقلبت آراء

المعتدلين الذين ظلوا لفترة ٢٠ عامًا بعد انتهاء حرب الأيام الستة يطالبون بالسلام مقابل الأرض إلى رفض تام لاقتسام الأرض مع الفلسطينيين ، إما لأسباب صهيونية تصحيحية أو لأسباب دينية وطنية . تأييدًا لهذا الاتجاه شهدت آخر ثلاث انتخابات عامة فى إسرائيل دعمًا لقوى الرفض السياسية لأن الحقائق تقف إلى جانبهم ، يقول مجموعة من الخبراء مثل كونور كروز أوبرين وإيرفنج كريستول وغيرهم إن أى خطة تطالب بانسحاب إسرائيلى (وكلها تتضمن هذا المطلب) تقف فى مواجهة الحقيقة التى تقول بأن ٥٠ ألف مستوطن إسرائيلى يقيمون فى المدن الجديدة التى أقيمت بالضفة الغربية [١] . يؤكد أوبرين وكريستول من جانب آخر أن وقوع إسرائيل فى أزمة بسبب هذا الموقف المعقد أمر لا يمكن الفكاك منه .

الأمر الذى يبدو أنه أمر شائك وصعب أو حتى يصيب بالجنون ليس بالضرورة أمرًا مستحيلاً ، وإذا كان قادة الجماعة اليهودية الأمريكية فى وضع يسمح لهم بتشجيع الممكن فعليهم أن يعترفوا هم والحكومة الأمريكية أن " خطوات السلام " دخلت طور النسيان منذ التوقيع على اتفاقية كامب ديفيد ، وأن مستقبلها أصبح معلقًا بإيجاد حل للمشكلة الفلسطينية . القضية برمتها تعانى فى الوقت الحاضر من تيارات الرفض من كلا الجانبين العربى والإسرائيلى و التى أغرقتها فى الأوحال ، لذلك يجب على اليهود الذين ينتقدون ما تبديه إسرائيل من تصلب أن يصمدوا فى مواجهة ما يبديه زعماؤها من غضب ، وأن يواصلوا سعيهم من أجل تحقيق السلام .

حاولت منظمتان يهوديتان أمريكيتان تقدميتان فى شهر سبتمبر عام ١٩٨٥ أن تعيدا الحياة لخطوات السلام الهامدة ، فما كان من إسحاق شامير وزير خارجية إسرائيل إلا أن هاجمهما بعنف لأنهما ، فى رأيه ، تدخلتا فى شأن " تتحمل حكومة إسرائيل مسئوليته على أفضل وجه " . وعندما أرسل الكونجرس اليهودى الأمريكى وفدًا من عشرين عضوًا لإجراء محادثات جادة لأول مرة مع الرئيس مبارك والملك حسين ، تساءل شامير فى مقابلة صحفية أجراها فى القدس : من الذى انتخبهم للقيام بهذه المهمة ؟ وعلى سبيل الاستهزاء وصف المنظمة اليهودية الأمريكية " من تلك المنظمات التى لا يتعدى حجمها حجم حبة الفول السودانى ، وقال إن " العرب يستخدمونها كأداة لإحراز أهداف فى شباكنا " [٢]. أغضبت هذه الأقوال هوارد

إسكوادرون محامى نيويورك الشهير الذى كان رئيساً من قبل لكل من المؤتمر اليهودى الأمريكى و مؤتمر الرؤساء ، وطالب شامير بالاعتذار له وللمنظمة ، خاصة وأنه هاجمه بصفة شخصية على اعتبار أنه كان ضمن الوفد الذى توجَّه إلى الشرق الأوسط .

بالرغم من هذه المحاولات لم يجاهر أحد علانية على أى مستوى بحق اليهود خارج إسرائيل فى تشجيع خطوات السلام ، ولم يبد أحد استعداداً لتحدى سلوكيات شامير المتعالية تجاه اليهود الأمريكيين المهتمين بمستقبل إسرائيل .

هاجم شامير أيضًا إدجار برونفمان رئيس الكونجرس اليهودى العالمى ورئيس مجلس إدارة إحدى الشركات العملاقة الذى تدير أسرته رأسمالاً قدره ٨ر٢ بليون دولار فى مجال المشروبات الكحولية وسوق العقارات والصناعات الكيماوية ، لأنه قبل دعوة الرئيس السوفيتى الجديد ميخائيل جورباتشوف لمناقشة مستقبل الهجرة اليهودية . كانت غضبة شامير عاصفة وطالب أسرة برونفمان بأن تتنحى جانبًا عن المسائل ذات الصبغة العالمية ، وأن تصرف اهتمامها إلى " الأعمال الخيرية فقط " .

دلت هذه المصادمات على تنامى حجم التوتر بين قادة اليهود الأمريكيين وإسرائيل من جهة ، وبين شامير وحليفه فى الائتلاف الحكومى شيمون بيريز من جهة ثانية ، خاصة وأن بيريز أحجم عن انتقاد قادة اليهود الأمريكيين وعلى رأسهم صديقه القديم برونفمان الذى تبرع بشكل سخى لتمويل حملته الانتخابية الأخيرة . كان شامير يعلم أن رجل الأعمال الأمريكى برونفمان يحمل رسالة من بيريز (رئيس الوزراء الحالى لإسرائيل) إلى الزعيم الروسى جورباتشوف تتعلق بمسألة هجرة اليهود من الاتحاد السوفيتى ، وبرغم ذلك هاجم العملية من كل جوانبها . يعتقد المراقبون أن شامير لجأ إلى هذا الأسلوب لأنه كان ينوى عندما يتولى رئاسة الوزارة الإسرائيلية فى شتاء عام ١٩٨٦ ، أن يبعد بيريز عن التعامل مع الشئون الدولية .

لم يكن بيريز من الشخصيات التى يمكن إجبارها على فعل ما لا تقتنع به ، لذلك تعاون مع الملك حسين خلال شتاء عام ١٩٨٥ على تحريك سكون الأموات الذى أصاب خطوات السلام ، وعند نهاية شهر سبتمبر أعلن الملك الهاشمى أن الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية على استعداد للتفاوض مع إسرائيل " فى الحال وبشكل مباشر

" برعاية الأمم المتحدة " . هنأت الإدارة الأمريكية الملك حسين كما هنأه بيريز على " رؤيته للسلام " وفق ما جاء على لسان الزعيم الإسرائيلى ، أما قادة الليكود فنظروا إلى الأمر على أنه حيلة دبلوماسية القصد منها الحصول من أمريكا على أسلحة للأردن .

بعد هذا الإعلان بعدة أيام قَتَل الإرهابيون الفلسطينيون ثلاثة إسرائيليين فى قبرص ، وانتقمت إسرائيل لقتلاها فى الأول من أكتوبر ، حيث قامت طائراتها المقاتلة الأمريكية الصنع بعد رحلة طولها ١٥٠٠ كيلو متر بتدمير مقر منظمة التحرير الفلسطينية فى تونس العاصمة مما أدى إلى مصرع ٣٠ شخصًا على الأقل . تعهد ياسر عرفات الذى خرج من الغارة الإسرائيلية جريحًا بالانتقام ، وبعد أسبوع واحد اختطف أربعة فلسطينيون سفينة سياحية إيطالية وأخذوا ركّابها رهائن وقتلوا أحد ركابها الأمريكيين وكان يهوديًا كسيحًا . وبذلك عادت العلاقات العامة بين أمريكا والمنظمة إلى ما كانت عليه قبل عشر سنوات .

اعتبر بيريز أن ما حدث يمنحه فرصة مواتية لاستبعاد عرفات من أى مفاوضات مقبلة لإقرار السلام ، ونقلت التقارير أن الملك حسين كان مستاءً أشد الاستياء لأن المنظمة من وجهة نظره أغرقت مبادرته الخاصة للسلام . فتح الملك الأردنى مباحثات مباشرة مع السوريين المعادين لياسر عرفات ، والذين أصبحوا بعد نجاحهم السياسى فى لبنان عاملاً متزايد الأهمية عند تدارس أى حل للصراع العربى الإسرائيلى . هناك عامل مهم آخر يجب الإشارة إليه ، وهو أن إسرائيل والاتحاد السوفيتى كانا يتفاوضان فى نفس التوقيت تقريبًا لاستئناف العلاقات الدبلوماسية بينهما .

طرح بيريز من فوق منبر الأمم المتحدة فى وقت متأخر من الشهر نفسه " مبادرة دبلوماسية جديدة " استرجع من خلالها رحلة السادات التاريخية للقدس ، وقال إنه مستعد لمقابلة الملك حسين تحت مظلة أى " منبر دولى " ثم بدء محادثات مباشرة معه ومستعد أيضًا للسفر إلى عمان إذا كان ذلك ضروريًا [٣] . وصف الأردن المبادرة إعلاميًا بأنها تدعو إلى التفاؤل ، ووصفها متحدث رسمى أمريكى بأنها خطوة واعدة بالأمل . أما فى إسرائيل فجاء الهجوم على خطة السلام بداية من جانب حلفاء بيريز

(تقول التقارير إن ذلك تم دون أن يطلعوا عليها) ، وفاز بيريز بتأييد الكنيست بسهولة عندما طلب التيار اليمينى المتطرف طرح الثقة بحكومته .

كانت الجهود الدبلوماسية فى الشرق الأوسط تمر بفترة غير عادية من عمرها حيث أثبت المتطرفون فى كلا الجانبين قدرتهما على إفشال أى عملية سلام يمكن أن تلوح فى الأفق . لكن أين كانت تقف الجماعة اليهودية الأمريكية ؟ لا يمكن الادعاء بأنها كانت فى مقدمة دعاة السلام ، أما إدارة الرئيس ريجان فقررت ، تشجيعاً لجهود الملك حسين الرامية إلى تحريك التفاوض من أجل السلام ، أن توافق على تقديم صفقة أسلحة للأردن . للمرة الثانية تعارض منظمة إيباك الاقتراح وتقنع العدد الكافى من النواب والشيوخ للاعتراض عليه ، ورضخ البيت الأبيض للمرة الثانية أيضًا ، وقرر إرجاء النظر فى الصفقة إلى شهر مارس القادم . وطالب الكونجرس الملك حسين مرة أخرى أن يبرهن على التزامه بإقرار السلام [٤] .

التزمت الجماعة اليهودية الأمريكية الصمت المطبق حيال الأحداث التى شهدتها المنطقة على امتداد شهرى سبتمبر وأكتوبر ، واكتفت بأن كررت أنها مع السلام وفى الوقت نفسه لم تنتقد علنًا قيام التيار اليمينى المتطرف بسد الطريق أمام التقارب بين الملك حسين وبيريز . ظلت على صمتها هذا بالرغم من التقارير التى تناقلت أن المستوطنين اليهود فى الضفة الغربية هددوا بإعلان العصيان المدنى العام أو حتى الحرب الأهلية إذا جرؤ رئيس الوزراء على استبدال أى جزء من الأراضى المحتلة مع الأردن [٥] . الأمر المؤكد أن الـ ٧٠٪ من زعماء الجماعة اليهودية الأمريكية الذين أيدوا نوعًا ما من التفاوض لتحديد مستقبل الضفة الغربية – وفق نتائج أحد الاستفتاءات – كانوا يعلمون تمام العلم أن عودة الليكود للحكم تعنى نهاية بارقة أمل قد تؤدى إلى مفاوضات بين الأردن وإسرائيل والفلسطينيين . وبدلاً من دعم الخطوات التى يسعى إليها بيريز من أجل السلام ، فجّر التيار المحافظ الجديد ضجة كبرى حيال الظهور المفاجئ للاتحاد السوفيتى على مستوى الخطوات الدبلوماسية لإحياء عملية السلام .

انتشرت شائعات قوية داخل دوائر اليهود فى نيويورك بأن الجناح اليمينى سيقوم بمهاجمة بيريز بعنف إذا أبدى درجة أكبر من التقارب تجاه الروس ، كما توقع البعض

تصاعد الخلاف حول مقترحات السلام التى قدمها بيريز إلى درجة قد تؤدى إلى اقتتال بين التيارات اليهودية داخل إسرائيل وعلى مستوى الحكومة وأيضًا فيما بين الجماعة اليهودية الأمريكية .

كانت فرص السلام ممكنة ، لكن رئيس الوزراء الإسرائيلى كان فى حاجة ماسة إلى الدعم وإلى التشجيع لأنه لم يكن قادرًا على الاعتراف بأن منظمة التحرير الفلسطينية عنصر مهم فى صنع السلام سواء أحب هو والملك حسين أو الرئيس ريجان ذلك أم كرهوا ، لقد قالها ياسر عرفات فى تلك الآونة " لن يكون هناك سلام فى المنطقة دون مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية " (٦) .

كانت إدارة ريجان لا تزال أسيرة مقولة إن المعتدلين الفلسطينيين أفضل ممثليهم من أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية ، ولم يكن أى من أعضائها قادرًا على أن يسترجع أن هرتزل قال يومًا إنه يعتقد " أن للمناهض للسامية المعتدل " دور يمكن أن يلعبه لخدمة الصهيونية . وفق هذا المفهوم لو كان هرتزل قد وافق أن يجلس إلى بلهيف الروسى المناهض للسامية ، ولو كان وايزمان قد رضى أن يتحدث إلى موسيلينى ، ولو قبل الصهاينة الألمان أن يتفاوضوا مع النازيين فى الثلاثينيات ، من المؤكد أن بيريز يستطيع أن يجلس إلى ياسر عرفات أو أى زعيم آخر يختاره الفلسطينيون ممثلاً شرعيًا لهم . لقد أصبح رفض التعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية حقيقة بديهية تتمسك بها سياسات كل من حزب العمل وتحالف الليكود فى إسرائيل ، وبالرغم من ذلك يعترف حتى أكثر السياسيين تشددًا من بيريز أن الوقت مناسب للتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية بعد هزيمة عرفات فى لبنان .

قال عزرا وايزمان لأحد الصحفيين فى وقت مبكر من عام ١٩٨٥ " على استعداد للتقابل مع عرفات إذا اعترف بإسرائيل (٧) ، وشرح فى وقت لاحق بعد تقلده منصبًا وزاريًا وجهة نظره حيال الشئون العربية فى مقابلة صحفية قائلاً " علينا نحن الإسرائيليين حتى نؤمن بالسلام ونتحرك من أجل تحقيقه أن نخضع لعلمية تحول سيكولوجية ، لأن الرعيل الأول من العسكريين أنشأ جيلاً كاملاً من المحاربين .

أما الأجيال القادمة فعليها أن تعلم الشعب الإسرائيلى وفق مفاهيم الذكاء والسلوك العقلانى لتؤمن بضرورة التوصل إلى اتفاقيات سلام بيننا وبين العرب ، وهذا فى حد ذاته أمر أكثر صعوبة من القيام بشن حرب ... " (٨) .

من كان يصدق أن عزرا وايزمان أحد صقور إسرائيل وأحد أبطالها العسكريين ورئيس أركان قواتها الجوية وابن أخ حاييم ويزمان (*) والرجل الذى خطط لحملة بيجين الانتخابية التى انتهت بفوزه عام ١٩٧٧ ، يصبح أكثر حمائمها جهراً بآرائه .

علّق واحد من المراقبين الإسرائيليين على هذه التصريحات قائلاً " لقد أصبح عالم وايزمان العام والخاص يدور فى السنوات الأخيرة حول محور واحد ، هو فكرة السلام " (٩) .

سيحسن قادة اليهود الأمريكيون صنعًا لو استطاعوا أن يدخلوا إلى عالم عزرا وايزمان وأن يناقشوا مع أنفسهم أيهما أنفع : منطق الحرب أم منطق السلام ؟ وفق مقولة هذا السياسى الإسرائيلى " إنك تصنع السلام فقط مع أعدائك " . يعد فيليب كلوتزنيك الزعيم اليهودى الأمريكى الوحيد الذى توافق علنًا مع هذه الأفكار ، وطالب إسرائيل بالتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية ، فى المقابل حط بقية الزعماء من شأنه ونسوا أنه كان رئيسًا سابقًا لمنظمة بنًاى بنرت ومؤسسًا مشاركًا لمنظمة المؤتمر . شعر كلوتزنيك بطعم المرارة فى حلقه وهو الذى لم يهاجم إسرائيل علنًا منذ عام ١٩٨١ ، لذلك قرر أن يذهب أبعد مما قال وطالب بإقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية " بشكل أو بآخر " (١٠) . قد لا يكون فى مقدور غيره من المنتقدين أن يذهب فى انتقاده لإسرائيل إلى هذا الحد ، لكن كلوتزنيك أبدى رأيه بصدق وشجاعة فى الدعوة للسلام الذى يحتاج إلى قفزة سيكولوجية حاسمة كالتى نادى بها وايزمان .

دلت انتقادات كلوتزنيك لسياسات إسرائيل وهو اليهودى الأمريكى الذى وهب حياته وجزءًا كبيرًا من أمواله لخدمة مصالح اليهود فى أمريكا ومصالح الدولة

(*) حتى يتجنب عزرا الظلال التى يمكن أن تلقيها علاقته بعمه على حياته ، أسقط الحرف الأخير من اسم العائلة فأصبح Weizman بدلاً من الاسم الحقيقى Weizmann.

اليهودية ، على أن أشياء كثيرة تقف وراء سكوت اليهود الأمريكيين يمكن تحريكها . من قبل شهدت أعوام ٦٦ و ٧١ و٧٣ و ١٩٧٦ وبعد عملية غزو لبنان محاولات محدودة ولكنها جادة لإبراز دور الجماعة اليهودية الأمريكية كشريك كامل فى صنع مستقبل إسرائيل . هذه المحاولات الانتقادية سرعان ما أبعدتها الحروب والأحداث عن الساحة وبقى المنتقدون عمليًا قلة بالرغم من أنهم كمجموعة منتقاة كانوا من أفضل قادة اليهود وأكثرهم احترامًا بين الآخرين . انضم إلى كلوتزنيك فى الثمانينيات كمنتقدين لسياسات إسرائيل كل من ألكسندر شيندلر ، وآرثر هرتزبيرج الذى له سجل قياسى فى نقد بيجين سواء بكتابة المقالات أو افتتاحيات الصحف أو عرض الكتب التى تهاجمه أو إلقاء الخطب .

مهما يكن من قوة الانتقادات التى يوجهها هؤلاء القادة إلا أنهم كانوا محدودى التأثير لأنه لم يكن لهم دوائر انتخابية منظمة ، ومن ثم لم يمتلكوا قوة سياسية مؤثرة ، لهذا السبب يمكن القول إن صناع السياسة الأمريكية استمعوا إلى ملاحظاتهم ولكن لم تكن لديهم الشجاعة ليأخذوا بها حتى لا يتعارض ذلك مع الثمن الذى يدفعونه لمنظمة إيباك . فى عام ١٩٨٣ سافر ١٨ حاخامًا يهوديًا أمريكيًا إلى واشنطن للالتقاء مع ١٥ من أعضاء الهيئة التشريعية الموالين لإسرائيل كان من بينهم : لى هاميلتون العضو الديمقراطى عن ولاية إنديانا والرئيس الحالى للجنة الفرعية للشرق الأوسط المنبثقة عن لجنة الشئون الخارجية بمجلس النواب ، وستيفن سولارز عضو اللجنة نفسها ونائب ولاية بروكلين ذات الأغلبية اليهودية ، وكارول لفين عضو مجلس الشيوخ عن ولاية ميتشجان ، كانت المقابلة حدثًا استثنائيًا ولكنه لم يحظ بالتغطية الواجبة من جانب وسائل الإعلام الشهيرة . حاولت هذه المجموعة من الحاخامات ، التى كانت تضم بعض المحاربين القدماء من أعضاء منظمة بريرا المعتدلة مثل بالفور بريكنر وأرنولد ولف ، إقناع أعضاء الهيئة التشريعية بالاعتراض على سياسات حكومة إسرائيل . أكد فريق الحاخامات أنهم شخصيًا فى صف تجميد بناء المستوطنات فى الضفة الغربية ، وأنهم يودون أن تتوصل الإدارة الأمريكية إلى الطريق المناسب لعقد مفاوضات بين الإسرائيليين والفلسطينيين لإنهاء حالة الجنون التى يعيشها الشرق الأوسط .

يقول الحاخام ولف إن المتحاورين أبدوا تعاطفًا مع ما طرحوه من أفكار ، ووافق البعض على الانتقادات التى وجهوها لسياسات إسرائيل ، ولكنهم على حد قوله ظلوا يسألونهم طوال الوقت " من هم المرشحون الذين وقع اختياركم عليهم ؟ وأين هى المنظمة التى تنتمون إليها " (١١) .

فى إسرائيل كانت حركات السلام تتساءل باندهاش : أين يختبئ الشركاء الأمريكيون ؟

ولم يدرك قادة حركة " السلام الآن " لماذا لم يندفع اليهود الأمريكيون ، وهم أكثر قطاعات الحياة الأمريكية اتصافًا بالديمقراطية ، لتأييد مسعاهم . تقول جانيت أفياد رئيسة حركة " السلام الآن " تعليقًا على زيارتها لأمريكا بعد غزو إسرائيل للبنان " كان لدىّ أمل كبير أن أجتذب إلى حركتنا الشباب الأمريكيين أو أتمكن من اختراق الجماعة اليهودية الأمريكية ، لأن هدفى كان أن أُظهر للحكومة الإسرائيلية أن هذه الجماعة (الأمريكية) ليست تابعًا لها يسير وفق هواها " .

اصطدمت أفياد بالتابع الذى كانت تظنه متحررًا من الهيمنة الإسرائيلية ، فعلى الرغم من أن مجموعتها صهيونية وطنية تعتمد اعتمادًا كليًا على صغار المفكرين الإسرائيليين وأبناء المزارع الجماعية والمقاتلين من ضباط الجيش ، إلا أنها سرعان ما اكتشفت أن اليهود الأمريكيين اعتبروهم " جناحًا يساريًا مغرقًا فى يساريته " مثلهم فى ذلك مثل كل إسرائيلى طائش ذى آراء متطرفة !! . أقصى ما حققته أفياد أنها أسمعت صوتها لمجموعة محدودة من صغار مفكرى اليهود الأمريكيين وصفتهم بأنهم " يهود هامشيون ليسوا جزءًا من منظمات الجماعة اليهودية الأمريكية " ، بعدها أعلنت أنها تخلت عن المهمة التى جاءت من أجلها (١٢) وبذلك تركت الميدان خاليًا لإيباك .

اليهود الأمريكيون ليسوا على مثال الإسرائيليين لأنهم غير قادرين على الاختيار ، الدليل على ذلك أن كنيث بيالكن المحامى النيويوركى الشهير الذى انتُخب حديثًا لرئاسة مؤتمر الرؤساء ، قال لصحفى إسرائيلى قبل انتخابات إسرائيل العامة عام ١٩٨٤ " إذا فاز تحالف العمال وغيَّر سياسات إسرائيل سندعمه ، أما إذا فاز ائتلاف الليكود وفرض خطًا متشددًا فى الضفة الغربية فسنقف إلى جانبه " (١٣) . بدلاً من أن

يشير هذا الزعيم اليهودى الأمريكى إلى احتمالات المخاطر التى يمكن أن تتعرض لها إسرائيل ونظامها الديمقراطى ، أو يحلل العقبات التى ستقف فى طريق السلام لو فاز شارون أو كاهان فى الانتخابات التالية ، راح يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أنه مجرد تابع أمين للدولة اليهودية . فتحت النتائج النهائية للانتخابات العامة فى إسرائيل الباب على مصراعيه أمام حركة " *السلام الآن* " لتثبت قدرتها على التأثير ، فما أن شكل بيريز حكومة الوحدة الوطنية وتولى رئاسة فترتها الزمنية الأولى حتى أحاط نفسه بعدد من المستشارين صغار السن – كان معظمهم فى الثلاثينيات من العمر – المتعاطفين مع حركة السلام الآن !! .

من الإنصاف القول إن القفزة السيكولوجية التى كان يبشر بها وايزمان لم تكن سهلة بالنسبة لليهود الأمريكيين لأن الرابطة التى تشدهم إلى إسرائيل هى رابطة سيكولوجية فى المقام الأول . يقول الأمريكى الأصل بارى خازان أستاذ علم الاجتماع بالجامعة العبرية ، الذى درس سلوكيات اليهود الأمريكيين حيال إسرائيل " من لا يستطيع أن يفهم عمق *الرابطة* التى تربط يهود أمريكا بإسرائيل لن يكون فى مقدوره أن يفهمهم " . إسرائيل فى عمق شعورهم مثال لحيوية اليهودية ودليل على أن لها مستقبل ، وهى أكثر مشاريعهم الخيرية نجاحًا بعد أن كانت إسرائيل اللاجئين وإسرائيل المحاصرة ، وبعد عام ١٩٦٧ أصبحت الدولة اليهودية " البلد القديمة " وتحولت إلى مركز إشعاع دينى للعلمانيين من أبناء الجماعة اليهودية الأمريكية .

ومنذ أن صرّح لويس برانديز " أن كل أمريكى يسهم فى تقدم المستوطنات فى فلسطين هو رجل فاضل وأمريكى أفضل " بذل اليهود الأمريكيون جل جهدهم لإقناع الأمة الأمريكية قاطبة أن إسرائيل هى " الوكيل الأمريكى " فى الشرق الأوسط حيث " نموذج ديمقراطيتنا " هناك ويعيش أهلها الأخيار بين أناس من الأشرار ، وظهرت انعكاسات وجهات النظر هذه فيما عُرف فيما بعد بالبراهين الدالة على " الأهمية الإستراتيجية لإسرائيل "(١٤) .

بالرغم من توافر هذه الصور التى تلعب دوراً سيكولوجياً حاسماً فى حياة اليهود الأمريكيين إلا أنهم لم يكونوا قادرين على تخيُّل إسرائيل على النسق نفسه الذى يراه

عليها الإسرائيليون أنفسهم ، لذلك ستظل النقلة السيكولوجية التى ينادى بها وايزمان مستحيلة عليهم حتى يتعرفوا على حقيقة الأوضاع الحالية فى إسرائيل ، وما ستئول إليه . استعان اتحاد سان فرانسيسكو للجمعيات الخيرية اليهودية فى حملة جمع تبرعات لصالح إسرائيل عام ١٩٨٤ بصورة لغسالة ملابس أتوماتيكية وكتب تحتها " أنت تعرف أن هذه غسالة ، أما سكان مستوطنة كريات شمونة فيرونها معجزة " . يقول عالم الاجتماع خازان " إنه عندما عرض صورة الإعلان عن سكان المستوطنة التى تعد إحدى المدن الإسرائيلية المتقدمة أغرقوا فى الضحك ثم بان عليهم الغضب رافضين أن يُنظر إليهم على أنهم يعيشون فى مجتمع بدائى " (١٥) .

هذا المجتمع الذى يتباهى به الإسرائيليون ربما لا يكون هو المجتمع الذى يمكن أن يتجاوب معه اليهود الأمريكيون فى المستقبل ، خاصة وأنهم عندما يستحضرون صورته لا يرون فيه صورة اليهودى الأوروبى أو الروسى ، بل صورة الإسرائيلى السفارديم أو المهاجرين اليهود إلى إسرائيل من الدول العربية والذين يشكلون اليوم حوالى ثلثى سكان الدولة اليهودية . يشرح الأستاذ الجامعى شلومو بن عامى ، المتخصص فى علوم التاريخ بجامعة تل أبيب وأحد زعماء السفارديم ، انعكاسات هذه الحقيقة على اليهود الأمريكيين قائلاً " تستبد باليهود الأمريكيين فكرة أن إسرائيل هى النموذج الغربى فى الشرق ، ولكننا لسنا كذلك لأن إسرائيل دولة تنتمى إلى البحر المتوسط لذلك لا تؤمن الغالبية العظمى من سكانها بالقيم الديمقراطية " (١٦) .

لذلك لم يكن غريبًا أن يصدم الكثير من أعضاء الهيئة الحاكمة فى إسرائيل بنتائج استفتاء أجرى عام ١٩٨٤ والتى أشارت إلى أن أكثر من ٥٠٪ من الشباب (أقل من عشرين سنة) الذين شاركوا فى التصويت وكانت أكثريتهم من اليهود الشرقيين عبّروا عن مواقف متعارضة مع الديمقراطيةتجاه غير اليهود بصفة عامة وضد العرب بصفة خاصة . ووفقًا لنتائج هذا الاستفتاء الذى موّلته مؤسسة فان لير المقدسية التى تعد معهداً بحثيًا ذا تمويل خاص ، أظهر نحو ٢٥٪ من العيّنة التى شاركت فيه " وجهات نظر متماسكة تتعارض مع المبادئ الديمقراطية" ، وعارض ثلث العدد منح عرب الضفة الغربية ، إذا ما تم ضمها إلى أرض إسرائيل واكتسبوا الجنسية الإسرائيلية ، حق التصويت . الجدير بالإشارة أن ٤٧٪ من المشاركين فى

الاستفتاء وافقوا على تحديد الحقوق التى يتمتع بها واحد من كل ستة من العرب الذين اكتسبوا الجنسية الإسرائيلية ، ويعتقد ٦٠٪ منهم أن المجموعة العربية " ليست مؤهلة للتمتع بالحقوق الكاملة التى يتمتع بها أفراد الشعب الإسرائيلى " (١٧) ، بالرغم من أن بيجين على تشدده كان يجادل من أجل منح الحقوق المدنية لكل سكان إسرائيل .

لا يندهش المراقبون لمثل هذه الآراء التى يقول بها صغار السن ، والتى تؤيد العنصرية بشكل علنى ، والآراء المعادية للعرب التى يجهر بها الحاخام مائير كاهان الذى نادى علانية بترحيل جميع العرب من فوق أراضى إسرائيل . أظهر استفتاء آخر قامت به أيضًا مؤسسة فان لير المقدسية أن ٤٠٪ من تلاميذ المدارس الثانوية فى إسرائيل يؤيدون الآراء التى ينادى بها الحزب الذى يقوده الحاخام كاهان . دفعت نتائج هذه الاستفتاءات وزارة التربية فى إسرائيل لإعداد برامج من أجل " تعميق المفاهيم الديمقراطية" بين الشباب الإسرائيلى .

لم يظهر اليهود الأمريكيون أى استجابة لتأييد توجهات المجتمع الإسرائيلى نحو تعميق القيم الديمقراطية، لأن الأمريكيين كما يقول عالم الاجتماع آلوف هارفن ، الذى يعمل بمعهد فان لير وله كتاب يناقش أحوال الـ ١٠٠ ألف عربى الذين يعيشون فى إسرائيل (مقابل ١ر٣ مليون عربى فى الأراضى المحتلة لا يتمتعون بالجنسية الإسرائيلية) بعنوان " كل سادس من بين الإسرائيليين " ، ينظرون إلى الدولة اليهودية على أنها " دولة ديمقراطية كاملة الأركان ، لأنهم لم يتتبعوا التآكل التدريجى الذى لحق بالقيم الديمقراطية بين شباب إسرائيل " (١٨) .

سافر هارفن إلى أمريكا عام ١٩٨٤ لجمع تبرعات لدعم المناهج الدراسية لأول مدرسة تساندها وزارة التعليم الإسرائيلية " تعمل على تنمية الفهم المتبادل بين الشباب العربى والشباب الإسرائيلى على أسس من المساواة والاحترام " ، وهناك وقع على دليل لا يقبل الشك على عدم إدراك الجماعة اليهودية الأمريكية لحقيقة المجتمع الإسرائيلى وما يعيشه من وقائع ، فقد صعقته قلة اهتمامهم ، ثم شعر بمرارة عندما " وجدهم غير مكترثين للتبرع لمثل هذا المشروع " . يقول عالم الاجتماع الإسرائيلى " رفضت المشروع منظمة النداء اليهودى الموحد كما رفضه الكونجرس اليهودى

الأمريكى والجماعة اليهودية الأمريكية وعصبة مناهضة الافتراء ، كلها لم تبد اهتماماً به " . ومن المعروف أن أول هيئة أمريكية تبرعت لدعم مناهج هذه المدرسة كانت مؤسسة فورد التى منحت المشروع قرضاً إجمالياً قدره ٧٥ ألف دولار ، وهو مبلغ زهيد إذا قيس بالاحتياجات الفعلية لمثل هذا العمل .

يلخص هارفن رؤيته لنتائج زيارته إلى أمريكا قائلاً " الأمريكيون اليهود ليس لديهم إحساس بالمسئولية تجاه جمع التبرعات لدعم خطط إسرائيل الهادفة إلى تكوين صداقات مع العرب من مواطنيها أو جيرانها ، إنهم يصرون على أن تبقى محاصرة ، وأن يظل مجتمعها دائماً على حافة الهاوية ، أما عقد صداقات مع العرب فهو أمر يصل عندهم إلى درجة التحريم " ، ثم أشاح بيده كأنما يطرد أفكارهم بعيداً عما يؤمن به مؤكداً " لا بد لكى تواجه الحقيقة من الالتزام بقدر معقول من الرفض " .

دأب منتقدو إسرائيل لعدة عقود على حثها على أن تُسقط عنها طموحاتها الأوروبية وأن تصبح دولة شرق أوسطية خالصة ، وهو ما يحدث حالياً . لكن ما يثير السخرية أن هذا التحول يدعم قدرات تحالف الليكود كحزب سياسى . الدليل على ذلك أن اليهود الشرقيين صوّتوا عبر الانتخابات الثلاثة الأخيرة إلى جانب الليكود ، وأن " العنصر العربى " فى إسرائيل الحقيقية أكثر من المتوقع بسبب التزايد المكثف لسكانها العرب وليهودها الذين نزحوا إليها من الدول العربية . إسرائيل هذه لابد أن تكون أقل ديمقراطية و أكثر اضطرابا ولا يمكن التنبؤ بأحوالها ، أما الأمر الذى يثير قلق العديد من الإسرائيليين وقادة اليهود الأمريكيين أن إسرائيل بهذه الكيفية من الصعب تسويقها لدى الناخب الأمريكى سواء كان يهودياً أم غير يهودى .

صورة إسرائيل هذه دفعت خطباء منظمة إيباك إلى التقليل بعض الشىء من حماستهم لإسرائيل التى قد يرأس وزراءها شارون ، وجعلت جماعات الضغط الموالية لإسرائيل تعيش فى كابوس خشية أن يتولى كاهان منصباً وزارياً فى حكومة ليكودية قادمة نظراً لما يتمتع به من شعبية .

لا أحد ينكر أن إيباك كانت لسنوات عدة وسيلة لإنتاج أنماط من الجهل بأحوال إسرائيل السياسية والاجتماعية ، فقد حصرت جهودها فى دفع اليهود الأمريكيين

والسياسيين إلى التركيز على دعم إسرائيل التى لا يهتم بما يجرى فيها عمليًا إلا فئة قليلة من هؤلاء وهؤلاء . لذلك كثيرًا ما أثار آرثر هرتزبيرج وقلة من قادة اليهود الأمريكيين قضية على جانب كبير من الأهمية وهى أن حياة اليهود الأمريكيين تمحورت حول ما يجرى فى إسرائيل بحيث أصبحوا غير مهتمين بما يجرى فى مجتمعهم الذى يعيشون فيه .

لا بد أن نعترف من ناحية أخرى أن منظمة يهودية على الأقل لاحظت ما يجرى فعلاً فى المجتمع الإسرائيلى من توجهات ورفعت الراية محذِّرة ، تقول منظمة الكونجرس اليهودى الأمريكى فى تقرير نشرته عام ١٩٨٥ ".. لديهم نزعة تميل نحو تحبيذ الجيتو على مستوى الحياة اليهودية العامة ، وهذه النزعة ترتبط بنزعة أخرى تحض على إنشاء منظمات وتجمعات ذهنية تركّز اهتمامها فى مسألة واحدة . وتلك مرتبطة بنزعة ثالثة تمجد حصر أو على الأقل الحد من توسيع نطاق مناقشة المسائل المتعلقة بإسرائيل أو بأمريكا ذات الأهمية القصوى ، خاصة التى تؤدى إلى كشف الترابط بين القضايا الشائكة فى المرحلة الحالية " [١٩] . باختصار أصبح اليهود الأمريكيون مهووسين بأحوال إسرائيل إلى الدرجة التى نسوا معها أشكال النشاط السياسى الأخرى وتشكيل الائتلافات الذى جعل لهم حضورًا سياسيًا مؤثرًا .

انتقد التقرير تنامى قدرات لجان العمل السياسى التى تركز اهتمامها حول موضوع واحد و" تضييق مساحة نشاطات " اليهود ومساهماتهم فى مجال الاهتمامات العامة التى تتضمن قضايا مثل الحقوق المدنية والاتحادات والعدل الاقتصادى والاجتماعى للفقراء . تجنب التقرير الإشارة الى أن هذه النظرة الضيقة لاهتمامات اليهود الأمريكيين وفشلهم فى استيعاب حقوق الفلسطينيين أبعدت المنظمات اليهودية عن المجالات الحركية التى يشارك فيها العمال والسود وأنصار حقوق المرأة وطبعًا أبعدتهم أيضًا عن التيار الرئيسى للجماعات المسيحية .

لكن السؤال هو : هل هناك من لفت نظره ما ورد فى هذا التقرير ؟ لقد أثبتت انتخابات أمريكا الرئاسية التى جرت عام ١٩٨٤ أن اليهود لا يزال لديهم على الأقل نزعة تحررية تقدمية قوية بالرغم من المحاولات التى يبذلها اليهود غير المحافظين ،

خاصة أفيرنج كريستول ونورمان بودهورتز محرر مجلة كومنترى الشهرية ، لشد الجماعة ناحية معسكر ريجان . كان من نتيجة ذلك أن صوّت لريجان عام ١٩٨٤ حوالى ٣٥٪ فقط من اليهود بعد أن كان قد حصل فى عام ١٩٨٠ على ٣٩٪ من أصواتهم ، هنا نتساءل مرة أخرى لماذا تصوّت مجموعة من أكثر الجماعات العرقية ثراء ضد مصالحها الاقتصادية وضد مؤيد قوى لإسرائيل ؟ أحد الأسباب أن غالبية اليهود متوسطى العمر لم ينسوا كيف أن صفقة البرامج الحاسمة الجديدة كانت بالكامل وراء النجاحات التى أكدت هويتهم الأمريكية وميزتهم عن السود ونوى الأصول الأسبانية والشرقيين الذين كانوا على استعداد لتقليدهم (اليهود) لكى يحققوا ما فازوا به من نجاحات .

إلى جانب ذلك لم يكن الناخبون اليهود مسرورين بانجذاب ريجان ناحية شعار " أمريكا المسيحية " طبقًا للبشارة التى تنشرها الأصولية البروتستانتية ممثلة فى الواعظين الشهيرين جيرى فالويل وبات روبيرتسون الذى أعلن نيته بعد ذلك بعامين فى الترشح للانتخابات الرئاسية . أظهرت نتائج استفتاء قامت به شبكة أيه.بى.سى. للأخبار على عيّنة من اليهود أن ٢٣٪ منهم صوتوا ضد ريجان لأنه فى رأيهم " خلط السياسة مع الدين " بينما أيده ٧٪ منهم فقط . فى استفتاء آخر أبدى ٧٨٪ من اليهود المشاركين نفورهم من فالويل الذى قالوا إنه سبب لهم إزعاجًا أكثر من القس جيسى جاكسون [٢٠] .

تعارضت هذه النتائج مع رؤية حكومة بيجين ومنظمة إيباك للواعظ جيرى فالويل الذى كان فى نظرهما حليفًا كبيرًا لإسرائيل فى أمريكا ، فإذا كان هؤلاء اليهود قد نسوا لهذا الرجل مناهضته القوية للسامية فإن إسرائيل وإيباك لم ينسيا مواقفه بعد .

برغم توجهات هذه العينة من اليهود إلا أنه لا يتوافر دليل دامغ أن مثل هذه الآراء تجاه ريجان ستترجم فى شكل نهضة شبيهة بنشاطات اليهود الاجتماعية التى تفضلها منظمة الكونجرس اليهودى الأمريكى .

يتساءل واضعو التقرير : هل هذا فى صالح اليهود ؟ ويجيبون على أنفسهم بالنفى ، ويبرر تيودور مان رئيس منظمة الكونجرس اليهودى الأمريكى ذلك بقوله " إننا

لا نود أن نرى الجماعة اليهودية في يوم من الأيام وقد تحولت إلى جماعة ذات اهتمام واحد " . في الوقت نفسه حرص التقرير على عدم الإساءة إلى منظمة إيباك بشكل مباشر ، بل سجّل ما نصه " لا شيء بين سطور التقرير يقصد به التقليل من أهمية المنظمات ذات الاهتمام الواحد أو من جهودها كمنظمة إيباك على سبيل المثال ، بالرغم من أنه يستنتج من فحوى التقرير أن هذه المنظمة أول من حبذ النزوع إلى " خاصية الجيتو " التي يرى التقرير أنها إحدى الآفات .

أكّد توماس دين في عدة مناسبات أن الهدف الأساسي لجماعة الضغط الموالية لإسرائيل هو أن تتحول إلى " حركة جماهيرية " تهيمن على حياة اليهود الأمريكيين ، لذلك كان من الطبيعي أن تصبح إسرائيل محور اهتمامهم بعد أن أصبحت الموضوع الوحيد والأثير لدى إيباك . في رده على ما جاء في تقرير الكونجرس اليهودي الأمريكي قال توماس دين " إننا مصممون على أن نحصر تفكيرنا الواحد في قضية واحدة " (٢١) ، لا عجب أن يقول مؤلف التقرير عن إيباك " إنها الأسرع نمواً بين المنظمات اليهودية " .

يؤكد هذه الخلاصة أن توماس دين نجح في تجميع نشاطات اليهود السياسية حول أسلوبه في التفكير إلى الدرجة التي جعلت لجان العمل السياسي الموالية لإسرائيل تمنح تبرعاتها المالية خلال النصف الأول من عام ١٩٨٥ لمرشحي الحزب الجمهوري أكثر من تقديمها إلى مرشحي الحزب الديمقراطي . كان المعيار الوحيد لتقديم الدعم اليهودي المادي للمرشحين ، الذي زاد عن ٣٠٠ ألف دولار خلال نصف سنة غير انتخابية ، هو التعهد بمساندة إسرائيل . يقال إن السيناتور روبرت كاستن ، رئيس لجنة مجلس الشيوخ الفرعية للمخصصات والصديق الصدوق لإسرائيل ، حصل على النصيب الأكبر من تبرعات لجان العمل السياسي بالرغم من أنه صوّت إلى جانب السماح بالصلاة في المدارس الحكومية واعترض على قانون الإجهاض ، ولم يكن مناصراً بما فيه الكفاية لفرض الحقوق المدنية بقوة القانون مما جعله يحسب على الجانب غير المتوائم مع القضايا المدنية التي تدخل في دائرة اهتمام اليهود .

تنامت قوة لجان العمل السياسى الموالية لإسرائيل إلى الدرجة التى طلبت ، وفقًا للتقاليد المرعية ، من اثنين من أعضاء مجلس الشيوخ المساندين لمشاريعها عدم التقدم بطلب للترشيح أمام اثنين من أقوى المرشحين المؤيدين لإسرائيل وهما روبرت دول و بوب باكوود [٢٢] . وعندما كانت قيادات الحزب الديمقراطى تبحث عن شخصية لها وزنها لمنافسة المرشح الجمهورى ألفونس دى أماتو على عضوية مجلس الشيوخ فى مدينة نيويورك ، وتستحث لجان العمل السياسى الموالية لإسرائيل مساعدتها فى ذلك . أعلن قادة اللجان رضاهم عن أداء دى ماتو الذى برهن أنه صديق قوى ونشيط لإسرائيل ، كما لو أن كل عضو مجلس شيوخ على مستوى نيويورك لا يمكن أن يكون غير ذلك .

من ناحية أخرى حذَّر زعماء يهود من أن ربط الدعم المطلوب لإسرائيل بالأموال التى تقدمها لجان العمل السياسى يعبِّر عن ضيق أفق ونظرة قاصرة إذا كان الأمر يتعلق ببناء تحالف " موالٍ لإسرائيل " ، ووصف منتقدون أكثر صراحة هذا النهج بأنه يعد شراء للدعم الذى تحتاجه إسرائيل بدلاً من الحصول عليه عن استحقاق . كان تحذيرهم فى محله لأن النظرة العامة إلى إيباك تبين أنها تتحدى أعضاء الكونجرس وقمة صناع القرار أن يتجرأوا يومًا ويمتنعوا عن تأييد إسرائيل . هناك أيضًا من يرى أن هذه الإستراتيجية التى تتبعها إيباك تنطوى على مخاطر جمة ، لأن ما تبديه من تحد من شأنه أن يزيد من حجم الامتعاض الذى يشعر به البعض حيال الأساليب الصارمة التى تتبعها لفرض آرائها على أعضاء الكونجرس .

الأمر الأكثر إثارة للقلق هو المحاولات التى يبذلها المحافظون من اليهود لإجبار إيباك ذات النشاط الفعال على مستوى مجلسى النواب والشيوخ بالتحول بشدة ناحية اليمين ، لأنها فى رأيهم " تحررية أكثر من اللازم " وذات علاقة قوية بالحزب الديموقراطى وعقيدتها ليست قوية . فى الوقت نفسه كان الائتلاف الوطنى اليهودى المكون من يهود جمهوريين يعمل جنبًا إلى جنب مع قيادات جمهورية أعضاء فى الكونجرس على توعية أعضاء الحزب الجمهورى باهتمامات إسرائيل ومصالح اليهود الأمريكيين [٢٣] . إلى جانب ذلك قامت منظمة " أمريكيون من أجل سلامة إسرائيل " ذات العلاقات القوية بتآلف الليكود والجناح الدينى اليمينى فى إسرائيل وأعضاء

هيروت الصهيونيين فى أمريكا ، بتأسيس مكاتب لها فى واشنطن . هذه المنظمة وكل الأطراف التى كانت على علاقة بها كانوا ضد إعادة إسرائيل أى جزء من الضفة الغربية أو قطاع غزة إلى العرب ، لذلك كان هذا الموضوع هو موضوعهم المركزى عند الحديث عن مساندة الدولة اليهودية . الأكثر من ذلك أن منظمتَىْ " أمريكيون من أجل سلامة إسرائيل " "وهيروت " الصهيونيتين كانتا على علاقة توافق مع المحافظين لدى الحزبين الديموقراطى والجمهورى ، ويحاولون فى الوقت نفسه بناء صرح لمساندة الدولة اليهودية بين قدامى المناوئين لتقديم المساعدة لإسرائيل من أمثال جيسى هيلمز عضو مجلس الشيوخ عن ولاية كارولينا الشمالية .

كتبت صحيفة جيروزليم بوست أنه بينما كان الملك حسين وبيريز ينسقان جهودهما خلال عام ١٩٨٥ لإحياء خطوات السلام مرة أخرى ، ساندت منظمة أمريكيون من أجل سلامة إسرائيل حملة معادية للسلام فى عموم أمريكا يقوم بها سكرتير عام منظمة جوش إيمونيم الإسرائيلية التى تعتبر المحرض الرئيسى على استخدام العنف ضد العرب فى الضفة الغربية . تقول الصحيفة إن سكرتير عام المنظمة وصف رحلته إلى أمريكا بأنها " لإعلام السيناتور هيلمز وأى سياسى آخر يصغى إليه " أن الرسالة التى ينقلها عن منظمته تمثل وجهة نظر " نصف الناخبين الإسرائيليين " . وتضيف الصحيفة أن تعليمات صدرت من وزير خارجية إسرائيل إلى سفارة بلاده فى واشنطن بتقديم العون لممثل منظمة جوش إيمونيم الذى قامت إدارة الهجرة بالمنظمة اليهودية التى يرأسها عضو بحزب هيروت الإسرائيلى بسداد تكاليف رحلته إلى أمريكا (٢٤) .

مضامين هذه الرحلة تثير الحنق وتدعو إلى القلق لأن الرافض الإسرائيلى عضو الجناح اليمينى يتحدث نيابة عن رئيس الوزراء الإسرائيلى إلى مجموعة من أعضاء مجلس الشيوخ اليمينيين ، يعزز من ذلك أنه سافر إلى أمريكا وتجول بين ولاياتها بأموال سددتها الوكالة اليهودية التى تتلقى أموالاً معفاة من الضرائب تقوم بجمعها منظمة النداء اليهودى الموحد من يهود ربما لا يؤيدون الأفكار التى تنادى بها جوش إيمونيم أو أمريكيون من أجل سلامة إسرائيل . مصدر الحنق والقلق أنه لو قامت " حركة السلام الآن " الإسرائيلية بعملية ضغط فى واشنطن لبناء موقف مؤيد لوقف

بناء المستوطنات فى الضفة الغربية أو مؤيد لمبادلة الأرض بالسلام ، سوف تنفجر المنظمات اليهودية الأمريكية فى موجات معارضة عنيفة . ملاحظة جديرة بالاهتمام . حركة السلام الآن لها مكتب فى نيويورك ولكنها لم تتمكن فى سنة من السنوات أن تجمع أكثر من ٢٥٠ ألف دولار من اليهود الأمريكيين .

دعونا نتساءل : ما مقدار النجاح وحجم القوة الذى يمكن أن تحققه قوة سياسية ضاغطة قبل أن تضرب فى مقتل ؟ أو بكلمات أخرى : إلى أى مدى يمكن أن تصل قوة الجماعة اليهودية السياسية الضاغطة قبل أن يفزعها انطلاق مناهضة السامية من عقالها ؟

حذر ناحوم جولدمان ، وهو الذى عاش فى أمريكا عشرين عامًا ، فى أحيان كثيرة من " الخطر الكبير الذى يتهدد مجموعة من الناس أحرزوا الثروة والقوة والسطوة خلال فترة قصيرة من الزمن بعد معاناة لعدة قرون " [٢٥] . هذا الرجل تحول فى سنوات حياته الأخيرة إلى ناقد مستمر لما وصفه بأنه إساءة استعمال القوة اليهودية ، وعلى وجه الخصوص الجهود التى قامت بها جماعات الضغط اليهودية لعرقلة مهمة يارنج وخطة روجرز للسلام ، التى أيدها هو ، من منطلق أنها حدّت من قدرة الولايات المتحدة على استغلال الفرص لإقرار استقرار كامل فى الشرق الأوسط . وبرغم أن جولدمان كان يعترف أن المصالح الخاصة لجماعات الضغط السياسى أمر متعارف عليه فى أى نظام ديمقراطى ، إلا أنه كثيرًا ما كان يتساءل ما إذا كان اليهود قد تجاوز الحد المتعارف عليه فى ممارسة الضغط . ومن بين ماقاله فى هذا الشأن " الشعب اليهودى كان دائمًا شعب المبالغات بما فى ذلك النزوع إلى التفكير المتطرف ، وإذا نظرنا إلى الدعم الذى تقدمه أمريكا بضغط من اليهود الأمريكيين فسنجد أنه كان ذا أهمية بالغه لإسرائيل إلى وقت قريب ولكنه بدأ مؤخرًا يتحول بالتدريج إلى عامل سلبى . المشكلة هنا أن هذا العامل السلبى من الممكن أن يشوه توقعات إسرائيل ويفسد حساباتها السياسية ، وقد لا يمر وقت طويل قبل أن يشعر الرأى العام الأمريكى بالضيق والتعب تجاه طلبات الحكومة الإسرائيلية وتجاوزات اليهود الأمريكيين " [٢٦] .

قد يكون فى كلام جولدمان شىء من الحقيقة لأن الاستياء من قوة اليهود المتنامية بدأ ينتشر فى واشنطن ، مثالاً على ذلك ما قاله مسئول أمريكى سابق فى وزارة الدفاع وفى البيت الأبيض ، خاصة وأن إعجابه المعتدل بمهارات منظمة إيباك فى ممارسة الضغوط السياسية يشوبه بعض الحسد ويبدى قلقا له وزنه مما قد يترتب على هذه القدرات من نتائج " المشكلة ليست هى أن إيباك تتمتع بقوة هائلة ، ولكن لأنها بعيدة عن السيطرة لأنها عبارة عن آلة ذاتية الحركة ليس لها من يصحح مسارها ، وإذا لم تتوافق معها عاملتك بوحشية . هذه هى المشكلة بالتحديد مع منظمات تضم نشطاء سياسيين مثل إيباك : إنهم يطلبون من الآخرين ١٠٠٪ تعاون أو لا شىء . وفى حالة الرفض يدّعون أنهم معرضون للإبادة . لكنهم لا يمكن أن يحققوا تعاوناً بنسبة ١٠٠ ٪ فالإدارة مؤهلة لأن لا توافق على بعض المسائل ، فى هذه الحالة ستتوقف آلية العمل إذا صممت جماعة من الجماعات على تحقيق أهدافها بنسبة ١٠٠٪ ، لأنه لا يوجد من يحقق نجاحات على طول الخط " (٢٧) .

من المعروف أن عدداً من السياسيين الأمريكيين يستمتعون بالمشاركة فى مناقشات حول أمور سياسية ، إلا أن مثل هذه النقاشات لم تتطرق كثيراً لأمور متعلقة بالشرق الأوسط . يقول مساعد سابق بمجلس الشيوخ " غير مسموح للأعضاء بأى فضول له طابع فكرى ، الغالبية العظمى من أعضاء مجلس الشيوخ تتصرف بوحى من الخوف أو لجلب المنفعة . لو كنت مكان إسرائيل أو جماعة الضغط السياسى لرفضت أن يكون ثمن التأييد الذى أحصل عليه هو الخوف أو المنفعة " (٢٨) .

يتساءل آرثر هرتزبيرج الذى يعتبر نفسه أحد حواريىّ ناحوم جولد مان " إذا تجاوزت جماعة ضغط سياسى حدود الإجماع الأمريكى لقضية ما فمتى تقوم ضدها حركة رد فعل مضاد ؟ برغم أهمية هذا النوع من التفكير إلا أن أحداً لا يلتفت إليه لدرجة أن منتقدى هرتزبيرج قللوا من قيمة ما تنبأ به من إمكانية عودة حركة معاداة السامية فى ظل تزايد أعداد اليهود الذين يملكون السلطة وعدم وجود تيار مقاومة لذلك على أى مستوى . يرد هرتزبيرج على تساؤله قائلاً " لن أكون فى ردىّ مثل كاسندرا ، ولكن كسياسى له باع طويل فى السياسة وكمؤرخ ، يمكن أن تضغط إلى ما لا نهاية حتى يوقف هذا الضغط أول رئيس أمريكى يعلن أنه سوف يعامل إسرائيل مثل أى

دولة أخرى . الرئيس الذى سيقول هذا الكلام سيعيد الحركة إلى تيار مناهضة السامية لأن منظمة ضغط سياسى مثل إيباك ستعلن مباشرة : ولكننا لا نريد أن تعامل إسرائيل كما تعامل أى دولة أخرى ، ساعتها سيرد الرئيس بتحديد : إذا كنتم تطرحون المسألة بهذه الكيفية فإنكم تلقائيًا تخلقون مناخًا مناسبًا لحركة مناهضة السامية " . ويضيف هرتزبيرج موضحًا إن صغار النشطاء من العاملين تحت راية إيباك لم يجربوا المعاناة بسبب السامية ، لذلك يعتقدون أنه لا وجود لها .

يشكو كبار العاملين فى وزارة الخارجية أن الضغوط التى تمارسها الجماعات السياسية أصبحت عقبة أمام قدرتهم على تحليل جوانب قضية الشرق الأوسط السياسية ، ويقولون إن إدارة الرئيس ريجان تعانى بسبب ذلك من نقص جدير بالرثاء على مستوى خبراء الشرق الأوسط مما يترك المهنيين المتخصصين فى الخارجية بلا قاعدة يمكن أن يتحاوروا معها لاستخلاص النتائج وإجراء التحليل السياسى . ويقول آخرون إن صغار العاملين فى الإدارة الذين يشغلهم مستقبلهم المهنى ليسوا على استعداد لاقتراح أفكار سياسية يعلمون حق العلم أنها ستصطدم بجدار مجلس الشيوخ الأمريكى الصلبه .

قال موظف كبير بوزارة الخارجية أحيل إلى التقاعد مؤخرًا : " كنتيجة مباشرة لمثل هذه المعوقات تبقى التحليلات الصحيحة داخل الأدراج خوفًا مما قد تقوم به جماعات الضغط السياسى من ردود أفعال .. أليس ذلك نوعًا من الخبل " [٢٩] . الأكثر خبلاً من ذلك هو تحول جورج شولتز وزير الخارجية إلى مناصر قوى لإسرائيل ، يقول توماس دين خلال المؤتمر السنوى حول سياسة منظمة إيباك عام ١٩٨٦ : إن شولتز قال إن هدف التعاون الإستراتيجى بين إسرائيل وأمريكا (وهو المشروع الذى اقترحته المنظمة خلال عامى ٨٤ و١٩٨٥) هو وضع مجموعة من الترتيبات القائمة على نظام مؤسساتى خلال الأعوام الثمانية القادمة ، بحيث إذا اختير وزيرًا للخارجية واتضح أنه غير متعاطف مع إسرائيل فلن يكون فى استطاعته التغلب على البيروقراطية التى تحكم العلاقات الخاصة بين إسرائيل وأمريكا التى قمنا بتأسيسها " [٣٠].

لقد تحول الاتجاه لدرجة كبيرة حتى إن كبار الأمريكيين الذين يؤيدون معارضة وانتقاد الأعمال التى تقوم بها جماعات الضغط السياسى الموالية لإسرائيل يعُرفون أنفسهم بأنهم صهاينة ، فقد بذل ناحوم جولدمان الكثير من الرجاء لكارتر لكى يقوم بتحطيم جماعات الضغط السياسى هذه ، ونادى هرتزبيرج علانية بضرورة تحطيم منظمة إيباك . هاجم قائد صهيونى أمريكى أساليب جامعى التبرعات الأمريكيين لإسرائيل ووصفهم بأنهم ضد المبادئ الصهيونية ، فقد كتب الحاخام هوارد أديسون من شيكاغو نائب رئيس اتحاد تحالف العمال الصهاينة فى مجلة جويش فرونتير الصهيونية ممتدحًا الالتزامات التي أخذها اليهود جامعو التبرعات لإسرائيل على عاتقهم ، ولكنه انتقد " الرؤية للحياة اليهودية " التى تدفع طموحاتهم . كان مما قاله الحاخام أديسون " إنهم ينظرون إلى الاتحادات المحلية كمؤسسات يهودية مركزية ليهود الشتات ، لذلك يؤمنون أن الهدف الأساسى للجمعية اليهودية هو عرقى بطبيعته ، وأن أفضل تعبير عنه يأتى عن طريق الإحسان وخدمات المجتمع . إسرائيل بالنسبة لهم نموذج للوحدة اليهودية ولعملية التجديد ، إنها منبر مشترك يحق لكل اليهود أن يقفوا عليه . ولا يصح من وجهة نظرهم أن يعمد أحد عن طريق النزاعات الحزبية والسياسية إلى تشويه النموذج أو إضعاف المنبر . لهذا السبب تتضمن رؤيتهم للمستقبل اليهودى كافة عناصر نمو الجماعة التى تبرزها أكثر توحداً وأكثر تعبيراً عن هذه الوحدة من خلال الإحسان اليهودى الذى يتزايد على كافة المستويات " (٣١) .

يقول أديسون بشكل مباشر إن هذا " الخيال الحميم " يثير مجموعة من الأسئلة حول ارتباطات اليهود الأمريكيين بإسرائيل ، فتتطابق نظرة الاتحادات إلى النشاطات اليهودية مع وجهة نظر منظمة إيباك حيال " السياسة اليهودية الجديدة " يدفع إلى التساؤل عن الدور الذى تقوم به جماعات الضغط السياسى الموالية لإسرائيل فى حياة اليهود . لا يكتفى أديسون بذلك بل يطرح سؤلاً لا يمكن تجنبه وهو " إذا كان التضامن العرقى شرطًا ضرورياً لتحقيق حرية المجتمع اليهودى للتعبير عن نفسه ، فهل يُعتبر اتخاذ الدين والعقيدة وسيلة لإثارة الاهتمام باليهودية عملاً يتعارض مع ضرورة توافر الحد الأدنى من الذوق الفردى ، مما يساعد على المساهمة فى افتقاد الاهتمام بالقضية الأساسية على المستوى العام ؟ " .

ترى إيباك أن الإجابة عن هذا السؤال هى " نعم " لأن الأيديولوجية فى رأيها تثير الجدل بين الأفراد ، والجدل يؤثر بالسلب على صورة " الوحدة " التى تتطلبها أساليب جمع التبرعات ، والجدل من ناحية أخرى يفتح الباب للعديد من الاعتراضات التى تغذى بدورها ترسانة أسلحة " أعداء إسرائيل " . لذلك كان من السهل أن تتحول إسرائيل بالنسبة لجامعى التبرعات إلى " نموذج " يضمن تدفق الأموال عليهم ، فى الوقت نفسه تعمل إيباك كل جهدها أن يبقى حجم المساعدات العسكرية والاقتصادية الأمريكية البالغ سنوياً حوالى ٥ر٢ بليون دولار كما هو .

يرى أديسون بوضوح أن البديل الوحيد أمام الملتزم بدعم إسرائيل هو أن ينزل بنفسه إلى حلبة الصراع ، ويقول " إذا اختار أحدهم أن يترك الصراعات الدائرة حول هوية إسرائيل للإسرائيليين وحدهم فلربما اعترف فى الوقت نفسه بأنه لن يتأثر شخصياً وبشكل مباشر بأى قرار تتخذه حكومتهم " . يقر أديسون وفق هذه المعطيات أنه يجب على اليهود أن يلعبوا دوراً فى تحديد هوية دولة إسرائيل على اعتبار أنهم صهاينة ، ولكنه يشترط عليهم أن يحولوا شعارهم الحذر " كلنا نحب إسرائيل " إلى استعداد لقبول التنوع وأن يشجعوا الرأى العام اليهودى على المشاركة فى الجدل الدائر حيال دولة إسرائيل " .

من المعروف أن قادة اليهود الأمريكيين وقفوا صامدين خلال الخمسينيات فى وجه المحاولات التى قام بها بن جوريون لفرض هيمنته على يهود العالم والعمل على إقناعهم ، وخاصة يهود أمريكا ، بترك الشتات الذى يعيشون فيه والنزوح إلى إسرائيل . فى تلك الفترة أبلغ جاكوب بلوشتين ، عضو اللجنة اليهودية الأمريكية ، حكومة إسرائيل أن علاقة الصداقة بين أمريكا ويهود إسرائيل لا بد أن تلتزم بقواعد السير فى " شارع ذى اتجاهين " . بعد ذلك بثلاثة عقود كان سياسيّو إسرائيل يتوسلون للإدارة الأمريكية أن تتمسك بهذا المبدأ لأن حركة السلام فى إسرائيل تحتاج دعمهم . يؤكد هذه الدعوة أبا إيبان فى مقابلة نشرتها صحيفة جيروزليم بوست عام ١٩٨٥ بقوله " إنهم يقولون إن الدعم اليهودى لإسرائيل يحتاج إلى بُعد مادىّ وآخر سياسى ويهملون جانباً البعد العقلانى ، وإذا وافقنا على هذا التحديد سوف ينتهى الأمر بيهود العالم إلى عدم الالتزام بما يخص إسرائيل ، مما سيقلل بالتالى من الاهتمام بقضيتها "[٣٢] .

بعد هذه المقابلة بعدة أسابيع نشر أبا إيبان مقالاً فى الصحيفة نفسها انتقد بشدة مطالبة المؤسسة الدينية فى إسرائيل النازحين الجدد إليها من أثيوبيا خصوصًا النساء منهم ، أن يبرهنوا بدليل عملى على " يهوديتهم " ، وانتهز إيبان الفرصة ووجّه لطمة عنيفة إلى اليهود خارج إسرائيل بسبب عدم استعدادهم لانتقاد ما وصفه بـ " تنامى تشويه صورة " إسرائيل على يد قادتها . كان أبا إيبان يلمح من بين كلماته إلى محاولات إسحاق شامير وزير خارجية إسرائيل الحالى ورئيس وزرائها القادم ، الحصول على عفو عام عن المتطرفين اليهود الذين روّعوا بأعمالهم الإرهابية عرب الضفة الغربية ، وكانوا يخططون لنسف المسجد الأقصى الذى يقدسه العالم العربى باعتباره ثالث الحرمين الشريفين ، خاصة وأنه وصفهم بأنهم " مواطنون طيبون إلا أنهم ذهبوا فى أعمالهم إلى حد أكثر بُعدًا " . يقول أبا إيبان فى مقالته " يرفض يهود الشتات القيام بأى دور لتحليل الأعمال التى تقوم بها إسرائيل ويمنحون كل ما يصدر عنها من قرارات وممارسات سياسية تأييدهم الأعمى ، إنهم على استعداد لتأييد الشىء وضده وفق ما ترفعه وتخفضه المساجلات الانتخابية " (٢٣) .

لم يكن هناك من هو أكثر شعبية فى هذا الوقت من أبا إيبان على مستوى الولايات الأمريكية ، بل يمكن القول إنه كان " إسرائيل " بالنسبة لبعض اليهود الأمريكيين ، وهذا دليل آخر على محدودية ما تعرفه هذه النوعية عن الدولة اليهودية . أما على مستوى إسرائيل فكان إيبان يحتل مكانًا قريبًا من ذيل قائمة السياسيين الأكثر شعبية ، ولولا النجاح الذى حققته حلقات " اليهود والحضارة " التى عرضها التليفزيون الإسرائيلى عام ١٩٨٥ وعلق عليها إيبان ما كان للجيل الجديد فى إسرائيل أن يتعرف على هذا الدبلوماسى الشهير . الأمر الذى لا يعرفه أفراد هذا الجيل أن عددًا من أثرياء اليهود رفض التبرع لإنتاج هذه الحلقات لما عرفوا أن إيبان سيعلق عليها لأنهم أنكروا عليه انتقاده الشديد لحكومتى بيجين وشامير ، خاصة ما يتعلق بسياسات الليكود للاحتفاظ بأراضى الضفة الغربية .

أليس أمرًا غير قابل للتصديق ويدعو إلى سخرية عميقة فيما يتعلق بالحرب الدائرة فى واشنطن أن الإسرائيلى الأكثر شهرة على مستوى العقل الأمريكى وواحدًا

من الآباء المؤسسين للدولة اليهودية وأكثر دبلوماسييها شهرة وأكثر رجالها في مجال العلاقات العامة تأثيراً ، يصبح من الأعداء !!

بالنسبة لليهود الأمريكيين لم تتغير الأحوال خلال عام ١٩٨٦ إلى الأفضل أو إلى الأسوأ ، فالبرغم من أن جماعات الضغط السياسى الموالية لإسرائيل حققت أفضل إنجازاتها بدفع إدارة ريجان إلى تقديم عون للدولة اليهودية لم تبلغه في كل تاريخها ، حتى إن العرب كانوا يتمنونه ويحسدونها عليه . إلا أن الحلم الصهيونى كان يمر في الوقت نفسه بمصاعب جمة لأن إسرائيل كانت تعانى من هزات اقتصادية عنيفة وانقسامات في المجتمع شديدة بسبب الثورة التى دعا إليها بيجين ، يزيد منها التهديد المستمر باندلاع الحرب . هذه الظروف دفعت سياسيى إسرائيل ومفكريها من أتباع اليسار والوسط إلى مطالبة يهود الشتات بالتصدى لمشكلات الدولة اليهودية والمساعدة على حلها ، كانت الجماعة اليهودية الأمريكية بقياداتها ونشطائها تكرس كل جهودها للمحافظة على قوة العلاقة الخاصة بين واشنطن وتل أبيب إلى الحد الذى دفعهم إلى تجاهل العواقب التى يمكن أن تترتب على ضغطهم السياسى .

كانت إدارة الرئيس ريجان حتى ذلك الحين لا تزال تفتقر إلى بلورة سياسة واضحة تجاه الشرق الأوسط ساعدها في ذلك الوهم الذى سيطر على البيت الأبيض أنه قادر على إنقاذ اقتصاد الدولة اليهودية واستكمال بناء ركائز التعاون الإستراتيجى معها ، وكسب ود الأصدقاء العرب في الوقت نفسه . فشلت جهود ريجان لبيع أسلحة أكثر إلى الأردن فشلاً ذريعًا في وقت مبكر من ربيع عام ١٩٨٦ ، ويرجع السبب في ذلك إلى وقوع مجلس الشيوخ ضحية للمبررات التى قدمتها إيباك اعتراضًا على بيع أسلحة إلى العرب ، وأيضًا لأن الشخص المعنى بدفع عجلة السلام في الشرق الأوسط وهو الملك حسين لم يكن يفعل ما فيه الكفاية لتعزير حاجة بلاده للسلاح . كانت الإدارة الأمريكية بهذه السياسية تدفع الأردن للوقوع بين أيدى بائعى السلاح الفرنسيين والروس .

صوّت مجلسا النواب والشيوخ في شهر مايو بأغلبية ساحقة ضد بيع أسلحة معظمها صواريخ بما قميته ٣٥٤ مليون دولار إلى السعودية ، وقيل مرة أخرى إن

سبب الاعتراض أن السعودية قدمت مساعدات مالية إلى سوريا وإلى منظمة التحرير الفلسطينية ، ولم تساند خطوات السلام التى سبق أن اقترحها الملك حسين . يلاحظ أن الكونجرس برر منذ بضعة أشهر أنه لا يوافق على بيع أسلحة إلى الأردن لأن الملك حسين لم يخط الخطوات اللازمة لإقرار سلام فى المنطقة . نوهت قلة من الأعضاء بأهمية السعودية لأمريكا كركيزة إستراتيجية من نوع خاص بسبب ثروتها النفطية بغض النظر عن مواقفها خاصة وما يمثله ذلك من أهمية لمصالح أمريكا فى المنطقة وبقية أنحاء العالم . وتساءل البعض : هل ستقف أمريكا مكتوفة الأيدى إذا هاجمت إيران السعودية ؟ بالقطع ستجد من الصعب عليها عدم التدخل !! فى مثل هذه الظروف ماذا سيفعل الإسرائيليون ، واستخلصوا من ذلك أن تصويت الكونجرس ضد بيع أسلحة للسعودية سار ضد المصالح الأمريكية والإسرائيلية على المدى الطويل .

دلت هذه الحادثة على أمرين مهمين : الأول أنه رغم مرور خمس سنوات على معركة بيع طائرات الأواكس إلى السعودية ، لا تزال كل من إسرائيل ومنظمة إيباك غير قادرتين على الاعتراض على بيع أسلحة للسعودية علانية . والثانى أن أعضاء مجلس الشيوخ دُرِّبوا التدريب الكافى الذى يجعلهم يعترضون وفق ما تريده إيباك [٣٤] ، فقد وافقوا بلا اعتراض على أن السعوديين لم يبرهنوا على أنهم قادرون على التعاون مع الأطراف الأخرى من أجل تحقيق السلام .

لكن أى سلام تتحدث عنه هذه الأطراف ؟ إن الضحية الحقيقية " لمنهج اللاسياسة " الذى تتبعه إدارة الرئيس ريجان فى الشرق الأوسط هو خطوات السلام نفسها لأن كافة الأطراف كانت تتكلم كلامًا طيبًا لسنوات طويلة ، أما العملية السلمية نفسها فلم تكن سوى تمثيلية تطالب المشاهد أن يفك ألغازها : كانت أمريكا تريد إجراء مفاوضات بين الأطراف المعنية وكذلك ادعت كل من إسرائيل والأردن ، لكن لم تكن لا أمريكا ولا إسرائيل راغبة فى إدخال منظمة التحرير الفلسطينية فى اللعبة فى الوقت الذى أصرت فيه الأردن على أنها لا يمكن أن تجلس إلى مائدة المفاوضات بدون عرفات الذى كان لا يزال موقفه يتسم بالضبابية حيال الاعتراف بإسرائيل وبقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . من ناحية أخرى سببت الاعتراضات المتواصله لمنظمة التحرير الفلسطينية إحباطًا شديداً للملك حسين مما أدى إلى انفصاله علنًا عن عرفات

فى وقت مبكر من عام ١٩٨٥ ، أحدث هذا الانشقاق أثراً محدوداً لأن عرفات كان يحظى بالتأييد التام لفلسطينىّ الضفة الغربية وكان الأردن لا يزال فى حاجة إليه . ماذا كانت تعنى هذه التغيرات ؟ لا شىء !! لأن الليكود الذى كان يقود نصف حكومة إسرائيل كان لا يزال يعارض مبادلة الأرض بالسلام ، وهذا يعنى أنه لم يكن يلزم نفسه بالقرار رقم ٢٤٢ مثله فى ذلك مثل عرفات . الأسوأ من ذلك على مستوى الدولة اليهودية أن إسحاق شامير زعيم الليكود كان يستعد لتولى رئاسة وزارتها فى أكتوبر عام ١٩٨٦ ، ولم يكن هناك ما يدل على أنه سيغير أفكاره . باختصار كانت عملية السلام تعانى سكرات الموت أكثر من أى فترة سابقة وكانت سياسة أمريكا غير قادرة من الناحية الإيجابية أن تكون متضاربة مع سياسة الليكود فيما يتعلق بمستقبل الضفة الغربية .

بدا واضحاً للمراقبين خلال النصف الثانى من عام ١٩٨٦ أن خطوات السلام فى الشرق الأوسط التى تعد المسألة المركزية فى المنطقة ، غرقت فى مستنقع أوحال السياسة والفضائح التى انتشرت فى كل من أمريكا وإسرائيل . وانشغل شامير لفترة طويلة من أشهر الصيف التى كان يستعد خلالها لتولى رئاسة الوزراة الإسرائيلية قبل نهاية العام بالدفاع عن نفسه ضد الاتهامات التى ألصقها به رئيس جهاز الشن بيت (جهاز المباحث العامة) السابق بأنه عندما كان رئيساً للوزارة عام ١٩٨٤ أمر العاملين فى الجهاز بقتل فلسطينيين أعتقلا بعد اتهامهما باختطاف سيارة نقل ركاب . فى الوقت نفسه تساءل منتقدو شامير فى الكنيست وفى الصحافة عن مدى علمه أيام كان رئيساً لجهاز الموساد (المخابرات الإسرائيلى) بتجنيد أمريكى للقيام بعمليات تجسس لحساب إسرائيل داخل أمريكا !! وعندما عقد بيريز قبل ترك منصبه كرئيس للوزراء ، قمة لمدة يومين فى شهر سبتمبر مع الرئيس مبارك لمناقشة عدة موضوعات كان من بينها التمهيد لعقد مؤتمر دولى حول السلام فى الشرق الأوسط ، وصف تحالف الليكود شركاءه فى الحكم ممثلا فى شامير وشارون القمة بأنها " تمثيلية علاقات عامة فى فن التحايل " .

كان مستشارو الرئيس ريجان للشئون السياسية مشغولين فى هذا الوقت بالإعداد لقمته القادمة فى أيسلند مع الزعيم السوفيتى ميخائيل جورباتشوف ، وعند

الإعداد لجدول الأعمال انحصر الاهتمام فى الشرق الأوسط بمسألة عاطفية تسبب قلقًا للإدارة الأمريكية وهى كيفية الإفراج عن الرهائن الذين كانوا لا يزالون محتجزين فى مكان ما بلبنان . لم يحقق الجانب الأمريكى نجاحًا يذكر فى قمة أيسلند ، وعندما حاول أن يجند طاقاته (التى انتهت بالفشل أيضًا) ليحافظ على الأغلبية الجمهورية فى مجلس الشيوخ منى بهزيمة كبيرة .

برهنت إدارة الرئيس ريجان فى وقت متأخر من شهر نوفمبر أنها ، وبعد مرور ست سنوات على تحملها للمسئولية ، ما زالت تتعامل مع قضية الشرق الأوسط بلا سياسة شاملة أو مفهومة ، وذلك عندما أُميط اللثام عن فضيحة بيع أسلحة أمريكية إلى جمهورية إيران الإسلامية . أثبتت الوثائق المتعلقة بهذه الفضيحة التى عرفت فيما بعد باسم " إيران جيت " أن واشنطن سعت للتفاوض سرًا لبيع أسلحة قيمتها ١٢ مليون دولار إلى حكومة إيران التى كانت تهاجمها إلى وقت قريب وتصفها بأنها تصدر الإرهاب إلى خارج حدودها ، مقابل مساعدتها فى إطلاق سراح من بقى من رهائنها الذين كانوا لا يزالون محتجزين فى لبنان .

أصابت أنباء هذه الفضيحة كلاً من الرئيس مبارك والملك حسين بالإحباط ثم بالغضب فيما بعد ، لأن كلاً من مصر والأردن كانتا تكافحان نموذجًا من الأصولية الإسلامية بدأ ينمو داخل حدودهما ويتلقى تشجيعًا من النجاحات التى كانت تحققها إيران بقيادة آية الله الخمينى . هذا بينما أكدت وزارة الخارجية الأمريكية للدول العربية المعتدلة أن واشنطن لن تتدخل فى الحرب الدائرة بين إيران والعراق الذى كان أثيرًا لدى العرب . عندما أزيح الستار عن مزيد من التفاصيل حول فضيحة إيران جيت زادت خيبة أمل مبارك والحسين حيث عرف العالم أن إسرائيل بناء على طلب من الإدارة الأمريكية لعبت دور الوسيط بينها وبين طهران لإتمام صفقة بيع الأسلحة ، وأن أرباح العملية أودعت فى أحد البنوك السويسرية باسم قادة حركة المقاتلين ضد حكومة نيكاراجوا المعروفة باسم كونترا .

استنكر منتقدو اتفاق التعاون الإستراتيجى بين حكومة إسرائيل وأمريكا تورط تل أبيب فى فضيحة بيع الأسلحة إلى إيران ، فقد أكدت لهم النتائج أسوأ المخاوف التى

أشاروا إليها وهى أن دور إسرائيل كركيزة إستراتيجية لأمريكا ربما ينقلب عليها بأعباء دبلوماسية ودعائية هى فى غير حاجة إليها . وهكذا سببت العلاقات الخاصة بين إسرائيل وأمريكا مرة أخرى لكلا الطرفين مصاعب جمة .

كان القادة العرب أكثر اقتناعا من ذى قبل أن أمريكا ليست جادة فى القيام بدور الوسيط لتحقيق السلام فى المنطقة ، أما إسرائيل فقد دفعتها رغبتها لإرضاء واشنطن وفى التشويش على جيرانها العرب الذين كانوا يؤيدون العراق فى حربه ضد إيران وسعيها لإخافة الأصولية الإسلامية إلى الوقوع فى شباك فضيحة سياسية أمريكية ربما تصبح أبعادها ومضاعفاتها أكبر مما نتج عن فضيحة ووتر جيت الشهيرة .

جاء اعتراف حكومة إسرائيل بعد ممانعة شديدة بأنها تعاونت مع الإدارة الأمريكية فى نقل الأسلحة إلى إيران (كانت إسرائيل تبيع أسلحة لحكومة الخمينى لعدة سنوات) بمثابة الكارثة بالنسبة لقادة الجماعة اليهودية الأمريكية ، لأنهم كانوا يظنون إلى وقت قريب أن إسرائيل وأمريكا ملتزمتان بالتعاون فى مجال مكافحة نوعية الإرهاب الذى يقال إن الإيرانيين تخصصوا فيه . أما التقدميون من هؤلاء القادة فقد أزعجهم أشد الإزعاج أن عائد أرباح هذه الصفقة أودع فى حساب قادة حركة الكونترا الذى سبق لهم وأيدوا معارضة الكونجرس لتقديم مساعدات أمريكية لهم .

الأهم من ذلك كله أن الضحية الكبرى لهذه الفضيحة كانت مرة أخرى عملية إقرار السلام فى الشرق الأوسط !!

فى مثل هذه الظروف ماذا يمكن أن يفعل اليهود الأمريكيون ؟ الإجابة على هذا السؤال تأتى بنا إلى آخر وأقصر قسم فى تحليلاتنا التى استعرضنا بها أوجه العلاقة بين اليهود الأمريكيين وإسرائيل . ولأن أيًا من هذه المقترحات يمكن أن يتضمنه كتاب آخر ، ولأن هدفى من الفقرات التالية سيكون المناقشة فسأنتقل مباشرة إلى الحديث حول مستقبل العلاقات بين يهود أمريكا وإسرائيل .

المطلب الأساسى لمثل هذه المناقشة هو أن يركز اليهود الأمريكيون انتباههم حول ما كانوا هم وناخبوهم يقولونه منذ عدة سنوات ، وربما يكون من مصلحة أعضاء مجلسى النواب والشيوخ الإنصات بعناية لهذا الحديث إذا كانوا صادقين فعلاً فى شكواهم المتكررة من " الضغط اليهودى " الذى يمارَس عليهم .

إننا نقول لهم إن استفتاءً بعد آخر قامت به مراكز أمريكية و منظمات يهودية خلال العقد الأخير أثبت أن اليهود الأمريكيين وقادتهم يصرون بأعداد كبيرة على أنهم يريدون أن يمثلوا دور الحمائم على مستوى السياسة الإسرائيلية خاصة حيال مسائل ذات حساسية خاصة مثل مستقبل الضفة الغربية ودور منظمة التحرير الفلسطينية فى مفاوضات السلام (راجع صفحة رقم ٣٠٥) . ببساطة نقول إنهم فشلوا فى إسماع هذه الحقيقه إلى الأطراف المعنية لسبب رئيسى هو خشيتهم أن يوفر ذلك ذخيرة بين يدى مناهضة السامية . الأمر المؤكد أن هؤلاء المعارضين مكّنوا منظمة إيباك بصمتهم هذا من بيع وجهة نظر المحافظين الجدد الذين يمثلون الجماعة اليهودية الأمريكية إلى البيت الأبيض والكونجرس . من هنا نقول إن الصورة يجب أن يعاد تصحيحها ، يقول آرثر هرتزبيرج " عندما يهاجمنى إخوة من اليهود على اعتبار أننى معارض سأقول لهم إن وجهة نظرى تمثل تقريبًا وجهة نظر نصف اليهود الأمريكيين ونصف سكان إسرائيل وأن تحالف الليكود الذى يدافعون عنه هو البعيد عن الخط الذى يمثله الرأى العام اليهودى " .

علينا أن نعترف أن الحقائق دائمًا تؤيد وجهة نظر هرتزبيرج ، إن لم يكن المنطق الذى يساندها فى أحيان كثيرة ، وليس هناك حاجة للتدليل على وجهة نظر اليهود الأمريكيين لأن نتائج الاستفتاءات تعززها فهى تشير إلى معارضتهم ضم الضفة الغربية وإلى تأييدهم جلوس إسرائيل إلى مائدة المفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية بشرط أن يعترف عرفات بإسرائيل ويعلن تخليه عن الإرهاب . بل تشير بعض النتائج إلى استعدادهم للقبول بقيام دولة فلسطينية . الغريب فى الأمر أن الإعلان عن ترحيبهم بتأسيس هذه الدولة كان يبعث القشعريرة فى أوصال رئيس مجلس الشيوخ وأعضائه المنتخبين .

مثل هذه الأفكار لا تصيب المرء بالدهشة ، لأنه من المعروف عن الناخبين اليهود حرصهم على ما اشتهروا به من تقدمية وتحرر ، خاصة وأن ادعاء تحول اليهود الأمريكيين إلى جمهوريين كان ينقصه الدليل . من الحقائق التى يجب التذكير بها أن الناخبين اليهود عارضوا رونالد ريجان معارضة لا لبس فيها بالرغم من أنه أثبت عمق صداقته لإسرائيل ، والذى كانت سياساته الاقتصادية تعود بالنفع على الجماعة

اليهودية الأمريكية ، والذى تحولت فكرته عن أهمية إسرائيل كركيزة إستراتيجية لسياسات أمريكا فى الشرق الأوسط إلى شعار لا تمل منظمة إيباك من ترديده .

حصل الرئيس ريجان فى انتخابات الإعادة عام ١٩٨٤ على ٢١٪ من أصوات الناخبين اليهود ، أما المرشح الديمقراطى والتر مونديال الذى كان نائباً للرئيس جيمى كارتر فقد حصل على ٧١٪ من أصواتهم . تقول دراسة أعدها الكونجرس اليهودى الأمريكى بعنوان " الصوت اليهودى فى الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٨٤ " إن الناخبين اليهود كانوا مبيتين نية التصويت ضد رونالد ريجان مرشح الرئاسة الجمهورى لدرجة أنهم تجاهلوا الاتهامات التى قيلت فى حق القس جيسى جاكسون المرشح الديمقراطى فى الانتخابات بأنه تورط فى أمور تقليدية حول مناهضة السامية . يمكن النظر إلى موقف الناخبين اليهود تجاه ريجان من زاوية أخرى وهى إعلانهم أن اهتمامهم الأساسى منصب على جعل الدين قضية رئيسية خلال حملته الانتخابية ، كما يمكن النظر إليه على اعتبار أنه مظاهرة صامتة أخرى ضد تحالف الليكود الذى علم قادته أنهم يؤيدون فوز خصمه بالمنصب الرئاسى .

من سوء الحظ أن مثل هذه الآراء تبقى طوال الوقت " حبيسة الأدراج " بشكل عام بالرغم من أنها آراء قطاع هائل ومؤثر من أبناء الجماعة اليهودية الأمريكية ، من هنا يجب على المعلقين والسياسيين المهتمين جدياً بتبادل الآراء حول الصراع العربى الإسرائيلى أن يبقوها دائماً فى دائرة الضوء . إننا لا ننكر أن منظمة إيباك تمثل فئة من الناشطين الصرحاء المنتشرين فى عدد كبير من الدوائر الانتخابية ، لكننا لا يمكن أن نهمل الملايين من اليهود الأمريكيين الذين لا يوافقون على آرائها . لذلك نقول إن الوقت قد حان لكى يقوم المعارضون لهذه التوجهات بالتحرك قبل أن لا يكون الوقت مناسباً ، فكل الإشارات الآتية من الشرق الأوسط لا تطمئن المهتمين بمستقبل إسرائيل ، فخطوات السلام متوقفة عن الحركة وحكومة إسرائيل على رأسها لمرة ثانية زعيم ليكودى ، ومستقبل الدولة اليهودية الديمقراطى مهدد .

من الناحية الأخرى تعمل جماعات الضغط الموالية لإسرائيل بإصرار وبنجاح وبشكل علنى على وضع " برنامج عمل للمواطن الذى يمارس العمل السياسى " الذى

سبق واقترحته منظمة إيباك ، موضع التنفيذ . من جانبنا نعرض بعض القضايا التى يمكن أن يتضمنها جدول أعمال " منتقدى هذا البرنامج " الذى يدعمه الموالون لإسرائيل :

١ - يجب على الجماعة اليهودية الأمريكية أن تتحمل التزاماتها حيال تحديد شكل الدولة اليهودية ، وأن تسهم فى تعبيد الطريق ذى الاتجاهين الممتد بينهم وبين إسرائيل ، ذلك الطريق الذى دعا إليه جاكوب بلوشتين منذ أوائل الخمسينيات . لقد أنشأت المنظمة الصهيونية العالمية إسرائيل لكل اليهود فى كل مكان ، لهذا من حق يهود الشتات أن يكون لهم رأى فى تحديد مستقبلها . من المؤكد أن شخصيات معتدلة وحمائمية مثل أبا إيبان سترحب بمثل هذه المساعدة ، خاصة وأن العلاّمة ابن عامى يعتقد أن عدم تورط اليهود الأمريكيين فى الشأن الإسرائيلى يعيب سلوكهم ، يقول هذا الرجل " سكوتهم لا يوفر لهم الفرصة للقيام بدور داخل المجتمع الإسرائيلى ، لقد أيدوا دائمًا رغم اختلافاتهم كل حكومات إسرائيل ، لذلك لا يمكن النظر إليهم على أنهم جماعة ضغط سياسى بنّاءة . العلاقات بين اليهود الأمريكيين وإسرائيل كانت دائمًا تترجمها المساعدات المادية ، ربما لأن منح الأموال يعد تكفيراً عن عدم الهجرة إلى إسرائيل . علينا أن نتحداهم أن يأتوا إلى هذه الدولة وأن يشاركوا فى بنائها . من ناحية أخرى لا يمكنهم تقديم الأموال بدون ممارسة نوع من التأثير أو الضغط لأجل تحقيق الأفضل . ثم ماذا يعنى قولهم إن إسرائيل " ركيزة إستراتيجية لأمريكا " ؟ لقد كنا نعيش فى مجتمع تظلله القيم الأخلاقية والديمقراطية مثل المجتمع الأمريكى ، لذلك نعتبر أن دعمنا فقط بسبب أهميتنا الإستراتيجية يشوه صورتنا . أليس الأمر كذلك ؟ (٣٥) .

٢ - يجب أن يدرك اليهود خارج إسرائيل أنهم أحرار تمامًا فى نقد سياستها ، يقول عالم الاجتماع الإسرائيلى تشارلز ليبمان " إذا شعر اليهود الأمريكيون بالقلق حيال النتائج التى ستترتب على إقامة المستوطنات فى الضفة الغربية أو بسبب ضم الضفة نفسها إلى أرض إسرائيل فليس لهم الحق فقط فى الاعتراض على هذه السياسات ، بل هم مطالبون فى المقام الأول كيهود . وحتى يكون مثل هذا الاعتراض مؤثرًا لا بد أن يصدر عن إطار مؤسساتى لأن النجاح الذى حققه اليهود الأمريكيون

اعتمد إلى حد كبير على قدرتهم التنظيمية . ونرى عند هذه النقطة أن تعريف " الجماعة اليهودية الأمريكية " فى حاجة إلى إعادة تعريف لأنه صار لفترة طويلة من الزمن ملكًا لفئة من القادة المحترفين أو قادة من المتطوعين الذين يديرون المنظمات اليهودية ، خاصة وأن هذه المنظمات لا تمثل سوى نصف يهود أمريكا . أما النصف الآخر الذى يضم مئات الألوف من اليهود الأمريكيين الذين يعتقدون أن شيئًا ما يتعلق بالحلم الصهيونى صار فى غير طريقه الصحيح ، فهم فى انتظار أن يتم تنظيمهم .

من المؤكد أن الساحة تضم فى الوقت الراهن بعض الجماعات التى تبدى اعتراضاتها مثل جماعة " لائحة العمل اليهودى الجديد " التى تعد لونًا جديداً من منظمة بريرا ظهر فى الثمانينيات ، وجماعة " الصندوق الإسرائيلى الجديد " اليسارية التى قامت لمعادلة الدور الذى تقوم به منظمة النداء اليهودى الموحد وتعنى بضم الأعداد المتزايدة من المعارضين . بالرغم من أن جماعة الصندوق الإسرائيلى الجديد تمكنت فى عام ١٩٨٥ من جمع تبرعات بلغت قيمتها ١,٢٥ مليون دولار ، إلا أن النظرة المدققة تكتشف أن هذه الجماعات كلها محدودة المجال وتفتقر إلى الدعم المالى .

إذا أرادت مثل هذه الجماعات أن تركز نشاطها حول " لائحة عمل يهودية جديدة " حقيقية فلا بد لها أن تحظى بدعم كبار قادة اليهود الأمريكيين ، ويتحتم على هؤلاء الذين يتعاطفون معهم أن يخرجوا من جحورهم ويعلنوا على الملأ أن ما تطرحه هذه الجماعات يتفق مع مصالح إسرائيل ومع مصالح الجماعة اليهودية الأمريكية ومع السلام فى الشرق الأوسط ، الذى يجب أن تتعلم إسرائيل كيف تعيش معه ، وأيضًا كيف تنصت لمنتقديها من اليهود الأمريكيين .

من ناحية أخرى نقول لغالبية السياسيين ومن ضمنهم أعضاء الكونجرس إن الأهمية التى يتضمنها دعم إسرائيل وتحقيق السلام لا تسمح بخنق المناقشات السياسية التى تدور حول كل منهما ، وإذا استمر الحال على ما هو عليه فستظهر نتائج آثار تكميم الأفواه بالنسبة لموضوع السلام فى الفترة السابقة تباعًا . أما السياسيون الذين صوّتوا على مدار عقد كامل إلى جانب منح إسرائيل سنويًا أكثر من

٢ بليون دولار من أموال دافعى الضرائب فمن حقهم أن يناقشوا الحجم الحقيقى للمساعدات الذى تحتاج إليه هذه الدولة .

٣ - لضمان عدم تجاهل الانتقادات التى يعرضها اليهود الأمريكيون كما كان الحال فى الماضى لابد من تأسيس منبر يهودى خارج إسرائيل كنوع من " برلمانات يهود الشتات " أو " مجلس اللوردات اليهودى " ، حيث يمكن لكبار القادة اليهود على مستوى العالم أن يناقشوا السياسات الإسرائيلية وأن يصدروا توصيات علنية يكون من الصعب تجاهلها من جميع الأطراف .

أحد مزايا هذا الاقتراح أن الكثيرين سبق أن تقدموا به على امتداد الخمسة عشر عامًا الماضية كان من بينهم ناحوم جولدمان وآرثر هرتزبيرج وألكسندر شيندلر ، حتى مناحيم بيجين تقدم باقتراح مماثل قبل أن يتولى رئاسة الوزارة فى إسرائيل . يقول واحد من مساعدى رئيس الوزراء بيجين " من المؤكد أنه كان سيكون أقل تحمسًا للتمسك بسياسة إقامة المستوطنات إذا هدد اليهود الأمريكيون بقطع كافة أشكال الدعم التى تقدم لإسرائيل " [٣٦] .

فيما يلى عرض لأول مجموعة قضايا يمكن أن يتدارسها هذا المنبر :

(أ) احتياجات الأمن الإسرائيلى خلال حقبة التسعينيات .

(ب) ما حجم المعونات الخارجية الحقيقى الذى يحتاج إليه الاقتصاد الإسرائيلى ليتحول إلى اقتصاد مستقل بنفسه .

(ج) دور منظمة التحرير الفلسطينية فى عملية السلام .

(د) دور الولايات المتحدة الأمريكية حيال الدول العربية المعتدلة ، ذلك الدور الحساس الذى أثار موجات من الاعتراض بين الإدارات الأمريكية واليهود وجماعات الضغط اليهودية منذ أيام الرئيس أيزنهاور .

٤ - يجب على القيادات اليهودية التى كثيراً ما أعلنت تأييدها لاتفاقية كامب ديفيد أن تعيد قراءتها وأن تدرسها بعناية وأن تناقش بنودها ، فى هذه الحالة فقط سيكتشفون أن السلام لا يمكن أن يتحقق بدون الفلسطينيين ، وأن هؤلاء لن يشاركوا

فى العملية السلمية إلا إذا اعترفت الأطراف الأخرى بممثلهم الشرعى الذى هو - شئنا أم أبينا - ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية . وسيكتشفون أن الاتفاق يعطى للفلسطينيين ومصر والأردن بالاشتراك مع إسرائيل الحق فى تحديد مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة ، وأنه يعطى الفلسطينيين الحق فى استخدام " حق الاعتراض " ضد أى اتفاق يتم التوصل إليه ولا يحقق حاجاتهم . وسيعرفون أن اتفاق كامب ديفيد يعد وثيقة موالية للفلسطينيين أكثر من أى جهة أخرى ادعت بطولية الدفاع عنهم بما فى ذلك منظمة التحرير الفلسطينية التى رفضته (٢٧) .

٥ - يجب على اليهود الأمريكيين كجزء من مسئوليتهم تجاه المشكلة الفلسطينية أن يضغطوا لأجل عقد مؤتمر دولى للسلام تحت رعاية الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى . هذا المنبر أصبح الآن مقبولاً من شيمون بيريز والملك حسين وإدارة الرئيس ريجان ، التى صرحت بأنها ستدعو منظمة التحرير الفلسطينية للمشاركة فى مثل هذا المؤتمر مادامت تعترف بإسرائيل وتقبل بقرارات الأمم المتحدة .

مثل هذا المؤتمر يجب أن يهتم بمستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان ، من هنا لابد أن تُدعى سوريا للمشاركة فيه لسبب رئيسى هو أنها على استعداد لتشويه سمعة أى تجمع من أجل السلام لا تُدعى إليه .

مثل هذا المؤتمر يجب أن يوفر الفرصة المناسبة لإجبار كلا الجانبين على إثبات مدى حرصهما على تحقيق السلام أمام أعين المموليين الرئيسيين وموردى السلاح الأساسيين وهما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

ستوفر الضغوط التى يمكن أن تمارسها القوتان العظميان لكل طرف مبرراً مضموناً لما أقدم عليه من تنازلات ، عندما يثار الأمر برمته أمام الجماعات الرافضة لمثل هذه التنازلات فى الجانب الذى يمثله " لقد ضغط علينا الأمريكيون / السوفيت للقيام بهذه الخطوة " .

نقطة الانطلاق المتوفرة لبدء هذه المفاوضات يمكن أن تتمحور حول : اتفاق حسين / عرفات فى شهر فبراير عام ١٩٨٥ ، الذى عبر عن استعداد منظمة التحرير الفلسطينية لقبول ما هو أقل من دولة بالارتباط مع الأردن وخطة ريجان التى تدعو إلى

إقامة " كيان " فلسطينى فى الضفة الغربية يتمتع بحكم ذاتى ومرتبط مع الأردن و فكرة بيريز التى طرحها للبحث والتى تدور حول إمكانية إقامة " حكم ذاتى فلسطينى " فى الضفة الغربية تحت " هيمنة ثنائية أردنية / إسرائيلية " .

٦ - أثبتت الأحداث بعد أيام قليلة من تولى إسحاق شامير رئاسة الحكومة الإسرائيلية مدى الانشقاق الذى تعيش عليه وزارة الوحدة الوطنية هذه ، فسرعان ما رفع شامير الجمود الذى فرضه سلفه على نشاط بناء المستوطنات فى الضفة الغربية ، وأعلن تأييده لكل ما يبذل من جهود فى هذا الصدد . فى الوقت نفسه أعلن وزير الخارجية الجديد بيريز أن عدم اهتمام حكومة شامير بعملية السلام التى قام بتحريكها قبل أن يترك رئاسة الحكومة هو الدافع الوحيد الذى يجعله يفض تحالف العمل والليكود ، أما شامير فكان يعلن استعداده للتفاوض مع العرب فقط عن طريق " محادثات مباشرة " .

لقد سبق للأردن ومصر أن أعلنتا مرارًا استعدادهما لعقد مفاوضات مع إسرائيل عبر مؤتمر سلام دولى يشارك فيه السوفيت والفلسطينيون إلى جانب الأمريكيين ، لذلك فسّر الزعماء العرب وحمائم إسرائيل المصطلح الشهير لرئيس الوزراء الإسرائيلى " محادثات مباشرة " وفق قاموس الليكود السياسى على أنه " لا محادثات " .

يتحتم على زعماء اليهود الأمريكيين تشجيع بيريز على أن يواصل ضغطه على شامير ، وعليهم أن يطرحوا علنًا وبصوت عالٍ اعتراضاتهم ضد سياسات الليكود الاستيطانية ، وأن يتأكدوا من أن هباتهم لحكومة إسرائيل لا تستخدم لتحقيق مزيد من الجهود لضم الضفة الغربية لأرض إسرائيل[٣٨] .

ويتحتم عليهم أيضًا عندما يتحدد تاريخ جديد للانتخابات الإسرائيلية القادمة أن يلقوا بثقلهم وراء حزب العمل الذى عليه أن يبتعد بنفسه عن أحلام الليكود المستحيلة فى إقامة إسرائيل الكبرى .

ويجب عليهم أن يعلنوا بوضوح أن دعمهم لإسرائيل يعتمد أولاً على أن يكون السلام هو القضية الأساسية التى تتمركز حولها حملتها خلال الانتخابات القادمة .

٧ - لقد سبق للجماعة اليهودية أن أفرزت قيادات عظيمة مثل برانديز ووايز وسيلفر والقائد القومى جولدمان ، وعليها اليوم أن تسخّر طاقتها وما تملكه من مقومات العبقرية لتنشئة قيادات جديدة وأن تصغى باهتمام للقيادات العملاقة التى لا تزال على قيد الحياة أن تكون قادرة على تفهم دورهم المعقد لكونهم أمريكيين ويهوداً فى الوقت نفسه ، وقادرة فى الوقت نفسه أيضًا على ممارسة الضغط على الناخبين فى الدوائر التى يعيشون فيها للمطالبة بتكوين علاقات طبيعية مع دولة إسرائيل .

ليس مطلوبًا من اليهود الأمريكيين أن يبرهنوا بعد هذه المواقف المتعددة على اهتمامهم البالغ بإسرائيل ، ولكنهم مطالبون بالبرهنة عمليًا على قدرتهم على الإنصات باهتمام لكافة الأطراف المتداخلة فى قضية الصراع العربى الإسرائيلى .

يجب أن يبدأ النقاش علانية حول هذا الصراع من جديد ، فى هذه الحالة فقط سيقدم المشاركون فيه خدمة جليلة لمصالح إسرائيل ومصالح اليهود الأمريكيين ومصالح السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية .

الهوامش

1. Conor Cruise O'Brien, "Political Reality in the Middle East," *Atlantic*, October 1985; Irving Kristol, "America's Doomed Mideast Policy," *New York Times*, August 11, 1985.

2. Cited in "Squadron Rips Shamir for Blast at U.S. Jews," New York *Post*, September 15, 1985.

3. "Peres at U.N., Proposed to Go to Jordan for Talks," *New York Times*, October 20, 1985; see also, "Israeli Cabinet Debates Peres's Peace Proposal," *New York Times*, October 28, 1985.

4. "Reagan Notifies Congress of Arms Sale to Jordan," *New York Times*, September 28, 1985; "Hussein Assails Arms Delay," *New York Times*, November 3, 1985.

5. "Settlers on the West Bank Threaten Disobedience," *New York Times*, November 6, 1985.

6. "Warning by Arafat: Peace Will Not Exist Without the PLO," *New York Times*, October 29, 1985.

7. "Weizman Ready to Meet Arafat," *Ha'aretz*, February 1985; translation in *Israel Press Briefs*, No. 32, March 1985, published by the International Center for Peace in the Middle East, Tel Aviv.

8. "Ezer Weizman on the Peace Process," *Yediot Ahronot*, November 2, 1984; translation in *Israel Press Briefs*, No. 30, December 1984.

9. "Weizman: 'It will be a different PLO at the negotiating table,'" *Yediot Ahronot*, July 19, 1985; translation in *Israel Press Briefs*, No. 37, August 1985.

10. Philip Klutznick, "Negotiations with the PLO: When? Now!" *Facing the PLO Question*, Foundation for Peace in the Middle East, 1985.

11. Interview with Rabbi Arnold Wolf, in Chicago, April 1984.

12. Interview with Janet Aviad, Jerusalem, October 29, 1984.

13. Bialkin's remarks are cited in Jerusalem *Post*, International Edition, July 8–14, 1984; according to Yehuda Hellman, the executive director of the Presidents' Conference, Bialkin said much the same in a meeting with the editors of *The New York Times* a year later.

14. See Amos Elon, "Letter from Jerusalem," *New Yorker*, July 29, 1985, p. 61.

15. Interview with Professor Barry Chazan, Jerusalem, October 30, 1984.

16. Interview with Professor Shlomo Ben-Ami, Tel Aviv, October 31, 1984.

17. "Attitudes of Adolescents with Regard to Democratic Values," Mina Tzemach and Ruth Tzin; findings of survey of attitudes conducted by the Dahaf Re-

search Institute at the request of the Van Leer Jerusalem Foundation, September 1984, unpublished paper.

18. Interview with Alouph Hareven, Jerusalem, October 28, 1984; see also *The Comprehensive Educational Project on Relations Between Arabs and Jews and Between Israel and Her Neighbours*, a project directed by the Van Leer Jerusalem Foundation for the Israeli Ministry of Education and Culture, July 1984.

19. Earl Raab and Seymour Martin Lipset, *The Political Future of American Jews*, American Jewish Congress, March 1985.

20. William Schneider, "The Jewish Vote in 1984: Elements in a controversary," *Public Opinion*, Vol. 7, No. 6., December/January 1985. ABC News put the figure at 31 percent, CBS/*New York Times* poll put it at 33 percent, and NBC at 35 percent.

21. "Pro-Israel PACS Giving More to GOP," Washington *Post*, November 4, 1985.

22. Ibid.

23. "Fire on the Right," *Washington Jewish Week*, May 16, 1985; "AFSI Links with New Right," *Washington Jewish Week*, February 7, 1985.

24. "Gush Goes West," Jerusalem *Post*, International Edition, week ending November 16, 1985.

25. Nahum Goldmann, "The Present Chance for Mideast Peace," *Worldview*, March 1980.

26. Ibid.

27. Confidential interview.

28. Confidential interview.

29. Confidential interview.

30. Notes taken by a member of the audience and confirmed by others.

31. Howard Addison, "Zionism, Democracy, and the Fundraisers," *Jewish Frontier*, January, 1985.

32. See Etta Zablocki Bick, "An Ongoing Dialogue," Jerusalem *Post*, International Edition, week ending July 4, 1985.

33. Abba Eban, Jerusalem *Post*, International Edition, week ending July 27, 1985.

34. *New York Times*, May 7, 1986; see also May 8, 1986.

35. Interview with Ben-Ami.

36. Confidential interview.

37. See Israel-Egypt summit coverage in the Jerusalem *Post*, International Edition, week ending September 13, 1986.

38. "The White House Crisis: The Israeli Stake," *New York Times*, November 27, 1986.

كلمة شكر وعرفان ..

يمكن القول إن هذا الكتاب محصلة كم هائل من القراءات والأبحاث والتقارير ، ويعتمد ما سيحققه من نجاحات على مصادره التى رجعت إليها وخصوصاً المقابلات الصحفية التى أجريتها مع أهم المشاركين فى عملية ممارسة الضغط السياسى وخبرائه والمتابعين لنشاطاته . لقد تمكنت لحسن حظى من إجراء حوالى ٢٠٠ مقابلة صحفية لا يسمح المقام بسردها كلها هنا ، خاصة وأن الكثيرين أدلوا بآرائهم واشترطوا عدم الإشارة إليهم على اعتبار أن ما أدلوا به " مرتبط بخلفيات موضوع الكتاب " أو أن بعض ما صرّحوا به " ليس للنشر " وقد حافظت فى كل الأحوال على سرية آرائهم وتعليقاتهم الشخصية . أما من وافق منهم على الإشارة إليه فقد تم ذلك إما خلال فقرات الكتاب أو بالهوامش والمرجعيات .

لكننى أود أن أعبر عن تقديرى الخاص لعدد من الذين ما كان لهذا الكتاب أن يُنشر لولا مشاركتهم الفعالة .. فى البداية كانت الفكرة التى جاءت عبر إطراءات أمطرنى بها صديقى ستيف شوارتز الذى رأى أن النفوذ السياسى لجماعات الضغط اليهودية الأمريكية يمكن أن يتضمنه كتاب . فى ضوء هذه الحماسة قررنا أنا وستيف أن نتعاون معًا لتحقيق هذه الفكرة ، وعندما انشغل هو فيما بعد بعدد من المشاريع سمح لى بمحبة منه أن أكون المنفِّذ الوحيد للكتاب دون أن يضع على عاتقى أية اشتراطات . وإذ أقدم له الشكر على هذا أود أن أعبر له عن امتنانى لما قدمه لى من اقتراحات وتصويبات على مسودة الكتاب ، راجيًا أن أكون قد عبرت عن فكرته الأساسية بالشكل الذى يتناسب معها .

أود أن أشير إلى أن شيلا روجرز وإندى ديفيز ومارى نزنك قد بذلوا جهداً مشكوراً فى مجال إعداد البحوث أثناء المراحل الأولى لإعداد الكتاب مما جعل الأمر أكثر يسرًا ، وأشعر بالأسف الآن لأننى لم أستفد منهم أكثر مما أتيح لى . أما

اكتشافى لمكتبة بلوشتين فى مقر الجماعة اليهودية الأمريكية فيعد من أسعد لحظات إعدادى لهذا الكتاب ، لأننى وجدت كل الكتب والصحف والمراجع التى يمكن أن أحتاج إليها فى متناول يدى ، وما لم أجده على الرفوف كانت سيما هورويتز أمينة المكتبة ومساعدتها ميشيل انيش تحضرانه لى فوراً .. لذلك أود أن أشكرهما على حسن استضافتهما لى ، وعلى مجموعة " النشرات الزائدة " التى حصلت عليها عن طريقهما .

أجريت فى إسرائيل أمتع مقابلاتى الصحفية وأغزرها إنتاجاً خلال شتاء عام ١٩٨٤ ، ويرجع الفضل فى نجاحها إلى درورا كاس التى تدير ما يعرف باسم مكتب المركز الدولى للسلام بالشرق الأوسط فى نيويورك . لقد اقترحت علىَّ درورا إلى جانب قائمة السياسيين والمثقفين الإسرائيليين الذين كنت أنوى التحدث إليهم ، مجموعة أخرى تمثل كل ألوان الطيف السياسى الإسرائيلى من اليسار واليمين . ولكى تتأكد أننى سوف أقابل كل من جاء اسمه فى قائمتها الإضافية نصحتنى أن أفسح المجال لهديفا وينر لترتيب كافة مواعيدى فى إسرائيل .

كان الأمر فى إسرائيل أشبه بمعجزة فى الترتيب والدبلوماسية والاتصالات المتميزة ، فقد استطاعت هديفا أن تنظم لى أكثر من عشرين مقابلة مع أبرز السياسيين والكتّاب والصحفيين . الذى لفت نظرى أن كل من أجريت معه حديثاً حضر فى الموعد المحدد تماماً ، والأهم من ذلك أن أحداً منهم بما فيهم الوزراء السابقون وسفراء إسرائيل السابقون فى واشنطن لم يطلب " عدم تسجيل " ما أدلى به من آراء وتعليقات . وكم تمنيت أن يكون السياسيون الأمريكيون وقادة الجماعة اليهودية الأمريكية على القدر نفسه من الثقة بالنفس والاطمئنان إلى ما يبدونه من آراء .

أود أيضاً أن أوجه الشكر إلى جيرى ندلر الذى كان مراسلاً لمكتب الصحفيين المتحدين فى القدس وقت زيارتى لها لأنه أطلعنى على ثمرة تغطيته لجوانب السياسة الإسرائيلية المختلفة لمدة أربع سنوات ، كما عرّفنى على بعض مصادره .

اقترحت علىَّ كارل برينشتين بعض الأسماء التى يُستحَب لى أن أجرى معها لقاءات صحفية داخل الولايات المتحدة الأمريكية ، ولما وافقتُ على فكرتها قامت بكتابة خطابات إلى كل واحد منهم على سبيل التعريف بى لكى تفتح لى الأبواب .

وأذكر بالامتنان أسرة صديقي دان تويمى التى تحملت مدة إقامتى بواشنطن فترة أطول خلال المراحل المبكرة من الإعداد حرصاً منها على ميزانية محدودة لصحفى مثلى يعيش فى نيويورك . ويستحق الشكر أيضاً فيل توبمان الصحفى بجريدة ذى نيويورك تايمز وزوجته فلستى بارينجر اللذين تحملا إقامتى فى واشنطن بالرغم من انشغالهما الشديد بطفلهما الثانى والترتيبات التى كانا يقومان بها استعداداً للسفر بحراً إلى موسكو . أما فى المراحل الأخيرة من العمل فقد سمح لى لارى لوتشينو بالإقامة فى حجرة بشقته الكائنة فى المدينة ناحية دبتون سيركل حتى فى الفترات التى كان يسافر فيها بعيداً .

أقول أيضاً إن هذا الكتاب كان يمكن أن يظل فكرة إلى يومنا هذا لولا الدعم القوى والمهارات التحريرية التى تتمتع بها أليس ماى هيو التى ساعدتنى على تحويل مسودة الكتاب التى لم يكن يميزها سوى ضخامتها ، إلى كتاب حقيقى . وأنتهز الفرصة أيضاً لتوجيه الشكر لمساعدها هنرى فيرز الذى كان متواجداً بشكل دائم على الطرف الآخر من الهاتف مستعداً للمساهمة وتقديم المقترحات .

أما اعتزازى العميق فأقدمه إلى باتريشيا ميللر التى قامت بنسخ مسودة الكتاب وأنقذتنى من بعض الأخطاء السخيفة التى كان يمكن أن أرتكبها .

لقد اكتشفت أن مشاكل النشر أكبر بكثير من مشاكل الكتابة والتحرير ، لذلك أتقدم بجزيل الشكر إلى وكيلة أعمالى أماندا أوربان التى تعمل بالإدارة الدولية للإبداع ، والتى تحملت عنى مسئولية هذه الأعمال .

وأشكر قبل هؤلاء جميعاً زوجتى مارلين بثانى التى ساعدنى تشجيعها وصبرها على الانتهاء من هذا الكتاب قبل أن نخطو نحو السن المتقدمة ونعانى من العوز ، فلولا مثابرتها ما كان لنا أن نعيش مع دائرة معارف حول العلاقات الأمريكية الإسرائيلية يزداد حجمها على مدار الساعة .

وأخيراً أقول : إذا حقق هذا الكتاب نجاحاً فالفضل يعود إلى هؤلاء جميعاً ، أما إذا لحق به الفشل فسيكون ذلك بسببى وحدى !! .

المؤلف فى سطور

إدوارد تيفنـان :

– بدأ حياته صحفيًا ، وظل لمدة طويلة يكتب فى مجلة " تايم " الأمريكية ويحلل الأخبار لإذاعة الـ بى . بى . سى . البريطانية . وساهم إلى جانب ذلك فى إنتاج المواد الإعلامية لمجلتى " ذى نيويورك تايمز " و " نيويورك آند منهاتن " .

– حصل على درجات علمية من جامعات امهرست وتريتينى وأكسفورد. أما درجة الدكتوراه فقد حصل عليها من جامعة برينكتون الأمريكية .

– يعتبر هذا الكتاب من أفضل ما ألف حول قوى التأثير اليهودية على القرار الأمريكى . وقد استقبل فى الحقل الإعلامى والسياسى بدرجات متفاوته ، إذ رحب به الأكاديميون والمحللون السياسيون والمفكرون باعتباره اقتحاماً لمنطقة مشهورة بألغامها وهاجمه غلاة اليهود مدعين أنه تضمن أكاذيب وافتراءات ، واعتبره المعتدلون مرجعًا أساسيًا لا غنى عنه .

– مؤخراً تفرغ إدوارد تيفنان للكتابة والإنتاج التليفزيونى . وهو يعيش فى مدينة نيويورك مع زوجته بعد زواج ابنتيه .

المترجم فى سطور

الدكتور حسن عبد ربه المصرى

- تفرغ طوال الخمسة عشر عامًا الأخيرة للعمل فى الحقل الإعلامى الدولى ، حيث ترأس القسم العربى براديو لندن التابع لوزارة الخارجية البريطانية .. ثم مكتب التبادل الإعلامى الأوربى . ويعمل حاليًا كاستشارى إعلامى لدى عدد من المؤسسات الأوروبية والعربية التى لها مقار بلندن .

- يساهم بمقالاته فى عدد من الصحف التى تصدر من العاصمة البريطانية والعواصم العربية .

- سبق له ترجمة كتابين عن السياسة الأمريكية الخارجية . الأول حول تغير توجهاتها إبان عهد الرئيس ريجان .. والثانى حول تأثير مراكز الدراسات على رؤية البيت الأبيض الخارجية .

- يعيش فى مدينة لندن مع أسرته .

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومـى للترجمـة مشـروع تنميـة ثقافيـة بالدرجـة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التـوازن بين المعـارف الإنسـانيـة فى المجـالات العلمـيـة والفنيـة والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

العنوان	المؤلف	المترجم
١ – اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ – الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ – التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقى جلال
٤ – كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضرى
٥ – ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ – اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ – العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ – مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ – التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ – خطاب الحكاية	چيرار چينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١ – مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ – طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ – ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ – التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ – الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفى
١٦ – أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ – مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ – الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ – الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ – قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ – خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ – مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ – تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ – ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ – مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦ – دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ – التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ – رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ – الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ – الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ – مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الطوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ – الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ – التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ – الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ – الأسطورة والحداثة	پول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ - نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ - واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ - نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ - الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ - قصائد حب	أن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ - ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد
٤٢ - عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ - اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدى أخريف
٤٤ - بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	ت : مارلين تادرس
٤٥ - التراث المغدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ - عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ - تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ١	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتى
٤٩ - الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١ - مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
٥٢ - العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣ - الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ - المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
٥٥ - ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ - مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ - المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ - التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ - موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢ - لذّة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ - تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة)	ألان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ - فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ - مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدى أخريف
٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ - العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجت	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

العنوان	المؤلف	المترجم
٧٢ – السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
٧٣ – نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤ – صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
٧٥ – فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ – جاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ – تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ – العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ – شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠ – بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
٨١ – الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
٨٢ – مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
٨٣ – مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
٨٤ – موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ – منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ – طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧ – نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
٨٨ – الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩ – الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠ – وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ – المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ – أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ – محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ – الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
٩٥ – مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ – ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ – هوية فرنسا (المجلد الأول)	فرنان بروديل	ت : بشير السباعى
٩٨ – الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ – تاريخ السينما العالمية	ديڤيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ – مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحى
١٠١ – النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ – السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣ – قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ – أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوى
١٠٥ – مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ – الأدب الأندلسى	د. ماريا خيسوس روبييرامتى	ت : أشرف على دعدور
١٠٧ – صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكى
١٠٩ - حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ - النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ - المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ - الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ - راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ - مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ - المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ - النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ - الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ - الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيقل الكسندر وفنانولينا	ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤ - الفجر الكاذب	چون جراى	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ - التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديڤى	ت : سمحه الخولى
١٢٦ - فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ - إرهاب	صفاء فتحى	ت : بشير السباعى
١٢٨ - الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ - الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقى جلال
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ - ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ - الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ - تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ - المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ - فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ - مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	چوزيف مارى مواريه	ت : كاميليا صبحى
١٣٨ - عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ - پارسيڤال	ريشارد ڤاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ - حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبورى
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومى
١٤٣ - قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	ت : عدلى السمرى
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ – موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ – الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	ت : على عبد الرؤوف البمبى
١٤٧ – خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ – القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ – النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ – التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت: منيرة كروان
١٥١ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢ – عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكُتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ – غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ – مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ – الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ – المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	ت : مى التلمسانى
١٥٧ – خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ – هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩ – الإيديولوجية	ديڤيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ – آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ – من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ – تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ – موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
١٦٤ – شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ – حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ – العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ – فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ – دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ – إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ – الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ – وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ – حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ – معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ – صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ – التليفزيون فى الحياة اليومية	لوريتزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ – نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ – أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ – مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ – حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ – قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ – النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ – العنف والنبوءة	و . ب . ييتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ – چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت : فتحى العشرى
١٨٤ – القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	ت : دسوقى سعيد
١٨٥ – أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ – معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ – الأرضة	بُزُرْج علَوى	ت : علاء منصور
١٨٨ – موت الأدب	ألڤين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ – العمى والبصيرة	بول دى مان	ت : سعيد الغانمى
١٩٠ – محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجانى
١٩١ – الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ – ساحت نامه إبراهيم بك جـ١	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ – عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ – مختارات من النقد الأنجلو – أمريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ – شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ – المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ – الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ – الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ – تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ – ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ – الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ – تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ – الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ – تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ – الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى – سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ – الهيولية تصنع علمًا جديدًا	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ – ليل إفريقى	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٠٨ – شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ – السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ – مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ – فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	ت : محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢ – قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ – مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر	ريمون فلاور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ – قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ – سياحت نامه إبراهيم بك جـ٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ – جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ – مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ – رايولا	خوليو كورتازان	ت : على إبراهيم على منوفى

العنوان	المؤلف	المترجم
٢١٩ - بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ - الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ - شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ - فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ - العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نفادى
٢٢٤ - دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ - حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ - المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماريديا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ - مأزق البطل الوحيد	نورمان كيمان	ت : أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠ - عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١ - الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ - مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣ - فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ - الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ - ديوان شمس تبريزى ج١	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦ - الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ - مصر أرض الوادى	روبين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ - العولمة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩ - العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر - رايوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ - فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ - سبعة أنماط من الغموض	وليام إميسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ١)	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ - الغليان	لاورا إسكيبيل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ - نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ - قصص مختارة	جابرييل جرثيا ماركث	ت : على إبراهيم على منوفى
٢٤٧ - الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	وولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ - حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ - لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ - علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباظة
٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٥٢ - رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوڤا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ - الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ - أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ – ديكارت	ديف روبنسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ – تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ – الغجر	سير أنجوس فريزر	ت : عُبادة كُحيلة
٢٥٩ – مختارات من الشعر الأرمنى	نخبة	ت : ڤاروچان كازانچيان
٢٦٠ – موسوعة علم الاجتماع ج٣	جوردون مارشال	ت بإشراف : محمد الجوهرى
٢٦١ – رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ – مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ – الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	ت : على يوسف على
٢٦٤ – إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلى	ت : لويس عوض
٢٦٥ – روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ – مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ – فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عرودكى
٢٦٨ – ديوان شمس تبريزى ج٢	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ – وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم چيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ – الحضارة الغربية	توماس سى . باترسون	ت : شوقى جلال
٢٧٢ – الأديرة الأثرية فى مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ – الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ – السيدة بربارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود على مكى
٢٧٥ – ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ – فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمسانى
٢٧٧ – الچينات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزى
٢٧٨ – البدايات	إسحق عظيموف	ت : ظريف عبد الله
٢٧٩ – الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ – من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ – الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ – طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ – السهل يحترق	خوان روافو	ت : على البمبى
٢٨٤ – هرقل مجنوناً	يوريبيدس	ت : أحمد عتمان
٢٨٥ – رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ – سياحت نامه إبراهيم بك ج٣	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ – الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ – الفن الروائى	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ – ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ – علم اللغة والترجمة	جورج مونان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ – المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢	فرانشسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ – مقدمة للأدب العربى	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ – فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ – سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ – مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوى
٢٩٧ – فن النحو بين اليونانية والسوريانية	ديونيسيوس ثراكس – يوسف الأهوانى	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ – مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	ت : مصطفى حجازى السيد
٢٩٩ – ثورة التكنولوچيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠ – أسطورة بروميثيوس مج١	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى وبهاء چاهين
٣٠١ – أسطورة بروميثيوس مج٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيرى ومحمد الجندى
٣٠٢ – فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ – بـوذا	جين هوب وبورن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ – ماركس	ريـوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ – الجلد	كروزيو مالاباراته	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ – الحماسة – النقد الكانطى للتاريخ	چان – فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ – الشعور	ديفيد بابينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ – علم الوراثة	ستيف جونز	ت : ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ – الذهن والمخ	انجوس چيلاتى	ت : جمال الجزيرى
٣١٠ – يونج	ناجى هيد	ت : محيى الدين محمد حسن
٣١١ – مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ – روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	ت : أسعد حليم
٣١٣ – أمثال فلسطينية	خابير بيان	ت : عبد الله الجعيدى
٣١٤ – الفن كعدم	جينس مينيك	ت : هويدا السباعى
٣١٥ – جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	ت :كاميليا صبحى
٣١٦ – محاكمة سقراط	أ. ف. ستون	ت : نسيم مجلى
٣١٧ – بلا غد	شير لايموفا – زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ – الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ – صور دريدا	جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ – لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ – تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج١)	ليفى برو فنسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ – وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو. إيوجين كليتباور	ت : خالد مفلح حمزة
٣٢٣ – فن الساتورا	تراث يونانى قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ – اللعب بالنار	أشرف أسدى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٢٥ – عالم الآثار	فيليب بوسان	ت : كرستين يوسف
٣٢٦ – المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ – مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق على منصور
٣٢٨ – يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ – رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت : محمد عيد إبراهيم

٣٣٠ - كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	ت : سامى صلاح
٣٣١ - عندما جاء السردين	ستيفن جراى	ت : سامية دياب
٣٣٢ - رحلة شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٣٣ - الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	ت : بكر عباس
٣٣٤ - لقطات من المستقبل	آرثر س. كلارك	ت : مصطفى فهمى
٣٣٥ - عصر الشك	ناتالى ساروت	ت : فتحى العشرى
٣٣٦ - متون الأهرام	نصوص قديمة	ت : حسن صابر
٣٣٧ - فلسفة الولاء	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٣٣٨ - نظرات حائرة وقصص أخرى من الهند	نخبة	ت : جلال السعيد الحفناوى
٣٣٩ - تاريخ الأدب فى إيران جـ٣	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٤٠ - اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	ت : فخرى لبيب
٣٤١ - قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	ت : حسن حلمى
٣٤٢ - سلامان وأبسال	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٤٣ - العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	ت : سمير عبد ربه
٣٤٤ - الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	ت : سمير عبد ربه
٣٤٥ - الركض خلف الزمن	بونه ندائى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦ - سحر مصر	رشاد رشدى	ت : جمال الجزيرى
٣٤٧ - الصبية الطائشون	جان كوكتو	ت : بكر الحلو
٣٤٨ - المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ١	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٤٩ - دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدرون وآخرين	ت : أحمد عمر شاهين
٣٥٠ - بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	ت : عطية شحاتة
٣٥١ - مبادئ المنطق	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٣٥٢ - قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	ت : نعيم عطية
٣٥٣ - الفن الإسلامى فى الأندلس (هندسية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٤ - الفن الإسلامى فى الأندلس (نباتية)	باسيليو بابون مالدونالد	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٥٥ - التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى	ت : محمود سلامة علاوى
٣٥٦ - الميراث المر	بول سالم	ت : بدر الرفاعى
٣٥٧ - متون هيرميس	نصوص قديمة	ت : عمر الفاروق عمر
٣٥٨ - أمثال الهوسا العامية	نخبة	ت : مصطفى حجازى السيد
٣٥٩ - محاورات بارمنيدس	أفلاطون	ت : حبيب الشارونى
٣٦٠ - أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ت : ليلى الشربينى
٣٦١ - التصحر : التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	ت : عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢ - تلميذ باينبرج	هاينرش شبورال	ت : سيد أحمد فتح الله
٣٦٣ - حركات التحرر الأفريقى	ريتشارد جيبسون	ت : صبري محمد حسن
٣٦٤ - حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	ت : نجلاء أبو عجاج
٣٦٥ - سأم باريس	شارل بودلير	ت : محمد أحمد حمد
٣٦٦ - نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	ت : مصطفى محمود محمد

٣٦٧ – القلم الجرىء	نخبة	ت : البرّاق عبد الهادى رضا
٣٦٨ – المصطلح السردى	جيرالد برنس	ت : عابد خزندار
٣٦٩ – المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	ت : فوزية العشماوى
٣٧٠ – الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	ت : فاطمة عبد الله محمود
٣٧١ – المتصوفة الأولون فى الأدب التركى جـ٢	محمد فؤاد كوبريلى	ت : عبد الله أحمد إبراهيم
٣٧٢ – عاش الشباب	وانغ مينغ	ت : وحيد السعيد عبد الحميد
٣٧٣ – كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	ت : على إبراهيم على منوفى
٣٧٤ – اليوم السادس	أندريه شديد	ت : حمادة إبراهيم
٣٧٥ – الخلود	ميلان كونديرا	ت : خالد أبو اليزيد
٣٧٦ – الغضب وأحلام السنين	نخبة	ت : إدوار الخراط
٣٧٧ – تاريخ الأدب فى إيران جـ٤	على أصغر حكمت	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٧٨ – المسافر	محمد إقبال	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٧٩ – ملك فى الحديقة	سنيل باث	ت : جمال عبد الرحمن
٣٨٠ – حديث عن الخسارة	جونتر جراس	ت : شيرين عبد السلام
٣٨١ – أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	ت : رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢ – تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	ت : أحمد محمد نادى
٣٨٣ – هدية الحجاز	محمد إقبال	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٨٤ – القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	ت : إيزابيل كمال
٣٨٥ – مشترى العشق	محمد على بهزادراد	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٣٨٦ – دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ت : ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧ – أغنيات وسوناتات	چون دن	ت : بهاء چاهين
٣٨٨ – مواعظ سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٨٩ – من الأدب الباكستانى المعاصر	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٣٩٠ – الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	ت : عثمان مصطفى عثمان
٣٩١ – الحافلة الليلكية	مايف بينشى	ت : منى الدروبى
٣٩٢ – مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانخا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٣٩٣ – فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	ت : زينب محمود الخضيرى
٣٩٤ – القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	ت : هاشم أحمد محمد
٣٩٥ – آلام سياوش	إسماعيل فصيح	ت : سليم حمدان
٣٩٦ – السافاك	تقى نجارى راد	ت :محمود سلامة علاوى
٣٩٧ – نيتشه	لورانس جين	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٣٩٨ – سارتر	فيليب تودى	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٣٩٩ – كامى	ديفيد ميروفتس	ت :إمام عبد الفتاح إمام
٤٠٠ – مومو	مشيائيل إنده	ت : باهر الجوهرى
٤٠١ – الرياضيات	زيادون ساردر	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٠٢ – هوكنج	ج . ب . ماك ايفوى	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٠٣ – ربة المطر والملابس تصنع الناس	تودور شتورم	ت : عماد حسن بكر
٤٠٤ – تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ت : ظبية خميس
٤٠٥ – إيزابيل	أندريه جيد	ت : حمادة إبراهيم
٤٠٦ – المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٤٠٧ – الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	أقلام مختلفة	ت : طلعت شاهين
٤٠٨ – معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	ت : عنان الشهاوى

٤٠٩ - انتصار السعادة	برتراند راسل	ت : إلهامي عمارة
٤١٠- خلاصة القرن	كارل بوبر	ت : الزواوي بغورة
٤١١ - همس من الماضي	جينيفر آكرمان	ت : أحمد مستجير
٤١٢ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج٢)	ليفي بروفنسال	ت : نخبة
٤١٣ - أغنيات المنفى	ناظم حكمت	ت : محمد البخاري
٤١٤ - الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	ت : أمل الصبان
٤١٥ - صورة كوكب	فريدريش دورنيمات	ت : أحمد كامل عبد الرحيم
٤١٦ - مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	ت : مصطفى بدوي
٤١٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج٥	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤١٨ - سياسات الزمر الحاكمة في مصر العثمانية	جين هاثواي	ت : عبد الرحمن الشيخ
٤١٩ - العصر الذهبي للإسكندرية	جون ماريو	ت : نسيم مجلي
٤٢٠ - مكرو ميجاس	فولتير	ت : الطيب بن رجب
٤٢١ - الولاء والقيادة في المجتمع الإسلامي	روي متحدة	ت : أشرف محمد كيلاني
٤٢٢ - رحلة لاستكشاف أفريقيا جـ١	نخبة	ت : عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٢٣ - إسراءات الرجل الطيف	نخبة	ت : وحيد النقاش
٤٢٤ - لوائح الحق ولوامع العشق	نور الدين عبد الرحمن الجامي	ت : محمد علاء الدين منصور
٤٢٥ - من طاووس حتى فرح	محمود طلوعي	ت : محمود سلامة علاوي
٤٢٦ - الخفافيش وقصص أخرى من أفغانستان	نخبة	ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧ - بانديراس الطاغية	باي إنكلان	ت : ثريا شلبي
٤٢٨ - الخزانة الخفية	محمد هوتك	ت : محمد أمان صافي
٤٢٩ - هيجل	ليود سبنسر وأندرزجي كروز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٠ - كانط	كرستوفر وانت وأندزجي كليموفسكي	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣١ - فوكو	كريس هيروكس وزوران جفتيك	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٢ - ماكيافللي	باتريك كيري وأوسكار زاريت	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٣ - جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	ت : حمدي الجابري
٤٣٤ - الرمانسية	دونكان هيث وجودن بورهام	ت : عصام حجازي
٤٣٥ - توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ت : ناجي رشوان
٤٣٦ - تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٣٧ - رحالة هندي في بلاد الشرق	شبلي النعماني	ت : جلال السعيد الحفناوي
٤٣٨ - بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	ت : عايدة سيف الدولة
٤٣٩ - موت المرابي	صدر الدين عيني	ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠ - قواعد اللهجات العربية	كرستن بروستاد	ت : محمد الشرقاوي
٤٤١ - رب الأشياء الصغيرة	أرونداتي روي	ت : فخري لبيب
٤٤٢ - حتشبسوت (المرأة الفرعونية)	فوزية أسعد	ت : ماهر جويجاتي
٤٤٣ - اللغة العربية	كيس فرستيغ	ت : محمد الشرقاوي
٤٤٤ - أمريكا اللاتينية : الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	ت : صالح علماني
٤٤٥ - حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلري	ت : محمد محمد يونس

٤٤٦ – التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	ت : أحمد محمود
٤٤٧ – نظرية الكم	ج. ب. ماك ايفوى	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٤٨ – علم نفس التطور	ديلان ايڤانز – أوسكار زاريت	ت : ممدوح عبد المنعم
٤٤٩ – الحركة النسائية	مجموعة	ت : جمال الجزيرى
٤٥٠ – ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا – ريبيكارايت	ت : جمال الجزيرى
٤٥١ – الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن / بورن ڤان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢ – لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجنانزى / أوسكار زاريت	ت : محى الدين مزيد
٤٥٣ – القاهرة : إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	ت : حليوم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤ – خمسون عامًا من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	ت : سوزان خليل
٤٥٥ – تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)	فردريك كوبلستون	ت : محمود سيد أحمد
٤٥٦ – لا تنسنى	مريم جعفرى	ت : هويدا عزت محمد
٤٥٧ – النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان موللر اوكين	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٨ – الموريسكيون الأندلسيون	خوليو كارو باروخا	ت : جمال عبد الرحمن
٤٥٩ – نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
٤٦٠ – الفاشية والنازية	ستوارت هود – ليتزا جانستز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٦١ – لكان	داريان ليدر – جودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٦٢ – طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبد الرشيد الصادق محمودى	ت : عبد الرشيد الصادق محمودى
٤٦٣ – الدولة المارقة	ويليام بلوم	ت : كمال السيد
٤٦٤ – ديمقراطية القلة	ميكائيل بارنتى	ت : حصة منيف
٤٦٥ – قصص اليهود	لويس جنزبرج	ت : جمال الرفاعى
٤٦٦ – حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	ت : فاطمة محمود
٤٦٧ – التفكير السياسى	ستيفين ديلو	ت : ربيع وهبة
٤٦٨ – روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٤٦٩ – جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	ت : مجدى عبد الرازق
٤٧٠ – الأراضى والجودة البيئية	نخبة	ت : محمد السيد النتة
٤٧١ – رحلة لاستكشاف أفريقيا ج٢	نخبة	ت : عبد الله الرازق إبراهيم
٤٧٢ – دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	ت : سليمان العطار
٤٧٣ – دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	ت : سليمان العطار
٤٧٤ – الأدب والنسوية	بام موريس	ت : سهام عبد السلام
٤٧٥ – صوت مصر : أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	ت : عادل هلال عنانى
٤٧٦ – أرض الحبايب بعيدة : بيرم التونسى	ماريلين بوث	ت : سحر توفيق
٤٧٧ – تاريخ الصين	هيلدا هوخام	ت : أشرف كيلانى
٤٧٨ – الصين والولايات المتحدة	ليو شيه تشنج ولى شى دونج	ت : عبد العزيز حمدى
٤٧٩ – المقهى (مسرحية صينية)	لاوشه	ت : عبد العزيز حمدى
٤٨٠ – تساى ون جى (مسرحية صينية)	كو مو روا	ت : عبد العزيز حمدى
٤٨١ – عباءة النبى	روى متحدة	ت : رضوان السيد
٤٨٢ – موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	ت : فاطمة محمود
٤٨٣ – النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	ت : أحمد الشامى

٤٨٤ – جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	ت : رشيد بنحدو
٤٨٥ – التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٦ – الذاكرة الحضارية	يان أسمن	ت : عبد الحليم عبد الغنى رجب
٤٨٧ – الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادى	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٨ – الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
٤٨٩ – هُسِّرل : الفلسفة علمًا دقيقًا	هُسِّرل	ت : محمود رجب
٤٩٠ – أسمار الببغاء	محمد قدرى	ت : عبد الوهاب علوب
٤٩١ – نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	ت : سمير عبد ربه
٤٩٢ – محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	ت : محمد رفعت عواد
٤٩٣ – خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	ت : محمد صالح الضالع
٤٩٤ – كتاب الموتى (الخروج فى النهار)	نصوص مصرية قديمة	ت : شريف الصيفى
٤٩٥ – اللوبى	إدوارد تيفان	ت : حسن عبد ربه المصرى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٩٠٣٣ / ٢٠٠٣